ترجمة: د. محمد فتحى يوسف الريس

# أسطورة ماه برى

الجزء الثانى

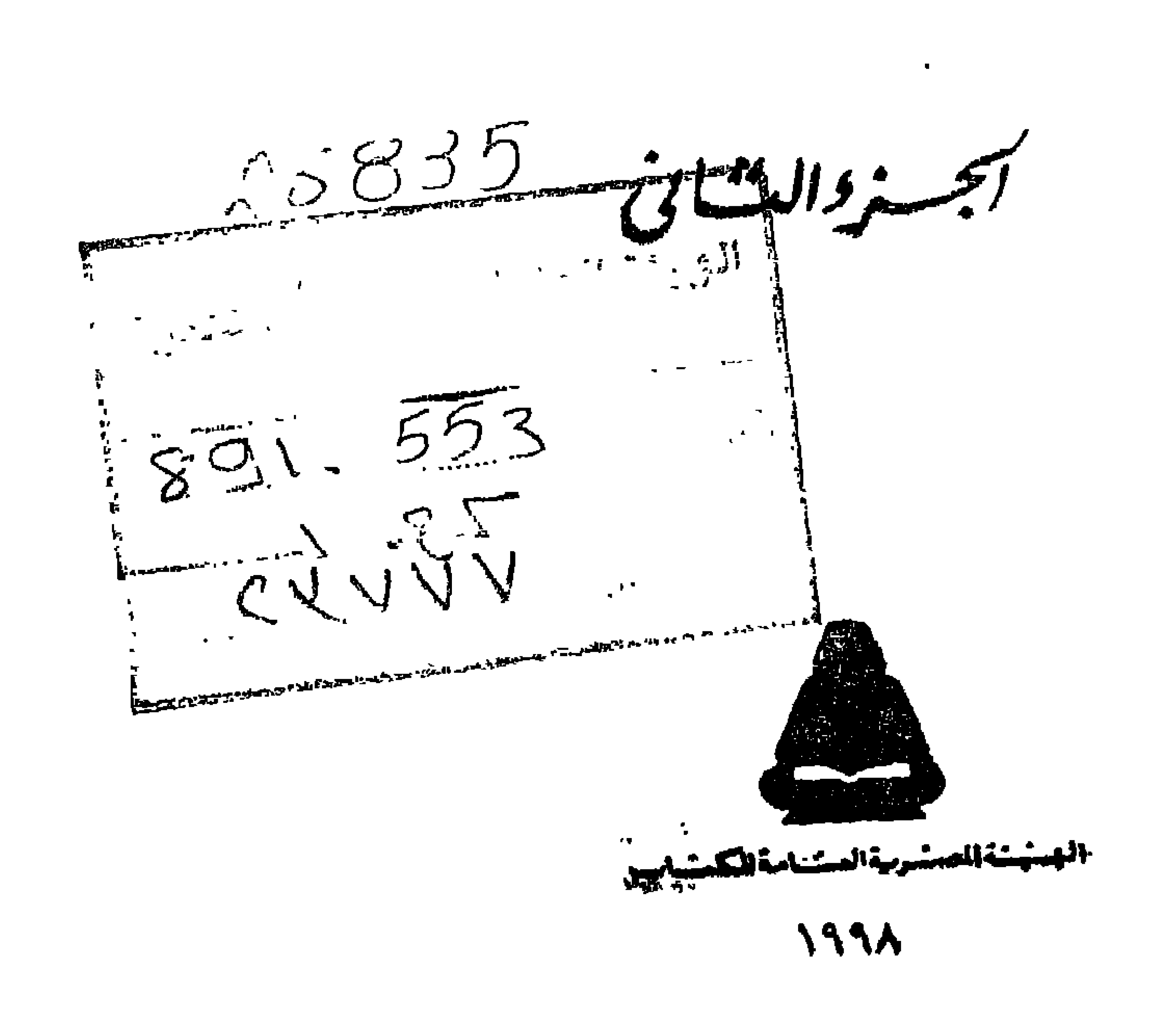



الهيئة المصرية العامة للكتاب

# أسطورة ماه بري

ترجمها عن اللغة الفارسية

د. محمد فتحي يوسف الريس



الجزء الثاني



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٨

## مقدمة الجزء الثانى

## لأسطورة ماه برى

أقدم الى القراء الأعزاء الجزء الثانى من أسطورة ماه برى التى أقوم بترجمتها من اللغة الفارسية . وكما ذكرت في المقدمة الطويلة للجزء الأول ان اسم القصة فى الأصل الفارسى هو « سمك العيار » وقد رأى المختصون فى الهيئة العامة للكتاب التى تتولى مشكورة نشر القصة تغيير عنوانها الى « أسطورة ماه برى » . وسيرى القارىء فى هذا الجزء أن الامير خورشيد شاه غير اسـم بطل القصـة سمك العيار الى « نور الملك » . أما البطلة « ماه برى » فقد فاضت روحها أثناء وضعها لطفلها الأول وبهذا فقد اختفى الاسمان اللذان كانا عماد الأحداث فى الجزء الأول .

وسيلاحظ القارىء أننى اضع بعض الهوامش أما لشرح معنى كلمة عربية غير شائعة استعملتها فى الترجمة مثل « الوهق » وهو حبل الصيد والتسلق ، ومثل « الجرموق » وهو الحذاء ذو الرقبة الطويلة « البوت » وغيرها من المفردات وقد أكرر شرح بعض هذه المفردات اذا تباعد ورودها حتى لا أشق على القارىء فى العودة للبحث عنها . كما أن بعض الهوامش أشرت فيها لبعض التضارب فى النص والذى لم يشر اليـه فى الأصـل الفارسى .

وأكرر شكرى هنا لكل من ساهم فى نشر هذا الكتاب واخراجه على هذه الصورة .

كما أشكر المجلس الأعلى للثقافة على تقديره لهذا العمل ومنحه الجزء الأول الذى نشر من هذه الترجمة جائزة الدولة التشجيعيـة فى الآداب ( الترجمة ) لعام ١٩٩٧ .

**دكتور محمد فتحى يوسف الريس**
دكتوراه فى اللغة الفارسية وآدابها
من جامعة طهران

حين طلعت الشمس قامت ضجة في قصر كانون اذ وجدوا فاضل مقتولا كما لم يجدوا أسرى الملك · وبلغ الخبر الى خاطور وكانون فشقا ملابسهما ، وقال خاطور « سوف نلام على هذا وقد نقل في الحال وتضيع أرواحنا هباء · يجب أن نتكتم الأمر حتى نبحث في المدينة عن أسباب هذا لعلنا نصل الى أول الخيط لأن هذا ليس بالعمل الهين ، فلا يجب أن يستهان بالملك الى هذا الحد أو يحقر خاصة أننا أعطينا مواثيقنا على الحفاظ على الأسرى · ان أحدا لن يصدق أن كل هذه الأحداث تقع في ليلة واحدة ولا يحس بها أحد » · وكظما غيظهما وكتما حزنهما حتى أنهما لم يقيما العزاء لفاضل وان كانا قد أمرا بدفنه ·

أما ضياء فقالت لمربيتها « فكرى في وسيلة نرسل بها هؤلاء الأسرى الى المعسكر فيجب على أن أتفرغ لعزاء أخي ، وتعلمين أن الابطال أقوياء وضخام الأجسام » ·

قالت المربية « سمعا وطاعة » · ثم خرجت من القصر وتوجهت الى دكان صانع صناديق صاحبه إسمه قياس ، وكان ماهرا في صنعته ، فلما جاءته قالت له » يا أستاذ ، انني أحتاج لثمانية صناديق كبيرة على أن تكون في جوانبها بعض الثقوب لأن عندى بعض الأقمشة المزركشة بقطع المرايا وأريد أن يدخل لها الهواء حتى لا تفسد » ·

قال النجار قياس « سمعا وطاعة ، ادفعي ثمنها وغدا خذيها » ·

قالت المربية « لا بأس » · ثم دفعت له الثمن وعادت الى القصر عند ضياء وذكرت لها ما حدث ·

قالت ضياء « حسنا صنعت » • وانشغلتا في الاعداد لعزاء فاضل •
نعود للحديث عن سمك العيار وما صارت اليه أحواله في مدينة منغوليا • فيقول مؤلف الاخبار أن سمك بقي ذلك النهار في بيت الأخوين القصابين حزينا مغموما حتى حل الظلام فنهض وقال « يجب على الذهاب الى المعسكر عند خورشيد شاه لعل الامور تستقيم هناك وتتضح ، اذ ان قلبي يدمى مما حدث ، وكيف يقوم شخص بهذا العمل وتمضى بضعة أيام يبقى فيها خافيا علي • لقد تجاوز الحزن والألم طاقتي » • قال هذا وخرج من عند بارح وسار في طريقه الى أن وصل الى السور فصعد عليه ونزل في الجانب الآخر بواسطة الوهق وانطلق في الطريق الى مجلس خورشيد شاه فوصل اليه وكان الظلام مازال منتشرا •

كان خورشيد شاه قد جاء إلى عرشه ، وجاءت جماعة من الأبطال الى حضرته ، وعندما دخل سمك وقف الملك وهامان الوزير والأبطال ، فقبل سمك الأرض وقال « أيها الملك العظيم ، أي تكريم عظيم لعبدك ؟ ان العالم كله يعرف من هو سمك الحقير ، فكيف يقف له ملك مثلك ؟ فاحتضنه خورشيد شاه وقال « يا سمك ، أنت في مكانة أخي فرخ روز » • فأدى سمك التحية مرة أخرى وأجلسه الملك أمامه • وأخذ سمك يقص عليه كل أحواله منذ تركه الى أن عاد اليه وماذا جرى له • فأثنى الملك وهامان الوزير والأبطال عليه وتحيروا في ذلك الأمر وقالوا « هل هناك شخص يقوم بمثل هذه الأعمال وفي النهاية يضيعون منه ؟ » وتحسر الجميع • وكان الأبطال يتوافدون والثعلب الفيلم يؤدى التحية لسمك مع كل من يأتي وأقبل النهار فأخذوا يعدون افطارهم •

حينما فرغوا من طعامهم أقاموا مجلس الطرب وانشغلوا في تناول الراح وتبادل الأقداح وفجأة دخل فارس من باب الايوان وقال معي رسالة • فأمر الملك بادخاله ، وحين صار أمام العرش أدى التحية وقبل الرسالة ووضعها على جانب العرش فتناول الملك الرسالة وأعطاها لهامان الوزير ليقرأها وكان ما بها :

## الملك فغفور يذهب الى ميدان القتال :

« هذه رسالة من الملك فغفور الى ابنه العزيز ، نور العين ، خورشيد شاه • أعلم أنه مضت مدة كنت أريد أن أسعد فيها برؤية وجه ابني الحبيب ، ولم تسنح الفرصة ، ولما كنت لا أطيق عدم رؤيته وتجاوزت

الرغبة حدها ، ومع جهادى لنفسى الا آننى لم أستطع الصبر ، وكانت المشكله هى جمع أعلاف الجيش ، والآن فاننى سأصل مع الجيش الجرار حتى أعتذر عما مضى اذ لم أعد أطيق فراق ابنى وهذا للعلم والسلام » ٠

حين سمع خورشيد شاه هذا الخبر ، امر أن يخرج كل الابطال فى الحال للاستقبال ، وابقى فرخ روز مع فريق من الجيش لكى يحافظوا على المعسكر ، وخرج خورشيد شاه وهامان الوزير للاستقبال وسارا نحو فرسخين حتى التقوا بجيش الملك فغفور فوقفوا على أحد جانبى الطريق حتى مر الجيش وظهرت مظلة الملك فغفور ، وفى الحال ترجل خورشيد شاه وترجل هامان الوزير وكل الجنود ، وترجل الملك فغفور ايضا وتقدم الملكان أحدهما نحو الآخر وتعانقا واعتذر كل منهما للآخر ٠

كان الملك فغفور قد أحضر معه أربعمائة حصان عربى سروجها وزكابها وحتى حدواتها من الذهب ٠ فلما سارا مترجلين بعض الطريق أمر الملك فغفور باحضار الحصان الخاص ثم أمسك ذراع خورشيد شاه وأركبه ، ثم أتوا بحصان آخر ركبه هامان الوزير ، أما بقية الأبطال الذين كانوا قد أتو لاستقباله فقد أركبوا كلا منهم حصانا عربيا ، وبعد هذا ركب الملك فغفور والآخرون وساروا الى أن جاءوا للمعسكر ٠

كان هامان الوزير عندما خرج للقاء الملك فغفور قد أمر باقامة مجلس من الأطلس الأحمر بأعمدة من الفضة ووضع عرشا من العاج والأبنوس والصندل ، وفرش الايوان بالبسط المنسوجة بخيوط من الذهب وضعت اربع وسائد ملكية ٠ فلما اقتربوا من الايوان ترجل هامان الوزير وأمسك عنان جواد الملك فغفور ، وترجل جميع الأبطال والأمراء والخاصة والعامة الذين كانسون فى ركاب الملك فغفور وأدخلوه الايوان ، ثم وقفوا أمام العرش الى أن أمسك خورشيد شاه بذراع الملك فغفور وأنزله من على صهوة جواده وأجلسه على العرش ٠

نثر الملك النثار على الموجودين وكان جميع الأبطال فى حضرته حين دخل رجل وقال « هناك غبار كثير مثار لعله غبار جيش الصين القادم الينا » ٠ فقال خدم الملك فغفو رانهم الفتيان والعيارون ومحبو سمك الذين قدموا لتحيته وخدمته ٠

كان سمك واقفا أمام عرش الملك لخدمته فقال للثعلب الفيلم « أيها الأستاذ ، يجب علينا استقبالهم ونحتاج لخلع نخلعها على العيارين » ٠

رد هامان الوزير قائلا « سوف آدبر هذا » • وخرج سمك العيار والثعلب وجمع العيـارين الذين كانوا موجودين فى طريقهم لاسـتقبال القادمين ، وحين رأى العيارون سمك والثعلب ادوا لهما التحية ودعوا لسمك ثم ساروا جميعا الى المعسكر •

**رجال الصناديق :**

نعود لحديث ضياء بنت كانون « فيقول مؤلف القصة أنه حينما انتهت ضياء من عزاء أخيها ذهبت مع مربيتها الى هؤلاء الفتيان وقالت « أيها الابطال ، يجب عليكم الجلوس فى الصناديق لكى أرسلها للمعسكر لاننى لا أستطيع ارسالكم علانية ، كما أن سمك العيار ترك عندى زوجة الملك وابنته وأمانة أخرى سوف أرسلها معكم أيضا لأنه مشغول بعمل آخر » •

صاح الفتيان لأن أيديهم كانت مقيدة قائلين « هل سترسلينا الى معسكر أرمنشاه ؟ من الأفضل أن تقطع رقابنا هنا » •

قالت ضياء « أيها الأبطال ، احذروا أن تسـيطر هذه الأفـكار على قلوبكم ، فقد ترككم سمك أمانة عندى ، وخيانة الامانة من أعمال السفلة الأدنيـاء • اننى سأرسـلكم الى معسكر خورشيد شاه » • ثم أجلسوهم وأيديهم مقيـدة في الصـناديق • أما النسـاء فقد أعطوهن مخدرا حتى لا يتكلمن وأرسلت مربيتها لكى تحضر أربعة بغال ، ووضع كل بطل فى صندوق كما وضعوا الذهب والجواهر فى الصناديق ، وكان لضياء غلام اسمه قيماز استدعته وكتبت رسالة سلمتها اليه وقالت له « خذ هؤلاء الأربعة على البغال ومعهم حوائجهم الى المعسكر وحين تبتعد عن المدينة قليلا غير طريقك واذهب الى طليعة خورشيد شاه وأيا كان أمير لطليعة سلمه هذه البغال وناوله الرسالة ثم عد ، فان سألك سائل ما هذا ومن أين ؟ فقل له كل هذا مكتوب فى الرسالة •

قال قيماز « سمعا وطاعة » • ثم ساق البغال أمامه وخرج من المدينة وسار مع البغال المتجهة لجيش أرمنشاه ثم غير طريقه الى معسكر خورشيد شاه • وفى هذه الليلة كان فرخ روز هو أمير الطليعة فتقدم الى قيماز وقال له « من أنت ؟ » •

أدى قيماز التحيــة وقال « هذه الرســالة والبغال امانــة يجب ان توصلها الى خورشيد شاه » ·

قال فرخ « أيها الرجل الحر ، ما هذا ومن أرسل الرسالة ؟ » ·

رد قيماز « كل شيء مكتوب في الرسالة » · ثم عاد ·

أمر فرخ روز بقيادة البغال الاربعة حتى وصل الى الايوان وادى التحية لخورشيد شاه وقال « ايها الملك العظيم ، جاء رجل وأحضر هذه البغال وعليها ثمانية صناديق وهذه الرسالة ، ولما سألته من أين أحضرتها ومن أرسلها ؟ قال كل شيء مكتوب فى الرســالة فأوصلها الى خورشد شاه » · ثم سلم الرسالة لخورشيد شاه ·

أعطى خورشيد شاه الرسالة لهامان الوزير ففتحها وقرأها وكان مكتوب بها « أيها الملك العظيم ، لقد أوصلنا الأمانة التى كان عيار الدنيا سمك قد تركها فى المدينة، فان كان سمك عندكم فأبلغه سلامى ، ولا مجال للحديث أكثر من هذا والسلام » ·

أرسل خورشيد شاه حاجبا لاحضار سمك فجاء ومعه الثعلب الفيام والآخرون ، فذكر لهم خورشيد شاه ما حدث وأعطاهم الرسالة ثم قال « يا سمك ، احضر الأمانة لأنظر ما هى » فأحضروا الصناديق وحين فتحوا أول صــندوق خرج الأحمر الكافر ففرحوا ، ثم أخرجو الأبطال الثـلاثة الآخرين ، وبعد ذلك أخرجوا بدرية وبدور ودانة وكن مخدرات ·

تعجب سمك من هذا وقال « يا أحرار الرجال ، أين اختطفوكم ، والى أين أخذوكم ؟ » فأجابه الأحمر الكافر « لا أعرف من خطفنا ، ولكن الذى أعرفه أنهم احتجزونا فى قصر جلبهار » · ثم قص عليه كل ما حدث لهم · فتعجب الجميع من أعمال ضياء وأثنوا عليها (١) وأمر خورشيد شاه بوضع زوجة الملك وابنته فى القيود والاحتراز عليهما ·

انشغل الملك والجميع بالشراب ولم يكن لهم حديث الا عن سمك وضياء بنت كانون ، الى أن وقف سمك وأدى التحية وقال « أيها الملك ، ان قلبى يشــتاق الى ذلك الرجل الحر الذى قــام بهذه الأعمال ، ولهذا

---

(١) الى هذا الوقت لم يكن احد من جيش خورشيد شاه يعرف حقيقتها ·

فسوف اذهب للمدينة لكي أحضره مني وأقوم على خدمته بروحي » : قال هذا وتوجه الى مدينة منغوليا ٠

ذاع في المعسكر أن الابطال الذين كانوا قد اختطفوا تم انقاذهم وان زوجة الملك وابنته وخازنته اتوا بهن الى المعسكر ٠ فوقف احد الجواسيس على هذه الاخبار وذهب الى أرمنشاه وذكر له ما سمع ٠ فثار أرمنشاه والتفت الى شهران الوزير وقال « ظننت انهما مختفيان فى مكان ما ، فكيف حدث هذا ؟ » ٠

كان قزل ملك واقفا فقال « أيى العظيم ، إن امر النساء عجيب ، وأمر هؤلاء الأسرى أعجب ، لأنهم كانوا فى يد أمراء المدينة ٠ فهل ماتوا حتى يأتى شخص ويقوم بعمل كهذا ؟ لا تستعظم أن يأتى رجل بمفرده ويرتكب هذه الأعمال ولا يستطيع أحد ان يمنعه ، فمر بعقاب امراء المدينة » ٠

قال شهران الوزير « يجب أن نستدعيهم لنعرف كيف حدث هذا » وكان سريع وقباد وسليم واقفين فقالوا « أيها الملك ، يجب أن يكون الرد على هذا العمل أفضل من هذا فجيش الصين سيكون غافلا هذه الليلة لأن الملك فغفور وصل اليهم وهم به مشغولون ولهذا يجب أن نبيت (١) لهم لعلنا نستطيع أن نفعل شيئا » فقال أرمنشاه « هكذا يجب أن نفعل بهم » ٠

في الحال اختاروا عشرين ألف فارس سرا بحيث لم يشعر بهم أحد، وحينما حل وقت العمل توجه الجيش صوب معسكر خورشيد شاه وكان فرخ روز على الطليعة تلك الليلة فمروا منه دون أن يحس بهم ، وأحاطوا بجيش الصين ودقوا طبول الحرب وقذفوهم بالسهام والنفط وجيش خورشيد شاه غافل ٠ وفجأة تصاعدت الضوضاء والجلبة وكان بعض الجند ثملا من الخمر والبعض الآخر مازال يحتسيها وبقية الجند كانوا يغطون فى النوم ، فكان كل من يستطيع الخروج من خيمته يتوجه للقتال ، ووقع الجنود بعضهم فى البعض الآخر ، وفجأة هبت ريح عاتية اقتلعت الخيام والسرادقات من أماكنها فساد الفزع والجزع أرجاء المعسكر، وتوجه الملك فغفور وخورشيد شاه الى المجلس وصاحوا طالبين ألا يبرح أحد الخيمة وأن يبقوا بها شاهرين سيوفهم ، وكان الجيشان قد اختلطا ببعضهما يتقاتلان لا يعرف العدو من الصديق ٠

---

(١) يبيت – يهجم ليلا ٠

### ماه برى تضيع فى العاصفة :

من قضاء الله أن ماه برى كانت فى خيمتها ومعها لالا صلاح فخافا مما حدث وخرجا من الخيمة وركبا جوادين ووقفا فى ناحية الى أن اضاء النهار وتحاجز الجيشان وجاء الملك فغفور وخورشيد شاه الى المجلس وكانا مغمومين من هذا الحدث ويقولان انه مكر عظيم دبروه لنا ولا ندرى كيف حدث • وكان خورشيد شاه حزينا من كثرة الصراخ والعويل فى المعسكر وأمر العارضين (٢) أن يحصوا عدد القتلى فأحصوهم فاذا عددهم ستة عشر ألفا وثمانمائة وتسعة وعشرون قتيلا ، فاغتم الملك وذهب الى خيمة النساء فلم ير ماه برى فى الخيمة فصاح قائلا « أين ذهبت ماه برى؟ » فبحثوا عنها ولم يجدوها وسألوا الجوارى والخدم فذكروا أنها خرجت من الخيمة ومعها لالاصلاح عندما عصفت الرياح ولا يعلمون أكثر من هذا•

قال الملك « انظروا هل الأسيرات فى قيودهن ؟ » فعادوا وقالوا انهم بحثوا عن زوجة الملك وابنته وجاريتهما دائة فلم يعثروا عليهن • فتوجه الملك الى مجلسه وذكر ما حدث للملك فغفور وهامان والآخرين فحزنوا • ثم أمر الملك أن يبحثوا بين القتلى فلم يعثروا عليهن • فصاح خورشيد شاه وانتحب وبكى الفغفور وانهار الأبطال وعمت الجيش كله مظاهر الحزن والاضطراب • وكان جيش أرمنشاه قد بعث بالجواسيس الذين نقلوا اليهم أن الجميع حزين مغموم •

### طلب الهدنة

كان هامان الوزير حزينا ولكنه قال « انه التدبير السليم أن نغلق باب الحرب لمدة أسبوع فربما يظهر أثر لماه برى » •

قال الملك « أعمل كل ما يجب عمله » • فقال الوزير « نعم ، يجب أن نرسل شخصا الى أرمنشاه ليبلغه بهذا » • فأدى جواد التحية وقال « سأذهب أنا وأبلغ الرسالة » •

قال له هامان الوزير « اذهب وقل لهم ان الملك فغفور وخورشيد شاه يقولان ان الملك يعلم أن واقعة عظيمة وقعت بالأمس وسواء كان

(٢) العارض هو الذى لديه احصاءات عن الجيش ويعرضها عند طلبها •

خيرا ام شرا فقد حالفك الحظ وقتل الكثير من الرجال ، فارسل بعض رجالك لكى يأخذوا قتلاكم من الطريق وبعد هذا نستعد للحرب اذ لن نحاربكم لمدة عشرة أيام » ·

**توجه جواد الى معسكر أرمنشاه فلما وصل الى أطراف المعسكر كان** سليم أخو قطران يقف هناك فصاح فيه قائلا « من انت ؟ » ·

رد جواد « أنا رسول » · فذهب سليم الى أرمنشاه وقال ان رسولا وصـل من عنـد خورشيد شاه · وكان أرمنشاه منشغلا مع الجميع فى الشراب بعد أن عمهم الفرح والسرور من هذا النصر · وقال قزل ملك « احضروا كانون لنقتله عوضـا عن الأسرى الذين هربوا منه » · فقال شهران الوزير « أيها الأمير ، انه فى المدينة ليحافظ عليها » · فجعل هذا الكلام قزل ملك يعدل عن رأيه ، بينما أمر الملك بادخال جواد الى المجلس ، وحينما دخل وأدى التحية قال « أبقاك الله ، إن خورشيد شاه والملك فغفور يبعثان اليكم بالسلام ، ويقولان ان واقعة قد وقعت أهلكت كثيرا من الخلق من الجانبين ونريد أن ندفن القتلى ، فمر كل شخص له قريب أن يأتى ليدفنه ، ولهذا السبب فلن نحارب لمدة عشرة أيام » ·

حين سمع أرمنشاه هذا الكلام قال « لا بأس ، ولكن أية حيـلة يدبرون ؟ » ·

رد عليه جواد « أية حيلة فى هذا الأمر ؟ ألأنهم يريدون اخلاء المكان من القتلى ؟ قال أرمنشاه « لأنك طلبت هذا فلا بأس ، وقد أعفيناك » · ثم أمر باعطاء خلعـة لجواد ثم سأله « أيها البطل ، من الذى أخرج أولئـك الأسرى من سجنهم ؟ » ·

أجابه جواد « أيها الملك ، انه سمك العيار » · قال هذا وسار فى طريقه عائدا الى معسكره وأدى التحية أمام الملكين وقص عليهما ما حدث مع أرمنشاه وكانا مشغولين بهذا الأمر ، بينما كان خورشيد شاه قلقا على ماه برى الى أن أقبـل الليـل فخرجت الطلائع من الجانبين وأدى الأحمر الكافو التحية وقال انه سـيذهب الى المدينة ليطلع سمك على أخبارهـم وليبحث عن ماه برى لعله يجد لها أثرا لأنه يحس بشىء ما ·

سأله خورشيد شاه « وما هو ؟ » ·

قال الأحمر « أيها الملك ، بما أن المنفعة تعود على أرمنشاه فربما كان هو الذى اختطف ماه برى » ٠

قال الملك « يجب عليك أن تسرع فى الذهاب الى المدينة فلعلك تأتينا بنبأ عنها » ٠

فقال الأحمر الكافر « سمعا وطاعة » ٠ ثم سار متوجها الى مدينة منغوليا حتى وصل الى وسط ميدان الصاغة ووقف فى مكانه ، وكان سمك قد أتى الى المدينة ليعرف من الذى أطلق سراح الأسرى وكان يتجول فيها ٠

## لا يشبه أجساد الرجال

من ناحية أخرى كانت ضياء فى قصرها تقول اننى أعلم يقينا أن سمك سيأتى للبحث عنى ولهذا يجب أن أخرج لأرى ما يحدث ٠ وكانت تسير ذهابا وعودة وفجأة تواجها وجها لوجه فصاحت ضياء فى سمك حين رأته ، فاستل سمك خنجره وتقدم نحو ضياء ليطعنها مع أنه كان يدرك أن الصوت صوت صديق ، ولكن ضياء ثنت يده وأخذت منه الخنجر ٠ وحين رأى سمك هذا قفز وأمسك ضياء من وسطها وجذبها نحوه فأحس بنعومة جسدها الذى لا يشبه أجساد الرجال فقال لنفسه « لا أدرى ما هذا » ٠ واشتبكا فى عراك ولكنه رأى شبح الأحمر الكافر قادما فظن أنه من الأعداء وقد يؤذى ذلك الرجل ولهذا كف عنه وقال له (١) « اذهب حتى لا يصيبك مكروه أما أنا فسأنتظر ما قد يحدث لى » ٠ فقالت ضياء فى نفسها « انه يمتاز بكامل الشهامة والفتوة فهو يعرض نفسه للخطر ولا يقبل أن يصيبنى أذى مع أننى صديقته ولكنه لا يعلم الحقيقة ويعتقد أننى من الأعداء » ٠

كان خلف ضياء زقاق سارت فيه ثم توجهت الى قصرها وقالت لمربيتها « أدركينى فقد جاء الأحمر الكافر وسمك الى المدينة لكى يكشفا سرى ، اسرعى واطلبى جلبهار لتحضر على الفور » ٠ فذهبت المربية الى منزل جلبهار واستدعتها ٠

---

(١) كانت ضياء متنكرة فى ملابس الرجال ٠

وفى الجانب الآخر ، فانه حينما ذهبت ضياء تقدم الأحمر الكافر مزمجرا لكى يضرب سمك الذى عرفه فقال له « أيها البطل ، لا تضرب فأنا سمك العيار » . فهدأ الأحمر وتقدم الى سمك واحتضنه ، فسأله سمك لماذا عدت أيها البطل الى المدينة ؟

تكلم الأحمر الكافر فذكر ما حدث فى الهجوم الليلى واختفاء ماه برى ولالاصلاح ، فحزن سمك وقال « لا شك أن هذا الرجل الحر يعلم شيئا ، وكنت قد أمسكت به فلماذا تركته يذهب وكان فى يدى » .

قال الاحمر الكافر « وأنا لا أشك أنه هو ، ولهذا يجب علينا الذهاب الى بيت جلبهار لنستفسر منها عمن يكون هذا الرجل الحر لأنه يقوم بأعمال بهذه الرجولة والفتوة بدلا منا » .

توجه الاثنان الى بيت جلبهار ، وقذف سمك وهقه على السطح وأحكمه فقال له الأحمر « اصعد الى السطح وانزل وافتح لى الباب » . فصعد سمك الى السطح ولم ير أحدا فجاء وفتح الباب فدخل الأحمر البيت وأخذ يتجول فيه فلم ير جلبهار وأخذ سمك يثنى على ضياء وقال « يا له من رجل حر ، حتى علم أننا سنبحث عنه وعن جلبهار خرج ولما رآك أدرك ما نريده » . ثم خرجا من البيت وذهبا الى بيت الأخوين القصابين وكان فيه مكان اذا اختبأ فيه أحد لا يهتدى اليه شخص أبدا ، فدخله وظلا هناك أثناء النهار الى أن حل الظلام فخرج الأحمر وسمك وقال الأحمر « سوف أذهب الى مكانى وعليك أن تحافظ على نفسك » وسار كل منهما فى طريقه .

## ضياء تثير شكوك أبيها

شاء الحق سبحانه وتعالى أن كانون شك فى ابنته وكان جالسا فى قصره يفكر فى جارية كانت عند ضياء وكانت صغيرة ونشأت بالبيت وغالبا ما كانت تحضر الطعام لكانون ، وفى تلك الساعة التى أحضرت فيها الطعام ووضعته أمام كانون قال لها « يا جارية ، بماذا تنشغل سيدتك حتى أننى لا أراها ؟ أنها تخرج كل ليلة من القصر وتعود عند السحر » .

قالت الجارية « انها تذهب الى منزل جلبهار وقد استدعتها البارحة وهى عند سيدتى الآن » .

استغرق كانون فى التفكير وكان حزينا وقال فى نفسه « لا يجب أن تقدم ابنتى على عمل وتلحق بى العار ولهذا يجب ان اتعقب ما تقوم به » . وظل يفكر فى هذا حتى اقبل الليل وخرجت ضياء من قصرها وذهبت الى سوق الصاغة فرأت الأحمر الكافر واقفا فقالت لنفسها « سوف أبذل كل جهدى للامساك به لأن هذا يجلب لى الشهرة الكاملة » وكانت تفكر فى هذا وتقدمت من خلفه بهدوء وفكت وهقها من وسطها وجعلته على شكل حلقة وقذفته على الأحمر الكافر فالتف حول رقبته وشدته ولم يكد الأحمر الكافر يتنبه حتى وجد نفسه مشدودا الى عامود ، وكان بيد ضياء عصا هوت بها عليه بين كتفيه مما جعل الاحمر الكافر يصرخ من أعماقه فى نفس اللحظة التى وصل فيها سمك فجأة فرأى شخصا وقد هوى بعصاه بين كتفى الاحمر الكافر وهو مقيد بينما كان يصرخ فصاح سمك قائلا « أيها الحقير ، ألا تعرف من تضرب ؟ » وتقدم نحو ضياء يريد طعنها بخنجره فأمسكت ضياء يده فى حين تمكن الأحمر من قطع الوهق واللحاق بسمك لمساعدته ، ولكن سمك كان ينصح ضياء ويعلمها وأراد الأحمر تقييدها ولكن سمك قال له « أيها البطل ، انه منا فلا تفعل » . ثم قال سمك لضياء « اذا شكرتك لمدة مائة عام فلن تكفى لأداء حقك ، أيها الرجل الحر ، من أنت ومن أين أتيت ؟ » .

قالت ضياء « اعلم وتيقن أننى بنت كانون ، أمير المدينة ، وكانت أعمالك التى قمت بها فى هذه المدينة تصل الى مسامعى فبهرتنى وقلت هل يوجد فى الدنيا رجل يقوم بمثل هذه الأعمال ؟ » ثم أخذت تشرح ما كانت قد فعلته ، فأثنى عليها الأحمر الكافر وسمك .

قال لها الأحمر الكافر « أيتها الفتاة ، اذا كنت من أنصارنا ، فلماذا ضربتنى بالعصى ؟ » .

أجابت ضياء « أيها البطل ، كان يجب أن أفعل هذا » . ثم قبلها الأحمر الكافر وسمك أختا لهما ، وحينما ارادوا الانصراف اذ بكانون وخاطور يصلان فجأة ومعهما خمسون رجلا لمحتهم ضياء وقالت « أيها البطل ، سندافع عن أنفسنا أولا ، لقد قتلت أخى وسوف أقضى على أبى لوجود عداوة عظيمة » .

أسرع سمك والأحمر وضياء واستلوا خناجرهم ووقفوا أمام أعدائهم صائحين « أيها الأدنياء ، هل ظننتم أن الدنيا خلت من الرجال الذين يردون على أفعالكم ؟ » وحين رأى العسس هذا قالوا فى أنفسهم يجب أن

نقاتل ثم هجموا عليهم حتى أن ألف رجل لم يكونوا يستطيعون مواجهتهم . وتقدم الأحمر وأمسك بكانون بينما كان سمك قد تمكن من خاطوز وأخذ يقيده ، وكانت ضياء تقتل الرجال واحدا بعد الآخر ، ثم أعطى ثلاثتهم ظهورهم لبعضهم ولم تكد تمضي لحظات حتى كانوا قد قتلوا خمسة وعشرين رجلا وفر الباقون منهزمين » .

قالت ضياء « يا أحرار الرجال ، يجب أن نذهب لأننا لا نستطيع البقاء في المدينة فالآن سيأتي الغوغاء الذين لا يستطيع أحد أن يقف في وجوههم ولا يمكن أن نضيع أرواحنا هباء » .

قال سمك « والى أين نذهب ؟ » فردت عليه ضياء « الى معسكر خورشيد شاه » .

وأسرع ثلاثتهم يدفعون أمامهم كانون وخاطور مقيدين حتى وصلوا الى سور المدينة فتسلقوه وأنزلوا الأسيرين بواسطة الوهق ثم نزلوا بعدهما وساروا متجهين الى معسكر خورشيد شاه .

حين وصلوا الى أطراف المعسكر كان النهار قد طلع وجاء خورشيد شاه والفغفور الى العرش ، وحضر الأبطال ، واذا بسمك يدخل من باب المجلس ويؤدي التحية وقال « أيها الملك العظيم ، هذا هو الشخص الذي قام بكل هذه البطولة والفتوة نيابة عني وعن الأبطال ، لقد فاق بأعماله كل الفتيان ، ومع أنها فتاة الا أنها كاملة في ميدان الفتوة والشهامة حتى أنها أنقذتني مرتين من الهلاك ، وقتلت أخاها من أجلي ، وأحضرت أباها مع خاطور وهما اللذان كانا قد اختطفاك أنت وماه برى » .

التآخي بين ضياء وسمك وخورشيد شاه :

حين سمع خورشيد شاه اسم ماه برى بكى فأدرك سمك سبب بكائه وقال « أيها الملك العظيم ، فليطمئن قلبك عليها ولن يصيبها مكروه ، والآن فاني أشهد الملوك والأبطال الموجودين هنا على أن ضياء أختي ، فاقبليني أخا لك » .

قالت ضياء « لقد قبلتك أخا لي » . وعندئذ قال سمك « أيها الملك ، كما أنك تدعوني أخاك فاقبلها أختا لك » . فأمسك خورشيد شاه يدها وتعهدا أن يكونا كالأخ والأخت .

أثنى الملك فغفور وهامان الوزير والأبطال جميعا على ضياء وأجلسها خورشيد شاه أمامه على العرش ثم أتوا بكانون وخاطور والاغلال فى عنقيهما وأوقفاهما أمام عرش خورشيد شا الذى أخذ ينظر اليهما ثم قال بماذا أجزيهما ؟ لا تذكرون كيف أخذانى عن طريق النقب الذى حفراه تحت خيمتى » ٠

تذكر سمك البطل كافور فالتفت الى الأحمر الكافر وقال له « أين الذى تركته معك ؟ فأجاب الأحمر « لقد قيدته اذا كان باقيا » ٠ وأرسل شخصا وأحضروا كافور أيضا ٠ وفجأة قامت ضياء وطعنت أباها بخنجرها فقتلته ثم أدت التحية للملك وقالت « أيها الملك العظيم ، لقد أقدمت على هذا العمل لأنك لم تأمر بقتله ارضاء لى وحتى لا أحمل لك ضغينة ، ولهذا قتلت أبى حتى يتأكد كل شخص أننى عبدة للملك وأن من يعادى الملك سوف يلقى نفس المصير ولكى لا يقول الملك أننى قصرت أو يدعونى الأبطال ابنة حرام » ٠

أثنى الملك والحاضرون جميعا على ضياء ثم استل سمك خنجره وطعن كافور فأرداه قتيلا كما قتل الأحمر الكافر خاطور ثم سحبوهم من أرجلهم الى الخارج وألقوهم ٠

كان خورشيد شاه والملك فغفور يتحدثان عن ماه برى وفى الجانب لآخر دخل جاسوس على الملك أرمنشاه وقال « أيها الملك ، أعلم أنهم قتلوا كانون وخاطور وكافور ثلاثتهم أمام عرش خورشيد شاه ، وقامت بهذا العمل ضياءبنت كانون التى صارت صديقة لسمك العيار والأحمر الكافر » ٠

قال الأبطال والوزير شهران والأمير قزل ملك « أيها الملك ، تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن ، ومهما يكن فلا يعدو أن يكون سمك رجلا فماذا يستطيع أن يفعل أكثر مما فعل ٠ فاغتم أرمنشاه وقال « كيف يستطيع شخص أن يقوم بكل هذه الأعمال ولا يوقفه أحد ؟

فقال الحاضرون « قبل أن يذهب الناس الى قصر كانون وينهبوا ما به يجب أن نرسل أحدا الى هناك » ٠ وفى الحال توجه خمسون فارسا الى قصر كانون وحين وصلوا الى المدينة وجدوا بها ضجة لأن الناس كانوا قد عثروا على بعض العسس الذين قتلوا بالأمس ، كما عرفوا باختطاف كانون وخاطور وكافور ٠ فلما وصل الفرسان الى قصر كانون وجدوا

محارب واقفا حزينا على أبيه · فلما أبلغه الفرسان بخبره شق ملابسه وأخذ ينثر التراب على رأسه ·

دخل الفرسان القصر وتجولوا فى أرجائه فلم يجدوا شيئا لأن ضياء كانت قد نقلت كل شيء فيه ولهذا اتجه محارب مع الفرسان عائدين الى المعسكر وذهبوا الى الملك أرمشاه وأخبروه بما حدث فتعجب من ذلك ·

كان قزل ملك واقفا فصاح قائلا « يا أبى، أليست لك رسوم ملكية ؟ هل الملك أن يصدروا الأوامر أو يهبوا الخلع أو يكتنزوا الكنوز ؟ ان الملك هو العدل والسياسة والبطش ، ولو أنك قتلت كل من وقع فى يدك منهم لما صار أمرك الى ما صار اليه · ثم أننا أخذنا خمسة منهم فما فائدتهم ؟ مر رجالك أن يأتوا بهم ويقتلوهم ، وحين نفعل هذا سيعتبر الآخرون » ·

قال أرمنشاه « هكذا سنفعل » · ولكن شهران استطرد قائلا « من الذى نرسله لكى يأتى بهم الى هنا » ·

قال الملك « نرسل طيراق فهو الذى أخذهم » · فأدى طيراق التحية وقال « سمعا وطاعة » · فقال له الملك « جهز ما يلزم واذهب عند الفجر ، واحمل معك الخاتم ورسالة مع خمسين فارسا حتى لا يقع خطأ أثناء الطريق · قال هذا وانشغلوا بالشراب ·

قال شهران الوزير « أيها الملك ، ان ابن كانون واقف هنا وكان لأبيه كثير من الحقوق عند الملك » ·

قال الملك « أعد اليه عمل أبيه وارسله للمدينة » · فأنعم عليه شهران الوزير بخلعة وأرسله للمدينة ، وأمر مناديا ينادى فى المدينة بأنه صار حاكما ويجب على كل الرعية وأهل السوق اطاعة أوامره حتى يحافظ على المدينة ويتعقب المخالفين · وحين أوكلوا اليه أمر المدينة واستقامت أمورها بحثوا عن طيراق لكى يذهب ويحضر الأسرى ·

**ضياء تحصل على خاتم ارمنشاه وحزامه الملكى :**

فى الجانب الآخر كان خورشيد شاه والملك فغفور وضياء وهامان الوزير وسمك فى حزن وضيق من أجل ماه برى ويتحدثون عن شجاعة

ضياء وفتوتها والجميع يثنون عليها فقالت ضياء « أيها البطل ، ماذا يكون لو أذنت لى بالذهاب هذه الليلة وأحضرت خاتم أزمنشـــاه وحزامه الملـــكى ؟ » .

صاح سمك قائلا « لا يجوز وسط العيارين أن تدعى شيئا ، ولكن يجب العمل ثم الحديث عن العمل » .

قالت ضياء « أيها البطـل ، لولا أننـا أقسمنا أنـا وأبى واخوتى ألا نقتل أرمنشاه لأحضرت رأسه أيضا » .

قال الثعلب لسمك « يا بنى لا تحطم عزيمتها ولا تطفىء جذوة العيارة فى قلبها فلا يوجد عمل أصعب من العيارة ، والقلب يضنيه ويخيفه أقل شىء وهى لم تكن لتدعى ما ادعت وسط العيارين الا وهى تعلم شيئا » .

قالت ضياء ؟ أيها البطل الثعلب ، ان من يعرف شيئا لن يغيره كلام أحد ولن يثنيه عن انجاز ما يريد ، ولكن ما قاله سمك لى هو لمصلحتى ، وقدم لى نصيحة أعمل فى ضوئها » . قالوا هذا وانشغلوا بالشراب حتى أقبل الليل وخرجت الطلائع من الجيشين .

فنهضت ضياء من وسط الغيارين وقالت سأنفذ ما قلته، وسارت فى طريقها وحين صارت على مقربة من الطليعة وجدت الجميع فى غفلة فقالت لنفسها « هذه الغفلة لان وقت توقع البيتوته (١) قد مضى وكانت هذه الغفلة هى سبب نجاح الأعداء فى هجومهم الليلى الغادر » ثم تقدمت حتى وصلت الى طليعة أرمنشاه وكان على رأسها سريع وقباد فمرت من بينهما بمهارة ثم اتجهت الى الايوان حين وصل الى سمعها صوت حمار قادم من المدينة فاتجهت ضـــياء نحوه وحين اقتربت منه رأت بعض الحمير المحملة ويسوقها رجل فصاحت فيه قائلة « من أنت وما هذه الأحمال ؟ » .

قال الرجل « أنا جليد ، تابع سعدان صاحب الشراب » ونظرت ضياء اليه فاذا هو جليد خادم الأحمر الكافر ، وكانت قد سمعت قصته من سمك . فتقدمت اليه وأمسكته من حلقه وضغطت عليه حتى مات ، ثم لبست ملابسه وساقت الحمير أمامها الى أن وصلت الى الخانة ونظرت فاذا بمجلس الملك فى مواجهتها بينما كان الملك والأبطال مشغولين بتناول الشراب . وتقدمت ضياء الى سعدان وقالت « لقد أحضرت الشراب » .

فقال سعدان « يا جليد ، لماذا تأخرت ؟ « ان الملك يريد الشراب « فقامت ضياء وأنزلت الدنان من على ظهور الحمير ووقفت فى خفة تصب

---

(١) البيتوتة اى الهجوم الليلى .

الخمر فى ابريق فجاء قراعة ساقى أرمنشـاه وقال « هات الشراب فان الملك يريده يا جليد املأ ابريقا للملك » .

انشغلت ضياء بصب الشراب بينما كانت تنظر ناحية المجلس الى أن قال سعدان « يا جليد ، يجب عليك الذهاب الى المدينة غدا فى وقت مبكر حتى تعود بسرعة » . فردت عليه ضياء قائلة « سمعا وطاعة » .

تقدم قراعة الساقى وحمل الشراب الى أمنشاه الذى قال له « هات الشراب لأنظر كيف هو » . فملأ قراعـة قدحـا وأعطى الكأس لأرمنشاه فشربها وقال « شراب جيد » .

حين دارت الخمر عليهم عدة مرات سكروا جميعا وسقطوا فاقدى الوعى فأغلق قراعة الابريق واعاده الى الحانة ، وحين رأت ضياء أن المجلس هدأ ونام الملك أرادت أن تذهب اليه ولكنها رأت البطل طيراق وقد جاء الى باب المجلس وقال لأحد الحجاب اذهب وقل للملك أن طيراق واقف بالخارج ويريد الخاتم والرسالة » .

قال الحاجب « أيها البطل ، ان الملك نائم ولا أستطيع أن أوقظه » .
قال له طيراق « ان شهران الوزير عند الملك وهو يعطيك الرسالة لأننى لم أجده فى خيمته » .

رد الحاجب « انه أيضا نائم » فعاد طيراق من حيث أتى .

تقدمت ضياء الى الحاجب وسألته ما سبب مجيء طيراق ؟ فأجابها « انه كان يريد خاتم الملك » . فسألته « ولماذا يريده ؟ » .

أجابها الحاجب « انه سيذهب الى الوديان الاثنى عشر لكى يحضر الأسرى من هناك لاعدامهم » .

قالت ضياء فى نفسها « لقد ساعدنى الحظ لاقوم بعملين بدلا من عمل واحد ، ولعلنى أستطيع أن أحضر الأسرى أيضا » . وبقيت حتى لم يبق أحد بالمجلس فقامت ودخلت السرادق فى جرأة لأنها أدركت أن المخدر الذى وضعته فى الخمر أثر فيهم ، ثم صعدت على العرش ونزعت الخاتم من يد الملك والحزام من وسطه وعادت الى الحانة وقالت « أستريح ساعة وأذهب وقت السحر » . قالت هذا واستغرقت فى النوم .

فى الجانب الآخر فانه حين ذهبت ضياء قال الثعلب الفيلم أن ضياء لها شجاعة الرجال ولكن قد يحدث منها خطأ وهى فى وسط مائتى ألف

من جند أرمنشاه » • فقام سمك ولحق بها وكان يتابع ما كانت تقوم به من أعمال ويستحسنها ، فلما نامت قال لنفسه « فلأداعبها قليلا » وتقدم اليها فرأى جوالا كانت قد وضعت به حزام الملك حتى لا يشك فيها أحد ، فأخرج سمك الحزام ثم ذهب الى المطبخ وقطع رأس شـاة ووضعها فى الجوال بدل الحزام ، كما أخذ الخاتم من يدها وعاد متوجها الى معسكر خورشيد شاه •

## وضـاع كل شيء

حين استيقظت ضياء متأخرة وضعت الأحمال على الحمير بسرعة ولم تحاول التـأكد من وجـود الحزام الملكى فى الجوال ، وحين وصلت الى الطليعة سألوها الى أين تذهب قالت « انا ذهبة للمدينة لأحضر الشراب للملك » • ومرت من الطليعة وسارت حتى وصلت الى مجلس خورشيد شـاه •

حين وصلت الى باب المجلس ترجلت ووضعت وجهها على الأرض وأدت التحية • وكان سمك قد عاد قبلها وذكر ما قامت به فأثنى عليها الجميع • وقال لها الملك فغفور « يا فتاة ، لقد أخبرونا بما فعلته بالأمس من شجاعة واقدام ، فهاته لنرى » •

خرجت ضياء وعادت تحمل الجوال الى المجلس ومدت يدها لتخرج الحزام الملكى والخاتم فوجدت رأس الشاة • فضج الملك والأبطال بالضحك وشعرت ضياء بالخجل • وحين رأى خورشيد شاه أنها ستجن قال سمك « يا أختاه ، حينمـا خرجت من هنا خرجت أنا فى اثرك وكنت أرعاك وأشاهد ما تقومين به » ثم ذكر لها ما حدث الى تلك اللحظة التى نامت فيها ، ثم قال « أيها الملك ، لم أحبذ أن يقوم أحد بمثل هذا العمل ثم ينام بعد ذلك ، ومع أننى كنت أراقبـك الا أنه اذا كان أحد غيرى فى مكانى لانتهى أمرك الى مالا تحمد عقباه ، فلا تغفلى فى عمل بعد هذا فانك قمت بعمل لم يقم به أحد فى الدنيا » •

قال هذا وقدم الخاتم والحزام فضـحك الجميع وأخذوا يثنون على ضـياء •

فى الجانب الآخر استيقظ أرمنشاه وذهب الى ديوانه مع شهران الوزير وقزل ملك والأبطال ، وجلس أرمنشاه على عرشه وبحث عن خاتمه

وحزامه فلم يجدهما ، وجاء طيراق وطلب الخاتم ، فصاح أرمنشاه أن ابحثوا عنهما فى كل مكان • فبحثوا ولم يجدوهما ، وعندئذ قال شهران « أيها الملك ، ان شخصا حضر متنكرا من جيش الفغفور وفعل هذا والحمد لله أنه لم يصبك بمكروه » •

أخذ قزل ملك والأبطال يعضون ظهور أيديهم من الغيظ ثم قال « أيها الملك ، مر بدق طبول الحرب » • فأمر أرمنشاه بدقها وتوجه الجيش الى ميدان القتال •

فى الجانب الآخر ، أمر خورشيد شاه أن يتوجه الجيش الى ميدان القتال أيضا ، وعندما اصطف الجيشان للقتال تقدمت ضياء وأدت التحية أمام خورشيد شاه وقالت « أيها الملك العظيم ، اسمح لى بالذهاب الى الميدان واضعة الخاتم فى اصبعى والحزام فى وسطى وأقف أمامهم ليروا ويعرفوا ماذا صنعنا وأننا كنا قادرين على قتل ملكهم » •

قال خورشيد شاه « يا أختاه ، أنت تعرفين أن الرجال مصطفون ، ولكن اذا كنت تريدين هذا فلا مانـع لدى ولكن احـذرى وحافظى على نفسك• » •

قالت ضياء « أيها الملك ، اننى ذاهبة باقبالك » • قالت هذ اووضعت الحزام فى وسطها والخاتم فى اصبعها وانطلقت الى ميدان القتال وأخذت مدة تستعرض مهارتها وتلعب بحربتها ، ثم طلبت رجلا لمبارزتها • فنظر اليها أرمنشاه وقال « أليس هذان خاتمى وحزامى ؟ فليذهب أحد الى الميدان ويمسك بها ويحضرها » •

انطلق فارس الى الميدان لكى يمسك بضياء ، ولكنها طعنته طعنة فى صدره خرجت من ظهره وسقط الفارس ، وكان له أخ دخل للثأر له فألحقته به ، وهكذا كان كل من يدخل من الفرسان يقتل على يديها حتى قتلت مائة وخمسين رجلا ولم تدع واحدا منهم يقترب منها • وكانت تجول فى الميدان وتطلب رجلا للنزال ، وكان الجيشان يتعجبان من لعبها بالحربة وقتالها حتى دخل سريع الى الميدان فقال خورشيد شاه « يا سمك ، جاء سريع البطل ولا طاقة لضياء به » •

## سمك يدخل الميدان

عندئذ قال هرمز البطل « يا سمك ، ادع ضياء لتعود من الميدان حتى لا يحدث منها خطأ » • وحين سمعت ضياء هذا عز عليها وصعب

فقالت « أيها البطل سأعود ولكن ان كنت بطلا فنازله » وعادت من ميدان القتـال ·

ظـل سمك واقفـا ولم يسـتطع ان يقول شيئا · فقـال الثعلب « يا سمك ، لماذا تحيرت ؟ » ·

أجابه سمك « أيها الأستاذ ، ألم تسمع ما قالته ضياء ؟ لقد عرضتني للقتل بقولها ان كنت رجلا فنـازله ، وأنا لا أعرف شيئا عن القتال في الميدان ، واذا تراجعت فسيلحقني العار ما حييت وأكون قد ألحقت الجبن باسمي » ·

نزلت ضياء عن حصانها وركب سمك وتوجه الى الميدان حتى وقف أمام سريع الذى نظر اليه فرآه رجلا على تلك الحقارة يحمل سلاح المشاة فقال له « من أنت حتى تدخل الميدان ؟ ولماذا استدعيت من كان يبارزني ؟ عد فانني لا أقتل العجزة فلو لكمتك لكمة واحدة لبعثرتك على الأرض » ·

أجابه سمك « لو كنت أعرف القتال لقاتلتك ، ولكن ان كان ذراعك بهذه القوة ، فهات يدك في يدى ولنجرب من يثنى ذراع الآخر » ·

ضحك سريع ومد يده ليمسك يد سمك ولكنه قال له « أيها البطل ، اعلم أنه لايمكن ثنى الذراع ونحن على ظهور الخيل ، فان شئت نزلنا عن خيولنا » · وكان سريع يأخذ كلام سمك بسـخرية ، فنزل عن صهوة جواده ، كما ترجل سمك عن حصانه وقال له هات يدك فمد سريع يده ومد سمك يده اليسرى وظن سريع أنه صادق وقال لنفسه أمسك يد سمك وأطرحه فمن يكون هذا ؟ ووضع كف يده في كف يد سمك لكي يثنى ساعده في حين مد سمك يده اليمنى الى الخلف وسحب خنجره وطعن به سريع في جانبه فدخل الخنجر حتى مقبضه في بطن سريع الذى خر مدرجا في دمائه بينما أسرع سمك الى حصانه فركبه وانطلق كالريح متوجها الى معسكر خورشيد شاه · وقد ضحك الأبطال لما فعله سـمك الذى قال لخورشيد شاه « أيها الملك ، ان هذه المعركة تكفيني لهذا العام ، والأبطال كثيرون والحرب بالتناوب ولن أقاتل حتى يأتى على الدور مرة ثانية » ·

في الجانب الآخر حين رأى أرمنشاه والجيش ما حدث لسريع ارتفع صياحهم ، وتضايق الملك أرمنشاه وأمر أن يدقوا طبول التحاجز وعاد الجيشان الى معسكريهما ، فجلس خورشيد شاه على عرشـه وخلع رداء الحرب وانشغلوا بالشرب الى أن قال خورشيد شاه « يا سـمك ، نحن

مشغولون باللعب ونسينا ماه برى ، ألن نبحث عنها ؟ وأنت شخصيا ألن تبحث عنها ؟ هل شبعت منا لما أصابك من آلام ومصاعب كثيرة ؟ ٠

أدى سمك التحية وقال « أيها الملك ، احذر أن تفكر فى هذا ، فألف روح مثل روحى فداء لك لأن الله خلقنى لأكون فى خدمتك ، وما الباعث على هذا الكلام ؟ ان اليوم يمر على كسنة من الحزن على ماه برى ، ولكن لأننى لم أعرف ما حدث لها فما الذى أستطيع عمله اعطنى دليلا يرشدنى اليها حتى أدبر الوسيلة لذلك واستعيدها حتى لو كانت فوق السحاب أو فى أعماق البحار فاننى سآتى بها » ٠

قال خورشيد شاه « يا سمك ، أنت تعرف » وظهر عليه الضيق ٠ فقال له سمك « أيها الملك ، لاتشغل بالك فان الأمور ستكون حسنة وعما قريب ستسمع أخبارا عن ماه برى » ٠

## أول الخيط رسالة

بينما كانوا فى هذا الحديث دخل رجل المجلس وأدى التحية وقبل رسالة وضعها أمام خورشيد شاه ٠ فتناولها وفتحها فرأى خط ماه برى ففرح وأجلس الشاب أمامه وقال له « أيها الفتى ، من أين جئت بهذه الرسالة ؟ » ٠

قال الفتى « أيها الملك ، أعطاها لى عيدان الجواهرى لأوصلها لخورشيد شاه ولا أعرف أكثر من هذا » ٠ وحين فتح الملك الرسالة قرأ فيها :

« أيها الملك ، اعلم وتيقن أنك رأيت وعلمت ما وصلت اليه حالنا ، فقد جئت اليك وحين تزوجتك قلت لك حافظ على وكن وفيا لى لأننى حين نظرت الى الرجال لم أجد فيهم وفاء خاصة حينما يكون ملكا فهو يحب كل من يراها ، فاذا غابت عنه لم يتذكرها أبدا ٠ وقد رأيت أن الوفاء قد وهن عند الملك ٠ أين ذهبت كل تلك المحبة وتضحية أخيك فرخ روز ، وكل تلك الآلام والمشاق الى أن فزت بى ؟ أيها الملك ، اذا كنت قد شغلت قلبك بآخرين ونسيتنا فقل لسمك أن يبحث عنى ٠ أليس هو الذى قبلنى أختا له وكان يدعونى أخته ؟ ان الفتوة ليست قتل الأعداء ، ولكن الفتوة تظهر حينما تنقذ أختك من يد الأعداء لأننى حزينة جدا ٠ ألست أنا التى تذكرتك وان كنت أنت لا تذكرنى فأذكر ابنك ٠ اننى أسعد بشىء واحد حينما أتذكر كيف حصلت على ثم كيف تركتنى ٠ والآن ـ أيها الملك ـ فان ما حدث هو أنه حين هبت العاصفة واضطرب الجيش ولم يكن الملك معى مما دفعنى للخوف ، فخرجت مع لالا صلاح وركبنا خيلنا ، وفى وسط تلك الفوضى جاء فارس وقال تعالى لكى نخرج من وسط كل هؤلاء الجند

والضوضاء ، وقد ظننت من صوته أنه أخي سمك العيار ، فذهبت معه وحملني الى مدينة منغوليا • فاذا بحث عني أخي سمك فليبحث عند عيدان الجواهري فهو الذى يعرف اقامتي ومكاني » •

حين أتم خورشيد شاه قراءة الرسالة قال « يا سمك ، لقد ذكرت في رسالتها كل هذه الآلام ، وهي الآن تطلبك لأنها تحس أن أحدا غيرك لا يحس بآلامها » •

**سمك وضياء يذهبان لانقاذ ماه برى :**

قال سمك « أيها الملك ، ليطمئن قلبك طالما أنها ظهرت فسوف أعود بها من أى مكان توجد به » • قال هذا ثم أنعم على ذلك الشاب الذى أتى بالرسالة بخلعة ثمينة • ونهض سمك وعاد الى محل اقامته وذكر ما حدث لضياء وقال لها « أيتها البطلة ضياء ، انهضي لنذهب معا الى مدينة منغوليا لنبحث عن ماه برى لعلنا تستعيدها » • قال هذا ثم توجه الاثنان الى المدينة وذهبا الى قصر جلبهار وبقيا حتى طلع النهار فذكرا القصة لها ثم أعطياها بعض الذهب وقالا لها أن تذهب الى دكان عيدان الجواهرى وتقول له أنه يلزمها بعض الجواهر وألا تقبل ما يعرضه عليها بحجة أنها تشتريها لشخص آخر وتحتال عليه لكى يأتى معها الى قصرها وستدفع له ثمن ما يعجبه من الجواهر » •

قامت جلبهار وذهبت الى دكان عيدان الجواهرى وألقت السلام وجلست وقالت « أيها السيد ، هل يمكن أن تتحمل بعض المشقة وترافقنى لنعرضها على الشخص الذى يريدها ؟ •

قال عيدان « سمعا وطاعة » • وحمل درج الجواهر وسارت جلبهار أمامه حتى أدخلته قصرها وأجلسته فرأى ضياء وسمك فسأل عنهما فقالت ضياء « أيها السيد ، هل تعرفنى » ؟

قال عيدان « نعم ، أنت ابنة كانون حاكم المدينة ، ولكننى لا أعرف هذا الفتى » •

قالت ضياء « هل يوجد أحد لايعرفه ؟ هذا الفتى هو عيار الدنيا سمك » • وحينما سمع عيدان اسم سمك فرح ووقف واحتضنه وقال « أيها البطل ، اعذرنى ان كنت لم أعرفك » •

قال سمك « أيها الرجل الحر ، ليست هناك حاجة لكل هذه الأعذار » . ثم أخرج الرسالة ووضعها أمامه .

قال عيدان « أيها البطل ، هذه الرسالة أرسلتها للملك » .

فقال له سمك « أيها الرجل الحر ، لقد جئت لهذا الأمر فاخبرنا من أين أتيت بهذه الرسالة وأين صاحبتها ؟ ثم عليك أن تقسم أن تكون من رجال الملك ، وأن تكون لنا عونا » .

قال عيدان « انني لا أضن بروحي من أجل الملك ، واعلم وتأكد أنه لو لم يكن قلبي معكم لما أرسلت هذه الرسالة ، كما أن هذا السر لو كشف لقطعت رقبتي » .

قال سمك « يا عيدان ، قسما بالله الخالق العادل انني لن أقبل أن تمس شعرة واحدة من شعر رأسك طالما بقيت رأسي بين كتفي » .

وعندئذ قال عيدان « أيها البطل ، في الأسبوع الماضي كنت جالسا في الدكان فجاءني خادم وقال لي أيها الجواهري احمل بعض الجواهر وتعالى معي ، فحملت الجواهر وسرت معه فأخذني الى قصر الفلكي وأجلسني في قاعة ، وعرضت الجواهر ، وكانت في مواجهتي نافذة ، فتحت وأشار منها أحد ، وخوفا من الفلكي لم أستطع أن أنظر اليه ، فلما انتهيت وعدت الى الدكان جاءت جارية بعد نحو ساعة وقالت « أيها السيد عيدان ، سوف أعطيك أمانة فاحذر وحافظ على هذا السر » ، ثم سلمتني هذه الرسالة وقالت لي أوصلها الى خورشيد شاه فأخذتها ، واخترت من اخوتي وخدمي واحدا أخذت عليه العهد والميثاق وأعطيته مائة دينار وأرسلت الرسالة الى الملك وهذا ما حدث ولا أعرف أكثر من هذا » .

حين سمع سمك هذا قال « يا عيدان ، من يكون الفلكي هذا ؟ » .

قال عيدان « انه والى المدينة ، وعنده ألفا غلام ، ويذهب كل يوم الى المعسكر ليكون في خدمة الملك ، ولكنه لم يخرج اليوم » .

حين سمع منه سمك هذا ، أثنى عليه وقال « ان شاء الله سوف نجزيك عن عملك هذا » . فشكره عيدان ثم خرج .

قال سمك لضياء « هل تعرفين الطريق الى قصر الفلكي ؟ » .
قالت « نعم ، ولكن قصره أحكم من سد ذى القرنين ، حتى أنه لايمكن النفوذ اليه بأية وسيلة ومن أى طريق » .

فقال سمك « سأحاول ، ويفعل الله ما يشاء » . وبينما كانا في حديثهما ذاع في المدينة أن طيراق قد وصل اليها . فقالت ضياء « انه

سيذهب الى قلعة الوديان الاثنى عشر ليحضر الأسرى لكى يقتلهم أومنشناه » ٠

فقال لها سمك « ومن أين عرفت هذا » ٠

قالت ضياء « عندما كنت فى معسكر أرمنشاه لكى أحضر الخاتم والحزام جاء طيراق الى مجلس الملك وكان يريد الخاتم ورسالة ٠ فسألت « والى أين سيذهب » ؟ قالوا « الى الوديان الاثنى عشر لكى يحضر الأسرى » ٠

التفت سمك الى جلبهار وقال لها « يجب عليك الخروج لتتعرفى على الأحوال والأخبار » فخرجت جلبهار وأخذت تتجول فى المدينة ، وكان الفلكى قد جاء الى طيراق ليأخذه الى منزله ، وشاع الخبر أن طيراق ذاهب الى الوديان الاثنى عشر ٠ فعادت جلبهار الى سمك وحدثته بما سمعت ورأت ٠

قال سمك « يا ضياء ، لقد عرفت أين تقيم ماه برى ، وأنهم أحضروها بالود لأنهم لو كانوا أحضروها بالقوة لما تركوها بلا قيد أو سجن ٠ وأن الناس لايعلمون شيئا عن هذا كما أنها لا تخشى الموت ولا يستطيع أحد ان يمسها بسوء ٠ فالأفضل الآن أن ندبر وسيلة للذهاب الى القلعة ونخلص لهيبا والأخرين من الأسر حتى لايصيبهم مكروه ٠ فمن العار ألا ننقذهم ٠ ولهذا يجب أن نكتب رسالة لهامان الوزير وبعيدا عن خورشيد شاه نذكر له أحوالنا وأننا وصلنا الى مدينة منغوليا وبحثنا عن ماه برى وعرفنا مكانها وهى فى قصر الفلكى البطل والى المدينة وهى سليمة وفى صحة تامة وهم يحافظون عليها بمحبة خفية عن أرمنشاه ولا يعلم أحد فى الدنيا بأمرها ٠ وقد أردت أن أدبر أمر استعادتها ولكن طيراق البطل جاء الى مدينة منغوليا فى طريقه الى قلعة الوديان الاثنى عشر لكى يحضر الأسرى ليقتلهم أرمنشاه ٠ ومن المؤسف أن تضيع أرواح هؤلاء الرجال الأحرار ٠ ولهذا سنذهب الآن الى الوديان الاثنى عشر لنعد لانقاذ الأسرى طالما أن ماه برى لاتعانى من شيء وسنذهب مع طيراق » ٠

قالت ضياء « هذا هو الاجراء الصواب » ٠ وفى الحال طلب سمك ورقة وقلما ومحبرة وكتب الرسالة كما يجب ثم التفت الى ضياء وقال « يلزمنا شخص ليحمل هذه الرسالة الى المعسكر ويسلمها لهامان الوزير » ٠

بعد أن أرسلوا الرسالة جاءت جلبهار الى القصر فقـال سـمك « يا ضياء ، آن أوان العمل ، وسوف أخرج وستأتين معى لنقتحم قصر الفلكي لعلنا نستطيع عمل شيء » •

## سمك وضياء حمالان فى السوق :

قالت ضياء « سمعا وطاعة » • وقام سمك ولبس ثيابا رثة خلقة وحمل كل منهما طبقا كبيرا ، ووضع عليه غطاء ، وأخذا يتجولان في السوق كالحمالين ، وفجأة جاء رجال الفلكي الى السوق وكانوا يشترون من كل شيء كالسكر والفاكهة والخبز والسكر النبات وغيرها ، فوضع كل منهما طبقه على رأسه (١) بعد أن ملأه واندسا بينهم وسارا برفقة بقية الحمالين الى قصر الفلكي • وحينما صاروا في وسط القصر حمل كل من الحمالين ما يتعلق بالشراب وأدواته الى مخزن المشروبات وكل ما يتعلق بالطعام الى المطبخ ، ونظر سمك فرآى تلك النافذة التي ذكرها عيدان لهما ، ثم أشار الى ضياء أن تذهب ثم خرج الاثنان وعادا الى قصر جلبهار فقالت ضياء « أيها البطل ، ما هذا الذى فعلته ؟ ذهبنا ورأيناهم وخرجنا » •

ضحك سمك وقال « يا أختاه ، انظرى ما سوف أصنع » • وفى الحال تنكر فى زى فراش وطلب رداء من الحرير ولبس فوقه صديريا ووضع عمامة على رأسه ولبس حداء مناسبا وزين نفسه بزينة الفراشين وحمل ابريقا فى يده وقال « يا ضياء ، أنـا ذاهب ، وعليك أن تحضرى بجوار قصر الفلكي مع كل المعدات فلعلنى أستطيع أن أحضر ماه برى ان شاء الله » • قال هذا وخرج من القصر حتى جـاء الى قصر الفلكى ولما دخل رأى الفلكي ومعه طيراق في المجلس (٢) وهما يتناولان الشراب • فتقدم سمك ووقف أمامهما ، وحين رآه طيراق ظن أنه فراش الفلكى ورآه الفلكى فظن أنه فراش طيراق • وكان سـمك واقفا يختلس النظر الى النافذة وفجأة نهض الفلكى وتوجه الى داخل القصر • فأقسم سمك بينه وبين نفسه أن الفلكى ذاهب الى ماه برى • وكان سمك ينتفض من الغيظ

---

(١) مازال هؤلاء الحمالون فى أسواق بعض مدن العراق وان استبدلوا الأطبـاق بزنبيل ( قفة ) •

(٢) المجلس كلمة شائعـة فى الخليج وتطلق على القاعة أو الحجرة التى يجلس بها الزوار أو الأصدقاء ونسميها فى مصر المضيفة وتوجد فى البيوت القديمة واختفت باستعمال الشقق •

وقال ان لم أقتله قتلة شنيعة يتعظ منها الخلق فلست بسمك • قال هذا وظل كاظما غيظه حتى عاد الفلكي •

يقول صاحب القصة وراويها أن قصة الفلكي مع ماه برى تبدأ منذ كان يتردد على الملك فغفور في مدينة الصين حين كان يرسله الملك أرمنشاه الى هناك ، وقد تصادف ورأى ماه برى وأحبها ونظرا لأنها كانت أميرة ، وكان الأمراء يتقدمون لخطبتها كما أنها كانت تحت سيطرة المربية الساحرة فلم يجرؤ على التقدم لخطبتها • أما فى تلك الليلة التى قام فيها الجيش بهجوم ليلى كان الفلكي في الطليعة فألقى بنفسه فى وسط جيش خورشيد شاه وفجأة التقى بماه برى مع لالا صلاح وكانا يتحدثان مع بعضهما ، وحينما سمع الصوت عرف أنها ماه برى فأخذهما • ولهذا فانه عندما قام من المجلس ثملا ذهب الى ماه برى فرآها تبكى فقال لها « متوسلا » يا راحة القلب ، لا تعاندى أكثر من هذا واتفقى معى فانك لن تتخلصى أبدا من يداى لأن قلبى يتأجج بحبك ، وقد بكيت كثيرا على فراقك الى أن أوقعك الله فى شراكى » • وكان تارة يتودد اليها ليختبرها وتارة يهددها ويخيفها • وكانت ماه برى تقول « أيها الرجل ، ماذا تريد منى ؟ والى متى تتحدث ؟ ان ذلك سيكون يوم موتى اذا مسنى رجل آخر غير خورشيد شاه ، واذا حدث ولم يكن خورشيد شاه فسأقتل نفسى » •

تكلما كثيرا فى هذا المعنى الى أن قال لالا صلاح « أيها البطل ، لقد وقعت فى يديك بسهولة وأنت لا تعرف قدرها انها فى النهاية أميرة وكانت كل يوم تقضيه بين اللعب والطرب ، وكان لها مطربة اسمها بهجة الروح كانت تجالسها كل يوم ، كما كانت تخلو مع الجوارى تتنزه فى الحديقة أو القصر ، وأنت الآن تحبسها مقيدة سجينة حزينة مغمومة فيجب عليك أن تتودد اليها وتسعدها وافتح لها النافذة ساعة لتتفرج على المجلس وتنظر اليك وتستمع الى الغناء لعل قلبها ينشرح ويتحول عن خورشيد شاه ، ولا شك أنها حينما لا تراه فسوف تصل أنت الى ما تريد ، أما اذا بقيت معها هكذا فانك لن تسعد أبدا » •

حين سمع الفلكي كلام لالا صلاح قال « يا لالا ، لقد أتيت بها بعيدا عن أعين الخلق فان هى جلست خلف النافذة فانهم سيرونها ، وعندئذ سيسوء أمرى » •

قال لالا « لن تجلس ماه برى طول النهار ، فاذا أرادت أن تجلس ساعة فاننى سأجعلها تضع النقاب ، فاقبل جلوسها للفرجة وسوف تتحسن عندما ترتاح نفسها » •

قال الفلكي « افعل هذا » ثم أمر بفتح النافذة وقال للالا « ارجعها حتي أذهب للمجلس فمن سوء الأدب أن أترك طيراق وحده في منزلي » .
ثم عاد للمجلس .

قالت ماه برى « يا لالا ، ما هذا الكلام الذي قلته ومبيت هذا الرجل بأمل قد يعتقد صحته وينغص على عيشتى ويؤلمنى ؟ » .

أجابها لالا « أيتها الملكة ، يجب أن نحتال عليه حتي لايسيء اليك ، وحتى يأتينا الفرج ويصلنا رد الرسالة التي أرسلتها لأنهم لن يتركونا في يدى هذا الرجل ، فنحن نطمئنه بالكلام » .

رأى سمك أنهم فتحوا النافذة فانتظر حتى عاد الفلكي وجلس ، وكان سمك يركز نظراته على النافذة فقال لالا لنفسه « من هذا الشاب الذى يسلط عينيه بوقاحة نحو النافذة ؟ انه ينظر ولا يفكر في شيء » .
ثم أمعن النظر اليه ثم قال لا أشك في أن هذا الرجل هو سمك تنكر في زى الفراشين .

نظر سمك فرأى لالا فعض على شفته وعندئذ تأكد لالا أنه سمك فتقدم الى ماه برى وقال « أيتها الملكة ، البشري اذ جاءنا المدد ، ولو كانت هذه النافذة مفتوحة قبل هذا لوصلتنا من قبل » .

قالت ماه برى « ماذا تقول ؟ ومن هو ؟

قال لالا « أيتها الملكة ، ومن يكون غير سمك تنكر في زى الفراشين ، وهو يقف أمام الفلكي ، تعالى وشاهديه » .

قالت ماه برى « وكيف أقف في مواجهة الرجال ؟ » .

أجابها لالا « ضعي النقاب على وجهك كما اتفقت » . ثم أخذها الى النافذة وأراها سمك العيار الذى نظر فرأى ماه برى وعرفها ففرح وكانت ماه برى تراهم من النافذة وتستمع الي الموسيقي عندهم وترى سمك وهو واقف أمام الفلكي وكانا يثنيان عليه ، وفجأة قال الفلكي « يا طيراق ، أرى أنك على عجل تريد الذهاب الى الوديان الاثنى عشر فلنشرب اليوم ولتذهب غدا » .

أجابه طيراق « فليكن هذا » . وكان سمك يسمعهما ويقول لنفسه « ان الله سوف ييسر لى أمرى » . وانشغلا بالشراب والطرب وسمك واقف أمامهما وماه برى في النافذة .

هكذا يروى مؤلف الأخبار والحكايات أنه حينما أرسل سمك الرسالة التى ذكر بها أحوال ماه برى مع خادم جلبهار الذى توجه بها الى معسكر خورشيد شاه ، وحين وصل بحث عن خيمة الوزير هامان فأرشدوه اليها ودخل عليه وأدى التحية وقال « أتيت برسالة من سمك أرسلها اليك » ·

قرأ هامان الوزير الرسالة وعرف ما بها وتعجب وحنى رأسه للأمام وكان هناك خادم صغير اسمه مثقال يحب خورشيد شاه ، فلما علم أن الرسالة تتعلق بماه برى ذهب الى خورشيد شاه وأخبره ، فأرسل خورشيد شاه شخصا يستدعى هامان الوزير · فلما حضر استفسر منه عما قاله سمك من أنه سيذهب الى قلعة الوديان الاثنى عشر لكى يخلص الأسرى ثم ينقذ ماه برى لأنها تقيم فى قصر الفلكى ولا خوف عليها ، وفار الدم فى رأس خورشيد شاه ، وانتفضت أعضاؤه وقال « يا هامان ، أرأيت ما أداه لى سمك من أعمال عظيمة ، وفى النهاية يسىء الى ويفضل جماعة أخرى على ، ويترك ماه برى فى أيدى الأعداء ، آخر الأمر يترك زوجتى التى حصلت عليها بعد كل المصاعب والآلام فى مثل ذلك المكان » ·

قال هامان « أيها الأمير ، لعله رأى الصالح فيما فعل ، وسمك أدرى بمثل هذه الأمور ، فاهدأ بالا لأن سمك سوف يأتيك بما تريد » ·

## خورشيد شاه يخرج لاستعادة ماه برى

قال خورشيد شاه « أيها الوالد ، أنت لا تدرى ما فى قلبى ، وأنا أقول لك أنك فى مكان أبى ، وعندى مشكلتان أو ثلاث تنغص على عيشى أهمها ماه برى لأنها حامل ، وسوف أذهب للبحث عنها لأن الدنيا بها رجال غير سمك » ·

قال هامان « أيها الملك ، احذر فان لكل عمل رجاله ، وهذا العمل الذى تريد القيام به يفعله أناس مجهولون بسطاء » ·

قال خورشيد شاه « يا أبى ، ان هؤلاء المجهولين الفقراء ليسوا أنبياء ، وهل يعرفون أشياء لا نعرفها نحن ، انهم مثلنا » ·

أجابه هامان الوزير « ليس من الصالح أن تذهب لأنه لو حدث خطأ فان مائة ألف مثلنا لن يستطيعوا رده » ·

رد خورشيد شاه « أنا ذاهب ، واذا حدث ولم تتركنى فاننى سأقتل نفسى · سوف أذهب للمدينـــة وأستعيد ماه برى من قصر الفلكى » · فسكت هامان الوزير وقال لنفسه « ان تركته يذهب فاخشى أن يحدث له سوء ، وان لم أتركه سوف يهلك نفسه · ان شغفه بماه برى يدفعه لهذا ، ثم رأى أن يتركه فقال « أيها الملك ، لا أســـتطيع أن أثنيك عما نويت فافعل ما تراه خيرا » ·

قام خورشيد شاه وركب حصانه وهو يرتدى كل سلاحه وتوجه الى مدينة منغوليا حتى اقترب منها وكانت هناك روضة نضرة كثيرة الأشجار فنزل خورشيد شاه عن حصانه وقيده ثم سار على قدميه الى المدينـــــة ، وتصادف أن مجموعة من المشاة كانت عائدة للمدينة فدخل معها ، فلما وصل الى وسط المدينة كان الليل قد خيم وأظلمت الدنيا ·

ظل خورشيد شاه متحيرا يسير فى كل اتجاه حتى وصل الى أحد الأزقة فسمع صوت غناء يتصاعد من أحد القصور ، فأنصت اليه واذا بجماعة يتحدثون أحاديث مختلفة وقال أحدهم « سأشرب هذا تحية لبطل الدنيا سمك العيار » · فقال خورشيد شاه لنفسه « ان هؤلاء القوم من أصدقاء سمك ومحبيه فلأذهب اليهم لعلنى أجد عندهم بعض الهدى » · قال هذا واقترب من القصر ثم فتح الباب ودخل وألقى السلام ، فوقف الجميع وتقربوا اليه ورحبوا به · وفى الحال أحضروا الطعام فطعموا ثم أتوا بالشراب فقال خورشيد شاه « أيها الأبطال ، فى قلبى مرارة ولا أستطيع تناول الشراب » فقالوا « ماذا ألم بك ؟ قل لنا لعلنا نستطيع أن نفعـــل شـــيئا » ·

قال خورشيد شاه أيها الفتيان ، كيف ترون سمك العيار ؟ ·

قالوا « نحن جميعا من محبيه ، وكنا قوما كثيرين ، بعضنا ذهب لمعسكره وبعضنا قتل على يد الفلكى ، ونحن الذين بقينا متخفين حتى نجد وسيلة لنذهب الى معسكر خورشيد شاه » ·

حين سمع خورشيد شاه هذا قال « يا أحرار الرجال ، ان سمك أخى وأنا خورشيد شاه » · لما سمع الفتيان ما قاله خورشيد شاه قبلوا الأرض بين يديه وقالوا « أيها الملك ، لم نكن نعلم ، ولم نعرفك فاعذرنا وتجاوز عن خطئنا بكرمك » ·

قال خورشيد شاه « أيها الرجال ، أنتم جميعا اخوتى ، فما الداعى للاعتـــذار ؟ » ·

أجابه الفتيان « أيها الملك ، لماذا أتعبت نفسك بالمجيء الى هنا ؟ ماذا لحق بك حتى تأتى وسط هذا الحشد من الأعداء ؟

## حسن سمعة الرجال

قال خورشيد شاه « جئت من أجل ماه برى لأن شرفها وما يلحق بها عار فى رقبتى لأن حسن سمعة الرجال تكون من ناحية النساء ، لقد جئت للبحث عنها لأنهم أتوا بها الى هنا وأخبرونى أنها فى قصر الفلكى ، وكان سمك قد حضر لاستعادتها ولكن حدث له أمر آخر فأرسل رسالة يقول انه ذاهب الى الوديان الاثنى عشر للبحث عن ورد وينال بن سنجانى ولهيب والأخوين القصابين واحضارهم من القلعة لأن أرمنشاه أرســـل طيراق البطل لاحضارهم لكى يقتلهم ، ولما كان سمك قد ذهب فى تلك المهمة فقد أتيت لكى أستعيد ماه برى من قصر الفلكى ، فمن منكم يأتى معى ليدلنى على قصره ؟ ».

كان من بين الفتيان فتى ذكى ماهر اسمه سعد تقدم وأدى التحية وقال « أيها الملك ، اننى سأرافقك وأكون فى خدمتك » فنهض الملك ومعه سعد العيار وخرجا من القصر وسارا حتى وصلا الى زقاق مضاء فتجاوزاه ، وكانا يسيران فى طرق غير مطروقة حتى وصلا الى قرب قصر الفلكى فقال سعد « أيها الملك ،هذا قصر الفلكى الذى يقف عليه الحراس وقد أضاءوا المشاعل وفوق السطح عسس يصيحون بالنوبة »

قال خورشيد شاه « أيها الرجل الحر ، عد أنت » . فعاد ســـعد ولم يكد يبتعد قليلا حتى رأى زقاقا دخل فيه، وشاءت الأقدار أن تلتقى به ضياء وهى فى طريقها الى قصر الفلكى ، فصاحت فيه سائلة من أنت ؟ ومن أين أنت قادم ؟ ثم أمسكته ولكمته بعض اللكمات . فقال سعد « أيها الرجل الحر ، لاتضربنى لأن الضرب عمـــل سىء ، قل لى من أنت لكى أخبرك من أكون ؟ » .

قالت ضياء « ألا تعرفنى ؟ أنا ابنة كانون ، أنا ضياء ، أخت ملك الدنيا خورشيد شاه وأخت سمك العيار » .

حين سمع سعد اسميهما قال « أيتها الفتاة الحرة ، أنا عبدهما » . ثم أخذ يتكلم فذكر لها كل ما حدث وقال لهـا « ان الملك يقف على أول الزقاق » فسألته ضياء عن اسمه فقال لها ان اسمه سعد العيار فقالت له

« عد معى فأنت أخ لى » وعادا معا حتى وصلا الى أول الزقاق فوجدا الملك واقفا يرقب قصر الفلكى ، وحينما سمع وقع أقدامهما توجه اليهما شاهرا سيفه صائحا « من أنتما » ؟ وكاد يهوى بالسيف ليضربهما فقالت ضياء « أيها الملك ، نحن عبيدك ، أنا ضـــياء وهذا سعد العيـــار » ٠ فتقدم خورشيد شاه واحتضنهما بحكم الأخوة التى بينهم فقالت له ضياء « أيها الملك ، من أجل ماذا جئت للمدينة ؟ ما هذه الجرأة ؟ ٠

قال خورشيد شاه « جئت بسبب الرسالة التى كتبها سمك الى هامان الوزير خفية حتى لا أعرف أمرها ، وقد وصلت الرسالة الى وقرأتها فحزنت من أجـــل ماه برى لأنكم ســـتذهبون الى الوديان الاثنى عشر وأنا لا أستطيع أن أترك ماه برى هكذا ، ولهذا جئت لانقاذها من محبسها »٠

قالت ضياء « أيها الملك ، لقد أخطأت ، فماذا تستطيع أن تفعل مع ماه برى ، ولكن الأمور استقامت باقبالك ، ثم ذكرت له ما حدث وما قاله سمك وماذا يعمل وأنه فى قصر الفلكى ،وأنها جاءت حسب الموعد لتخرج ماه برى ٠ ثم وقف ثلاثتهم على أول الزقاق ٠

نعود للحديث عن سمك العيار فيقول مؤلف القصة ، حينما كان سمك فى قصر الفلكى يقف أمام الجالسين فى المجلس ويراقب النافذة ويدرك أن ماه برى تراه وأن الفلكى وطيراق مشغولان حتى مضى أغلب الليل فقال سمك لنفسه « يجب اللجوء الى الحيلة حتى لا يخرج الأمر من أيدينا لأنهما لايسكران سريعا فاحتال حتى وقف أمام الساقى وانتظر حتى صـــب الشراب فى الأقداح وغافله ووضـــع منوما فى الشراب الخاص بالفلكى وقدمه الساقى اليه فشربه وسقط فاقد الوعى ٠

حين رأى طيراق هذا وكان رجلا فطنا قال لعلهم وضعوا شيئا فى شرابه والا لما فقد وعيه هكذا ، واستدعى الساقى وقال له « هل وضعت شيئا فى الشراب ؟ » فقال الساقى « وهل يمكننى وضع شىء فيه ؟ لا أدرى لماذا تقول هذا الكلام ؟ قال طيراق » يجوز ، ولكن اشرب كأسا بنفسك »٠ وشرب الساقى المسكين وهو لا يعلم كأسا من الشراب فسقط فى الحال »٠ فقال طيراق لنفسه ان ابن الحرام هذا غدر بسيده وأمر بضرب عنقه وقام ليتوجه الى قلعة الوديان الاثنى عشر ، وكان سمك واقفا يشاهد ما يحدث وينظر الى طيراق متعجبا من ذكائه ٠ ثم أمر طيراق أن يتولى خمسة من الغلمان رعاية الفلكى ، وحينما وصل طيراق الى باب القصر لم يكن سائسه قد أحضر حصانه بعد ، فأمر أحد رجاله لكى يذهب اليه ويطلب منه احضار الحصان ، فذهب الرجل الى السائس وقال له خذ حصان طيراق لأنه ينتظر عند الباب ، وعاد الرجل ودخل القصر ٠

كان خورشيد شاه وضياء يتابعان هذا الحديث وعندما كان السائس يقود حصان طيراق من الاصطبل الى الباب انتظرته ضياء وحين وصل اليها طعنته فأردته قتيلا ثم ارتدت ملابسه الخارجية وركبت الحصان وجاءت بسرعة أمام طيراق فركب الحصان بينما كانت ضياء واقفة أمامه ٠

حينما وصلا الى أول الزقاق أشارت الى خورشيد شاه أن يأخذ عنان الحصان ، وكان حراس طيراق الأربعة يسيرون أمامه ٠ ثم قفزت ضياء خلف طيراق على الحصان لأنه كاد يسقط من أثر السكر فاحتضنته وتوجهت بسرعة الى الزقاق الذى كان مسدودا ثم قالت لخورشيد شاه « عد مع سعد العيار واحرسا أول الزقاق واجتهدا فى ألا يخـــرج أحد من الحراس الأربعة ٠ قالت هذا وذهبت ضياء الى آخر الزقاق وأسقطت طيراق من على حصانه ثم استلت خنجرها واتجهت الى الأربعة فقتلت أحدهم وفر الثلاثة الآخرون وكان خورشيد شاه وسعد العيار واقفين فقتلوهم وقامت ضياء بقطع رقبة طيراق ، ثم ذهبوا الى أول الزقاق وأخذوا ينصتون لأى اشارة من ســـمك ٠

كان سمك حين رأى طيراق يأمر بقتل الساقى فى قصر الفلكى وكلف خمسة من الغلمان برعاية الفلكى ثم خرج قال لنفسه ان ابن الحرام هذا فطن زكى ، ولهذا فيجب على أن أحتال على هؤلاء الغلمان « فقال لهم » يا أحرار الرجال ، ان القائد سكران فلماذا لانشرب نحن أيضا ؟ وشوقهم كلامه هذا فقالوا « أحسنت » ثم جلسوا يحتسون الخمر ٠

ملأ سمك ابريقا من هذا الشراب وحمله الى باب حجرة النســـاء ودق الباب وقال « هذا شراب أرسله القائد » فجاءت جارية وأخذته وحين سمعت الجوارى عن هذه الخمر الخاصة جاءت كل واحدة منهن وملأت قدحا وشربته فخرت فاقدة الوعى ٠ ثم عاد ســـمك وقطع رأس الفلكى وبقر بطنه ووضعه فيه ، وبينما كان سمك يقوم بهذه الأعمال كانت ماه برى ولالا صلاح يشاهدانه من النافذة ، فلما انتهى اتجه الى حجرة ماه برى حيث أسرع لالا صلاح وفتح له الباب » ٠

## ليس هذا وقتـــه

تقدم سمك الى ماه برى وفك قيودها ثم قال لها « يجب علينا أن نخرج عن طريق السطح » ٠ ثم ذهب الى ناحية خالية من الحراس وأنزل لالا صلاح بالوهق وكانت ضياء واقفة ففرحت ، ورأى خورشـــيد شاه

وسعد ما يفعله سمك وهو ينزل حاملا ماه برى بهدوء على كتفيه لأنها كانت حاملا ، فلما استنشقت ريح خورشـــيد شـــاه زال عنها كل التعب والارهاق ٠

حين نظر سمك ورأى الملك قال له « أيها الملك ، ما هذا العمل ؟

أجابه خورشيد شاه « أيها البطل ، ليس هذا وقت الكلام » ٠

نظرت ماه برى فرأت خورشيد شاه فأغمى عليها ٠ وعندئذ قال الملك « ليس هذا وقته » ثم حملوها واتجهوا الى سور المدينة وأنزلوا ماه برى فحملها خورشيد شاه وسار فى طريقه وقبل أن يشرق الصبح الصادق كان خورشيد شاه ومعه ماه برى قد وصلا لمعسكرهم ٠

فى الجانب الآخر عاد سمك العيار وضيباء وسعد العيار الى فراش طيراق وأخذوا الخاتم من أصبعه وبحث سعد عن الرسالة حتى وجدها واتجهوا فى نفس الوقت الى قلعة الوديان الاثنى عشر ، فلما وصلوا عند غاطوش المسئول عن القلعـــة والذى كان يقف على مدخـــل الوديان عرضوا عليه خاتم الملك والرسالة فلما رآهما قال « ما حاجتكم ؟ » ٠ قال سمك ورفيقاه « نحن ذاهبون الى القلعة لنأخذ الأسرى لنقتلهم على مرأى من الجيش » ٠ فأعطى غاطوش أوامره بتركهم يواصـــلون طريقهم ٠ فاتجهوا الى القلعة وحين اقتربوا منها رأوا قلعة تحار فيها الأبصار وتعجز عن تصورها الأفكار وكما قال الشاعر :

قلعة أبراجهـــا فى كل عين ناظرة
كأنها سدرة المنتهى فى السماء السابعة

من رأى كمثلها فى الآفاق قاطبة
فى عصرنا أو فى العصور الغابرة

نظر سمك باعجاب الى حيث كان يقف الراصد فوق القلعة يرصد قدومهم ثم ذهب وأخبر غضبان المستحفظ الذى جـــاء وسحب الخاتم والرسالة الى أعلى ، وحين رأى سمك غضبان أدى له التحية وقدم الثناء ٠ ولما رأى غضبان الخاتم والرسالة قال لسمك « أيها الرجل الحر ، ما هى أحوال الملك فى حربه مع الأعداء ؟ ٠

قال سمك « ان الملك فى سلامة تامة ولكنهم قتلوا طيراق ، كما أن بعض الأهالى قد أعلنوا العصيان والتحقوا بخدمة الأعداء ، كذلك قتل أبطال المدينة وهم كانون وخاطور وكافور ، أما الأحمر الكافر الذى أسر

هؤلاء الأبطال فقد ارتد والتحق بخدمة خورشيد شاه ، وقد أرسلنا الملك أرمنشاه لنأخذ هؤلاء الاسرى ليقتلوهم على مرأى من الجيش .

قال غضبان « ان أمر الملك واجب » قال هذا وأنزل سلما من الجلد فلما صعدوا قال لسمك « ابق هنا الليلة وغدا أرسل معك الأسرى » فأعجب سمك بهذا الرأى وأخذ يسير مع غضبان حتى وصلا الى وسط القلعة ورأى هؤلاء الأسرى الخمسة وقد ألقوهم بجانب جبل ، فسأل سمك بصوت مرتفع « أين الأسرى الخمسة ؟ » فوصل صوته الى آذان ورد فقال لرفاقه « لاتحزنوا فقد وصل سمك » وفرحوا جميعا وقالوا « أسعدك الله يا عيار الدنيا ، أيها الفتى ، سر على الخير والبركة فالعبارة مجتمعة فيك وعليك ، انظروا كيف جاء الى هذه القلعة وسط هذا العدد من الأعداء والناس والجبال والوحوش ، وأعجب ما فى الأمر هو كيف صعد الى هذه القلعــة ؟ .

بينما كانوا فى هذا الحديث قال غضبان لسمك « هؤلاء هم الأسرى ملقون أمامك » ونظر سمك اليهم بينما كان مع غضبان حتى وصلا الى القصر وأمر غضبان باحضار الطعام فطعموا ثم انشغلوا بتناول الشراب .

قال سمك لضياء « يجب علينا أن ندبر أمر الخروج من هنا بسرعة قبل أن يأتى أحد فى أثرنا » . قال هذا ووضع مخدرا فى الشراب الذى يشربونه . وحين سقط غضبان فاقد الوعى سقط معه الآخرون ، ولم يكن فى القلعة كلها الا عشرة رجال فقام سمك بقطع رأس غضبان وقامت ضياء الى الآخرين فقتلتهم ، وطافوا بالقلعة كلها فكان بها عشر نساء وأطفال تركوهم وذهبوا للأسرى ففكوا قيودهم ثم عبأوا ما كان فى القلعة من ذهب وجواهر فى أجولة ونزلوا من القلعة وكانت الخيول واقفة فركبوها وانطلقوا فى طريقهم لكى يخرجوا من الوادى فقالت ضياء « أيها البطل ، ان غاطوش معه ألفان من الجند وطريقنا يمر عليهم ، فماذا نفعل فى الأسرى والذهب والجواهر ؟ » .

قال سمك « يا أختاه ، ان الله يهىء ما فيه الخير ، وليس لشجاعتنا أو عيارتنا شأن بما هو مقدر لنا ، ولكننا سوف نسعى لنعبر من بينهم دون أن يلحق بنا أذى ، أو نلجأ للحيلة حتى نتجاوزهم » . وكانوا يفكرون فى هذا وهم وسط الدادى ، كما كان سمك يخبرهم عن كيفية خروجهم من الوادى بحيث لا يشعر بهم أحد .

هكذا يقول مؤلف الأخبار والحكايات أنه حينما رجع الملك خورشيد شاه من مدينة منغوليا ومعه ماه برى رآه هامان الوزير والأبطال

ففرحوا ودب الفرح في المعسكر كله الى درجة لايمكن وصفها ، وقام هامان الوزير بتوزيع الصدقات وجلس لحل مشاكل المظلومين •

شاء الحق تعالى أن جاسوس أرمنشاه كان هناك وعلم أن خورشيد شاه قد أخرج ماه برى من قصر الفلكى بالمدينة وأحضرها للمعسكر ، فاتجه الى معسكر أرمنشاه وقال له « أيها الملك ، كنا نظن أن سمك هو الذى يقوم بالعيارة ودلج الليل ، ولكن ملكهم تفوق على سمك فى هذا » •

سأله الملك أرمنشاه « لماذا » ؟ •

أجابه الجاسوس « بالأمس ذهب الى المدينة وعثر على ماه برى وأخذها لمعسكره » •

فسأله الملك » ومن الذى كان قد أخذها ؟ •

قال الجاسوس « يقولون ان الفلكى كان يخفيها فى قصره ، وذهب خورشيد شاه الى المدينة مع سمك وأحضر ماه برى » • فتعجب الملك وتحير • وكان قزل ملك واقفا فقال يا أبى ، لقد أحسنت الصنع لأنك تحافظ جيدا على المدينة ، فمن أراد من الرعية أن يدخل أو يخرج من المدينة لايجد من يمنعه ، والرعية مشغولة بأمورها ولا تهتم بشأن الملك ولو أن الفلكى كان من خدمنا لما أخفى ماه برى عنى بل لكان أحضرها لى لا أن يستبقيها لنفسه ، لقد أبقاها فى بيته عشرة أيام ، فيجب أن نستدعيه ونقتله ليكون عبرة لغيره ولا يعصون الملك » •

بينما كانوا فى هذا الحديث جاء رجل من المدينة يقول انهم قتلوا الفلكى وتفصيل ذلك أنه حينما طلع النهار وذهب خدم طيراق الى قصر الفلكى وقالوا لماذا لم يخرج الفلكى ، وهل بطلنا طيراق لايزال نائما للآن ؟ وقالوا لأحد الخدم اذهب وقل للبطل أن خدمه حضروا لخدمته ، فذهب الخادم داخل القصر واتجه الى المجلس وصعد الى العرش ، فوجد الفلكى وقد قطعت رأسه ووضعت فى بطنه فصرخ وشق ملابسه ونثر التراب على رأسه وخرج من القصر صائحا نائحا ، وحينما رآه الغلمان والخدم صاحوا وشقوا ملابسهم ونثروا التراب على رءوسهم ، وبحث الخدم عن طيراق فوجدوه مقطوع الرأس فى ذلك الزقاق فاتجهوا للمعسكر •

وحينما أبلغ ذلك الرجل نبأ اغتيال الفلكى الى أرمنشاه أمر مائتى فارس بالذهاب الى المدينة ونهب قصر الفلكى ، فاتجه الفرسان الى المدينة

والتقوا أثناء الطريق بخدم طيراق وهم ينوحون ويتألمون وهم ذاهبون للمعسكر ، فتقدموا اليهم وسألوهم عما حدث فذكروه لهم ، فقال الفرسان نحن ذاهبون أيضا للمدينة لنهب قصر الفلكي واحراقه ٠

قالوا هذا وانطلقوا حتى وصلوا للمدينة ونهبوا قصر الفلكي ثم أحرقوه وحملوا ما كان به من غلمان وجواري وأموال وخزائن ، بينما ذهب رجال طيراق الى الملك أرمنشاه صائحين نائحين مغبرين وقالوا « أيها الملك، لقد قتلوا طيراق » فحزن الملك وقال « ماذا حدث » ؟ قالوا كان في قصر الفلكي يشرب معه ، وعندما ذهبنا في الصباح لخدمته ووجدنا الفلكي مقتولا عثرنا على طيراق في الزقاق مقتولا مع أربعة من الرجال ٠

سألهم الملك « وأين وضع الرسالة والخاتم ؟ ٠

أجابوه « لم نر أين وضعهما » ٠ فقال لهم الملك أن يبحثوا عنهما ، فبحثوا مع كل الخدم والحشم فلم يجدوهما ٠ فقال قزل ملك « ان هذا من تدبير سمك العيار وفعله خاصة وقد كان معه خورشيد شاه ٠ ومع ما لدينا من حمية ومع ما عندنا من رجال وأبطال فمن المستبعد أن تضيع المدينة من أيدينا ، وليفعل سمك ما هو أسوأ من هذا ألف مرة فقد قتل طيراق وأخذ الخاتم والرسالة وذهب للقلعة ليخرج الأسرى » ٠

## اكتشاف أمر سمك :

قال أرمنشاه « اكتب رسالة الى مستحفظ القلعة غضبان بأننا لانريد الأسرى وأخشى أن تضيع القلعة من أيدينا وتنتهك حرمتها ، وأذكر في الرسالة أن غاطوش الذي يقف على مدخل الوديان يجب أن يعرف ما حدث وألا يقبل أي شخص يأتيه بالخاتم والرسالة ويقبض عليه لأنه سبب الفتن كلها ، وهو الذي يشعلها في الدنيا ، انه سمك العيار مع ضياء بنت كانون والآخرين وجميعهم تلامذته » ٠

في الحال كتب شهران الوزير رسالة على ذلك النحو وختمها ٠ وكان هناك رجل اسمه شحشام يعرف الطريق جيدا من كثرة ما سافر فيه ، فاستدعاه شهران اليه وأعطاه الرسالة في يديه وقال « اذهب بسرعة قبل أن يقوم سمك بأي عمل نحزن عليه ، فلعله يقع في أيدينا ونجهز عليه » ٠

أخذ شحشام الرسالة وسار في طريقه حتى وصل الى أول الوادى فرأى غاطوش مع فرسانه الالفين ، وتقدم شحشام اليه وأدى التحية ثم أخرج الرسالة وقبلها ووضعها أمامه ففض غاطوش الرساله ثم قبلها وقراها وحينما وصل الى اسم سمك أصابته رعشة وقال « هل وصل سمك الى ولم أعرفه ؟ ثم قال لشحشام « أدركه فقد دخل الوادى مع جماعة من أصحابه وحمل الخاتم والرسالة الى أخي غضبان ، فلعلك تلحق بهم في القلعة وتقيدهم وتسجنهم ، ويكون هذا نصرا عظيما ، ولو تحقق هذا العمل لتخلص الناس من بلاياه وسأبقى أنا هنا لحراسة مدخل الوادى » .

**سـمك محاصرا :**

قام شحشام وذهب حتى وصل الى منتصف الوادى فالتقى بسمك والأسرى وتلك الجماعة التى كانت مع سمك . وفي نفس الوقت الذى كان يدبر فيه سمك كيف يمر من أمام غاطوش وكان يريد وضع الأسرى في القيود ثم يدعي أن غضبان أرسل تلك الأموال والجواهر كهدية وبينما كان يعد لهذا الأمر وصل شحشام فقال سمك « اقبضوا عليه » . فقبضوا عليه وأحضروه الى سمك ثم فتشوه فأخرجوا الرسالة وسلموها لسمك الذى قال له « أيها الفتى ، قبل أن أقرأ الرسالة ، قل لى من أنت وما هى الرسالة ومن الذى أرسلها ؟ ولعلمك فانهم يسموننى سمك العيار الذى لا يجرؤ الرجال فى الدنيا على النوم خوفا منى ، قل لكى أؤمنك على حياتك وخاطبنى بالأخ ، واذا لم تتكلم فاننى سأقتلك » .

قال شحشام « أيها البطل ، أعطنى الأمان حتى أتكلم » .

قال سمك « سأهبك الأمان اذا عاهدتنى » .

فقال شحشام « اقرأ الرسالة لتعرف ما بها » . ففتحها سمك وقرأها وعرف ما بها وكان « هذه رسالة منى ــ أنا أرمنشام ــ الى غضبان قائد الوديان الاثنى عشر ، احذر وتيقظ لأن سمك العيار جاء بالمكر والحيلة ليأخذ الأسرى » .

حينما رأى سمك هذا قال « يا شحشام ، ماذا قال لك غاطوش » قال لى قل لغضبان أن يقبض على سمك والآخرين » . « فسكت سمك فترة ثم قال » وأسفاه لأن عملنا سينتهى الى الخسران . شحشام ، ألا يوجد أى طريق على أول الوادى بحيث نخرج منه ولا يحس بنا غاطوش ؟

قال شحشام « أيها البطل ، لايوجد ، اذ ان طريقنـا لابد أن يمر عليهـم ، ولكن ان أمنتنى على حياتى صرت لك صـديقا وذللتك على طريق آخـر » ٠

فقال له سمك « إقسم على الا تغدر بنا وان تكون صديقا لنا وعونا حتى أؤمنك على حياتك » ٠ فأقسم شحشام كما كانت عادتهم فى القسم . فقال سمك واحتضنه وقال « الآن صرت لى أخا »

قال شحشام « أيها البطل ، لايجب الذهاب من هذه الطريق فانها كما قلت تقودك الى غاطوش ، خاصة وقد استبحت القلعة وقتلت اخاه وهم كثرة وأنتم قلة وسيمسكونكم ، ولكن لتعلم أنه على هذا الجانب الأيمن وعلى مسيرة ثلاثة فراسـخ يوجد واد من بـين الاودية الاثنى عشر به اثنا عشر ألف رجل بطل وعيار ومقاتل ومبارز وقائدهم رجل اسمه الغورى وهم ينسبون هذا الوادى اليه ٠ وله شقيقان من الأبطال أحدهما اسمه الجبالى والثانى جهاد وله ثلاثة أبناء أخ ، أحدهم اسمه جبيب والثانى فاتك والثالث اسمه مصارع ، والغورى رجل ذو شهامة ومروءة واسمه ذائع فى الدنيا يشتهر بالفتوة وحماية المستجير الى الدرجة التى تجعله يحمى من يلجأ الى بابه ولو كان قد قتل أحد أبنائه ، ولا يطالبه بدية ابنه ولا يجرؤ أحد من خدمه أو حشمه على منعه لأنهم جميعا من أهل الفتوة ، واذا استجار به أحد فانه يفديه بروحه ولا يتنازل عن جيرته ، وقد استجار به الكثير من أهل هذه الوديان فقبلهـم ولم يسلمهم للمطالبين بهم ٠ والوديان الأحد عشر الأخرى لاتقدر عليه لأن موقعهم حصين مجبنكم ٠ وسوف آخذك الى الغورى لكى يحميك لأن موقعه حصين ٠٠ ثم تقدمهم شحشام وهم فى أثره الى أن وصلوا الى أول أحد الأودية فرأوا شجرة ضخمة وضع تحتها عرش مرتفع من الصخر ورجل يجلس متكئا عليه ، ووقف خلفه خمسة من الفتيان لخدمته فقال شحشام « أيها البطل ، انه الغورى ، فانتظر لحظ حتى أتقدم اليه وأذكر له أحوالكم » ٠

## سمك يلتجىء الى الغورى :

قال سمك « لا بأس » وتقدم شحشام وحين وصل الى الغورى أدى التحية ودعا له وحين رأى الغورى شحشام وكان رجلا أسمر اللون وقد تردد على ذلك الوادى كثيرا فقال له « لماذا جئت يا شحشام ؟ ما هى أحوال الملك وقزل ملك والأبطال ؟ لقد علمت أنهـم فى حرب مع الفغفور » ٠ فذكر له شحشام ما لديه من أخبار عن الحرب والخلق الذين قتلوا ، وأن

هذه الفتنة والحرب من أجل ماه برى بنت الملك فغفور • وتحدث كثيرا في هذا الموضوع وأن الملك فغفور زوج ابنته لأمير اسمه خورشيد شاه ابن مرزبان شاه ملك الشام والشامات • وكان الملك أرمنشاه قد طلبها من أجل ابنه قزل ملك ، ولهذا هب حاقدا على عدم اعطاء ماه برى لقزل ملك ، واشتعلت الحرب • ثم أخبره بموت طيراق وايلاق ، فبكى الغورى على موتهما كثيرا حتى قال له شحشام « أيها البطل ، ان هذه الجماعة قد التجأت الى حماك ، ورئيسهم هو سمك العيار الذى قام بكل هذه الأعمال فى الدنيا كما يعلم الأبطال » •

حين سمع الغورى اسم سمك فرح لأنه كان قد سمع عن شهرته وما قام به في الصين ومنغوليا وقال لنفسه « ان رجلا تجرى على يديه مثل هذه الأعمال من الواجب الترحاب به خاصـــة وقد استجار بنا » ثم أمر أولاده الثلاثة بالذهاب اليهم واحضارهم ، ولم يكن لديه علم عن أحوال غضبان ومقتله •

ذهب الأبناء الثلاثة مع شحشام فلمـا وصلوا الى سمك احتضنوه وأتوا به الى أبيهم الغورى ، فأدى سمك ورفاقه التحية ، وقام الغورى وأمسك يد سمك وأخذه الى العرش وأجلســه أمامه ، وقبل ان يتكلموا أمر باحضار الطعام فأكلوا ، فلما انتهوا منــه انشغلوا بالشراب • ثم قال الغورى « أيها البطل سمك ، لقد سمعت كثيرا عن أعمالك وأفعالك وما فعلته في الصين ومنغوليا ، فما الذى جاء بك الى هنا ؟

قال سمك « ان الله وفقنى لكى أخدمك ـ أيها البطل ـ ثم ذكر أحوال الأسرى وكيف أسروهم ثم كيفية احضارهم الى قلعة غضبان وحيلته فى اخراجهم من القلعة مع الأموال ثم التفكير فى طريقة للخروج من أمام غاطوش والتقائهم بشحشـــــام وارشـــــادهم للقدوم لخدمة البطـــــل الغورى » •

تحير الغورى من كل الأعمال وتعجب وقال « أيها البطل ، أنتم الآن فى حماى ، وأنا أفديكم بروحى ومالى وأولادى خاصة وأنت رجل تجمعت فيك كل هذه الصفات والفنون والفتوة وأدب النفس • والعرب تقول « أدب النفس خير من أدب الدرس » • وهذه روحى فداء لكم فلا تحزنوا فانني سأقوم بما يجب القيام به وأجد السبيل لحل مشكلتكم • فان أردتم الخروج من هنا فسوف أخرجم دون أى أذى أو تعب » • فأدى ســـمك ورفاقه التحية ثم إنشغلوا بالشراب •

شاء قضاء الله تعالى أن راعيا سيء الفعال ابن اللئام علم بأمر سمك ورفاقه فسار أثناء الليل حتى جاء الى غاطوش وقال « أيها البطل ، أنت غافل في عملك اذ جاء سمك اليك ثم ذهب الى القلعة وقتل أخاك غضبان وأنزل الأسرى من القلعة مع كثير من الأموال وذهب مع شخشام الى وادى الغورى الذى أجاره وأمنه » .

حين علم غاطوش بمقتل أخيه شق ثيابه ونثر التراب على رأسه وأخذ في البكاء والعويل وجلس يتقبل العزاء ثم قال له خاصته « يجب أن تكتب رسالة لأرمنشاه تخبره بما حدث وننتظر ما يأمر به » فقال غاطوش « اكتبوا وأذكروا له هذه الأحوال » .

كتب كاتب غاطوش رسالة ذكر في أولها اسم الله ثم كتب بعد ذلك « هذه رسالة مني — أنا غاطوش — خادم أرمنشاه ، من قلب مفعم بالحزن ، وعين تسكب الدمع ، ونفس تحترق كالشمع ، أنا الحزين الذى اكتوى كبده ، الى الملك السعيد ، ملك منغوليا والوديان الاثنى عشر . لتعلم أن سمك جاء هنا يحمل رسالة من الملك وخاتمه ، فقمت على خدمته وأديت له ما طلبه ، ونفذت أمركم وأرسلته الى الوادى فقتل أخي غضبان مستحفظ القلعة وفك قيود الأسرى وأخذهم مع كثير من الأموال والتجأ الى وادى الغورى ، وحينما وصلت رسالة الملك الثانية كان سمك قد انتهى من عمله . والذنب فى هذا يقع على الملك الذى يعطى خاتمه ورسائله لكل شخص . فحينما رأيت الخاتم والرسالة ظننت أنه مبعوث الملك والآن فقد أبلغنا الملك وفى انتظار أوامره والسلام .

وحينما انتهى من الرسالة ختمها ، وكان هناك رجل اسمه سميح أدى التحية فسلمه غاطوش الرسالة وقال له « أسرع بتسليمها للملك أرمنشاه . فانطلق سميح وسار فى طريقه حتى وصل الى المعسكر بعد ليلتين ودخل مجلس أرمنشاه وأدى التحية وسلم الرسالة الى شهران الوزير ، فقرأها وأخبر الملك بمحتواها وما جاء بها .

كان أرمنشاه ينتفض من الغيظ ثم قال أيها الوزير ، الى من يمكننى الشكوى من رجل يعيش الآلاف فى خوف من أذاه ، انظر كيف ذهب الى هذه القلعة وكيف انتقل الى وادى الغورى ؟ من الذى دله على هذا الطريق ؟ هل تظن أنه كان يعيش فى هذه الدنيا من قبل وعرف كل هذه الأعمال ؟ وما هو التدبير الآن ؟ وماذا أفعل به الآن وكيف أقبض عليه بعد أن خرب الدنيا الى هذا الحد ؟

قال شهران « يا ملك الزمان ، يجب علينا أن نبعث برسالة الى غاطوش نعزيه وتوليه امارة الوديان الاثنى عشر ، ونصدر منشورها باسمه ، ونجعل القلعة تحت نظره لأنه لم يبق أحد غيره ، فقد قتلوا طيراق وايلاف وغضبان ، ولم يبق أحد من الملوك فى الوادى الكبير الا هو ، فاخلع على غاطوش وأكتب رسالة أخرى الى الغورى وارسلها مع خلعه له واخدعه بحلو الكلام ، وادعه اليك لتكرمه ، واطلب منه الأسرى لأننا لايمكننا اخراجهم من يديه والا فان كل جيوش العالم لن تستطيع شيئا مع هذا الوادى الا بالاكرام وحلو الكلام » .

قال له أرمنشاه « افعل ما يجب عمله » . فأمر شهران الوزير بالدواة والقلم والورق فى الحال وكتب رسالة ذكر فى أولها اسم الله ثم أثنى على غاطوش ومنحه بطولة الوديان الاثنى عشر ومستحفظية القلعة ، وواساه ومناه بكثير من الآمال . وفى آخر الرسالة أعاد له العزاء فى أخيه وقال كثيرا من الكلام الطيب مع كثير من التهديد والوعيد للقتلة . وأعد خلعة من الملابس النفيسة . وكتب رسالة أخرى الى الغورى ملأها بطيب الكلام ثم ختم الرسالتين وأعد الخلع والهدايا من الذهب والفضة والجواهر والخيل والغلمان والجوارى وكل ما يلزم ثم قال « أيها الملك ، نحتاج الى رجل حكيم وبطل ليحمل الرسائل ويعود بردها . وكان هناك بطل أسمه قراخان ، اختاره الملك ليذهب بالرسائل فأدى التحية ، وحمل الهدية وسار ومعه مائتان من الفرسان حتى اقترب من الوديان ، فنقلوا الى غاطوش خبر قدوم البطل قراخان ، فلم يرفع غاطوش رأسه لما كان فيه من الأحزان ، حتى اقترب قراخان وصار على عشر خطوات من غاطوش، وأدرك قراخان انه يتصرف هكذا حزنا على أخيه فعذره ، وترجل عن فرسه واحتضنه وأخذ يعزيه . ثم ذهبا الى الخيمة وقال قراخان أيها البطل ، اهدأ فان هذه هى حال الدنيا ، ومنذ كانت والى النهاية ستكون هذه حالها فلا تحزن لأنه لن ينجو أحد من الموت ، واذا حزنت فليس للحزن فائدة ، فلن يحيا أخوك مرة أخرى ، ولكن اجتهد فى أن تثأر له وتنتقم من قتلته لأن الحزن أكثر من هذا ليس واجبا أو مطلوبا » .

وأخذ قراخان يتكلم فى هذا المعنى كثيرا ويعظ غاطوش ثم أخرجه من حزنه بالأوامر الملكية وألبسه خلعة الملك ووضع الرسالة والأمر أمامه . فقرأ غاطوش الرسالة وعلم ما فى الأمر الملكى وسجد شكرا وأثنى على الملك ثم أخذ يروى أحوال الغورى وقال لقراخان « أيها البطل ، يجب عليك الذهاب الى الغورى وأن تحدثه كما يجب ، لعل مراد الملك يتحقق ورغبته تتأكد وتخرج ابن اللئام هذا ــ سمك من يديه » .

سار قراخـــان مع المائتى فارس حتى اقترب من وادى الغورى ، فأرسلوا أحد رجالهم ليخبر الغورى بقدومهم وانهم يحملون رسالة فماذا ترى ؟ فأرسل الغورى شخصا لكى يدخلهـــم واديه ثم أمر جميع خدمه وحواشيه أن يلبسوا أسلحتهم ويقفوا فى خدمته ، كما أجلس سمك العيار وورد ولهيب وضياء وينـال بن ســنجانى وسعد العيـــار والأخوين القصابين ــ هؤلاء السبعة على يمينه ، ووقف خلفه الجبالى وجهاد وحبيب وفاتك ومصارع الى أن وصل قراخان مع فرسانه . فأوقفوا الفرســـان بعيدا وتقدم قراخان وحيدا فأدى التحية ورأى تلك العظمـة والهيبـة فأعجبته . ثم أمر الغورى فأجلســـوه وفى الحال وضعوا الطعـام ، فلما آكلوا وانتهوا من طعامهم أمر قراخان باحضار تلك الأموال التى أرسلها أرمنشاه فعرضها على الغورى الذى قال « لقد شاهدتها ولكن لماذا أتيت بها وما سبب مجيئك » ؟ .

قال قراخان « أيها البطل ، اعلم وتأكد أن هذه الأموال والهدايا أرسلها اليك أرمنشاه مع رسالة مكتوبة . كما حملنى برســـالة شفوية سأذكرها قبل تقديم الرسالة فلعلنا لانحتاج اليها » .

قال الغورى « قل ما لديك » .

قال قراخان « أيها البطل ، ان ملك الدنيا أرمنشاه يبعث لك بسلامه ودعائه ويقول ان البطل يعلم ــ ولا يوجد شخص أعلم منه ــ لأنك رأيت أكثر الدنيا ، أن هذا الوادى كان لآبائنا وأجدادنا ، ولم يعص أحد من أهل هذا الوادى ملكه أو خرج عليه ، ومنذ صرت ملكا فاننى لم أسىء الى أحد أبدا ، ولم آمر بمحاربة أحد ، والآن فقد ظهر لنا عدو عظيم وكما تعلم ، وقعت عدة معـارك ، وقتل مالا يحصى من الخلق ، وفوق كل هذا يوجد عدو أعظم منهم جميعا هو سبـــمك ، يبدو أنه ذهب الى الوديان الإثنى عشر مع جماعة من الأوباش وانتهك حرمة القلعة وقتلوا غضبان مستحفظها ، وأنزلوا الأسرى منها ، ثم التجأ اليك مع رفاقه واحتموا بك ، وأنت تعلم ماذا فعل ســـمك بنا ، وأنه الحق الأذى بكثير من الناس ، وأنا على يقين أنه حين يؤسر فان الدنيا ستستريح منه ، وقد أرسلنا هذه الأموال فتقبلها لأننا لاننشغل الآن بشىء غير الجيش ، وسوف نعتذر عن التقصير فى حقك لأنك ذو أفضال علينا ، وأنا على يقين أنك لن تخذلنا وسترسل الينا عدونا وبهذا تمن علينا » .

حين سمع الغورى هذا الكلام قال « يا قراخان ، ردى أنه لايمكن أبدا تسليمهم لأنهـــم التجأوا الى حماى ، والملك يعرفنى وأننى أبذل روحى للمستجير بى ولا أسلمه ، ولا يجب الحديث معى فى هذا الموضوع » .

قال قراخان « أيها البطل ، لا تقاوم الملك ، ونفذ أوامره لأن عصيان الملك أمر غير مستحب ، وأنت تعلم أن سمك وأصحابه لن يفيدوك بشيء ، فلا تخلط أمورك بعضها بالبعض الآخر ولا تثر الاضطراب في مكانك ومكنك وموطنك » .

أجابه الغورى « يا قراخان ، ان مثل هذا الكلام لن يثيرني ، كما أن الوعود والأموال لن تغيرني ، ولا يجب تخويفي بمنزلي وأموالي ومكاني ورأسي من أن تضيع ، واذا كان قصد الملك أن أرسل له سمك العيار لأنه أقدم على كثير من الأذى ويريد أن يعاقبه على أفعاله فأنا على استعداد لتقديم عشرة أحمال أفيال من الذهب ـ واذا راد أكثر منها فلن أتأخر عن تلبية رغبته ـ على أن يعرف الملك أنني سأوصلهم دون أن يسمهم أذى الى معسكرهم آنذاك سيعرف الملك أن شهرتي في حماية المستجير بي ستبقى ، وسيرافقهم أولادى حتى يوصلوهم الى خورشيد شاه . ولتعرف أنت أنه اذا كان الملك يريد أن أكون في خدمته فانني أعــــرف أن الملك يريد أن أكون بجواره ، ولا يريد لي سوء السمعة . وحينما أوصلهم الى مقصدهم ، سيعلم الملك بذلك ولن أفعل غير هذا وعندما يذهب سمك من عندى فانه سيكون ألد أعدائي من أجل الملك » .

قال قراخان « أيها البطل ، لم يأمرني الملك بهذا ، والآن اقرأ الرسالة وأعمل بما جاء بها » ثم أخرج الرسالة وقبلها ووضعها أمام الغورى الذى أخذها وأعطاها لأخيه الجبالى لأنه كان يعــــرف القــــراءة ففتحها وقرأها وكان بهــا :

يا غورى ، أحوالي وأحوالك واضحة معلومة ، ولقد كنت ومازلت حتى الآن تابعا مخلصا ، ونحن من جانبنا لم نضمر لك سوءا ، ولم تكن بيننا عداوة أو أقاويل ، ولم أطلب منك شيئا أبدا ، ولم أسيء الظن في أى شيء قلته ، وعلى أية حال اذا كان عدو لدود قد التجـــأ اليك ـ وهو يدعى سمك ـ فاننا أرسلنا قراخان البطل لكي تسلمه له ويحضره لنا مقيدا لأننا لحقنا منه أذى عظيم ، ولو فرضي وحدث تقصير ، فقد أمرنا قراخان أن يحضر لنا الغورى مقيدا ، وآنذاك سندبر نحن أمر الرعية » .

وحينما وصـــل الجبالى الى جمله « يحضر لنـــا الغوى مقيدا » قال الغورى « يا قراخان ، ما أعظم هذا الغرور في رأس أرمنشاه ، هل الغورى وصل به الحال أن يسلم نفسه اليك أو الى ألف مثلك ، وهل يجرؤ أرمنشاه وكل جيشه على النظر اليه ، أو أن أمرنا صار حتى أن كل عديم الشأن يتصرف فيه كيفما يريد ؟ ان الأسرى في أيدينا ولن نسلمهم

الى أحد ، واذا أرادت جيوش العالم القدوم الينا فسنحاربها ولن نسلم الأسرى ما بقى أحدنا على قيد الحياة » .

قال قراخان « أيها البطل ، أنت تتكلم كلام أطفال ، وأنت تعلم أن أحدا لا يقول هذا الكلام ولا يفعل ما تفعله أو يقوله . وعصيان الملك ليس من أعمال العقلاء » .

حين قال قراخان هذا الكلام تقدم الجبالى وكان رجلا حاد الطبع وضرب قراخان ضربة بظهر يده جعلته يسقط من على العرش ، وظن جند الجبالى أنه يجب الاجهاز عليه غافلين عما يجب أن يتمتع به الرسول من حماية ، وانهالوا عليه وقطعوه قطعا ، ثم استداروا على غلمانه وخاصته فقتلوهم فى لحظة الا عشرين رجلا استطاعوا الفرار الى غاطوش فوصلوا اليه مجروحين ومتعبين وذكروا له ما حدث .

حزن غاطوش من هذا الحادث واغتم لموت قراخان وقال « كنت أعرف أن الغورى لن يسلم المستجيرين به ، ولكننى لم أكن أدرى أنه سيقتل بطلا مثل قراخان » . وفى الحال كتب رسالة الى أرمنشاه فى بدايتها ذكر اسم الله ثم أثنى على أرمنشاه وشكره على الشرف الذى شرفه به وانتقل الى ذكر أحوال الغورى كما سمعها ، ثم أرسل الرسالة مع هؤلاء الرجال الذين جاءوا هاربين وقال لهم اذكروا للملك ما رأيتموه وما سمعتموه .

سار الرجال حتى وصلوا الى المعسكر وذهبوا الى أرمنشاه وسلموه الرسالة فأعطاها الى شهران الوزير ليقرأها ويشرح ما بها للملك الذى تضايق وتأسف على موت قراخان ثم سأل هؤلاء الرجال الفارين عن الأحوال فذكروها له كما وقعت .

قال أرمنشاه « يا شهران ، انظر ماذا تفعل معهم ، فقد ظهر لنا أعداء آخرون » .

قال شهران « أيها الملك ، التدبير أن نكتب رسالة الى غاطوش بها كثير من الترغيب حتى يجمع جيشا كبيرا ويذهب الى وادى الغورى ويحاربهم فأهل الجبل لايفلهم الا أهل جبل مثلهم ، فليس فى جيشنا من يعرف أساليب الجبال وطرقها ، كما أن هذا الجيش الذى يواجهنا لايمكننا تركه . وفى الحال كتب شهران الوزير رسالة الى غاطوش البطل ملك الوديان الاثنى عشر ضمنها الكثير من الأمانى والترغيب ثم قال :

ان البطل غاطوش يعلم ان كل ما عرضبه علينا من أحوال الغورى قد عرفناه فقد أظهر قمة الخيانة وعدم الوفاء ، وقد أردته القدوم اليكم ومعاقبته ، ولكنني الآن لا أستطيع لأننا نواجه نحو ثلثمائة ألف من الأعداء ولا أستطيع تركهم ، ونحن نحتاج لجيش أكبر مما لدينا والا لكنت أرسلت جيشا وساعدت البطل • والآن أريد منك أن تعيننا وحينما تطلع على هذه الرسالة تجمع جيشا فى الحال وتذهب لقتال الغورى وتحاصره ورجاله فى الوادى وتكف ظلم الغورى عنا وتقهر كل جيشه الى أن أنتهى من أمر فغفور الصين وأكرر اعتذارى والسلام • ثم ختم الرسالة وأعطاها لسميح الذى كان قد أحضر الرسالة من غاطوش ، كما أعطاه خلعة •

سار سميح فى طريقه حتى وصل إلى غاطوش وسلمه الرسالة فقرأها وعرف ما يقصده الملك ، وأرسل فى الحال من يجمع الجيش من الوادى ، فجمعوا نحو عشرة آلاف فارس فى يومين أو ثلاثة جاءوا الى غاطوش الذى ذكر لهم أحوال الغورى ، كما أطلعهم على رسالة الملك وقال لهم « يجب علينا أن نحارب الغورى » فرد عليه الجميع « سمعا وطاعة » •

**الغورى يحارب من أجل سمك :**

سار الجميع فى طريقهم الى أن وصــــلوا الى أول وادى الغورى ، فبلغ الخبر اليه بأن غاطوش قد وصل الى أول الوادى على رأس جيش من عشرة آلاف فارس يريدون القتال ، وكان الغورى منذ وقعت الأحداث يتخذ ما يجب من الحيطة ، ويعد ما يلزم للحرب ، فلما وصل هذا الجيش ، أمر بجمع رجاله فاجتمع حوله اثنا عشر ألف فارس من الشجعان توجهوا الى أول الوادى •

أدى سمك التحية وقال « نحن مستعدون للقتــــال وأن نكون فى خدمتك وسوف نصحبكم » •

فقال الغورى « يا سمك ، لاتذهب أنت وابق هنا لتشرب وتسعد ، أما نحن فسنحارب لأن الأمر يقتضى هذا ، والحرب واجبة علينا ولكننا لم نكن نعلم أننا سنحارب من أجلك » •

قال سمك العيار « أيها البطل ، اذا ساعدنا فى الحرب فلا بأس » •

فأجابه الغورى « لا أريد خروج أحد منكم فربما أصابه سوء وضاعت شهرتنا التى مضى عليها أكثر من مائة عام ، وسيقولون ان الغورى عرض

استجيرين به للقتل ، ان اموالنا وأرواحنا فداء لكم فاطمئنوا الى أنهم لن يستطيعوا عمل شيء لنا ولو جاءت كل جيوش العالم هنا فاننا سنهزمها لأننا ندافع عن الحق » ٠

أثنى سمك عليه وقال « أيها البطل ، انهم ان قتلونا فلا تثريب عليك لأننا نحارب وفاء لخورشيد شاه الذى ينزل فى روضة الزعفران مع ثلثمائة ألف فارس ، وكل شعرة تنقص من شعرنا سيقتل فى مقابلها أحد أعدائنـــا » ٠

قال الغورى « أيها البطل ، ما بقى فينا رمق فاننا لن ندع أحدكم يمس بسوء واذا قتلونا جميعا فلتفعل أنت وخورشيد شاه ما تشاءون حتى لايتقول أحد علينا » ٠

دعا له سمك ورفاقه وكانوا قد تعجبوا من أعماله وأفعاله وأثنوا عليه ثم قال له سمك « أيها البطل ، أتأذن لنا فى مشاهدة القتال » ؟ ٠

أجابه الغورى « لا بأس أن تشاهدوا القتال من أحد الأركان » ٠ فجاء سمك ورفاقه الى ناحية وقفوا فيها وأخذوا ينظرون حتى تصاعدت دقات طبول الحرب من الجانبين ، فسووا صفوف الجيشين ، وخرج فارس من جيش غاطوش يعدو بحصان مدرب كأنه الريح وقد حمل أربع عشرة قطعة من أنواع الســـلاح ، وكان هذا الفارس يدعى ســـمنان ، وهو ابن شقيق غاطوش ، وكان من الأبطال ، وأخذ يصيح ويزأر وطلب رجلا للنزال ، فبرز له الجبالى من جيش الغورى وهو يركب حصانا قويا مقاتلا وقد زينه بعدته الحربية وانطلق حتى وقف فى مواجهة سمنان وصـــاح فيه قائلا « أيهـــا الحقير ، من أنت ؟ هل شبعت من حياتك حتى برزت للقتال ؟ هات ما عندك من شجاعة » ٠

اشتبك الاثنان برمحيهما وتطاعنا بهما كثيرا الى أن ألقى الجبالى بحربته من يده وتناول سيفه الهندى من غمـــده وتقدم نحو ســـمنان ليضربه به ، وعاجله بضربة من سيفه شقته من مفرقه الى صـــدره ، فسقط سمنان من على حصانه وتصاعد الصراخ من جيش غاطوش بالعويل والنـــواح ٠

حزن غاطوش على ابن أخيه ٠ وتقدم فارس آخـــر للميدان فصرعه الجبالى ٠ وهكذا حتى بلغ عدد من قتلهم بسيفه أربعـــة عشر فارســـا

ولم يستطع أى منهم حتى جرح الجبالى الذى كان يقف ويطلب رجــلا لنزاله ، فتقدم رجل كان اسمه بديع وكان من وادى الكرد أحد الأودية الاثنى عشر ، وكان رجلا كامل الرجولة وقف أمام الجبالى وصـــاح فيه قائلا « أنتم أيها الجبناء ، هل يتقاتل شخص مع أهله وأقاربه ويعصى ملكه ؟ لماذا تتحملون كل هذا الألم من أجل رجل غريب ؟ سوف لاندعكم تستمرون فى هذا · هات ما عندك من فنون القتال فانك لم تر الرجال ، ونزلت الميدان وفعلت ما فعلت مع ثلاثة أو أربعة من الغلمان وظننت أنك قمت بعمل عظيم » ·

## الغيرة بين ضياء وورد

كان بديع يردد هذا الكلام والجبالى صامت لا يجيب الى أن التحما بحربتيهما وجاهدا كثيرا ولم يظفر أحدهما بالآخـــر الى أن حل الظلام فدقوا طبول التحاجز وعاد الجيشان الى معسكريهما وخلدا للراحـــة · ثم خرجت الطليعة من الجانبين وانشغل الغورى مع رجاله فى تنـــاول الشراب ، كما جلس سمك ورفاقه فى المكان الذى أعدوه لهم يشربون ويتسامرون وكان كل منهم يروى قصصا عن الشجاعة والعيارة ، وكان سمك يتحدث عن مهارة ورجولة ضياء وفتوتهـــا وما فعلته · وتكلم عن أصالتها وحسن محضرها الى أن قال ورد (١) « أيها البطل الى متى تتحدث عن ضياء وشجاعتها وعيارتها فى السوق والأزقة والأحياء ؟ فمن رآها أو علم بها ؟ وأى داع للحديث عن الرجولة ؟ ان الأطفال جميعا يفعلون هذا ، أما هنا فى مثل هذا المكان بين الجبل والوادى الذى لم ير أحد مثله فيجب أن تقوم بعمل حتى نسلم لها بالشجاعة والعيارة » ·

قالت ضياء « كل من يمكنه الذهاب فهو حسن ، ولكن هذا ليس عملى » ·

قالت ورد « سأذهب أنا » ·

ردت ضياء « لو كنت تستطيع الذهاب ما قلت ما قلته ، ولكن ان ذهبت وأحضرت علامة من فراش غاطوش فاننى لن ادعى العيارة ما حييت ،

---

(١) كانت وردة متنكرة فى زى الرجال ولا يعلم حقيقتها كفتاة الاسمك وحده الذى كان قد خطبها لتتزوجه ·

ولن أعيش بين الناس بل سأحتجب واشتغل بأمور النساء وغزل القطن بالمغزل ، أو تكف أنت بعد الآن عن ذكر كل مالا يمكنك عمله ، وخاصة فى متل هذا الموقف الذى يجمعنا مع بطل الزمان سمك العيار ويحضره أمثال هؤلاء الأبطـــال » ٠

سكتت ورد وقالت لنفسها ربما تعلق قلب سمك بضياء ويعتب على لأنه رأى بطولتها وشجاعتها ولهذا يجب على القيام بعمل ما » ٠ وقامت لتذهب فقال لها سمك العيار « يا ورد ، اجلس لأن هذا المكان ليس كالمدينة ، فقد يقع خطأ ما وتضيع شهرتنا وسمعتنا بعد أن تحملنا الكثير من المصاعب لكى ننقذك من الأسر » ٠

## ورد فى الأسر

قالت ورد « أيها البطل ، أريد الذهاب لأننى لا أتحمل الكلام ، ألم تسمع ما قالته أختى ضياء وكيف تعرض بى ؟ اننى سأذهب لأننى أحس بشىء ما ، ومع أننى مطمئنة لذلك ، ولكن قلوب النساء تفكر كثيرا فيما لاطائل منه ، ولهذا سأذهب فان عدت غدا فبها ، والا فاعلم أننى أسرت وأنت تعرف ان شئت بحثت عنى والا فاننى سأبقى فى الأسر الى أن يشاء الله » ٠

أدرك سمك ما تعنيه ورد ، وأنها تفكر فى ضياء فلم يقل شيئا الى أن تسـلحت ورد بأسلحتها وسـارت فى طريقها الى أن وصلت الى أول الوادى وكان جهاد على رأس الطليعة فاختبأت ورد خلف صــخرة حتى مرت منهم ولم يرها أو يتنبه اليها أحد وسارت الى أن وصلت الى المكان الذى كان ينزل به جيش غاطوش ، وكانوا قد وضعوا الحراس على قمة الجبل فلما رأوا ورد قادمة من الوادى ومتجهـــة الى المعسكر أشـعلوا النيران ، فلما رآها أقرب الحراس اليهم أوقدوا نيرانهم أيضا ، وحين علم الجيش أن شخصا قادم من الوادى تجاه المعسكر خرج مائتا رجل وجلسوا فى كمين ، وحين رأوا ورد أحاطوا بهـا وأمسكوها وقيـــدوها وحملوها الى غاطوش ٠

قال غاطوش « أيها الفتى ، من أنت ومن أين جئت ؟ » ٠

قالت ورد « أيها البطل ، اسمى ورد وأنا قادم من وادى الغورى » ٠

فسألها غاطوش « هل أنت من الأسرى الذين كانوا بالقلعة ؟ » ٠

أجابت ورد « نعم » ولم يكن أحد يعلم أنه فتاة ٠

فقال لها غاطوش « ولماذا جئت ؟ » ٠

أجابته ورد « لقد جرى حديث بينى وبين سمك ولهيب وينال ابن سنجابى وجماعة العيارين التى معنا وقد غضبت منهم وتركتهم وسرت وقلت أجد الطريق وأعود ولكنهم أمسكونى وأتوا بى اليك » ٠

فقال غاطوش « قيدوه لكى أرسله الى أرمنشاه ، كما سنقيد الباقين هكذا » فقيدوها بالقيود وسجنوها ٠

فى الجانب الآخر ، ظل سمك العيار ورفاقه من العيارين ينتظرون حتى طلع النهار ولم تعد ورد فتضايقوا ، بينما أمر الغورى بدق طبول الحرب ٠ وتوجه الجيش الى ميدان القتال ، كما اتجه غاطوش أيضا الى ساحة الحرب ، وحين سووا صفوفهما برز بديع من جيش غاطوش وأخذ يعدو بفرسه فى الميدان وصاح طالبا رجلا للنزال وقال « أين ذهب الجبالى الذى تقاتل معى بالأمس وطلب منازلا ؟ قولوا له ليدخل الى الميدان لأن خصمه ينتظره ، وبالأمس أمسكنا وردا وسجناه وأنتم لا تعلمون ، وسوف نمسك الجميع هكذا » ٠

حين سمع الغورى هذا الكلام وأنهم أسروا ورد ٠ التفت الى سمك وقال له « ما هذه الحادثة التى يتحدثون عنها وأنهم أسروا ورد بالأمس ؟

تكلم سمك فقال « أيها البطل ، بالأمس وأثناء تناول الشراب كان ورد يتناقش مع ضياء على ادعاء العيارة ، فقال ورد انى ذاهب لأحضر لكم علامة من مخدع غاطوش وقام على هذا الأساس وذهب لينفذ ما ادعاه ولكنه وقع فى الأسر » ٠

قال الغورى « أيها البطل سمك ، ليس عملا حسنا أن نتفق على ألا يصيبكم أذى كى تعودوا الى وطنكم سالمين ، ونضع أرواحنا على أكفنا وندخل فى حرب مع الأقارب والحلفاء ونعصى ملكنا من أجل أن يبقى اسمنا ولا يلحقنا العار ، بينما تنشغلوا بمثل هذه الأعمال وتسلموا أنفسكم للأعداء ، فما هذا العمل ؟ اننا لا نقبل هذه الأفعال التى تجلب العار وسوء السمعة لأنهم ينقضون الأمان الذى منحناه لهم ٠ وعلى أية حال فلم يعد هناك من وسيلة ولن أتحدث عن هذا الموضوع أكثر من هذا واذا حدث وقام

أحدكم بما لا يجب فلا تلقوا اللوم علينا ، وسوف لانسمح بعد الآن أن يرتكب أحد منكم مثل هذا العمل أو يذهب الى هناك » ٠

## قتـــل بديع :

قالوا هذا وانشغلوا بالحرب ، وكان بديع يجول فى ميدان القتال حين ثار الجبالى وانطلق بحصانه الى الميدان وتقدم الى بديع مزمجرا صائحا وقال « يا ابن اللئام ، ما هذه الضجة التى أثرتها فى الدنيا ؟ » ٠

أجابه بديع « أيها البطل ، ما هذا الذى تفعلونه ؟ أمن أجل شخص غريب تجعلون عدة آلاف من الرجال أعداء لكم وتثيرون عليكم رجال أحد عشر واديا وتقاتلون ملككم أرمنشاه ؟ فماذا فعل لكم ســـمك وألف مثل ســـمك ؟ ٠

قال الجبالى « أرنى ما لديك من فنون القتال فان الخسة ليست من عاداتنا ، فالشخص الذى يحتمى بنا لا نسلمه أبدا ما بقيت فينا روح ٠ أنت تقول ان سمك يعد على رأس أبطال الدنيا ، ولو كانت مكانه امرأة لحميناها أيضا بأرواحنا ، فلا تتحدث كثيرا ولا تلف وتدور ٠ هات ما عندك من فنون القتال » ٠

قالا هذا وتناول كل منهما حربته وتطاعنا بهما كثيرا حتى تكسرت فى أيديهما ولم يظفر أحدهما بالآخر ، فألقيا ما تبقى منهما واستل كل منهما سيفه البتار من غمده ووضع الدرق على رأسه وأخذا يتبادلان الضرب بالسيفين على مفرقيهما الى أن تمكن الجبالى وضرب بديع ضربة على مفرقه قسمه نصفين وشقه حتى صدره ، فسقط بديع وتصاعد العويل من جيش غاطوش ٠

كان هناك أحد أقارب غاطوش اسمه جراس وكان بطلا عظيما طوله نحو مترين وعرضه نحو متر ، أمسك حربته فى يده وتقدم مختالا صائحا الى الميدان ونادى الجبالى قائلا « أيها الخسيس ، لقد قتلت رجلا أفضل من ألف مثلك » ٠

قال الجبالى « كان أفضل منك لأنك تحزن عليه ، فاحزن على نفسك لأنك ستلحق به على يدى » ٠ قال هذا واندفع من الغضب وضربه بسيفه فقسم رمحه نصفين ٠ وأراد جراس أن يستل سيفه من غمده ، ولكن

الجبالى هجم عليه بحصانه وضربه فى وسطه بسيفه فسقط على الأرض كمئذنه تنهار وأثار سقوطه الغبار ٠

صاح الجبالى وزأر وطلب رجلا آخر للقتال وتصاعد العويل من جيش غاطوشى الذى حزن على جراس وبكى عليه بينما كان الجبالى يصيح ويطلب مبارزا ، فكان من يدخل منهم يقتله حتى قتل مائة رجل ٠

عندما أخذت الشمس فى المغيب دقوا طبول التحاجز فعاد الجيشان من الجانبين وخلدوا للراحة ، وأخذوا يتحدثون عن بطولة الجبالى ومهارته القتالية ، ثم انشغل كل منهم ببعض شأنه ، ولكن سمك كان حزينا على ورد ، وشاطره الحزن جماعة العيارين الى أن دخل الليل وأظلمت الدنيا ٠

## ضـــياء تنقذ ورد

نهضت ضياء وتقدمت الى ســـمك وحيته وقالت « أيهـــا البطل ، هل من اذن كى أذهب وأحضر ورد من السجن وآتى بعلامة من غاطوش ؟

قال سمك « اجلسى لأننى أخشى أن يقع خطأ آخر وتتضاعف آلامنا ويغضب الغورى منا » ٠

قالت ضياء « أيها البطل ، لا مفر من الذهاب لأننا لانستطيع أن نترك ورد فى الأسر واذا لم نحزن عليـــه فمن ذا الذى يحزن ؟ أما الغورى وجيشه فليسوا أكثر من أنهم يدافعون عنا ولن يستطيعوا أن يفعلوا أكثر من هذا ولا علم لهم بالعيارة ، ولن يحزنوا على ورد ، ولو حزنوا فماذا هم فاعلون ؟ سأذهب أنا وأرد عليه وما ادعاه من عيارة » ٠

رد عليها سمك بقوله « ان الغورى ســـوف يغضب ، وهم أناس جبليون ولا يعرفون من أجل ماذا نقوم بهذا العمـــل ، وليس من الخير اغضابهم لأننا حينما جئناهم واستقبلونا وأبدوا غاية الفتوة والمروءة ، فواجب علينا اطاعة أوامرهم ولا يجوز أن نفعل غير هذا ، ولما كانوا يبدون الشهامة ويقدمون المروءة فلا نستطيع أن نفعل غير ما يفعلون » ٠

قالت ضياء « سأذهب لأن كل شخص يعرف عمله ، وابق أنت على همتك فيها تستـــتقيم الأمور » ولم ير ســـمك سبيلا لمنعها فقـــال لهـــا « أنت أدرى بما تفعلين » ٠

وضعت ضياء سلاحا خفيفا ولبست ملابس قديمة فوق السلاح ، ووضعت عمامة قديمة وخرجت الى الطريق وسارت الى أن وصلت الى طليعة

الغورى وكان حبيب وفاتك ومصارع يقفون يقظى متنبهين مع ألف من الفرسان ، فمرت ضياء بالحيلة من بينهم وسارت الى أن وصلت الى أول الوادى فأخذت فى الغناء بصوت مرتفع لكى يسمعها الحراس وهى تسير ، فقال الحارس لنفسه لو أنه كان من الأعداء لما صـــاح ولما غنى بصوت مرتفع ولعبر الطريق متخفيا ، لاشك أنه من جيشنا لأنه يسير هكذا فى جرأة . وسارت ضياء الى أن وصلت الى طليعة غاطـوش فقـالوا لها « من أنت ؟ » .

أجابت ضياء « أنا جاسوس ذاهب الى البطل غاطوش » . فتركوها وأرسلوا معها فارسا الى أن وصلا الى خيمة غاطوش . فدخلت ضياء الخيمة فى جرأة وأدت التحية ، وكان غاطوش جالسا على عرشه مع الأبطال وقالت له « أيها البطل ، ويا ملك الوديان الاثنى عشر ، أسرع ان كنت تريد أن تفعل شيئا فافعله لأن الغورى والجبالى وجهاد وحبيب ومصارع وفـاتك يقومون بأعمال تخريب ولا يبـــالون بشىء ، ولو ذهب عشرة فرسان لأمسكوهم » .

حين سمع غاطوش هذا الكلام فـرح وأمـر فى الحال أن يذهب مائتا فارس معروف ليقوموا بهذه المهمة بحيث لا يشعر بهـــم أحد ، وينطلقوا الى وادى الغورى حيث الجميع نيام فيغافلوهم ويقبضــــوا على هؤلاء الرجال ، فانطلق الفرسان فى طريقهم .

كانت ضياء واقفة وورد أمامها ملقى على الأرض فى القيود والأغلال بينما انشغل غاطوش فى تناول الراح وتبادل الأقداح ، وأخذت ضـياء تجىء وتروح ، وفى غفلة منهم وضعت منوما فى شرابهم ، ثم أخذت ترقبهم الى أن أفرغ كأسا من الشراب فى جوفه وكان ثملا ، فخر فى نوم عميق ، كما أن خاصته الذين كانوا معه شربوا من نفس الشراب المخدر فغابوا عن وعيهم بدورهم .

وتقدمت ضياء الى ورد وفكت قيودها وأغلالهـــا وأمسكت يدها وأخرجتها من الخيمة وقالت لها « يا أختاه ، فليهدأ قلبك فليس هناك شىء مما تفكرين فيه ، اننا لن نستطيع الذهاب الى وادى الغورى لأن الجيش فى الطريق ، فاصعدى هذا الجبل الذى يواجهك وستجدين على قمته طريقا يوصلك مباشرة الى معسكر خورشيد شاه ، وحينما تذهبين اليه أخبريه عن أحوالنا كما رأيتها لأن لدى بعض الأعمال فى هذا المعسكر ولعلى أستطيع أن أخرج من وسطهم بالحيلة والدهاء » .

قالت ضـياء هذا ووجهت ورد الى الطريق ثم عادت الى خيمـة غاطوش ، وخلعت عمامته وعباءته ولبستهما وقالت لنفسـها لن أقتل غاطوش لأنه لم يسىء لى فى شىء ، ثم خرجت من الخيمة ، وكان حصان النوبة (١) واقفـا فركبته وانطلقت ، وكان كل من يـراها يعتقد أن غاطوش أنعم عليها بهذه الملابس ولهذا لم يوقفوا ضياء فى الطريق ٠

فى الجانب الآخر فان فرسان غاطوش ساروا بهدوء حتى وصلوا الى أول الوادى وكان على رأس الطليعة حبيب وفاتك ومصـارع وهم متنبهون ، فلما رأوا الفرسان يتقدمون بهدوء لكى يهجموا عليهم كتموا أنفاسهم حتى تجمع كل فرسان غاطوش على مدخـل الوادى ثم انقضوا عليهم من مكمنهم ، وكانت الليلة مظلمة فاختلطوا بعضهم بالبعض الآخر ، وصمد رجال الغورى حتى طلع النهار ففر أحد عشر فارسـا من فرسان غاطوش جرحى متعبين بينما قتل الباقون ٠

كانت ضياء قد وصلت الى بداية طليعة جيشها ووقفت أمامها الى أن أخذت فى العودة فعادت معها الى الغورى الذى كان قد جلس على عرشـه وجاء الأبطال لخدمتـه ، وكان سمك جالسـا فى مكانه بينما أخذ الناس يتناقلون أخبار المعركة ، فوقعت عينـا الغورى على ضياء فسـأل « من هذا الفتى ؟ » فأدى سمك التحية وقال « أيها البطل ، انها خادمتك ضـياء » ٠

قال الغورى « ومن أين حصلت على هذه العمامة والعباءة فأنا لم أخلع عليها بشىء ؟ فتقدمت ضياء وأدت التحية وقالت « انها أيضا من اقبالك وسعدك » ثم أخذت تتكلم عما فعلتـه من ذهابهـا الى معسكر غاطوش وتحريضهم على القتال ليلا ووضعها المنوم فى الخمر الذى شربه غاطوش ووقوعه مخدرا على عرشـه ، ثم فكهـا لقيود ورد وارسـاله الى معسكر خورشيد شاه ، وكل ما حدث حتى عادت اليهم ٠

سألها الغورى « ولماذا لم تقتلى غاطوش ؟ ٠

أجابت ضياء ؟ أيها البطل ، لم يكن لدى الوقت ، كما أنه لم يحن أجله بعد » فأثنى عليها الغورى وكل الأبطال الى أن قال الغورى « فلنشرب اليوم ونفرح على هذه السعادة ، فأمس كانت ليلة حرب ، وسنرسل شخصا الى غاطوش ليخبره أننا لن نحارب اليوم ويجب أن نخلى الميدان من الجند ٠ ثم أرسل شخصا ليخبرهم بهذا ٠

---

(١) كان الملوك والأمراء والقواد يجعلون بعض خيولهم جاهزة للانطلاق بها فى حالات الطوارىء ، وكان يجـرى اسـتبدال هـذه الخيـول بغيرها حتى تتـاح لهـا فرصـة الاكل والراحة وكانت تسمى خيل النوبة ٠

في الناحية الأخرى وصل المنهزمون الأحد عشر الى معسكر غاطوش فذاع خبر مقتل الكثير من الرجال وحزن الجميع وتضايقوا وتصاعدت الجلبة والضوضاء فاستيقظ غاطوش من نومه وسمع ضوضاء الجند وجلبتهم فسأل « ماذا حدث ؟ » ٠

أجابوه « أيها البطل ، أمس حدث كذا ، وقتل كثير من الفرسان » وذكروا له ما جرى فحزن وطلب ملابسه فلم يجدوا عمامته ولا عباءته ولا حصان النوبة فاخبروه بهذا ٠

قال غاطوش « انظروا ان كان ورد موجودا ؟ فقالوا أيها البطل « لقد أخذوه » ٠ فاضطرب غاطوش وقال « هذا فعل سمك العيار ٠ ماذا أفعل معه ، لقد غمرني بشهامته وفتوته اذ لم يمسني بأذى ، واذا كان الأمر هكذا فلا أدرى ما العمل معهم ؟ يجب علينا أن نكتب رسالة لأرمنشاه نذكر له فيها أحوالنا وأننا لا طاقة لنا بهم حتى يأمر بما يجب عمله » ٠

وفي الحال أعدوا الرسالة وشرحوا له أحوالهم وما فعله في ميدان القتال ووقوع ورد في الأسر ثم أخذه ثانية كما حدث ، وأرسل الرسالة لأرمنشاه في نفس الوقت الذى وصل فيه مبعوث الغورى ليخبرهم أنهم لن يحاربوا اليوم حتى يخلوا ميدان القتال وترك لهم هذه الرسالة وعاد ٠

## السجن السرى

كان الغورى مشغولا بالشراب في معسكره ، بينما كان سمك وجماعته يشربون فى مكان آخر ٠ وبعد ساعة أو بعض الساعة وقف سمك وقال « أيها الرجال ، سأذهب لأشاهد آخر الوادى وسأعود بعد ساعة أقضيها فى المشاهدة والنزهة فابقوا في أماكنكم حتى أعود » ٠ قال هذا وخرج وسار فى طريقه نحو نصف فرسخ فرأى روضة كثيرة الأشجار غزيرة المياه ، فواكهها كثيرة متنوعة ، لم ير أجمل منها فقال سبحان الاله الذى خلق مثل هذا المكان ، فكل هذه الينابيع والمياه الجارية حفظها بعيدا عن طريق مرور الناس وعبورهم وجعل عليها قوما لايعرفون قيمة هذه النعم » ٠

كان سمك يناجي الله هكذا وهو يتجول فى الروضة ويشاهد ما فيها حتى بلغ نهاية الوادى فوجده مسدودا بجبل كما لو كان بناء ماهر قد بناء

كحائط مستقيم حتى أن النملة لاتستطيع تسلقه ، ورأى المياه تتدفق من عين تنبع بين الصخر الصلد ، فأخذ يتجول فى نهاية الوادى حتى وصل الى خميلة متسعة جميلة ، ورأى فيها الكثير من الاموال من ذهب وفضة وجواهر وملابس وسلاح ملقاة بعضها فوق بعض وليس لها حد فهى أكوام وأكوام ٠

تحيرت عينا سمك من كثرة الأموال وقال لنفسه « أى ملك لديه فى خزائنه أموال كهذه ؟ وأخذ يتجول بين هذه الأموال الى أن وصل الى ناحية وأخذ ينظر فوصل الى سمعه صوت أنين ٠ فقال لنفسه « فلأنظر ما هذا ؟ ومن أين يأتى هذا الأنين ؟ وماذا يمكن أن يكون ؟ فلما بحث رأى بابا عليه قفل كبير فقال أكسر هذا القفل وأرى ما وراء الباب فالمسافة من هنا الى مقر الغورى نحو فرسخين ٠ ثم عاد وفكر وقال لنفسه « أليس لك عقل يا سمك ، لقد نزلنا عند الغورى بالأمانة ، والخيانة منافية لشروط الأمانة، ولما كان يجيرنا وسلم لنا المكان لنقيم فيه فلا يجوز أن نخونه لأن هذا ليس من أعمال الفتيان وكان يحدث نفسه بهذه الأفكار ، وعاد من ذلك المكان وانضم الى رفاقه ضياء وينال بن سنجانى ولهيب والأخوين القصابين وسعد العيار وهؤلاء الرجال السبعة ، ومع أن الغورى وشحشام كانا دائما عندهم الا أنهما فى تلك الساعة لم يكونا هناك ، كما أن ورد كان قد توجه الى معسكر خورشيد شاه ٠

حينما عاد سمك كان الليل قد بدأ يرخى سدوله وذكر لهم سمك ما كان قد رآه فقالت ضياء « أيها البطل ، سوف أذهب معك غدا لأرى ذلك المكان وأعرف ما هو وكيف شيدوه فقال لها سمك « لا بأس » وظل الجميع حتى انقشع الظلام وطلع النهار وكانت الحرب موقوفه وكان الجميع مشغولين بالشراب ٠

كانت ضياء متشوقة لمشاهدة تلك الخميلة ونبع الماء والباب الحديدى فقالت « قم يا سمك لكى نذهب وأرى ذلك المكان « فقام سمك وقال فلنذهب » ٠ قال لهيب « وأنا أيضا آتى معكما » وقال ينال بن سنجانى « لقد تعهدت لى أن تأخذنى الى كل مكان تذهب اليه ولا تحرمنى من خدمتك » ٠

قال سمك « لا يجوز أن نفعل هذا ، واذا كنت سآخذكم فيجب أن آخذ الباقين أيضا فلا يوجد صديق خاص والآخر عام ، كما أن ذهابنا كمجموعة ليس مستحيا لأنه اذا حدث وطلبنا الغورى ولم يجدنا فقد يضرنا هذا ويلحق بنا العار ومن الأفضل أن أصطحب واحدا كل يوم » ٠

قالت ضياء اليوم نوبتى لأننى أول من طلب صحبتك ، وسارت مع سمك حتى اتوا تلك الخميلة وأخذا يشاهدانها وما بها من فاكهة كثيرة ، ثم توجها للنبع وشاهدا الماء الغزير المتدفق من قلب الصخر ، وذلك الجبل الذى يظن الرائى أنهم نحتوه وسووه بمبرد • ثم دخلا من الباب ووصلا الى تلك الأموال وتعجبت ضياء من كثرتها ، ثم تقدم سمك وأطلع ضياء على الباب المغلق فجاءت اليه وعليه قفله وسمعت أنينا يأتى من خلفه فأمسكت بالقفل وحاولت ثنيه لتكسره فلم تقدر عليه لكبره وسمعت صوتا من الداخل يقول « مـن » ؟ •

أجابت ضياء « أيها الرجل الحر الموجود خلف هذا الباب ، لماذا تئن هكذا ؟ وماذا أوقعك هنا ؟ وأى مكان هذا ؟ • فسمعت الصوت من الداخل يقول لها « أيها الرجل الحر الذى جئت الى هنا وتحزن علينا هكذا ، افتح الباب وتعال الى هذا المكان وانظر ما نحن فيه من بلاء » •

قالت ضياء « لقد وضعوا قفلا على الباب ولا أستطيع فتحه فأين أجد المفتاح ؟ فجاءها الصوت يقول « ان المفتاح تحت عرش الغورى ، أن استطعت أن تأتى به من هناك وتفتح الباب وتنقذنا من هذا القيد والسجن والغم واجلب لنا السعادة فقد صرنا عاجزين » •

حينما سمعت ضياء هذا الكلام تعجبت وقالـت « ماذا يمكن أن يكون هذا المكان ؟ والتفتت الى سمك وأخبرته بما سمعت فتعجب وقال « يا ضياء ، ربما كان الغورى قد سجن شخصا أو أن هذا المكان هو سجن الغورى فما شأننا به ؟ •

قالت ضياء « أريد أن أفتحه وأعرف كيف هو ومن بداخله • فرد عليها سمك بقوله « يا أختاه ، لا تتعجلى فعندى نفس الرغبة ، ولكن ليس هذا وقت العمل وعندما يحين الوقت فسوف نعرف » قالا هذا ورجعا وعادا الى مكانهما بين أصحابهما •

## الملك أرمنشاه يستعين بابن أخ الغورى :

يقول صاحب الأخبـــار أنه حينما وصلت رســـالة غاطوش الى أرمنشاه قرأها وعرف فحوها فاغتم وارتعش وأخذ يعض ظهر يده بأسنانه من الغيظ ثم عقد مجلسا حضره الأبطـــال فعرض الملك عليهـــم أحوال الغورى كما ذكرها غاطوش ، فتعجب الأبطـــال الذين حضروا وكذلك

الخاصة والمقربون مثل قزل ملك ابن الملك أرمنشاه ، وشهران الوزير ، وشـــاكر صاحب لقلم وسليم البطل وسعاد وارغون الملك والأبطال والأمراء وغيرهم ٠

قال أرمنشاه ما التدبير وأمامنا هذا العدو وخلفنا ظهر عدو آخر ؟ وما هي السبيل وهم يقومون بمثل هذه الأعمال ؟ وطأطأ رأسه من الحزن والغم ٠ فقال شهران الوزير « أيها الملك ، يجب أن نكتب رســالة الى غاطوش مع خلعة ووعود كثيرة ٠ ونرسل رسالة الى شاهان في الوادى الرئيسى وهو ابـن أخ الغـورى والذى كان أبـوه ملكا على الوديـــان الاثنى عشر ، واذا كان شاهان الآن غير ظاهر الا أن الوديان الاثنى عشر في حكم أن تكون كلها في الوادى الرئيسى ولنرســـل الى شاهان خلعة وأموالا وفيرة ومنشور الوديان الاثنى عشر ، ونطلب منه أن يبعث رسلا الى الوديان لجمع الجند والفرسان ، لأن أمور الجبال لايعرفها الا أهلها ٠

قال الأبطال جميعا « نعم الرأى ، أحسنت وأصبت أيهـا الوزير العاقل العالم » ٠

قال الملك « اكتب الرسالة وهيىء الخلع وأرسلها على جناح السرعة لعلها تأتى بنتيجة » ٠ فقال شهران الوزير « أيها الملك ، سوف أكتب رسالة لغاطوش البطل أعتذر اليه كثيرا لأننا نواجه عدوا عظيما على رأسه الملك فغفور وخورشيد شاه ومعهما جيش لا حصر له ولاعد ٠ ولا نستطيع أن نتركه ونجيء اليك حتى لاتضيع ولاية منغوليـــا ٠ وعليك أن تكابة وتكافح وتحاول أن تصد جيش الغورى ، فقد كتبنا رسالة الى شاهان لكى يجمع الجيش من الوديان وتتعاونا لعلكما تستطيعان عمل شيء لأن سمعتنا وكرامتنا معلقة في رقبتك وقد وقع هذا العمل عليك ٠ وعليك أن تبذل قصارى جهدك في تحقيق النصر » ٠

وكتب سيلم رسالة أخرى الى شاهان مدحه في أولها وقال « نحن نعلم أن البطل شاهان لم يشأ أن يتدخل في شيء منذ رحل أبوه عن الدنيا ومع هذا فان حكمه نافذ على الوديان الاثنى عشر وأمره على الجميع مطاع لأنه ينوب عن الملك ٠ ولتعلم أنه ظهر لنا عدو عظيم اسمه سمك العيار ، وأنا على يقين من أنك تعلم ما قام ويقوم به ، من ذلك أنه جاء الى الوديان الاثنى عشر ، وصعد الى القلعة وقتل غضبان البطل وخلص خمســـة من أعوانه كنا قد أوقعنا بهم وسجناهم هناك فأخذهم من القلعــة مع أموال طائلة بحيث لم يشعر به أحد من أهل الوديان ٠ وحين علمنا أرسلنا لهم

ليمسكوه فالتجأ الى الغورى ـ عمك ـ وخرج الغورى علينا وعصانا ودافع عن عدونا • وقد جمع غاطوش جيشا وحارب ثلاثة أيام ولكنه لم ينتصر • وقد طلب العون ، فيجب عليك حين تطلع على هذه الرسالة أن تجمع جيشا فى الحال وتذهب لمساعدة غاطوش وتقتلع العدو من جذوره ، وستكون لك فى العالم شهرة وسمعة ، ولك علينــا منة ، وهذا العمل قد أنيط بك لأننا نحارب عدونا هنا ليلا ونهارا ، فاقهر عدوك ثم تعال لمساعدتنا • والســلام •

بعد أن ختم الرسالة أمر باخراج أموال كثيرة من الخزينة ، وأعدوا خلعا جميلة ثم قال الملك « من نرسل الآن ؟ • وكان هناك أخ لقراخان الذى كان قد ذهب فى البداية الى الغورى وقتل هنــاك ، وقف وقال « اذا وافق الملك فاننى سأذهب » • فعينه الملك على رأس مائتى فارس وسلمه كل تلك الأموال وأرسله للوديان الاثنى عشر ، وكان هذا البطل يدعى قرقوب ، خرج فى طريقــه وســار الى أن وصل الى أول الوادى ، فأبلغوا غاطوش بمقدمه وأنه آت من عند الملك أرمنشاه •

استقبله غاطوش وأنزله منزلة حسنة ، ورحب به ثم أخرج قرقوب الرسالة الملكيــة وسلمها لغاطوش مع كل تلك الأموال والخلعــة التى أحضرها ، فقدم غاطوش التحية وقبل الأرض ثم قرأ الرسالة ، وعلم ما بها وقال « أيها البطل قرقوب ، قبل أن تذهب الى الوادى الرئيسى عليك بالذهاب الى وادى الغورى وقدم له النصح واستمع لما يقول لعله يقبــل نصيحتك ويحدث شىء ، ولا تكون هنــاك حاجة لجمع الجيوش • وهذه الأموال التى أحضرتها لى ولشاهان احملها معك فان عاد الغورى الى الصلاح واحتاج الى مائة ضعف هذه الأموال فلا بأس من ذلك » •

أجابه قرقوب « سأذهب » • ثم قــام وســار ومعه خمسون فارسا وتلك الأموال وتوجه الى الوادى ، فلما اقترب منه تصايح الناس ظنا منهم أنه قادم للحرب وأخذوا يلقون عليهم الحجارة ويطلقون السهام • فصاح قرقوب قائــلا أنهم لم يأتوا للحرب ولكنهم رســل من الملك أرمنشداه الى الغورى ، فهدأ الناس وذهبوا وأخبروا الغورى فقال لهم « احضروه لأنظر ماذا يحمل من رسائل » • فأحضروهم وأتوا بقرقوب أمام الغورى •

كان سمك جالسا مع أصحابه أمام الغورى عندما دخل قرقوب وأدى التحية فرحب به الغورى وأكرمه • وعرض قرقوب تلك الأموال والنعم والخلعة فقال له الغورى « لقد رأيت الأموال التى أحضرتها ، ورأيت أكثر منها وأرى ، فقل ماذا تحمل من رسائل » •

قال قرقوب « ايها البطل ، ان أرمنشاه يبعث اليك السلام ويقول ان البطل الغورى يعلم أننى لم يلحقنى منه أى ضرر او اذى . ولم اسمح أن يصيبه أذى منى أو ضرر حتى هذه الساعة . وقد مضت الأيام وفق ارادته ومشيئته ، وحافظت عليه سليما معافى ، ولم أطلب منه خراجا فى اى وقت ولم أحاربه كما أنه لم يخدمنى كما يخدمنى الملوك ، فلماذا يتفق الآن مع الاعداء ويتحد ، ويخرج عن طاعتى ؟ لقد أرسلت اليه رسولا فقتله . فمن من الملوك أو الأبطال قتل رسولا أو أمر بقتله منذ زمن جيومرث وجمشيد (١) الى هذه الساعة . فلا تفعل هذا لان عاقبته ليست حميدة ، وكل الأوقات ليست واحدة والدنيا ليست دائمة ، وأنت تعرف قدرة جيوش الوديان الأثنى عشر التى ان اجتمعت على عداوتك ففى ذلك خسارة لك ، ولا تقل ان ذلك من أجل شخصين أو ثلاثة جاءوا اليك فتتخلى عن بلدك ومالك وموطنك ومأواك فارسلهم الى واخرج ذلك الحقد من قلبك حتى نهبك ملك الوديان الأثنى عشر ونصير شركاء فى الملك » .

قال الغورى « قلت مرارا أننى لن أسلم لك اللاجئين الى ، وأنا لست ذلك الرجل الذى يفكر فيما تقول أو تفعل ، واذا كنت حتى الآن هانئا ، ولم أرسل خراجا أو أذهب للخدمة ، فقد كانت العادة هكذا منذ القدم اذ لم يذهب أبى أو أى من أجدادى لخدمة أى ملك ، ولم يدفعوا لهم خراجا . فلأى سبب أدفع أنا الخراج ؟ هل صرت شخصا عاجزا ضعيفا حتى آتى للخدمة ؟ واذا كنت قد اتفقت مع أعداء الملك — ان كانوا أعداء — فقل لى أنهم أعداء لكم ، وإلا فانهم أصدقائى واخوتى وأبنائى وقد التجأ البعض لحماى واستجار بى ، والتخلى عن المستجير ليس من صفاتى لأن ذلك من صفات السفلة وأعمالهم . هذه هى فتوتى وشهامتى . أما اذا كنا قد قتلنا الرسول ، فلم يكن ذلك منا بل منه ، فالرسول حينما يذهب الى مكان لا يقول كلاما لم يقله له الملك ، واذا تطاول فى الحديث فقد خرج عن حدود رسالته وخان أمانته ، وخائن الأمانة يجب قتله لأن الخيانة حقيرة .

واذا كان يقول ان الدنيا ليست دائمة ولا تسير على وتيرة واحدة ، فانها لو لم تكن هكذا لما كان هو حتى يظلم ويبطش . والا فماذا فعلت أنا ؟ ثم قل له ألا يخيفنى بجيوش الوديان الأحد عشر لأنه أن اجتمعت جيوش الدنيا وفوقها جيوش الوديان الأحد عشر الأخرى فاننى لن أخاف أو أطلب

---

(١) ارجع الى هامش ص ٨٧ .

منهم الأمان ، ولن أهتز وسوف أحاربهم ما بقيت روحى فى جسـدى • فماذا يهم اذا حاربت جيوش أحد عشر واديا والعالم كله •

أما اذا كان الملك يريد أن أصير من خدمه وأقف على طاعته وخدمته وأنهى هذا الصراع وأطرد هذين الشخصين أو الثلاثة من عندى فليتفق معى على أمر هو أن يرسل عشرة أشخاص أحتفظ بهم كرهائن وأسلمك سمك وأصحابه مع رجالى ليمروا من بينكم ويوصلوهم الى معسكر خورشيد شاه وحينما يعود رجالى أعيد لكم رهائنكم وأعود نفس الغورى الذى كان ، لا أضمر ضغينة ولا أخوض حربا • فاذا وافق على هذا القرار فحكمه نافذ ، وليس عندى ما أقوله أكثر من هذا ، فكثرة المجىء والذهاب والكلام الفارغ لا فائدة منها » •

حين قال الغولى هذا ، وقف قرقوب لكى يذهب ، فقال له الغورى « احمل معك ما أحضرته فلا رغبة لى فيه » •

فرد قرقوب بقوله « ان اعادة كل ما أحضرته لك لا يجوز » •

فقال له الغورى « خذه فلسنا فى حاجة الى مال يأتينا عن طريق الضعف » • فحمل قرقوب الأموال وسار بين الجبال حتى عاد الى غاطوش فأعاد عليه ذكر ما دار بينه وبين الغورى • فقال غاطوش « من أجل هذا أرسلتك حتى تعرف أحواله ، وعليك أن تذهب الآن الى شاهان فى الوادى الرئيسى وتقدم له الرسالة والخلعة وتخبره بالأحوال » •

سار قرقوب حتى وصل الى أول الوادى الرئيسى فأبلغوا شاهان أن رسولا وصل فاستقبله شاهان حتى أنزلوه وأكرموه وقاموا على ضيافته الى أن أخرج قرقوب رسالة الملك وقبلها وسلمها الى شاهان وعرض عليه تلك الأموال والخلعة •

فض شاهان الرسالة وقرأهـا وعلم ما بها ثم قال لقرقوب « سمعا وطاعة ، ولكن هل تذكرنى الملك الآن ؟ انه يدعونى اليوم شاهان ملك السبعين واديا اضافة الى الوديان الأثنى عشر ، ولى عتاب ولكن له وقته » ثم قال « يا قرقوب ، عد ــ رافقتك السلامة ــ وابق عنه غاطوش حتى أجمع الجيش وأحضر اليكم • ومع أن الغورى شقيق أبى ولكننى سأعمل معـه عملا سوف يذكرونه ما بقيت الدنيـا من أجـل خاطر الملك ولأننى شخصيا أكن له عداء يدفعنى لأن أصنع فيه ما يستحقه » •

قال هذا وخرج قرقوب متوجها الى غاطوش فذكر له ما سمعه من شاهان وبقى عنده •

**دق طبلة بحرب الوديان الاثنى عشر :**

نعود الى حديث شاهان والاستعداد وجمع الجيش فيقول صاحب الكلام وراوى القصة انه حينما توجه درضرب رهب الى غاطوش أرسل شاهان في الحال شخصا الى اسفل القلعه ونادى ، فأدلت النسوة اللائى كن بالقلعة سلما وصعد الرجل للقلعة التى كان غضبان مستحفظها وقتله سمك . وهذه القلعة كانت على أول الوادى الرئيسى وكان فوق القلعة طبلة من النحاس كانوا كلما أرادوا جمع أهل الوديان الاثنى عشر لأمر هام دقوا تلك الطبلة التى يصل صداها الى الوديان كلها فيعرف الناس ان حدثا قد وقع فيتوجهون الى الوادى الرئيسى .

عندما صعد الرجل الى القلعة قرع تلك الطبلة فى الحال فلما سمع الناس فى الوديان صوتها توجهوا الى ألوادى الرئيسى خاصة وأنهم كانوا يعرفون خبر حرب غاطوش والغورى وأدركوا أنهم يريدونهم لهذا . فذهبوا الى الوادى الرئيسى وخلال أسبوع كان قد أجتمع خمسون ألفا . فأعاد شاهان المراسم والقواعد السابقه وتولى القيادة و عقد مجلسا ورحب بالجميع ومد مائدة للحاضرين فأكلوا جميعا ، وحين انتهوا من الطعام أخذوا فى تناول الشراب وعرض عليهم شاهان رسالة الملك وذكر أحوال الغورى وأنه عصى وقال ومع أنه عمى الا أنه خرج عن الطاعة من أجل جماعة من اللصوص المعدمين حيث جاء رجل جرىء اسمه سمك العيار وهتك حرمة القلعة وقتل غضبان مستحفظها ، وكان بها بعض أتباعه أخرجهم منها وذهب الى وادى الغورى الذى أعلن عصيانه من أجل حمايتهم وخرج عن طاعة الملك وعادانا . وقد ذهب البطل غاطوش على أول الوادى مع جيش جرار وحدثت معركتان أو ثلاث قتل فيها كثير من رجال غاطوش ، ولم يستطيعوا النيل منه أبدا ، ولهذا كتب رسالة الى الملك وطلب منه العون والمدد . ونحن الذين سنكون العون والمدد لأن الملك مشغول بحرب الفغفور وصهره خورشيد شاه ولا يستطيع الانشغال بحرب الغورى . ولهذا كتب لنا رسالة يطلب مساعدتنا لكى نذهب ونرد على الغورى ونقهر أعداء الملك » .

قال الجميع « سمعا وطاعة ، ان أمر الملك نافذ علينا ، فما بقيت فينا روح فسوف نحارب من أجل الملك ومن أجل سمعتنا » . فأثنى شاهان على الجميع وخلع عليهم خلعا ثمينة كل حسب درجته ورتبته ثم أمرهم بالسير الى ميدان القتال .

حينما اقتربت جيوش الوديان أخبروا غاطوش بمقدمها ومن شاهان علي وشك الوصول على رأس جيش جرار ، فارسل غاطوش جنده لاستقبالهم فقال له قرقوب « أيها البطل ، فلنذهب أيضا لمشاهدتهم من مكان يمر منه الجيش أمامنا » .

فقال غاطوش « فلنصعد الى تلك الاكمة (١) حيث سيمر الجميع من أمامنا ليصلوا الى المعسكر غدا » . ثم قام غاطوش ومعه قرقوب وصعدا الى تلك الأكمة وفجاة وصل علم أحمر عليه رسم أسد وتحت العلم شاب وحوله نحو سبعة آلاف فارس فقال قرقوب « أيها البطل . من أي واد هذا الشاب وما اسمه ؟ » .

أجابه غاطوش « هذا الشاب اسمه حسن ، وهو من وادي ألوان ، وهو على اسم أبيه لأن أباه كان اسمه ألوان وهو معروف بهذا » .

فلما مر حسن ظهر علم آخر لونه أزرق عليه رسم صقر ، وتحت العلم شاب معه نحو عشرة آلاف فارس فسأل قرقوب « من هذا ومن أي الوديان ؟ » .

أجابه غاطوش « اسمه دخان وهو من الوادي الأسود » .

وحينما مر هؤلاء ظهر علم عليه رسم فهد وحوله نحو أربعة آلاف فارس كلهم فتيان أقوياء وقائدهم رجل كهل فسأل قرقوب « من هذا ؟ » .

أجابه غاطوش « انهم يسمونه الخوزي وهو من وادي العين » .

وحين عبر هؤلاء ظهر علم آخر عليه رسم نمر وتحته شاب مهيب الطلعة مخيف ومعه نحو ستة آلاف فارس جميعهم مقنعون فسأل قرقوب « من هذا ؟ » .

رد غاطوش « اسمه عيلاق ، وهو من وادي أخي غضبان الذي قتل على يد سمك في القلعة وهذا الوادي يسمونه باسمه » .

فقال له قرقوب « كان أخوك في القلعة وهذا الوادي قديم في الوجود فما سبب تسميته باسم شخص ؟ » .

أجابه غاطوش « كان أخي في ذلك الوادي وقد عمر به طويلا فعرف الوادي باسم غضبان ، ثم ذهب الى القلعة وكان قد اشتهر وصار كهلا

---

(١) الاكمة مرتفع من الأرض بين التل والجبل .

وأوكل أمر الوادى الى عيلاق . وكل واد من هذه الأودية صار له أكثر من اسم . اذ أنه بعد كل عدة سنوات يظهر بطل فى واد من تلك الأودية فيسمونه باسمه ، ويظلون يطلقون عليه اسمه القديم أيضا . وكان غاطوش يقول هذا وهو يبكى على فراق أخيه .

بعد ذلك ظهر علم آخر من سبعة ألوان تحته شاب معه خمسة آلاف فارس فسأل قرقوب « من هذا ؟ » .

أجابه غاطوش « اسمه أمير ، وهو من وادى النواعير » .

وظهر بعدهم علم آخر عليه رسم فيل وخلفه نحو خمسة آلاف فارس فقال قرقوب « لمن هذا الجيش ؟ » .

قال غاطوش « انه من وادى الصيد وقائدهم اسمه سهم » .

فلما مر هؤلاء ظهر علم فيروزى عليه رسم العنقاء وتحته شاب معه ستة آلاف من الفرسان فسأله « من أى واد هذا وما اسمه ؟ » .

أجاب غاطوش « انه من وادى الأفاعى واسمه هولان » .

فلما عبر هؤلاء مر علم عليه رسم التنين وتحته شاب كأنه قمر وخلفه نحو عشرة آلاف فارس فسأل قرقوب « من هذا الذى يسير بكل هذه العظمة والعزة ؟ » .

أجاب غاطوش « انه شاهان الذى حملت اليه رسالة الملك ، وهذا الجيش هو آخر جيوش الاثنى عشر واديا » .

فسأله قرقوب « وهل جاء الجند من الاثنى عشر واديا ؟ » .

فرد غاطوش « لا ، بل من تسعة أودية لأن جميلا كان قد جاء من وادى الأكراد وقتله الجبالى ، كما أن وادى الغورى هو الذى أعلن العصيان ، ونحن بالوادى الذى أحكمه ويسمونه باسمى » .

قال هذا وعاد الى المعسكر وبقى الى أن تجمع ستون ألف فارس من الأودية التسعة فأعد لهم غاطوش الضيافة ودعا شاهان وكل الأبطال الى مجلسه لتناول الطعام . ومع أن شاهان كان ملكا على الوديان الاثنى عشر ، الا أن غاطوش كان هو المضيف ، وذكر لهم أحوال الغورى أثناء وجودهم فى مجلسه فقالوا « لقد جئنا من أجل هذا ، ولنذهب لحربه ونحاصره فى واديه ونهزم الجميع » .

قال شاهين « ليس من الصالح ان يذهب كل هذا الجيش مرة واحدة الى وادي الغوري لأن المكان ضيق ، كما أن الغوري رجل حكيم داهية وأنا اعرفه جيدا ولهذا يجب أن نبقى فى هذا المكان على ان يخرج كل يوم جيش للقتـال ·

فقال غاطوش « نعم ما قلت ، يجب أن نعمل هكذا » · واتفق الجميع على هذا وقاموا ، وأخذ حسن ودخان والخوزى وعيـلاق وأمير وسنجان وهولان وأخوه حورتك يتناقشون وكان كل منهم يقول انه سيذهب للقتال اولا · فقال شاهان « لا تتنازعوا فلستم ذاهبين لتناول الحلوى ، فكما وصلتم سيكون خروجكم » ·

## نقدم أرواحنا فداء لمبادئنا :

قال حسن « لقد كنت أول الجيش ، وستكون المعركة الأولى لى » ·

فقال شاهان « لا بأس » ثم ذهب كل منهم الى موقعـه حتى انقضى الليل · وفى الصباح الباكر خرج حسن على رأس ثمانيـة آلاف فارس مجهزين وتوجه الى أول وادى الغوري ، فأخبروا الغورى أن جيوش الأحد عشر واديا قادمة اليك وأنهم اجتمعوا عند أول الوادى فقال لهم « عندما سمعت صوت الطبل من القلعة علمت أنهم يجمعون الجيوش فماذا يخيفنا من جيوش العالم » ·

عندما وصل حسن أمر الغورى بجمع الجيش فاتجه الى أول الوادى اثنا عشر ألف فارس ووقف الجيشان متواجهين وارتفعت دقات طبول الحرب من الجانبين فسوى النقباء صفوف الجيشين وتقدم سمك العيار نحو الغورى وأدى التحية وقال « يا أيها البطل ، هل تأذن لى فى الدخول الى الميدان لأن هذا الأمر حدث من أجلنا وكل هذه الضجة والحرب بسببنا فلعلنا نستطيع أن نفعل شيئا ، فلو لم يكن هذا من أجلنا فما شأن هؤلاء بالحرب وما هى العداوة التى يضمرونها لك ؟ »

قال الغورى « يا سمك ، ألم أقل لك مرارا أنه لا شأن لك بالحرب ؟ نحن الذين نحارب ، ونحن الذين نقدم أرواحنا فداء لمبادئنا » ·

فأجابه سمك « أيها البطل ، أن الفتوة والشهامة ثابتة لك وأظن أننا شجعان وعيارون ونحن لا نفيدكم فى شىء · أن الرجال العياريين يجب أن يعرفوا العبارة وأن يكونوا فتيانا ، وأن يكونوا مهرة فى دلج الليل ·

وأن يكون العيار أستاذا فى الحيل ، واسع التفكير ، حاضر البديهة حلو النكتة يقول كلاما لينا ، ويستطيع أن يرد على كل شخص ولا يتأخر أو يعجز ، ويغض الطرف عما يراه ، ولا يذكر عيوب الناس ، وأن يصون لسانه ويقلل كلامه ، ومع كل هذا فلا يجب أن يكون عاجزا عن الحرب فى ميدان القتال ، والا يتأخر أو يتوانى اذا حدث حادث ، فاذا لم يتخلف عن شىء مما ذكرت فانه يستحق لقب عيار يطلقه على نفسه ، كما يستطيع أن يتكلم بين الفتيان » ،

قال الغورى « يا سمك ، لى من العمر ستون عاما ، رأيت كثيرا من الرجال وجربت الطيب والخبيث ، وأعرف القتال جيدا ، واذا نظرت الى طول الشخص عرفت مقاس قدمه ولى خبرة فى معرفة مهارات كل شخص أراه ، وحين وقع نظرى عليك أدركت أن لك معرفة بكل شىء ، ولكن لأنك التجأت لحماى فلن أتركك تحارب ما بقيت رأسى فى مكانها وعندما أرحل عن هذا المكان فلا يبقى على شىء ، وأنت تعرف الآن أنه ليس لك أن تحارب ولكن يمكنك المشاهدة فقط » ، فأثنى سمك عليه وشكره ،

## الجبالى أسيرا

اصطف الجيشان وانطلق الجبالى من جيش الغورى بحصانه الى الميدان وأخذ يصول ويجول ويستعرض فنونه القتالية ثم طلب رجلا فخرج فارس من جيش حسن ليقاتله ولكن الجبالى طعنه بحربته وأسقطه عن حصانه ولم يتقدم أحد بعده للميدان ،

استشاط حسن غيظا وثار على جيشه وقال « هل بهذه الرجولة والشجاعة كنتم تطلبون الحرب وصاح فيه قائلا « يا جبالى ، انك مغرور بشجاعتك ورجولتك غرورا عظيما ، هل تظن أنه لم يعد فى الدنيا رجال ؟ ما هذا العمل الذى تقوم به ؟ تخرق العلم وتعصى الملك وتصارع التنين ؟ لا تفعل هذا ولا تفعله ، ثم أنك تحتفظ بهؤلاء الأسرى وتستمر فى هذه الحرب ، منذ متى حدث مثل هذا فى أى واد من الأودية ؟ ،

قال الجبالى « أيها البطل ، لقد سمعنا الكثير من هذا فان كنت قد جئت للحرب فهات ما عندك من فنونها والا فصه ودع غيرك يدخل الميدان » ،

قال حسن « نعم ، ان البطل يرجعنى من الميدان ! فانظر الى طعن الرجال بالسنان » . قال هذا وهجم عليه برمحه فتلقى الجبالى الرمح برمحه وظلا يتطاعنان بالحراب وجاهدا كثيرا حتى تقصفت الحراب فى أيديهما فالقيا الحربتين المكسورتين وتناولا سيفيهما اللامعين كالماس من غمديهما ووضعا الدرق على رأسيهما وأخذا يتضاربان بالسيوف على فرقيهما حتى كسر سيفاهما فى أيديهما . فاستجمع حسن قوته وأمسك بحزام الجبالى ولم يكد الجبالى يتنبه حتى كان حسن قد رفعه من على سرج حصانه واحتضنه وانطلق به الى جيشه وقال لهم قيدوه وارسلوه الى غاطوش ليفعل به ما يشاء لأنه مستاء منه جدا فحملوا الجبالى الى غاطوش وقالوا له هذا شقيق الغورى فقال « يجب الحفاظ عليه حتى نرسله الى الملك أرمنشاه » . وأمر بتقييده وسجنه ووضع الحراس عليه ثم عاد حسن الى الميدان وصاح طالبا رجلا للنزال .

## ضياء فى أسر الأعداء

كان الغورى فى ضيق شديد وأراد جهاد أن يدخل الميدان. ولكن ضياء تقدمت وأدت التحية فلم يقل الغورى شيئا ، فانطلقت بحصانها الى الميدان حتى وقفت فى مواجهة حسن وصاحت فيه . ونظر حسن اليها وسأل « من أنت فلم أرك على الاطلاق فى هذا الوادى من قبل ؟ » .

أجابت ضياء « أيها البطل ، أنا لست من هذا الوادى ، ولكننى هنا الآن ، لم ترنى ولكنك تعرفنى » .

قال حسن « أنت بنت كانون حاكم مدينة منغوليا ، وقتلت أباك وأخاك » .

أجابته ضياء « نعم ، أنا هى ، وسأقتلك أيضا . أنا نفسى من ذكرته وسوف أفعل بك ما فعلت بأبى وأخى . انظر ماذا فعلت بهما وهو ما سأفعله بك الآن » .

قال حسن « يا فتاة ، ألا تخجلى من تلويثك لسمعة أسرة عريقة وخروجك على أبيك وأخيك وقتلتيهما وأتحدت مع مجموعة من العيارين ، ألا تخجلين وتستحين ؟ كان يجب أن تكونى زوجة لبطل وتجلسين فى بيت وتأمرين فى خدمك . لماذا تتحولين الى عيارة ؟ اذا كنت تطيعين أمرى

فعودي واخجلي مما فعلته وعاهديني على أن أتزوجك وتصبحي سيدة الأثني عشر واديا » .

أجابته ضياء « أيها البطل ، اذا كنت قد قتلت أبي وأخي فقد كانا يستحقان ذلك لأن كل من يرتكب عملا لا يليق يقتل . وعلى هذا الأساس خرجت عليهما لانهما ارتكبا ما يتعارض مع الفتوة والشهامة . وليس شرطا أن تكون حسن السمعة في الدنيا لانها أفضل من سوء السمعة . ثم انك تقول انني لوثت سمعة أسرتي . لماذا ؟ إنني الفتاة التي يجب أن يشعر رجال العالم أمامها بالخجل والحياء . انني من كثرة حيائي لو رأيت رجلا أخطأ في كلامه معي فانني أقتله وأقضي عليه . وتقول ان أكون زوجة بطل وأجلس وراء حجاب وآمر خدمي وجواري ؟ أقول لك ان المرأة يجب أن تكون مستورة عفيفة طاهرة سواء كانت في وسط مائة ألف رجل أو خلف حجاب لأنني آنذاك سأعد جميع الأبطال كأنهم نساء بالنسبة لي وآمرهم ـ باقبال وسعد خورشيد شاه ـ الذي قبلني كأخت له . وأنت تريدني زوجة لك ؟ ألم يكن في الوادي رجال لكي يتزوجني أحدهم حتى أتزوجك ؟ دع مسألة الزواج الى وقت آخر ، وان كنت قد جئت للحرب فهات ما عندك ولا تتحدث أكثر من هذا فقد ضاع وقت طويل في هذا المجال » .

اعتقد حسن أن ضياء غافلة أثناء حديثها معه وتقدم لكي يمسك بها من حزامها ولكنها سحبت سيفها لتضربه به ولكنه تراجع وقال لنفسه انها ليست كالآخرين ، لقد حسبتها إمرأة ، انها كمائة رجل . ثم نزع رمحه وهجم على ضياء فتلقت ضياء رمحه برمحها وتشابكا بالرماح وتناوشا بها كثيرا حتى تكسرت في أيديهما فألقياها ثم مدا أيديهما الى سيفيهما وأخرجاهما من غمديهما ثم وضعا القناع على رأسيهما وأخذا يتبادلان الضرب على رأسيهما مما جعل الجيشين يتعجبان من شجاعتيهما ومقدرتيهما القتالية حتى صار السيفان كمنشارين في يديهما .

انهكما في القتال الى أن تمكن حسن وأمسك ضياء من حزامها فأمسكت ضياء بحزامه أيضا ، وبذل كل منهما أقصى ما لديه من قوة حتى أن ظهر حصان حسن كسر من القوة التي بذلها وصارت بطنه على الأرض ، وعند سقوط حسن من على حصانه جذب معه ضياء وسقطا معا من على حصانيهما وكانا آنذاك قد اقتربا من جيش حسن بعد جولات المبارزة بالرماح والضرب بالسيوف فأسرع بعض رجال جيش حسن وأمسكوا ضياء وحملوها الى معسكرهم .

قال لهم حسن « احذروا ، واحسنوا استقبالها لأننى سأتزوجها » . فأخذوها الى خيمة ثم قيدوها ودقوا طبول التحاجز وهم فى قمة الفرح والسعادة ، بينما كان جيش الغورى فى غاية الضيق والحزن . وعاد الجيشان الى معسكريهما وذهب حسن الى غاطوش وذكر ما حدث للأبطال ففرحوا جميعا وانشغلوا بالشراب .

فى لجانب الآخر ، رجع الغورى الى موقعه وكان فى حزن وضيق على أخيه الجبالى وعلى ضسياء ، فلما جلسوا قال لسمك « أيها البطل ، أرأيت ما فعلت ؟ مع كل ما قلته لك لا تفعل مالا اريده فقد ذهبت ضياء الى ميدان القتال وأمسكوها وضاعت سمعتى . وأنا لست حزينا على أخى حزنى على ضياء لأنهم أخذوا أخى بالرجولة والشجاعة فلا يوجد ما يدعو للعار فى هذا ، ولكن طريقة امساكهم بضياء تسبب لى العار والفضيحة .

أدى سمك التحية وقال « أيها البطل ، ان الأمور تسير وفق تقدير الله ولا دخل لجهدنا فيها ، ولا مجال للحزن الآن ، ولا يوجد من هو أعز من أخيك وربما لن يحدث ما يبعث على الحزن » . قالا هذا وبقيا حزينين الى أن حل الظلام وذهب كل منهما الى مأواه .

## لكم طول البقاء

بعد مرور بعض الوقت قال سمك لرفاقه « اننى ذاهب للبحث عن ضسياء لأننى ان لم أشاطرهـا فى محنتها فلا يمكن أن أتصسف بالفتوة والرجولة لأن ضياء لها فى رقبتى حقوق وأنا لا أبخل بروحى فداء لها فقد قتلت أخاها من أجلى وأهلكت أباها فى سبيل حمايتنا والانتماء لنا ، فاذا لم أبحث عنها فلست برجل . وانا ذاهب فان عدت فجر الغد فيها ، واذا لم أعـد فلكم طول البقاء والسـلامة ، وحين تصلون الى خورشيد شـاه فابلغوه سـلامى وقولوا له أن يقتص لى ويطلب دمى وأن يحسن رعايـة رفاقى وأحبائى » .

حين قال سمك هذا ضحك الجميع وقالوا « أيها البطل ، لن ندعك تذهب » . فقال لهم « اننى ذاهب » . فقال له لهيب « سآتى معك لأنك عاهدتنى على هذا » . وقال الأخوان القصابان « نحن أيضا ذاهبان معك » . وقال ينال بن سنجانى « وأنا أيضا ذاهب معك فان شرطك معى ألا افترق عنك » . وقال سعد العيار والآخرون « نحن أيضا سنأتى معك حتى نكون قد قمنا بخدمة » . وهكذا كل واحد قال أنا أيضا سآتى معك .

أجابهم سمك « اننى لا أريد أحدا قط معى لأن ذلك المكان جبلى وليس سهل النجاة ولو حدث مكروه فلن يستطيع المرء أن ينجو بنفسه ٠

قال هذا وربط سلاحه حول وسطه وخرج من معسكر الغورى وتوجه الى معسكر غاطوش حتى وصل الى طليعته وقال لنفسه « لم يسبق لى رؤية هذا المعسكر ولا أعرف مكان خيمة حسن فماذا أفعل والى خيمة من من الأبطال اتجه ؟ قال هذا وظل يفكر أثناء سيره بهدوء حين وصل الى سمعه صوت وقع حوافر خيل فاختفى وأخذ ينظر فرأى ثلاثة فرسان وكانوا يقولون « ما أعظم ما حارب اليوم » وقال آخر « لقد أخذ ضياء الى خيمته التى أمامنا ويسطع منها النور » ٠ فعرف سمك الخيمة وتقدم نحو بابها واختبأ فى ركن وفجأة رأى ضياء وهى تقول لحسن « لقد أسقطتنى عن حصانى لكى أعجز عن قتالك ، حتى لو كنت أسرتنى بالقتال فاننى لم أكن لاستسلم لك ٠ ولأننى الآن فى شباكك وفى قبضة يدك ، فانك تعلم ان البطل لا يقدر على امرأتين خاصة اذا كانت المرأة بألف رجل » ٠

**ضياء وحسن يتصارعان :**

أجابها حسن « ما أعجبك من امرأة بلا حياء ، تقولين هذا وأنت أسيرة ٠ لقد وقعت فى يدى وسأفعل ما أريد ، وأعرف ما سوف أفعله بك » ٠ وكان يشرب الخمر ويلقى عليها جرعة منه ٠

قالت له ضياء « أيها البطل ، لم يصل بى الأمر حتى تشرب الخمر وتقذفنى بجرعة منه ولو كنت قد أسرتنى بشجاعتك ورجولتك لكان لك أن تفعل ما تشاء والا فقم لى بعمل حتى أنفذ ما تأمر به » ٠

سألها حسن « وماذا تريدين ؟ قولى » ٠

قالت ضياء « الخيمة خالية ، فلنتصارع معا فان تغلبت على تكون قد أخذتنى برجولة وشرف ، ولن أقول شيئا بعد ذلك وافعل ما تشاء فالأمر سيكون لك ٠ واذا غلبتك فلا تعقد الأمور هكذا ، ولا تقل مالا يليق لأنه ليس من شيم الكرام والشجعان » ٠

كان سمك يسمع كلامها هذا وهو مختبىء وأخذ يثنى عليها بينه وبين نفسه الى أن قال حسن « يا ضياء ، لعلك لا تعرفيننى فى المصارعة » ثم قام وفك القيد من قدمى ضياء وقال لأحد خدمه « انظر ما معها من سلاح » ٠ فتقدم الخادم يريد أن يفتشها ليعرف ما معها من سلاح ٠

فقالت ضياء « يا حسن ، انني لا أرى فيك أية حمية ، أيفعل الرجال هذا ؟ ألا تريد في النهاية أن تتزوجنى فكيف تسمح لرجل غريب بوضع يده على وتفتيشى ؟ أليس عندك خادمات أو جوارى ؟ أليس عندك ايه امرأة لتأمرها بتفتيشى ؟

عندئذ أمر حسن احدى الخادمات لكى تنظر ما اذا كانت ضياء تحمل أى سلاح ، فلما فتشتها وجدت حربة قصيرة مخبأة فى ظهرها فأخرجتها ، وكان سمك ينظر اليهم وهو يثنى على ضياء التى طلبت أخلاء الخيمة وبقى حسن مع خادمتين ثم انحنى مستعدا لمصارعة ضياء وقال لها « هات ما عندك » وكانت ضياء تريد أن يبدأ حسن بالهجوم عليها .

كان سمك واقفا فقال لنفسه لماذا انتظر حتى يتعلقان ببعضهما فربما حدث خطأ ما ومع أن حسن لن يؤذيها ، ولكن من غير المقبول أن يمسك بها حتى لو كان ليصارعها ، وكان ذا خبرة فى المصارعة ويعلم أن حسن له خبرة مع قوة ، فخرج فجأة من خلف حسن وطعنه بخنجره بين كتفيه حتى أن سن الخنجر خرج من صدره فسقط دون أن يستطيع أن يقول ولو كلمة واحدة . أما الخادمتان فقد استولى عليهما الرعب حتى أنهما فقدتا القدرة على الحركة أو الكلام من مشاهدة رجل يخرج فجأة من ثنايا الخيمة ويقتل سيدهما ، ولم يمهلهما سمك أو ضياء اذ أمسك كل منهما بواحدة وضغط على رقبتها حتى أسلمت الروح .

## ضياء تنقذ الجبالى

قالت ضياء لسمك « أيها البطل ، عد أنت بالسلامة لأننى سأذهب - يرافقنى سعدك - وأخرج الجبالى من السجن فقد تذكرت حيلة من فنونك التى تعلمت منها الكثير » .

حين سمع سمك هذا قال لضياء « احضرى أنت الجبالى بينما سأذهب لاحضار شاهان ملك الاثنى عشر واديا فهو الذى جمع الجيوش وخرج للحرب » ثم خرج وسار فى طريقه . أما ضياء فقد اجتزت رأسى الخادمتين وخرجت فى طريقها بجرأة الى أن وصلت الى معسكر غاطوش فرأت الحجاب واقفين فقالت لهم « أخبروا غاطوش أن مبعوثا من عند البطل حسن يريد لقاءه ولديه رسالة » .

حينما رأى الحجاب الرأسين في يده ، دخلوا على غاطوش وقالوا « أيها البطل ، هناك رجل وصل من عند البطل حسن ويحمل رأسين في يده ويقول أريـد أن أتحدث مع البطـل غاطوش » . فأجـابهم غاطوش « أدخلوه » . فعادوا واصطحبوا ضياء الى غاطوش .

حينما دخلت ضياء أدت التحيـة ووضعت الرأسـين أمام عرش غاطوش فسألها « ما هذين الرأسين اللذين جئت بهما ؟

قالت ضياء « أيها البطل ، هذين الرأسين أرسلهما حسن ويقول لك ان هذين الشخصين قد أقسما على المجيء وأخذ الجبالى ، فجاء شخص وأخبرني بهذا فاستدعيتهما وقطعت رأسيهما وأرسلهما لك فيجب عليك أن ترسـل الجبـالى مع هذا المبعوث لكى اتحفظ عليه جيدا اذ ربما جاء شخص آخر وأخذه كمـا أخذوا ورد من قبل ، وهذا ما يقتضـيه الصـالح » .

حين سمع غاطوش هذا الكلام قال « لقد صدق حسن ، فهو الذى أسره وهو الذى يجب أن يتحفظ عليه حتى يحين وقت ارساله الى الملك او قتله ثم قال « اذهب وخذه » .

ذهبت ضياء الى حيث كان الجبالى موجودا فلقيته مقيدا فى خيمة أخرى ، ففكت القيود من رجليه ، وظن الجبالى أنهم ربما يأخذونه لكى يعدموه . وأحست ضياء أنه يخاف لأن الموقف كان يبعث على الخوف ، فاقتربت برأسها من أذنه وأسرت اليه « أيها البطـل ، لا تخف لأننى ضياء » . وحين سمع الجبالى هذا فرح وأثنى عليها .

حين فكت ضياء قيوده ربطت يديه خلف ظهره ووضعت غلا فى عنقه وخرجت من عندهم حتى اذا ابتعدت عنهم فكت يديه وقالت « أيها البطل ، لا نسـتطيع الذهاب الى الوادى ، فانـج برأسك واسـلك الطريق الذى يواجهك وهو يسير على حد الجبل وقد ذهب ورد من نفس الطريق ، وحين تعبر الجبل ستجد طريقا عن يمينك يقودك الى روضة الزعفران حيث يعسكر خورشد شاه ، وهنـاك ستجد وردا الذى يعرفـك واذكر للملك أحوالنا وكيف صرنا فى مأزق ، لعله يرسل جيشا لانقاذنا » .

قالت هذا وودعت الجبالى فقال لها سأحاول أن أصل لذلك المكان . أما ضياء فقد عادت وتوجهت الى وادى الغورى .

في الجانب الآخر فان سمك حين ترك ضياء فانه توجه الى معسكر شاهان فرأى المعسكر هادئا ولا توجد أية حراسة أو مراقبة والجميع في غفلة أو نوم ، فذهب الى المجلس فلم ير أحدا • ورأى شخصين أو ثلاثة نائمين في أحد الأركان ، اذ لم يكن أحد يتصور أن يجيئهم شخص ليسرق رجلا ، كما فاتهم أن الحراسة واجبة لا يجب اغفالها •

نظر سمك في الخيمة فرأى شاهان نائما على سريره بمفرده فتقدم الى فراشه وسحب الخنجر ثم جثم بركبتيه على صدر شاهان والخنجر في يده ، فقال له شاهان من أنت ؟ أجابه سمك « أيها البطل ، أنا سمك العيار » • فعاد شاهان يسأله « أنت ذلك الشخص الذي يشكو أرمنشناه من أفعاله ، وفتحت قلعة غضبان وقتلته وأخذت الأسرى وذهبت الى وادي الغوري » •

أجابه سمك « نعم ، أنا ذلك الذي ذكرته » • فبهت شاهان وأراد أن يتحرك فقال له سمك العيار « بالخالق العادل لو تكلمت أو تحركت لقتلتك » •

صمت شاهان خوفا على حياته الى أن قيده سمك وكمم فمه ثم حمله على كتفه وخرج من المعسكر بحيث لم يشعر به أحد الى أن وصل الى أول الوادي ونظر فرأى ضياء التي لحقته أيضـا وتقدمت اليـه وقالت « أيها البطل ، اعطه لي لأنك تعبت » • فأعطاها شاهان ثم سألها ماذا فعلت ؟ » •

أجابت ضياء « بسعدك — أخرجت الجبالي من الأسر ثم أرشدته الى الطريق ليذهب الى خورشيد شاه • ثم أخذت شاهان وسارا في طريقهما حتى عادا الى معسكرهم مع طلوع الصبح وكانت الطلائع قد عادت • فلما ذهب الغوري الى مجلسه وكان الأبطال قد أخذوا يفدون لخدمته وصل سمك وقد أمسك بيد ضياء ودخلا على الغوري وحيياه • وكان الغوري ضجرا ولكنه نظر فرأى ضياء تدخل عليه فقال « أيها البطل سمك ، كيف عادت ضياء ؟ ألم يأخذها حسن بالأمس من الميدان ؟ وما هي أحوال أخي الجبالي ؟ » •

أدى سمك التحية وقال « أيها البطل ، لقـد ذهبت وقتلت حسن وأخرجت ضياء من الأسر كما أخرجنا الجبالي أيضا وأرسلناه الى خورشيد شاه لكي يأتينا بالمدد ، كما أحضرنا لك هدية » •

سألها الغورى « ما هذا الذى احضرتماه ؟ » فأدى سمك التحية وقال « أيها البطل أحضرت شاهان ملك الوديان الاثنى عشر الذى اثار الجيوش وحرضها علينا » .

## ضياء يرق قلبها على شاهان

حين سمع الغورى هذا نهض واقفا واحتضن رأس سمك وأخذ يثنى عليه وسأله « أين هو ؟ احضره لأراه فان قلبى لا يصدق » . فقال سمك لضياء أن تحضر شاهان أمام الغورى ، وحين أدخلته مقيدا أمام الغورى قال لها « يا ضياء ، خذى شاهان الى سفح ذلك الجبل حيث تجدين منطقة من الأرض رمالها متحركة فأريقى دمه وسط تلك الرمال » .

تعجب سمك من هذا وقال لنفسه « لا أعلم سبب هذا الحقد على شاهان » . وقامت ضياء ووضعت غلا فى رقبة شاهان وسحبته الى تلك الرمال المتحركة .

كان شاهان شابا بريئا فاخذ فى البكاء وقال « أيها الحظ السيء والزمن الغدار والدنيا المتقلبة ، ماذا تريدين منى ؟ أيها السافل البذىء يا غورى ماذا فعلت لكى تأمر باراقة دمى ؟ واأسفاه على ويا حزناه على شبابى .. وقد رق قلب ضياء عليه من كثرة البكاء والنحيب لأنها كانت امرأة والنساء قلوبهن سريعة اللين فأخذت تواسيه .

قال شاهان « أيتها الفتاة الفتية والمرأة الحرة ، انك فى الواقع تستحقين أن تكونى على قمة الدنيا ، فبحق الفتوة والشهامة التى فيك اشفقى على ولا تريقى دمى لبعض الوقت ، واتركينى فلى رغبة أذكرها فلعلها تتحقق وتثمر وآنذاك افعلى بى ما تشائين ، ولن اختصمك يوم القيامة ولا تحاسبى على اراقة دمى » .

قالت له ضياء « قل ماذا ترغب » فأجابها شاهان « ان ذكر الأسرار للنساء ليس عملا صوابا ، فاطلبى لى سمك حتى أذكر رغبتى فهو قائدك ومرشدك وسوف تتحقق رغبتى على يديه وسوف أجد الشفقة فى قلبه » .

عادت ضياء الى مقرها فى المعسكر وبحثت عن سمك فقال لها رفاقها أنه مازال عند الغورى ولم يعد بعد » فرجعت ضياء الى شاهان وقالت له

ان سمك مازال عند الغورى مشغولا بالشراب ولا أستطيع اخراجه من عند الغورى لأنني لو دخلت عليه لسألني ماذا فعلت بشاهان ؟ ولا أستطيع أن أقول له قتلته لأنني أكون قد كذبت والكذب ليس من أصول الفتوة ، واذا قلت انني لم أقتله وتركته في مكانه فانه سوف يغضب » .

فقال لها شاهان « يجب القيام بالفتوة على أكمل وجه بالجهد والوسيلة ، فربما استطعت أن تحضري سمك الى حتى يمكن أن يحقق لي رغبتي » . فعادت ضياء لتذهب الى الغورى فقال لها شاهان « أيتها الحرة ، كوني فتية وفكي قيدى قليلا لأن يداى تؤلمانى بشدة ولا أطيق شدة القيد » . فعادت ضياء وأرخت قيده قليلا ، ثم سارت فى طريقها ولكنها توقفت بعد قليل وقالت لنفسها « يا ضياء ، ما هذا الذى فعلتيه ؟ أكنت نائمة ولم أعرف كيف أتحفظ على العدو ؟ » ثم أخذت تعدو فى كل اتجاه ولكنها لم تعثر على شاهان ، فعادت الى الغوري وهى فى غاية الضيق .

كان سمك مشغولا بالشراب مع الغورى ، فلما رأى الغورى ضياء قال لها ماذا فعلت ؟ هل قتلت شاهان أم لا ؟ فلم تجب ضياء وبقيت معهما .

نعود للحديث عن معسكر غاطوش فيقولون أنه حين طلع النهار على المعسكر جلس غاطوش على عرشه وجاءه الأبطال وحان وقت الافطار ولم يحضر حسن ، فأرسل غاطوش شخصا ليستفسر عن سبب عدم مجيئه لأن عليه الحضور للاعداد للحرب والنظر فيما يجب عمله . وحين وصل مبعوث غاطوش وجد المعسكر في حالة اضطراب لأنه حين جاء الخدم الى باب الخيمة وارسلوا أحدهم لكى يوقظ البطل ودخل الرجل الخيمة رأى حسن مقتولا والخادمتين قد قطعت رأساهما ، فصاح ومزق ثيابه وخرج من الخيمة وذكر ما شاهده ، فدخل الخدم فى الخيمة ورأوا ذلك الوضع فصاحوا ومزقوا ثيابهم ونثروا التراب على رءوسهم ، وظهر عليهم الجزع والفزع في نفس الوقت الذى وصل فيه خادم غاطوش فعلم بما حدث وحزن وعاد الى غاطوش وأخبره بما جرى ، فقام غاطوش من مكانه وقال كيف حدث هذا ؟ ألم يحضر حاجب حسن بالأمس ومعه رأسان وقال ان حسن بعث يطلب الجبالى وأخذه معه من هنا ؟

قال خدم حسن « لا علم لنا بهذا ، ولكننا نعرف أنه كان قد أسر ضياء وأخفاها عنك وكانت معه فى الخيمة فلعلها فعلت هذا » . فتضايق غاطوش وقال « ماذا نصنع ازاء هذا العمل الذى ارتكبه هؤلاء القوم

الأوباش المعدمين ؟ لقد راح حسن ضحية عمله ورغبته فى الزواج من ضياء ، ولم يعرف أنها قتلت أخاها وأباها ، فماذا كان حسن بالنسبة لها؟ ولا شك أن حسن أخفى عمله فنال جزاءه · ويجب علينا أن نخبر الملك بكل ما حدث » ·

أوقفوا الحرب وأخذ كل من الأبطال يدبر ماذا يصنعون الى أن اتفقوا على ارسال خطاب للملك يعلمونه فيه بأحوالهم وأمر غاطوش بكتابة الرسالة وكان مما جاء بها « ان ملك العالم يعرف ويعلم أنه حينما وصلت رسالة الملك العظيم الى فقد قبلت الأرض ووقفت تحية للملك · وأرسلت البطل قرقوب الى الغورى لكى ينصحه قبل أن يذهب الى شاهان · وقد فعل الغورى من السوء ما استطاع وقال انه لن يدخل فى الطاعة أبدا وقال ان سمك أعز لدى من مائتى ملك · فعاد قرقوب من عند الغورى وذهب الى شاهان الذى جمع جيشا وقد حاربه حسن ثلاثة أيام واستطاع أن يأسر الجبالى شقيق الغورى كما أسر ضياء بنت كانون · أمس قتلوا البطل حسن وأخذوا شاهان كما أخذوا الجبالى وضياء » فلما أنهى الرسالة ختمها وأرسلها الى أرمنشاه ·

## العودة لاكتشاف سر الغورى

فى الجانب الآخر فان ضياء حين أهملت فى قتل شاهان وجلست أمام الغورى وسمك حتى حل المساء فان سمك أخذ يدها ونهض مدعيا أنه سكر من الخمر وذهبا الى خيمته وظل سمك حتى نام الغورى وتفرق الأبطال وأمراء الدولة كل الى مكانه فعاد سمك الى المجلس وشق قاعدة عرش الغورى وأخذ مفتاح ذلك السجن ثم أعاد القاعدة الى مكانها وبعد ذلك ذهب الى فراش ضياء وصب بعض الماء على رأسها فأفاقت من نومها وأمسك يدها وقال لها « يا ضياء لقد حصلت على المفتاح وسوف أذهب وأفتح ذلك الباب الحديدى لأن الرغبة فى هذا سيطرت على ، فهل تأتين معى؟ »

ضياء « السمع والطاعة » · ثم سار الاثنان قليلا ولكن سمك توقف وقال لضياء « انني أحس شيئا وقلبى يحدثنى الا نذهب الى ذلك السجن الليلة فربما لا يكون فى هذا صالحنا لأن كل من يذهب الى عمل على غير رغبته فان قدماه تقودانه بينما قلبه لا يطاوعه على هذا ويكون من الخير الا يذهب وأنا قلبى لا يريد الذهاب ».

قالت ضياء « أنت أعلم بهذا ، فافعل ما تراه صالحا وما لا ينهاك عنه قلبك » .

قال سمك « يا ضياء ، لقد عرضت لي هذه الفكرة وكان يمكن أن أخفي عنك أن قلبي لا يوافقني على الذهاب الليلة . ولما كنا قد حصلنا على المفتاح الليلة فلنذهب غدا ونرى ما هذا السجن » . فقالت ضياء الأمر لك ثم عادا وخلدا للنوم .

في الجانب الآخر فان من تقدير الله أنه حينما سلم غاطوش رسالته الى كيكان ليوصلها الى الملك أرمنشاه فانه سار الى أن وصل الى منغوليا وذهب الى أرمنشاه وأدى التحية ووضع الرسالة أمامه فتناولها وأعطاها لشهران الوزير ليقرأها ويخبره بمحتواها ، فلما سمع الملك ما ذكره غاطوش صاح من أعماقه والتفت الى الأبطال وقال « ماذا نفعل مع هذه الحفنة من الأوباش ؟ فأخذ كل منهم يقول رأيا الى أن التفت الملك الى كيكان وقال له « اذا كانوا يقومون بمثل هذه الأعمال فان مجيئهم الينا سهل . اذهب الى معسكرهم وانظر ماذا عندهم من أخبار وأتنا بها فربما أمكن تقرير شيء من هناك » . فركب كيكان متوجها الى معسكر خورشيد شاه حتى وقف على باب مجلسه يتجسس .

شاءت ارادة الله أن الجبالي وصل في تلك الأثناء ، وكانت ورد قد سبقته وذكرت كل ما حدث لخورشيد شاه وما قدمه الغوري لسمك ورفاقه من عون وحماية ، فلما وصل الجبالي قالت ورد للملك أنه شقيق الغوري فأكرمه خورشيد شاه ورحب به وأمر له في الحال بخلعة جميلة وأجلسه أمامه وأخذ يسأله عن أحواله ، فأخذ الجبالي يحدثه عن فتوة سمك وعيارته .

كان كيكان واقفا يسمع ، ورأى تلك الحرمة والمنزلة التي أسبغها عليه خورشيد شاه وكيف أجلسه أمامه وأخذ يستبشره ويتبسط معه في الحديث الى أن التفت الى هامان الوزير وقال « ماذا نصنع لكي نأتي بهم من ذلك الوادي ؟ » .

أجابه هامان الوزير « أيها الملك » مر بخلعة فاخرة للغوري ؛ كما يجب أن نرسل لهم جيشا كما طلبوا مع رسالة شكر على حمايته لسمك ورفاقه ، ونذكر له أننا حين نراه سوف نعتذر اليه عن كل هذه المشاكل ،

ولعلهم يستطيعون عمل شيء ويعودوا الينا بسرعة » · فقال خورشيد شاه « رتب الامر كما ترى » ·

كتب هامان الوزير رسالة جاء بها « هذه الرسالة من خورشيد شاه بن مرزبانشاه ملك ولاية حلب ، وصهر الملك فغفور ملك ولاية الصين ، الى الغورى بطل الدنيا وقائد الوديان الاثنى عشر ، ورجل العالم الحر ، فلتعلم وتتأكد أن شهرة أعمالك الخيرة وفتوتك وحسن استقبالك ورجولتك التى أبديتها نحو أخى سمك ورفاقه قد بلغتنى كلها ، مما زاد فى محبتك لدينا ولقد كنت أراقب البصيرة فى تصرفك وقد دعوت لكم بالسعادة لانكم دون أن ترونا أو تعرفونا الا أنكم اخترتم حبنا وأبديت نحونا كل شهامة ورجولة كما أظهرتم الوفاء لنا ·· وسيفرح قلبنا بلقائكم وان شاء الله سوف تنالون أحسن الجزاء ·

وفى هذا الوقت فان ثلاثين ألف فارس سيصلون اليكم والى أخى الجبالى لكى يفاجئوا العدو من الخلف وأنتم تهاجمونهم من الأمام فلعل النصر يحالفنا - واننى أرجو رؤية الأب المبارك فى أسرع وقت · ولقد أرسلت اليكم ما استطعت فالتمس العذر ، ولولا اغلاق الطريق لكنت قد أرسلت لكم قبل هذا · واعتذر أيضا للأبطال والسلام » ·

حين أتم كتابة الرسالة قرأها على الملك فاستحسنها ثم ختمها واختار الأبطال الثلاثة هرمز وسمور وقطران على رأس ثلاثين ألف فارس يرافقهم الجبالى · كما كتب خورشيد شاه رسالة بخط يده الى سمك أبدى فيها الكثير من الآمال والأمنيات وأثنى عليه وأوضح مهمة الجيش وسأل الله أن يراه موفقـا منصورا ·

سلم الرسالة الى ورد وقال له اذهب معهم الى أخى سمك واذكر له الأحوال كما رأيت ثم أمر خورشيد شـاه وزيره هامان أن يرسـل الى الغورى خمسين صرة ذهب فى كل صرة ألف دينار ، وخمسين قطعة من الملابس ، وخمسين فرسـا مطهما ، وخلعـة ملكية لم يسـبق للملوك أن شاهدوا مثلها ، وخمسين غلاما جميل الوجه بعباءات مذهبة ، كما أعطى للجبالى خلعة وأرسل لجهاد وأبناء الغورى خلعا خاصة وخمسين خلعـة أخرى للأبطـال ·

عنـدما أعد كل هذا وأرسـله الى الغورى انطلق كيكان عائـدا الى أرمنشاه وقال « أيها الملك ، احترس فان عملا عظيما سيحدث ، فقد اختار

خورشيد شاه ثلاثين ألف فارس وأرسلهم مع الجبالى شقيق الغورى مع أموال وافرة ، وذكر له ماحدث وما شاهد من حرمة واحترام للجبالى ثم أضاف « أيها الملك ، ان الجيش الذى سيذهب سوف يطوق جيشنا من الخلت ومن الأمام وذلك لكى يهزموا جيشنا ، فجهز جيشا أتولى قيادته عن أى طريق لعلنا نفعل شيئا » ٠

سر أرمنشاه وفرح واستدعى الأبطال وذكر لهم ما سمعه من كيكان ثم قال « يجب ان نبعث بجيش ليقوم بهذا العمل » فأدى الأبطال التحية وكان هناك بطل اسمه طارق أمره أن يأخذ معه عشرة أفيال ، وكان هناك أيضا رئيس النفاطين (١) واسمه صيام أمره أن يذهب مائة نفاط ، وكان هناك رجال نابل (٢) مشهور اسمه سوسن أمره أيضا بالذهاب مع الجيش ، وفى الحال أعد الجيش وتحرك يقوده كيكان الجاسوس الى الوادى واخفاه واختار المراقبين ٠

بقى هذا الجيش فى مكمنه بينما كان جيش خورشيد شاه يسير فى طريقه يتقدمه الجبالى ومعه الأموال والخلع حتى وصلوا الى أول الودى وهو مكان ضيق ، وكانوا غافلين لا يتوقعون غدرا ورأى المراقبون جيش خورشيد شاه من فوق قمم الجبال فقرعوا الطبول ، وقال هرمز للآخرين لا علم لنا بهذا الطبل الذى يصل الينا صوته عاليا وبينما كانوا فى هذا الحديث انهالت عليهم السهام والأحجار والنيران والنفط من فوقهم ومن خلفهم ومن أمامهم ويمينهم ويسارهم ٠

تجمع الجيش بعضه حول بعض ، ولكن الظلام كان قد حل ولم يعد يعرف العدو من الصديق ، وأعملوا السيوف بالقتل حتى سدت الطرق من كثرة القتلى ، وقتل البطل قطران بينما وقع هرمز وسمور وورد فى الأسر ، وحين رأى الجبالى أنهم أسروا ، نزل عن حصانه وانطلق على رجليه فى الجبال وسار فى طريق يقوده الى وادى الغورى ٠ فلما أصبح الصباح كان قد قتل من جيش خورشيد شاه نحو عشرين ألفا من الفرسان لأن الظلام كان حالكا وكان الجند يقتل بعضهم بعضا ، الأخ يقتل أخاه والابن يقتل أباه أو الأب يقتل ابنه ، وكان من بقى من الجند على قيد الحياة قد أنهكه القتال أو أثخنته الجراح ففر منهزما واستولى جيش أرمنشاه على كل تلك الأموال والغنائم والخلع وحملها مع القواد والأسرى الى غاطوش ٠ سر غاطوش وفرح بهذا النصر ، وعمت البهجة فى معسكره ، وأمر بعقد

---

(١) النفاط كان يقذف النفط المشتعل على الجيوش أو الحصون لاحراقها ٠

(٢) النابل الذي كان يستخدم السهام ومنها قيل ( اختلط الحابل بالنابل ) ٠

مجلسه واستضاف طارق قائد الفيلة وصيام النفاط وسوسن النبابل وكل الجيش ، ثم أحضروا القواد الثلاثة لكى يقتلوهم ، ولكن غاطوش قال يجب أن نرسلهم الى الملك أرمنشاه مع هذه الأموال بدلا من الثلاثة الذين كنا قد أسرناهم وانقذوهم من القلعة •

وافقه الأبطال وقالوا يجب أن نفعل ما أشرت به ، فقيدوا الثلاثة وجعلوا عليهم خمسين رجلا لحراستهم ، ثم انشغل غاطوش والأبطال بالكأس والطاس •

شاء تقدير الله أن تكون المعركة فى اليوم التالى على جيش أمير الذى وصل الى ميدان القتال على رأس عشرة آلاف فارس ، فلما ترامى صوت طبول الحرب الى الغورى أمر بخروج الجيش الى الميدان ، فلما أعدوا صفوف الجيشين انطلق جهاد شقيق الغورى بحصانه الى الميدان وصاح يطلب رجلا للقتال ، فقال أمير لرجاله ما أعظم جرأة رجال الغورى هؤلاء ، انهم سباقون للقتال » •

تقدم فارس من جيش أمير الى الميدان ووقف أمام جهاد وصاح فيه ، ولم يكد يتم صيحته حتى عاجله جهاد بحربة صرعته • ثم صاح « اسعدوا أيها الأبطال ، هل هكذا تقاتلوننا ؟ أين ذهب الرجال الذين يدخلون الميدان ؟ فدخل فارس آخر لم يمهله جهاد ليتم كلامه وطعنه بحربته فقضى عليه ، وهكذا صرع سبعة عشر رجلا • فاستشاط أمير غضبا وقال لا يمكن القتال بمثل هؤلاء الرجال ، ثم انطلق بحصانه الى الميدان ، وصاح وأبدى شجاعته فى النزال ثم تقدم الى جهاد وصاح قائلا « أيها الحقير ، ما كل هذا الصياح وادعاء الرجولة والشجاعة مع بعض الضعفاء ؟ أثبت لترى طعان الرجال » قال هذا وتبارزا بالحراب وجاهدا كثيرا الى أن تمكن أمير من طعن جهاد فى يده مما جعله يفر عائدا الى جيشه • فصاح فيه أمير قائلا « أين تذهب ؟ ان الرجال لا يفرون من ميدان القتال » •

حينما عاد جهاد من ساحة القتال تهيأ لهيب لدخول الميدان ، فقالت له ضياء « لا تدخل الميدان لأنك لست ندا له ، ولن تستطيع قتاله » • فقال لهيب « أيتها الفتاة الحرة ، الى أى حد تمدحين نفسك وتدعين التفوق على الرجال ؟ هل ولدت للقتال وحيدة فى العالم ؟ ان كل رجل يعرف شيئا فى مجاله ، واذا لم أكن ندا له فسوف أقتل ، ومنذ كانت الدنيا فقد حدث كثيرا أن رجلا يمكن أن يقتل مائة رجل ثم يأتى رجل

فيقتله • فهناك يد فوق يد ، ويوجد رجل أقوى من رجل ، فأنت أنت ، وأنا أنا » فسكتت ضياء •

تقدم لهيب الى ساحة القتال ووقف أمام أمير وصاح فيه ثم تطاعنا بالحراب ولم يكن لهيب رجل أمير الذى فاجأه بطعنة رمح فى ساقه خرج من الناحية الأخرى منه ، فتألم لهيب وفر هاربا • فقالت ضياء اننى أريد اعتذارا ثم قالت « يا لهيب ، من أجل هذا قلت لك لا تدخل ساحة القتال لأننى رأيت فيك ضعفا ، وكنت أفكر فى مثل هذه العاقبة والا فاننى أعلم أن كل شخص يعد فى نفسه رجلا ويعرف شيئا فأدركت أنك لست كفئا له » •

قالت ضياء هذا الكلام ، وانطلقت بحصانها الى الميدان ، وأخذت تصول وتجول ، ثم جاءت فى مواجهة أمير وصاحت فيه ، وتلقت رمح أمير برمحها وتناوشا كثيرا حتى تكسرت فى أيديهما الرماح ، فألقيا بهما وأخرجا سيفيهما من غمديهما ولبسا قناعيهما ، وأخذا يتناوبان الضرب على رأسيهما ، مما جعل الجيشين يتعجبان منهما •

كان الغورى يثنى على ضياء ويمتدحها ويخشى على حياتها ولهذا أمر بدق طبول التحاجز وعاد الجيشان الى معسكريهما فقال أمير لضياء « اسعدى يا ابنة كانون فانك أظهرت شجاعة ورجولة عظيمة » • فردت عليه ضياء بقولها « لقد نجوت بروحك اذ دقوا طبول الراحة والا لكنت قد لاعبتك » • قالا هذا وعاد كل منهما الى جيشه •

ذهب أمير الى جيش غاطوش وقد تعجب من الفرح والسرور الذى رآه مسيطرا على المعسكر الى أن التقى بغاطوش وحياه وسأله عن أحواله وسبب هذا الفرح والسرور • فذكر له غاطوش ما حدث من مجىء جيش خورشيد شاه وخروج جيش أرمنشاه وانقضاضه عليه من مكمنه وهزيمة جيش خورشيد شاه وأسر قواده الثلاثة والاستيلاء على هذه الأموال التى وصفها له ففرح أمير • وجاء أبطال آخرون وكان الأسرى مقيدين فى جانب من المجلس وقام أمير بالحديث عن معركته مع ضياء ثم اشترك معهم في تناول الشراب وتفرق أفراد الجيش •

نعود للحديث عن الغورى والوقوف على أحوال جيش خورشيد شاه وأسر الأبطال ، فيقول المؤلف ، أنه لما انتصر جيش أرمنشاه وأسروا هرمز وورد وسمور وحملوا تلك الأموال وكان الجبالي يقود الجيش ، فلما رأى ما حدث ، انطلق فى الجبل علي قدميه وسار حتي وصل الي قمة وادي

الغورى ، ثم اتجه الى قلب الوادى وكان رجال الغورى قد رأوا رجلا يسير على قمة الجبل ثم نحدر هابطا الى الوادى فصاحوا فيه وحاصروه ، فلما اقتربوا صاح الجبالى قائلا « يا أحرار الرجال ، أنا الجبالى شقيق الغورى » ففرحوا وعادوا الى الغورى وبشروه بمجىء الجبالى فسعد الغورى وفرح الى أن وصل الجبالى وحيا أخاه الغورى فسأله عن أحواله وقال « كيف ذهبت وكيف عدت ؟ ومن أين جئت عن هذا الطريق ؟

أجابه الجبالى « من عند خورشيد شاه » ثم انطلق يروى ما حدث منذ أطلقت ضياء سراحه وأرسلته الى خورشيد شاه ، وما فعله خورشيد شاه معه من الخلعة الى الضيافة والاكرام الى الحرمة والاحترام التى أفاضها عليه • ثم تحدث عن أحوال الجيش والرسالة والأموال الوفيرة والخلع الثمينـة التى كانت لكل بطل ، والرسـالة الخاصة بخط يده الى سمك واعطائها الى ورد حتى تلك الساعة التى وقع فيها هرمز وسمور وورد فى الأسر وقتل قطران والاسـتيلاء على تلك الأموال • ثم قال « فلما رأيت الأمر صار الى هذا الحد سرت فى هذا الاتجاه وصعدت الجبل الى أن جئت الى الوادى » •

حزن الأبطال من هذه الواقعة ، وحين سمع سمك هذا أخذ يتلوى من الغيظ ويصرخ من أعماقه وقال « وا أسفاه ، لا أعرف كيف كانت أحوالهم، ان ورد لا ينجو أسبوعا دون أن يقع فى الأسر والسجن ، وأخشى أن يقتل هذه المرة لأنهم يضمرون له الحقد • وأخذ يفكر فى كل السبل وظل الى أن أقبل الليل وحل الظلام فقام وذهب الى الجبالى وقال « أيها البطل ، هل يمكن أن تكون دليلى حتى نذهب وننقذ هؤلاء الأسرى من السجن ؟ •

قال الجبالى « أيها البطل ، كيف نذهب ؟ فرد عليه سمك « قدنى الى نصف الطريق الذى أتيت منه حتى أسـقط خلف الأعداء فلعـل الله يدلنى على الخير • فأجابه الجبالى « السمع والطاعة » •

انطلق الاثنان وسلكا طريق الجبل الذى يعرفه الجبالى جيدا ، فلما وصلا الى أوله كان على يمينهم واد وصل منه الى سمعهما أصوات رجال • فقال سمك للجبالى « يجب أن نذهب الى ذلك الوادى لنرى من الذى يدخل الى هذا الوادى لعلنا نستدل منهم على شىء » • ثم سارا متجهين الى ذلك المكان •

شاء الله تعالى أنهما وصلا الى ذلك المكان مع طلوع الصباح فشاهدا مائة حمار وعشرين رجلا وقد حطوا أحمالها فتقدم سمك والجبالي اليهم وسلما وسألاهم لمن هذه الأحمال ومن أين جئتم ؟

أجابوهما « هذه الأحمال لغاطوش . أما رئيس القافلة فرجل اسمه صفور . فذهب سمك والجبالى اليه وسلما عليه . فرد عليهما صفور التحية وزادها بالترحاب الى أن قال له سمك العيار « أيها السيد ، لماذا تأخرت وأنت تعرف أن غاطوش حاد الطبع وما هذه الأحمال التى أحضرتها ؟ » .

أجابهما صفور « أيها الرجل الحر ، انها عسل وسمن وشراب واحتياجات المطبخ » . فقال له سمك « كان من الواجب أن تحضر شعيرا وتبنا وقمحا » . فرد صفور « انهم آتون خلفى بخمسمائة حمار » . ثم قدم لهما صفور ما تيسر من الطعام فأكلا ثم قال له سمك « مر رجالك بتحميل الأحمال لعلنا نستطيع الوصول للمعسكر الليلة » . فأمرهم بما أشار عليه سمك به ثم ساروا متوجهين الى المعسكر ، فلما قطعوا بعض الطريق قال الجبالى لسمك « يا سمك ، هل قال لك غاطوش اذهب واحضر الأحمال ؟ وفى أى يوم قال لك هذا ؟ وما شأننا نحن بهذه الاحمال ؟ دعنا من هذا الأمر حتى نذهب متخفين الى معسكرهم » .

قال سمك للجبالى « أنت لا تعرف أن هذه الأحمال هى دليلنا ومرشدنا ، وسينجح عملنا بسبب هذه الاحمال ، وسوف آخذك مع الأحمال الى المعسكر وان شاء الله سأفك أسر الأسرى مما سيثير اعجابك فانظر ما سأفعل » .

نظر سمك فى هؤلاء الرجال فرأى اثنين منهم يتوليان الاشراف على هذه القافلة وكان الاعتماد عليهما وكان صفور يصدر أوامره اليهما . فقال سمك للجبالى « أترى هذين الاثنين ؟ انهما المعتمدان ويجب أن نتحدث اليهما لأعرف اسميهما ، فابتعد أنت بواحد واشغله بالكلام حتى أبعد صفور ، ثم أصرع الرجل الذى معك واقتله والبس ملابسه ثم تعال الى وانظر ماذا سأفعل » . فقال الجبالى « السمع والطاعة » .

ذهب سمك الى صفور وقال له « أيها السيد ، أنت معك حصان فاسبقنا لأننا سنسير ببطء لعلنا نصل فى المساء الى المعسكر وكن مطمئنا ».

قال صفور « هكذا سأفعل » . ثم سار سمك مع هذين الشابين وأخذ يحدثهما ثم سألهما عن اسميهما فقال أحدهما اسمى « زياد » ، وهذا أخى اسمه « جراد » فلما عرف سمك اسميهما أشار للجبالى أن يتأخر عنهم ويبقى زياد معه .

تأخر الجبالى وأخذ يتحدث مع زياد الى أن ابتعد عن الرجال نحو رمية سهم وكان زياد يحمل قوسا فأخذه الجبالى وقال اننى أستطيع ان اثنيه من وتره وجلس عامدا على الارض وجعل القوس فى ركبته واخذ يشد الوتر كأنه يثنيه فلما جلس زياد ليراه قفز الجبالى وأمسك بحلقه وضغط عليه بكل قوته حتى أسلم الروح فنزع الجبالى ملابسه بسرعة ولبسها ثم اخذ ما كان معه من سلاح ورتبه على نفسه كما كان يفعل زياد ثم سار خلف القافلة ٠

نظر سمك فراى الجبالى قادما وقد ارتدى ملابس زياد وسلاحه حتى أن كل من كان يراه لم يكن يفرقه عن زياد لأنه كان يشبهه من ناحية الشكل والجسم ، فلما وصل الجبالى نظر فى الرجال فلم ير سمك العيار فبهت وقال لنفسه « أين ذهب ؟ فلا يمكن أن يكون قد ألقى بى فى التهلكة وذهب ، ولكننى أعلم أنه لا يمكن أن يكون هذا ، فأين يمكن أن يكون قد ذهب ؟ ثم نظر الى جراد فرأى أنه سمك وقد ارتدى ملابس جراد وجعل نفسه على هذا الشكل ٠

حينما وصلا الى بقية رجال القافلة لم يتكلما معهم الى أن وصلوا الى المعسكر وكان قد سبقهم فارس وأخبر المعسكر عن عدد الاحمال القادمة ، فلما حطوا احمالهم جاء الساقى وسألهم عما معهم من شراب ، وكان سمك قد عرف هذا فقال له خمسون حملا » ٠ فأمرهم بحمل الشراب الى هذا الجانب والمأكولات الى المطبخ ٠

قال سمك للحمارين « احملوا الأطعمة الى المطبخ وسلموها لهم لأننى سآخذ الشراب الى الحانة مع رئيسها ٠ وشمر سمك عن ساعديه وساعده الجبالى وأنزلوا الأحمال من على الحمير وأخرجوا الدنان من الأجوالة ٠ وكان الجبالى يفعل كل ما يأمر به سمك ويتعجب من أفعاله وتصرفاته التى كانت تنم عن أنه خبير وكأنه يعمل فى هذه الحانة منذ عشر سنوات ، وكان يثنى عليه فى نفسه وينتظر ما سيقوم به بعد ذلك ٠

كان سمك منهمكا فى عمله ويحترس فى كل ما يقوم به أو يقدم عليه من عمل حتى رأى مجلس غاطوش والشموع موقدة والغلمان يقفون وصوت المطربين يترامى الى مسامعه بينما كان غاطوش مشغولا بالشراب والمشاعل مضاءة على باب مجلسه ، وفجأة جاء الساقى الى الحانة وطلب الشراب ، فقال قيم الحانة « يا جراد ، صب الشراب من ذلك الدن فى الابريق لكى يأخذه الساقى الى غاطوش » ٠ فقام سمك وصب الشراب

فى الابريق لكى يأخذه الى غاطوش . فلما ذهب الساقى رأى سمك على الناحية اليسرى للمجلس مشعلا مضاء وحوله بعض الأشخاص ، فلما دقق النظر رأى بينهم ثلاثة أشخاص مقيدين عرف أنهم سمور وهرمز وورد ، فأخذ يفكر كيف يفك قيدهم ويطلق سراحهم ، وفجأة تصاعدت صيحة « أفسحوا الطريق ، أفسحوا الطريق » .

نظر سمك فرأى قوما قادمين وفى وسطهم فارس ، وحين وصل الى مجلس غاطوش ترجل عن حصانه ودخل المجلس فقام له غاطوش . وسأل سمك أحد الرجال « من هذا ؟ » أجابه الرجل « انه طارق الفيال ، قادم من عند أرمنشاه » . وبينما كانا يتحدثان جاء آخر فسأل سمك أيضا « ومن هذا ؟ » . قالوا « انه سوسن النبال » . وفى أثره وصل ثالث فسأل سمك أيضا « ومن هذا ؟ » أجابوه « انه صيام النفاط » . لقد كان هؤلاء الثلاثة هم الذين جاءوا وقطعوا الطريق على جيش خورشيد شاه وقتلوهم جميعا وأسروا هؤلاء الثلاثة من أبطال خورشيد شاه وقيدوهم وألقوهم فى وسط تلك الجماعة وربما حملوهم غدا الى أرمنشاه .

قال سمك لنفسه « اذا لم أقتلهم قتلة تأخذ منها الدنيا عبرة فلست بسمك » وأخذ يراقب ما يجرى وهو يتنصت على المجلس ، وانشغل غاطوش والأبطال فى تناول الشراب ، وأخذ المطربون يرفعون أصواتهم بالغناء حتى قال طارق « أيها البطل ، ان البطل أمير أرسل لى خلعة وطلب منى الذهاب اليه غدا فى ساحة القتال لكى أساعده بالافيال العشرة التى أحضرتها » . وقال صيام النفاط « لقد أرسل لى خلعة أيضا وطلبنى » . وقال سوسن النبال « انه أرسل لى خلعة أيضا وطلبنى » . فقال غاطوش لا بأس ، فنحن نريد أن نستولى على وادى الغورى وننتصر عليهم ، فاذا أمكن أن نذهب جميعا مرة واحدة حتى يمكن أن نكون فى خدمة الملك أرمنشاه ونأخذ هؤلاء الأسرى معنا والبشرى بالنصر والفرح » .

قالوا جميعا « غدا عندما نعود من الحرب ، نرسل الأسرى الى أرمنشاه » . وبينما كانوا يتحدثون فى هذا الأمر جاء رجل من حراس الأسرى الى الحانة وقال لسمك والجبالى « يا أحرار الرجال ، هل تعطوننا بعض الشراب وندفع لكم ثمنه ذهبا ؟ » . فأجابه سمك « ولم لا » . ثم قام وحمل دنا وأتى به لكى يذهب معه ولكن الرجل قال خذ أنت هذا الذهب واعطنى الدن لأحمله الى أصحابى حتى لاتتعبك » فرد عليه سمك « أيها الرجل الحر ، العادة أننا الذين نحمل الخمر ثم نأخذ ثمنها ونعود بالدن بعد تفريغه » ثم حمل الدن على ظهره وذهب به الى الحراس وسلم عليهم

ووضع الدن فقالوا له « أيها الرجل الحر ، نحن لا نستطيع أن نشرب من الدن ولا يمكن أن نستبقيك معنا لأن وراءك عملا ، فصب لنا هذا الشراب فى الأباريق ثم عد » ٠

## الذهب أضل كثيرا من الناس

نظر سمك فرأى اناء كبير وبعض الأباريق ، فقام وأخذ دن الخمر فى يده وتناول بضعة مثاقيل من المخدر بين أصبعيه وفتح الدن وأخذ يصب منه فى الوعاء حتى ذاب ذلك المخدر ثم أفرغ سمك الدن وحمله على كتفه فأعطاه الحراس بعض الذهب ثمنا له ٠ وعاد سمك فقال له الجبالى « أيها البطل سمك ، لقد احترت من أعمالك ، تتصرف كأنك فى بيتك وتقوم بأعمال فى غاية الجرأة وتبيع خمر غاطوش ، أين ستذهب بهذا الذهب ؟ » ٠

أجابه سمك « يا أخى ، انظر الى أين سأحمل الذهب ، يجب القيام بأعمال كثيرة حتى ننال ما يتمناه القـلب » ونظر سمك فرأى غاطوش مازال يشرب مع الأبطال فقال « أن الوقت يمضى ثم أخذ ابريقا ووضع فيه مثقال مخدر ملأه بالخمر وذهب الى باب الخيمة » ، فسأله الجبالى « الى أين تحمل هذا ؟ » ومضت فترة من الوقت وكان هناك أحد السقاة اسمه بغرا يقف على باب المجلس فتقـدم اليـه سمك وقال له « أيها الفنى أنا سائس طارق الفيال وأحس بشىء من التعب ولا أستطيع البقاء طويـلا وأريد أن أستريح بعض الوقت ، وهم يتأخرون فى تناول الشراب ، وهذا الأبريق يخص طارق به خمر معتقة فخذه واعطه له حتى يثملوا بسرعـة وتذهب لكى نستريح قليلا ، وخذ هذه الدنانير العشرة لتنفقها وتكون قد أديت لى خـدمة لا تنسى » ٠ وحينما رأى بغرا الذهب شهق من الفرح لأن الذهب أضل كثيرا من الناس عن الطريق كما يقولون ٠

احمل الذهب وقل للمئذنة خذى فلا عجب اذا المئذنة لم تنحنى أخذ بغرا ذلك الأبريق ودخل الخيمة بينما عاد سمك ورأى الحراس جميعا وقد ناموا وسقطوا بلا وعى ، فتقدم الى الأسرى الثلاثة وكانوا قد ناموا وجاء سمك الى وسادة ورد ووضع يده على جبهتها فاستيقظت وقالت « يا ابن الحرام ، بأية جرأة تضـع يدك على وجهى ؟ ألا تعـرف سمك العيار ؟ لو بلغـه أنك وضعت يدك على وجهى لأطار رأسك بدلا من هذه اليـــد » ٠

سر سمك من هذا وقال لها « يا ورد ، لا تخافى فـإننى سمك » ففرحت ورد وحين فك قيودها قال لها الآن فكى قيود أيديهما وأرجلهما وابقوا هنا وانصتوا لى فقد تأخر الوقت وحين امر أمامكم مع الفرسـان فاتبعونى « قال هذا وذهب » ·

قامت ورد وفكت أرجلهما وذكرت لهما ما قاله سمك فاثنوا عليه وفرحوا وانتظروا فى مكانهم بينما ذهب سمك الى سائس طارق فرآه نائما فانحنى عليه وقال له قم لأن طارق قد سكر وسوف يخرج ، فاستيقظ السائس وان لم يفق تماما من النوم فأمسك سمك حلقه وضغط عليه حتى فاضت روحه ، ثم نزع ملابسه وارتداها ، وأمسك لجام الحصان فى يده ولم ينس اخفاء جثة السائس ثم ذهب الى سائس صيام وخنقه أيضـا ، وكان الجبـالى أمامه فأمره بخلع ملابس السائس وارتدائها وأخذ لجام الحصان فى يده وجلس مكانه كما قام باخفاء جثة الرجل الثانى أيضا فى أحد الأركان وتقدم الى سائس سوسن وقتله أيضا وأخذ لجام حصانه فى يده وبقيا فى مكانهما ·

فى الجانب الآخر كان بغرا السـاقى يصب الخمر فى الاقـداح ويقدمها للأبطال حتى ســـكروا جميعا وناموا ، وأخرج الغلمان طارق وسوسن وصيام من الخيمة ، فتقدم سمك والجبالى بالخيل وأركبوا كل واحد منهم على حصانه وأركبوا خلفه غلاما ليمسكه حتى لا يسـقط من أثر السكر وجعلا أمامهم ثلاثة غلمان آخرين وتقدمهم سمك والجبالى الى المكان الذى كان الحراس يقفون فيه فوجدوهم قد سكروا وناموا وحينما رآهم ورد وهرمز وسمور وقفوا وساروا خلفهم حتى أخرجهم سمك من المعسكر الى منخفض من الأرض فقال الغلمان « أيها السياس ، لقد ضللتم الطريق وليس هذا طريقنا » وما كادوا يقولون هذا حتى كان كل واحد من سمك ورفاقه قد أمسك بغلام وقتله ثم أنزلوا طارق وسوسن وصيام من على ظهور الخيل وقطعوا رءوسهم ثم حملوا أجسادهم وألقوها وسط الحراس الخمسة ثم أركبا الأسرى الثـلاثة وانطلقوا بالخيل يسـابقون الريـح ·

كان الجبالى يتقدمهم حتى وصلوا الى معسكرهم مع طلوع النهار وكان الغورى قد جلس على عرشه حين دخل الجبالى وسمك وأديا التحية ووضعوا الرءوس الثلاثة أمامه وكان يصحبهما هرمز وسمور وورد الذين أدوا التحية أيضا فنظر الغورى اليهم وسألهم « رءوس من هذه ؟ ومن هؤلاء القادمون ؟

تكلم الجبالى وأخذ يروى كل ما فعله سمك على أسماع الغورى منذ خروجهما الى تلك اللحظة التى عادا فيها الى المعسكر ثم أضاف « هذه هى رءوس طارق وصيام وسوسن وهم من أبطال أرمنشاه • فلاطفهم الغورى وأكرمهم وسره ما فعلاه وقال « سعدت أيها البطل الذى خلصت لك الرجولة والفتوة والعيارة ودلج الليل والمعرفة والمكر وسرعة البديهة وسعة لحيله وحسن الحديث فى الدنيا كلها » ثم اعتذر لهرمز وسمور وورد وقال لهم « اعذرونى لأننى لم أعرفكم » فأثنوا عليه • ثم أخذوا فى تناول الشراب ويتحدثون فى مختلف الموضوعات وخاصة عندما كان الجبالى يروى ما فعله سمك ، فكانوا يضحكون ويثنون عليه •

فى الجانب الآخر فانه حينما طلع النهار أعد أمير للحرب وانتظر وصول طارق وصيام وسوسن ليساعدوه ، ومضى الوقت ولم يحضروا فأرسل شخصا يستفسر عن سبب تأخرهم وعما اذا كانوا سيحضرون أم لا • فذهب رجل الى المجلس وأبلغ الرسالة ، فقال خدمهم « لقد ذهبوا أمس الى غاطوش ولم يعودوا بعد » • فذهب رجل الى غاطوش للبحث عنهم فقال غاطوش « كانوا هنا بالأمس يشربون وقد سكرت ونمت أما هم فذهبوا من هنا فانظروا أين هم ؟ » وهنا دخل حجابهم وقالوا ان سياسهم قتلوا • فوقف غاطوش مذعورا بينما دخل رجل الى المجلس وقال « أيها البطل ، ان الأبطال الثلاثة ليسوا موجودين » •

قال غاطوش « ابحثوا عن الأسرى » فجاءوا الى معقلهم فوجدوا الحراس وقد قطعت رءوسهم وثلاثة أجساد بلا رءوس بدلا من الأسرى • فأخبروا غاطوش بهذا فاضطرب وارتعد ثم قال « انظروا هل الأبطال هنا أم لا ؟ ، حينما دخل فراشو طارق وسوسن وصيام وأصحاب طشوتهم وشاهدوا الجثث الثلاث تعرفوا عليها وصاحوا « انها أجساد الأبطال » • فنقلو الخبر الى غاطوش فبهت وحزن واستولى عليه الضيق وقال « كيف يحدث كل هذا فى ليلة واحدة ؟ أين يمكن أن يذهبوا ؟ ابحثوا عنهم » •

خرج الفرسان والمشاة يبحثون فى كل ناحية • وقال غاطوش لنفسه « ماذا أفعل بعد أن قلت أننا حصلنا على نصر مؤزر وأسرنا بعض رجالهم فانقلب الوضع علينا وصار القتلى منا » ، أين يمكن أن نتحدث بهذا ؟

بينما كانوا فى التفكير استدعى غاطوش كيكان الجاسوس وقال له « هل يمكنك الذهاب الى وادى الغورى لترى ان كان الأسرى قد ذهبوا

الى معسكرهم ؟ وتعرف كيف حدث هذا ، وتعرف أيضا مقدار الجيش الموجود فى الوادى والمؤن المخزونة وتعود مسرعا » .

قال كيكان « السمع والطاعة » . ومع أن الطريق صعب ولكننى سأذهب ـ باقبالك وسعدك ـ وآتيك بما طلبت » وانطلق فى طريقه .

فى الجانب الآخر كان أمير ينتظر رجوع أحد ليخبره عن سبب تأخر الأبطال والأفيال فلما طال انتظاره أمر بدق طبول الحرب التى وصلت الى سمع الغورى وكان الوقت ضحى فقال « أهذا وقت قتال ؟ أليس عند هؤلاء القوم خبر عما حدث لأبطالهم ؟ انهم يجب أن يقيموا العزاء لا الحرب . ان الجيش عندما يصل الى ساحة القتال يكون الليل قد اقترب » .

قال له الأبطال « فلنذهب نحن أيضا ونقاتل ولو لساعة ونعود » . ثم اتجهوا لميدان القتال ، وكان جيش أمير قد جهز صفوفه ، فأخذوا يسوون صفوفهم أيضا . ونتيجة للحديث الذى جرى بالأمس بينه وبين ضياء والذى قالت له أثناءه « لقد نجوت بروحك » . فان أمير انطلق بحصانه الى الميدان وأخذ يصول ويجول ، وزأر وزمجر ، ثم طلب رجلا للنزال وقال « أين ذهبت تلك التى عيرتنى بالأمس ؟ قولوا لهـا جاء خصمك وجاء بروحه التى نجا بها بالأمس » .

خرج من جيش الغورى ينال بن سنجانى أحد رفاق سمك واندفع الى الميدان حتى وقف أمام أمير وصاح فيه ، فلما رآه أمير قال له « أيها الرجل الحر ، أين رفيق قتال الأمس ؟ لقد عيرتنى بأننى نجوت بروحى ، ومع أنها فتاة الا أنها بطل فى الواقع » .

رد عليه ينال قائلا « لعلها ذهبت لأمر ما ، ولهذا لم تحضر للقتال ، وأنا أخوها وقد اخترت طريق الحرب فاقتلنى حتى تأتى وتقتص لدمى ، ولا تتعلل بأن تقاتل فلانا ولا تقاتل فلانا ، فهات ما عندك من شـجاعة وفنون قتال » قال هذا وتنـــاول كل منهما حربة خصمه بحربته وظلا يتطاعنان حتى ملا الطعان ، فأخرجا سيفيهما وانزلا قناعيهما على وجهيهما وأخذا يتضاربان على رأسيهما حتى كل ذراعاهما ولم يظفر أحدهما بالآخر ، وكان الليل قد حل فدقوا طبول التحاجز وعاد الجيشان لمعسكريهما » .

## ضياء في يدي آكل لحوم البشر

حين ذهب الغوري الى مأواه بحث سمك عن ضـــياء فلم يجدها فقال لنفسه « لعلها ذهبت الى الباب الحديدى » فتوجه الى هناك للبحث عنهـــا ٠

كان الباعث على ذهاب ضياء أنها رأت الجيشين وجها لوجه ، وغلبت عليها الرغبة لمعرفة سر الباب الحديدى فلم تخرج للحرب وقالت لنفسها « معى المفتاح فلأذهب وأعرف ذلك السر » ٠ ثم سارت فى طريقها الى أن صارت أمام الباب الحديدى ووضعت المفتاح فى القفل لتفتحه ولم تكد تحركه حتى سمعت صرخة بعثت الرعب فى أوصالها وارتعدت وشلت يداها عن الحركة ، ونظرت فرأت سوادا يتقدم اليها كأنه مئذنة صنعت من القطران ، عليه هيبة ويثير الرعب فى النفوس ، وبهذا القبح والشكل الذى يشبه العفريت أو الغول تقدم وهو يزأر ويتوعد وهجم على ضياء قائلا « أيها الحقير التافه كيف تجرؤ على العبث فى أمانة الملك ؟ ثم ضربها بيده وانتزعها من مكانها وقال لها « لولا أن الملك استحلفنى ألا أقتل غريبا لقطعتك اربا اربا ، لأنه لا يجرؤ على الاقتراب من هذا السجن أى مواطن »٠ ثم أخذها الى حيث كان يجلس وقيدها وألقاها على الأرض ٠

فى هذه اللحظة التى كان يلقى فيها ضياء على الأرض ، كان سمك قد وصل ولم ير ضياء ولكنه سمع زئير ذلك العبد الأسود والأنين الذى كان يتصاعد من ضياء ، فاتجه اليه سمك بهدوء وحذر حتى وقعت عيناه على ذلك السواد فرآه يماثل المئذنة حجما وكأنه خلق من قطران وفحم ، قبيح المنظر وقد أشعل نارا عظيمة فوقها قضيب حديدى فى وسـط خروف يقلبه على النار وكان يأكل منه قبل أن ينضج ، وفى مواجهته رأى ضياء جالسة وهى مقيدة ٠ فقال لنفسه « ماذا يا ترى فعلت هذه الفتاة ؟ وكيف وقعت فى يد هذا الأسود ؟ وماذا يمكن أن أفعل مع هذا العملاق ؟ أنه لو نفخ واحدة لأطارنى فى الهواء ، ومن المؤسف أن أترك ضـــياء فى يديه ، ولهذا يجب أن أبقى فى انتظار ما تسفر عنه الأحوال وأخذ ينظر حتى أتى الأسود على الخروف ثم أمسك بدن خمر شربه على ثلاث أو أربع جرعات ثم قام ٠ وكان فى واجهة الجبل شق دخل فيه ، فظن سمك أنه ذهب للنوم ، فقام وذهب الى ضياء وأراد فك قيدها ولكنه سمع زلزال وقع أقدام ذلك الأسود وهو يخرج من الشق ، فخاف وترك ضياء فى مكانها واختبأ ، وجاء الأسود وأخذ ضياء ونقلها الى ذلك الشق ٠

أخذ سمك ينظر وهو حزين على ضياء يخشى أن يصيبها مكروه فذهب فى الحال الى فتحة الشق وأخذ ينصت الى ما يدل على نوم الأسود حتى

سمع صوت ضياء تتألم وتقول « يا سمك ، تعال فان الزنجى قد نام » ·
فرد سمك « أنا قادم يا أختاه » · ودخل الشق فرأى الزنجى يغط فى
النوم وقد ألقى ضياء تحت سريره ، فتقدم اليها وفك قيدها ، فقالت له
ضياء « أيها البطل ، اقطع رأسه لأنه أخافنى خوفا عظيما لم أره فى
حياتى ، لعله ليس آدميا » ·

أجابها سمك « احذرى أن تجعلى هذا الفكر فى قلبك ، لقد عهدوا
اليه بهذا العمل الذى لا شك سيتضح لنا ، ثم ان الأسود لم يقتلك ،
فقتله ليس من الفتوة أو الرجولة » ·

قالت ضياء « يا سمك ، يقول الأسود ان سيده قال له لا تقتل
الغرباء ، وقد عرف أنني لست من هذا الوادي والا لقتلنى » ·

أجابهـــا سمك « يا أختى ، هذا المخبأ ملك للغــورى ، ولهذا
لا يجرؤ أهل الوادى على المجىء هنا ، فلما رآك الأسود عرف أنك لست
من هذا الوادى فلم يقتلك » · ثم قال « خذى المفتاح لكى نذهب من هنا » ·

قالت ضياء « ان المفتاح أخذه الزنجى » فسحب سمك المفتاح من
تحت رأس الأسود ثم قال لضياء « لأن المفتاح معنا فاننا نستطيع فتح
باب السجن عندما نشاء ، والآن فقد تأخر الوقت ولا يجب أن يبحث عنا
الغورى فلا يجدنا فينكشف هذا السر » · ثم توجها عائدين ·

بعد أن قطعا مرحلة من الطريق ترامى الى سمعهما شخير أحد النائمين
فتعجب سمك وقال لعله أحدأصحابنا جاء فى أثرنا فغلبه النوم وتقدما
نحو الصوت فشاهدا شخصا نائما وراء صخرة فأمسكاه ووجداه غريبا ،
ومد سمك يده وأخرج خنجره وقال له « أصدقنى القول من أنت ؟ ولماذا
جئت الى هذا المكان والا فاننى سأقتلك » · فلما رأى الرجل هذا استولى
عليه الخوف وقال « أيها الرجل الحر ، أنا كيكان الجاسوس ، عندما
خرجت من معسكر غاطوش وسلكت طريق الجبل نزلت فى هذا المكان
وسمعت صياح الأسود والأنين فقلت استرح ساعة حتى يذهب هؤلاء
القوم لكى لا أقع فى أيديهم وجلست خلف الصخرة ولكن سلطان النوم
غلبنى وجعلنى لا أدرى شيئا عن الدنيا حتى أمسكتمانى » ·

حين سمع سمك اسمه قال له « فى أى مهمة قدمت » ؟

أجابه الجاسوس « أرسلنى غاطوش لأنه كان معنا ثلاثة من الأسرى
وأمس أخذوهم وذبحوا ثلاثة أبطال مع جماعة أخرى ، لهذا جئت لأرى

ان كانوا قد أحضروا الأسرى الى هنا أم لا أم حملوهم الى معسكر الملك فغفور ، كما أنني كنت ذاهبا لأعرف عدد جيشكم ومقدار مؤونتكم » ٠

حينما سمع هذا ، وضع غلا في عنقه وسحبه الى أن وصل الى مكانه وكان الصبح قد أصبح فقال لهيب والآخرون « أيها البطل ، ان الغورى يريدك » ٠ فقال لهم سمك « قوموا جميعا لنذهب » ٠ فقاموا وساروا مع سمك الى مجلس الغورى ، فلما رأوه أدوا التحية فقام لهم الغورى ورأى رجلا في عنقه غل فسأل » من هذا الذى أتيت به ؟ ٠

قال سمك « أيها البطل ، انه كيكان الجاسوس ، أمسكت به عند أول الوادى ، ولا أعرف كيف مر علينا ولم نشعر به » ٠

قال الحاضرون « أيها البطل ، لعله جاء عن طريق الجبل ولهذا لم نره ، وعلينا أن نستجوبه » ٠ فقال سمك « لقد أمسكناه في وسط الوادى ، وكيكان هذا معروف » ٠

استدعاه الغورى اليه فأدى كيكان التحية ثم قال له الغورى « يا كيكان ، لماذا جئت الى هذا الوادى ؟ فأخذ كيكان يتحدث وكرر ما سبق أن قاله لسمك ٠ فقال الغورى « قيدوه حتى أتصرف معه » ٠

قال سمك العيار « أيها البطل ، انه ليس ملكا ولا أميرا حتى نقيده ، انه عاجز ضعيف ولا خطر منه أو من أشخاص مثله ، فدعه يذهب فلا هو في الكير ولا النفير ولا يستطيع ألف مثله عمل شيء » ٠ ثم خلع سمك ملابسه وألبسها لكيكان وقال له « لقد رأيت الوادى والأبطال والجيش والمؤن ، والآن عد الى غاطوش وقل له ان سمك يقول لك ان لدينا اثنا عشر ألف رجل مقاتل بطل ولدينا مؤن كثيرة ، وأنا سمك جئت الى واديك مرتين ، مرة عندما أخذت الجبالى وورد وغيرهما كما أخذت شاهان ٠ وقل لغاطوش أن يحترس على نفسه الليلة لأنني سآتى لآخذ رأسه كما أتيت برءوس طارق وصيام وسوسن وأطلقت سراح أسرانا هرمز وورد وسمور الذين تراهم يجلسون أمام الغورى ٠ وان كنت شجاعا قل هذا لغاطوش » ٠

قال كيكان « سمعا وطاعة ، ولكن اعطنى علامة لكى أخرج بها من الوادى ولا يؤذينى أحد » ٠ فأمر الغورى باعطائه سهما أخذه كيكان في يده وانطلق في طريق العودة ٠ وكان جنود الغورى عندما يرون السهم يؤدون التحية الى أن خرج كيكان من الوادى ؟

حينما وصل كيكان الى غاطوش أدى التحية وأخذ فى الحديث عما شاهده وأبلغ غاطوش برسالة سمك الذى اضطرب عند سماعها واستولى عليه الحزن وقال « لا طاقة لنا على دفعهم وما اعجبهم من جماعة جريئة ذات جلد بلا خوف ، يجب علينا أن نكتب رسالة الى أرمنشاه فان كان يريد حربهم فليأت ويرد عليهم لأننى لا أقدر على حفنة من الأوباش . وكما يقول سمك انه جاء مرتين الى فراشى ولو كان قد قتلنى فماذا كنت أفعل ؟ كما أنه قال انه سيأتى الليلة الى فراشى ، ولا يستطيع أحد منعه كما لا يمكن أن أضع نفسى فى مهب الريح » ، وفى الحال كتب رسالة لأرمنشاه ذكر فى أولها اسم الله ثم قال :

هذه رسالة من عبدكم غاطوش خادم ملك الدنيا وحاكم المشرق والمغرب ، ليعلم أرمنشاه ويتأكد أن الجيش كان قد جاء وقطع الطريق على جيش الفغفور وقتلوا منه خلقا كثيرا ، وأسروا هرمز وسمور وورد ، وفى النهاية لم يصبروا ليلتين على هذا حتى جاء سمك وأخذ الأسرى ، ولم يكتف بهذا بل قطع رؤوس طارق وصيام وسوسن كما قتل خمسين من الحرس . من يصدق فى الدنيا أن رجلا بمفرده يقوم بهذه الأعمال ؟ ولكن هذا ما قام به سمك الحقير . والآن فانه لا طاقة لنا بهم لأننا رجال جبليون ولا نعرف الحيل والمكر والخدع ودلج الليل ولا نستطيع أن نقوم بها ، وأعرف أن مكانهم صار غير مهيأ لبقائهم وربما جاءوا الى هنا فلو جاء جيش الملك أرمنشاه الى سهل الحمر الوحشية على أول الوادى ، وهو مكان واسع موفور الماء والعلف حتى اذا جاء جيش خورشيد شاه أمكن قتالهم ، كما يمكن حصار وادى الغورى لأننى لا أستطيع قتالهم . وقد علمنا أنه لا يوجد فى الوادى الا مؤونة ثلاثة أشهر ، لهذا تمكن هزيمتهم من هذه الناحية ، وقد أخبرنا الملك لأنه اذا جاء الى هنا فاننا سنعمل على هذا النحو والا فسوف نأتى اليكم ونترك الوديان الاثنى عشر كما أن أتباع طارق وصيام وسوسن يقيمون لدينا والسلام » .

ختم الرسالة وأعطاها لكيكان وقال له خذ هذه الرسالة وأبلغ أرمنشاه بما عرفته ورأيته . فذهب كيكان وسلم الرسالة لشهران الوزير ففتحها وقرأها وأخبر الملك بمحتواها فبهت أرمنشاه ولم يحر جوابا من شدة الحزن والضيق الى أن التفت الى شهران وقال « أيها الوزير ، كيف ترى أعمالهم ؟ وأراد شهران الكلام ولكن دخل المجلس رجل ووضع رسالة أمام الملك فقال « أحيانا تأتى الرسائل متتابعة ، من أين هذه ؟ فأجابه الرجل « أيها الملك ، اقرأها حتى تعرف » . فأخذ الملك الرسالة وسلمها الى الوزير شهران .

هل عندكم حمية وشرف ·

أخذ شهران الرسالة وقرأها وكان مكتوبا بها « هذه الرسالة منى أنا بدرية أقل عبيد وخدم الملك وابنته ، ليعلم أبى العظيم أن الملك لك خسارة ونقصان لأنك لا تذكر أبدا أن لك ابنة وزوجة وأن شهرة الرجال أو عارهم تأتى من وراء النساء والبنات ، وليس لك عقل أبدا فى ادارة الملك حتى يضرب رجالك بسيوفهم من أجل زوجتك وابنتك ، ان لك ابنة وزوجة جاء رجال من الأوباش وأخذوهما ولم تبحث عنهما · وهل هما من الأموات أو الأحياء ؟ ألم تكن بدور زوجتك ؟ · وأنا ، ألست من صلبك أم ابنة غيرك ؟ حتى لا تبحث عنا وتسعد أن تلقب بالملك وقد اجتمع حولك جيش جرار تحارب به · ولا أعرف من أجل ماذا تحارب ؟ وقد كنت تحارب من أجل ماه برى فلماذا تحارب الآن ؟

أخى الذى لا وفاء له ولا حمية ولا حرمة ، عديم الشهامة والغيرة ، الذى أطلق على نفسه صفات الشجاعة والبطولة وتصدى لاشعال الحرب وضرامها لكى يأخذ فتاة ينام بجانبها اللعنة على مثل هذا الأخ · ان هذا السر سوف يذاع بين الملوك والفتيان والشجعان فمن يستطيع أن يتحدث بينهم ويقول كانت لى أخت وأم تركتهما فى يدى كافر فقتل الأم وفضح الأخت · فلتسعدوا أيها الرجال · وأحسنتم أيها الملوك · هل ترتاح أجسادكم وفيكم هذا العار والشنار ؟ وهل لكم حمية وشرف ؟

لقد حملنى الأحمر الكافر الى وادى الخورجان مع أمى ودانة والمربية وسكينة الساقية ولا أعرف من أين أحضرهم ولكنه قتل أمى مع الثلاث الأخريات ويحتفظ بى مقيدة · وقد أعلمت الملك حتى اذا كانت لديكم غيرة أو حمية فابحثوا عنى وخلصونى من يد هذا الكافر والا فالله أعلم وأنتم تعرفون العاقبة والسلام » ·

حين وقف أرمنشاه وقزل ملك على ما جاء بهذه الرسالة انتابهما الرعب والفزع ، واستولت عليهما رعشة ورجفة ، وعلت وجوه الأبطال صفرة وحيرة ، ووهنت يدا شهران الوزير وساقاه ولم تحتملاه ، وبهت الجميع من هذا العمل الى أن قال الملك « أيها الوزير ، ما التدبير ؟ أرأيت ما فعلوا ؟ ثم أخذ يبكى من أجل زوجته ، بينما أخذ قزل ملك يصيح من أجل شقيقته ·

كان أبطال وادى الخورجان حاضرين من أمثال سحاب وعليان وسلمون ومأرم ورهان وغيرهم غمرهم الحزن والألم لما سمعوه والتفت اليهم أرمنشاه وقال « أرأيتم ما يحدث لنا ؟

أجاب سحاب الذى كان قائدا للجيش « لقد ظننا أنهم فى أسر خورشيد شاه ، اما اذا كانوا فى وادى الخورجان فسوف نرسل شخصا لكى يأتى بالأحمر الكافر مقيدا ويلقيه تحت قدمى الملك » .

سأله أرمنشاه « وكيف ستفعل هذا ؟ فأجابه سحاب ، أمر سهل ، فسوف أرسل شخصا لكى يستدعى الأحمر الكافر وأدخله فى طاعة الملك » . وكان لدى سحاب غلام اسمه قطان استدعاه وقال له « عليك بالذهاب وايصال رسالة الى القائد يلان محافظ صحراء الخورجان لكى يقوم بهذا الأمر على أن تعود فى أسرع وقت » فقال قطان « السمع والطاعة » .

فى الحال كتب سحاب الرسالة بالتهديد والوعيد الى يلان محافظ صحراء الخورجان ، وكتب رسالة أخرى الى أعيان وأهالى تلك النواحى جاء بها « اعلموا أن أحد خدم أرمنشاه قد خرج عن طاعته وارتكب خيانة بأخذه ابنة الملك وأمها وجاريتين ، وعلمنا أنه لم يبق غير الفتاة وأنه قتل الأم والجاريتين . فيجب عليكم عند الاطلاع على هذه الرسالة أن تقبضوا فى الحال على الأحمر الكافر وتقيدوه وتضعوا الغل فى عنقه وتسحبوه الى مجلس الملك وتجلسوا الأميرة فى مهد مزين بالجواهر وتذهبوا الى طاقل أستاذ (١) قصرى والى حمند الخازن وتعطوهما خاتمى ليفتحوا الكنز الفلانى وتأخذوا منه عشرين حملا من الجواهر والمسك والعنبر والكافور والملابس المختلفة الزاهية الألوان وغير ذلك وترسلوها معها ولا تفعلوا كما فعل وادى الغورى حتى استحق أهله العقوبة الآن ويقوم الجيش بمحاربتهم لهزيمتهم » .

حين أتم الرسالة أعطاها لقطان كما أعطاه خاتمة أيضا وأرسل معه مائة فارس . فلما ذهب قطان التفت أرمنشاه الى مهران الوزير وقال « أرى أن نرحل من هنا الى سهل الحمر الوحشية كما أشار غاطوش ونكتب رسالة الى الفغفور وخورشيد شاه نذكر لهم فيها ما بلغنا عن زوجتى وابنتى والجاريتين وانتقالنا الى سهل الحمر الوحشية » .

فى الحال أمر شهران الوزير باحضار المحبرة والقلم والورق وكتب « بسم الله الملك الديان » . ثم أثنى كثيرا على الملك فغفور ومدحه وبعث بتحيات الملك أرمنشاه الى خورشيد شاه ، وقال هذه الرسالة منى أنا أرمنشاه اليك يا فغفور . لقد ظننا أنك ملك وكل ما تشعله أو تأمر

---

(١) أستاذ القصر مدير ادارته .

به يكون مثل ما يفعله الملوك أو يأمرون به ويقبله العقلاء ، ولم نكن نعلم أنك بلا تدبير فى الملك • ذلك أن لنا زوجه وابنة وراء الاستار ، ثم ترسل حفنة من اللصوص والأوباش لكى يسرقونهما مع دانة وراحة القلب والساقية ، وعندما علمنا بعد ذلك أرسلنا شخصا يحمل أموالا وافرة لكى تردهم ولكنكم قصرتم • ومع كل هذا فقد استقر فى قلوبنا أنهم فى قصركم كأنهم فى قصرنا ولكنكم اخترتم لصا قاتلا ومصاصا للدماء مثل الأحمر الكافر لكى يأخذهم الى صحراء الخورجان ومن سوء فعله وانحراف سلوكه يقتل الأم والأخرتين ويسجن الأميرة • فهل يجيز عقلكم مثل هذا العمل ؟ وما هو التدبير حتى نبحث عن سبل اتخاذه ؟

ولما كان موقع معسكرنا هنا سيئا وغير مناسب فاننا سنذهب الى سهل الحمر الوحشية الذى تبلغ مساحته نحو خمسين فرسخا ، ويتوفر به الماء والعلف الأخضر حتى لا تقولوا أننا هربنا • فان رغبتم فى قتالنا فلتأتوا فى أثرنا وقد أخطرناكم والسلام •

قرأ شهران الوزير الرسالة على أرمنشاه والأبطال فاستحسنوها ثم ختم الرسالة وقال يلزمنا شخص ليحملها ويأتينا بالرد • فأدى سحاب التحية وقال « أيها الملك ، سأحمل الرسالة وأعود بالجواب » ثم حمل الرسالة وتوجه الى معسكر خورشيد شاه يرافقه خمسون فارسا ، فلما وصلوا الى طليعة خورشيد شاه كان الأحمر المرغزى على رأسها فصاح فيهم قائلا « من أنتم ؟ » فرد عليه سحاب « رسل من عند أرمنشاه » • فقال لهم « الزموا أماكنكم حتى أذهب وأخبر الملك » • وأوقفوهم فى مكانهم ثم ذهب الأحمر الى المجلس وأدى التحية وقال « جاء رسول فهل تأذنون له ليأتى » • فقال خورشيد شاه « احضره » •

أمر الملك فغفور بتزيين المجلس كما هى عادة الملوك ، بينما عاد الأحمر المرغزى الى سحاب وقال له « تعال الى المجلس » • وحينما وصل سحاب الى باب المجلس نزل عن حصانه ورأى ذلك المجلس وتلك الهيبة والاحترام والغلمان والحجاب والقواد كل منهم فى مكانه والخدم يقفون على باب المجلس ، بينما كان الأبطال والأمراء والحكام وأمراء الدولة والقواد يجلسون على كراسى ذهبية أو فضية أمام العرش ، بينما اصطف الوقوف فى أماكنهم •

دخل سحاب وانحنى أمام العرش واثنى على الملك الذى أمر بوضع كرسى ذهبى على يمين العرش فلم يجلس عليه سحاب وأدى التحية قال « أيها الملك العظيم ، اننى ورفاقى ليس لدينا أمر بالجلوس •

قال هامان الوزير « لقد انقضى هـــذا ، فأنتم الآن كأنكم منا ، فلا تتعجل لأن العجلة من الشـــيطان ، ويقول العرب « العجلة اخت الندامة » .

أدى سحاب التحية وجلس وأخذ ينظر الى قد وطول ووجه خورشيد شاه ويمتدحه في نفسه الى أن أحضروا ماء الورد فشربوا ومدوا الموائد فأكلوا ثم أقاموا مجلس طرب ، وأخذ المطربون يرددون أعذب أغانيهم وألحانهم ، وحينما أخذ السقاة يدورون بكئوس الراح وقف سحاب وأدى التحية وأخرج الرسالة وقبلها ووضعها على جانب العرش فأخذها الملك وأعطاها لهامان الوزير .

أخذ هامان الوزير الرسالة وقرأها وأطلع الملك على ما جاء بها وحينما علم الملك فغفور وخورشيد شاه بما جاء في الرسالة صاحا كلاهما مع جميع الأبطال وقال الملك فغفور « يا خورشيد شاه ، ألم تكن ابنة الملك وزوجته عند ماه برى » ؟

أجابه خورشيد شاه « نعم ، ولكن لا أعلم ما حدث حتى الآن ، لقد كنا في غفلة حتى أن الأحمر الكافر يأخذ بدرية وأمها والأخريات ولا نعلم بهذا ، ولقد ظننت أن الأحمر الكافر ذهب للمدينة » ثم استدعوا لالا صلاح الذى جاء فقال له خورشيد « أين زوجة الملك وابنته والأخريات ؟ » .

قبل لالا صلاح الأرض عدة مرات ثم قال « أيها الملك ، لقد هربوا » . فقال له خورشيد شاه « انك أحسن شخص موضع ثقة حتى يتركوا لديك بعض النساء ولا تستطيع الحفاظ عليهن ، وحينما ذهبن لا تخبرنا . كيف استطعن الهرب ؟ » .

أجاب لالا صلاح « أيها الملك ، هذا ليس تقصيرى ، ففى تلك الليلة التى كان فيها الأحمر الكافر على رأس الطليعة جاء الى خيمتهن وأخذهن ولم نعلم بذلك ، وحينما علمت أردت أن أخبر الملك ولكن ماه برى لم تسمح لى وقالت لا تقل ودعهن يذهبن حيث شئن فلا يمكن ابقاؤهن فى الأسر أكثر من هذا ، ولعله أخذهن الى المدينة ولهذا لم أخبر الملك » .

تضايق خورشيد شاه ولم يستطع أن يقول شيئا حتى التفت الى سحاب وقال له « أيها الرجل الحر ، حينما تعود الى الملك قل له ما سمعته من لالا صلاح ، ثم قسما بالخالق العادل اننى لم أعرف سوى فى هذه

اللحظة وأنا أدرك أنه ليس حسنا ومن الخير أن أعترف أن ذلك القسم الذى أقسمته لأثبت صدق ما قلت ليس للاعتذار ، ولأن الأحمر الكافر أخذ الأميرة فقد آليت على نفسى أن أسلمها لكم · أما اللائى قتلهن فاننى لا أستطيع أن أفعل شيئا وسوف أرسل الأحمر الكافر مقيدا اليكم · أما ما قلته عن الذهاب من هنا الى سهل الحمر الوحشية فهذا أفضل من مكاننا هنا الذى يعد فى غاية السوء ، فاذهب أنت وسنكون فى أثرك » ·

قال خورشيد شاه هذا ثم أمر له بخلعه واعادته ، فعاد سحاب الى معسكره وأدى التحية أمام أرمنشاه وذكر له ما حدث وأبلغه برسالة خورشيد شاه ، فتعجب أرمنشاه والأبطال من أقوالهم وأعمالهم · ثم أمر الملك برحيل الجيش الى سهل الحمر الوحشية ، فاتجه مائة ألف فارس الى هناك وسبقهم كيكان الجاسوس وقال لغاطوش ان جيش الملك أرمنشاه قادم الى أول الوادى وسيحطون رحالهم فى سهل الحمر الوحشية ·

التفت غاطوش الى الأبطال وقال لهم « بما أن الملك سيصل فعلينا الذهاب لخدمته ولكن يجب أن تبقى جماعة على أول وادى الغورى للمراقبة وحصارهم فى الوادى ووضع بعض الرجال على أوائل الطرق لكى يحرسوها حتى لا يتردد أحد على وادى الغورى ·

قال الجميع « السمع والطاعة » · واتفقوا على أن يذهب دخان من الوادى الأسود وعيلاق من وادى غضبان ، وهولان من وادى الأفاعى ، وحورتك من وادى الأبطال ، وأمير من وادى النواعير على رأس عشرين ألف فارس الى مدخل وادى الغورى ويرسلوا الرجال الى الطرق المؤدية الى الوادى · وعندما ذهب الجنود قام غاطوش وتوجه للقاء أرمنشاه مع من بقى من الفرسان ·

نعود للحديث عن سمك ، فيقول راوى القصة أنه بعد أن لاطف سمك العيار كيكان الجاسوس وأعاده الى غاطوش ، أعجب الغورى بأفعال وأقوال سمك وأثنى عليه ، فأدى سمك التحية له ثم أمر الغورى بوضع المائدة فتناولوا طعامهم ، فلما انتهوا منه أعد مجلس الطرب ، وأخذوا فى تناول الشراب ·

من تقدير الله أن ذلك العبد الأسود استيقظ فى شق الجبل الذى يسكن فيه وكانت الشمس قد أشرقت وأضاءت الدنيا فنظر حوله فلم ير الأسير ، فأخذ يبحث عنه فلم يجده ، فخرج من شق الجبل وسار فى كل اتجاه فلم ير أثرا لأحد · فقال لنفسه يجب أن أخبر سيدى بهذا

لكى يعرف من الذى يتعقب هذا الأمر وأننى كنت قد قيدت ذلك الأسير فكيف ذهب ؟ قال هذا وتوجه الى معسكر الغورى ٠

فى ذلك الوقت الذى جلس فيه الغورى على عرشه وجاء العيارون وأخذوا يتناولون الشراب ظهر من بعيد ذلك الأسود فاضطرب الناس وقالوا جاء الأسود آكل لحوم البشر وأخذوا يسبونه ويلعنونه ٠

رأى سمك العيار وضياء قدوم الأسود فقالت ضياء « يا سمك ، عسى الا يكون مجىء الأسود لكشف سرنا » ٠ فقال لها سمك « لا تخافى ولا تحزنى فان الأسود لا يعرفك » ٠ وبينما كانا فى هذا الحديث تقدم شخص للغورى وقال له « أيها البطل لقد جاء الأسود آكل البشر » وحين سمع الغورى هذا وقف وقال للأبطال « ابقوا فى أماكنكم حتى أعود » ٠ قال هذا وذهب لاستقبال الزنجى ٠

بعد أن ذهب الغورى سأل سمك أحد الرجال « من هو هذا الزنجى ومن أين يأتى وماذا يريد ؟ ٠ فرد ذلك الرجل « أيها البطل ، هذا عبد للغورى ، وهو يأكل الناس وقد اشتراه منذ أكثر من عامين وفى نهاية الوادى يوجد باب حديدى ولا يسمح لأى أحد منا بالذهاب الى ذلك المكان ولا نعلم أكثر من هذا » ٠ فالتفت سمك للجبالى وسأله « أيها البطل من ذلك الزنجى الذى تركنا الغورى وذهب للقائه ولم يدعه يأتى الى هنا » ؟

أجابه الجبالى « احذر أيها البطل أن تقول هذا الكلام الذى قلته لى للغورى ولا تتحدث عنه بعد الآن ، وان أردت أن تستقيم أمورك فلا تذكره أبدا لأنكم غرباء ولا يستحسن أن تلاموا على كلامك هذا وتسوء سمعتنا من أجلك » ٠

تعجب سمك وقالت له ضياء « يا سمك ، ماذا يمكن أن يكون هذا الأمر ؟ اننى أسألك » ٠

أجابها سمك « لا تسألنى عن أى شىء فمفتاح الباب الحديدى معنا وسوف تكشف هذا السر وأحضر لك هذا الزنجى مقيدا » ٠

قالت ضياء « كيف تستطيع أن تتغلب على هذا الزنجى ؟ فأجابها « ما أعرفه لا تعرفينه » وبينما كانا فى حديثهما سمعا الغورى يصيح فى الزنجى قائلا « يا آكل البشر لماذا جئت وتركت الباب المغلق ؟ ٠ فأدى الزنجى التحية وقال « يا سيدى ، لقد جئت لأمر ضرورى ، اذ حدث شىء جئت لأخبرك به » ٠

فسأله الغورى « وما هو ؟ » ثم أخذ يد الزنجى وجلس على صخرة وأجلسه أمامه وقال له « تكلم » • فقال الزنجى « أمس جاء شخص الى الباب المغلق وكان معه المفتاح » •

فسأله الغورى « وهل فتح الباب ؟ » أجابه الزنجى « أراد أن يفتحه ولكننى أمسكت به وأخذته الى مأواى وأخذت فى تناول الشراب لكى أحضره لك فى الصباح ، ولكننى لم أجده عندما صحوت » •

قال له الغورى « ولماذا لم تقتله ؟ » فرد الزنجى « لم يكن مسموحا لى لأنه كان غريبا » • فانتفض الغورى وسأله « هل تعرفه » ؟ فأجاب « لا » •

عندئذ قال له الغورى « عد أيها الزنجى وكن يقظا ، واذا جاءك أى شخص فاحضره لى لأعرف من يكون • ولا تشرب الخمر لمدة أسبوع وتيقظ » • فقال الزنجى « السمع والطاعة » ثم أضاف « اننى أحتاج لطعام » • فأمر الغورى باعطائه خمسين خروفا ومائتى من من الخبز • وانصرف الزنجى وعاد الغورى الى مجلسه وهو غارق فى التفكير ويسيطر عليه الانفعال ، ولم يستطيع أن يتحدث من حزنه فقام وذهب الى بيته فتفرق الأبطال •

كان الغورى يفكر كل ليلة فى هذا الحادث ومن الذى يمكن أن يقوم به ويقول لنفسه لابد أن يكون شاهان هو الذى يفعل هذا ولكننى قتلته ، ويحتمل أن يكون الزنجى رأى مناما ، والا فكيف يذهب شخص الى هناك فى الليل ؟ لعلهما كانا اثنين ، ويقول الزنجى أنه كان معه المفتاح فلأذهب وأرى ان كان المفتاح موجودا فى مكانه أم لا ؟ قال هذا وفتح قاعدة العرش فوجد الصندوق ولم يجد المفتاح فتضاعف حزنه وتحقق له صدق ما ذكره الزنجى ولم تغمض له عين تلك الليلة ، ولم يخطر على باله أن يكون هذا من عمل سمك أو ضياء • ثم قال لنفسه من الممكن أن تكون ضياء لم تقتل شاهان وهو الذى فعل هذا • وقد حاول النوم ولكنه لم يستطع حتى أشرقت الشمس بنور الصباح فذهب الغورى الى مجلسه وجلس على عرشه وجاء الأبطال لتحيته وخدمته ، وجاء سمك أيضا ورفاقه وكان الغورى مهموما ضجرا فأمر بمد الموائد فأكل كل من حضر ثم أقاموا مجلس طرب وأخذوا يتناولون الشراب •

التفت الغورى الى سمك وقال له « أيها البطل ، فى ذلك اليوم الذى أحضرت فيه شاهان سلمته الى أختك ضياء لكى تقتله ، فماذا فعلت به لأننى لم أستفسر منها فى ذلك اليوم » •

عندئذ أدت ضياء التحية وقالت « أيها البطل ، اننى لم أقتله » .
فانتفض الغورى فى مكانه وقال لها « كيف ؟ » فأجابته « أخذته الى الرمال المتحركة فهرب » . وذكرت أنه طلب الأمان لأن لديه سرا يريد أن يبوح به وأنه لا يستطيع البوح به لى لأننى امرأة وطلب أن آتى له بسمك ، وقد احترق قلبى من أجله من كثرة بكائه ونحيبه وقلت لعل لديه كلاما أو وصية يريد أن يوصى بها ، وأننى لو أجلت قتله لوقت آخر فلا ضرر من وراء ذلك ورأيت ان ألبى رغبته حتى لا أكون مخطئة لأن قتله فى حد ذاته خطيئة . فلا أقل من أن أحقق له أمنيته ، فتركته مقيدا فقال لى « بحق الفتوة والشهامة وسعى القيد قليلا حول يدى ورجلى ، فحللتهما قليلا ، وعندما عدت لأبحث عن سمك وجدته معك فلم أستطع طلبه . فلما رجعت لم أجد شاهان ، فعدوت فى كل اتجاه ولم أعثر له على أثر ، وتضايقت كثيرا ومن خجلى لم أستطع أن أخبركم » .

ثار الغورى حين سمع هذا الكلام وقال « يا سمك ، هل هذا عمل حسن ؟ لو لم تكونوا قد التجأتم الى حماى وقبلتكم تحت حمايتى لأمرت فى هذه الساعة أن يقطعوكم جميعا اربا اربا جزاء ما قامت به ضياء ، ولأمرت بفصل رأسها عن جسدها لأن شاهان هو أخطر أعدائى فى العالم أجمع ، وهو الآن يدبر لتخريب بيتى وأموالى » .

أدرك سمك سبب ثورة الغورى فقام وأدى التحية وقال « أيها البطل ، نحن عبيد لك ولتفعل ما تشاء . واذا كانت أختى ضياء قد أقدمت على عمل عن جهل منها يستلزم العقاب فاصفح عنها بفتوتك ورجولتك . فالمرأة حتى لو كانت ذكية وعالمة الا أنها ترتكب أعمالا لقلة عقلها تسىء الى الناس وربما تسبب هذا العمل فى خراب الدنيا ، والآن فان من كمال فتوتك أن تعفو عنها » .

قال الغورى « اجلس فقد فر شاهان من المصيدة كالعصفور ومن الصعب استرجاعه » فقال له سمك « انك لم تعرف بعد غور أعمالى ، فبالله الخالق العادل ـ لآتين به اليك حتى ولو كان مقيما فوق الأفلاك وأعاهدك على هذا » .

رد عليه الغورى « هذا الادعاء الذى تدعيه أمر عظيم ولا أدرى كيف ستأتى به ؟ » .

أجابه سمك « ان الرجال لا يدعون شيئا ، وقد وعدتك الآن وسوف أفى بعهدى . ويجب أن يقوم أحد بارشادى الى مكانه فى معسكره لأننى غريب ، واذا عرفت مكانه فلن يمضى وقت طويل قبل الايقاع به » .

قال الغورى « اجلس واشرب ، فغدا سوف أخبرك » • فتناول سمك كأس شراب بيد وأمسك بيده الأخرى يد الجبالى وانتحى به الى ركن وقال له « أيها البطل ، قل لى ـ بالله ـ أين مكان شاهان ؟ • فأجابه الجبالى « يا أخى ، وما شأنك بهذا ؟ لقد ذهب والأمر ليس ملعبة لأن مكانه من الصعب الوصول اليه » • فقال له سمك « يا أخى ، قل أين هو لأننى سأذهب اليه فاما أن تضيع رأسى أو أنجز هذا العمل وآتى بشاهان حتى لا أشعر بالخجل ألم تسمع ما قاله لنا الغورى ؟ وكله على حق ، فمن لا يؤلمه الكلام ليس برجل » •

قال الجبالى من كثرة ما رجاه سمك « ان مكان شاهان هو الوادى الكبير الذى يقع بعد تلك القلعة التى اقتحمتها • فبعد أن تعبر ذلك المكان الذى نزل به جيش غاطوش يظهر لك على اليمين واد هو الوادى الأحمر وعلى اليسار قصر عظيم شيد من الصخر » فضحك سمك وقال « ظننت أن مكانه خارج هذه الدنيا ، فليس هناك أصعب من تلك القلعة التى فتحتها ، والآن احذر أن تقول هذا الذى دار بيننا للغورى » ثم انشغلا فى الشراب وأظهرا السرور حتى حل الليل وغشى بظلمته الدنيا •

عاد سمك الى مكان اقامته وقال لضياء « اننى ذاهب للبحث عن شاهان لأحقق الادعاء الذى ادعيته ثم أفتح ذلك الباب وأعرف ما وراءه من أسرار فاذا بحث عنى الغورى فقولى له انه سيأتى الآن ولا تذكرى قط أننى ذهبت » •

قالت ضياء « الأمر لك » • فحمل سمك ما يلزمه للعمل وركب دواء ومسح به وجهه فصار أسود الوجه وسار فى طريقه وخرج من الوادى حتى وصل الى معسكر الأعداء فأمسكه الجند وسألوه « من أنت » ؟ وكان سمك قد سمع أن لأرمنشاه جاسوس اسمه « لك » فقال لهم « أنا لك الجاسوس خادم أرمنشاه ، ولأنه قادم الى سهل الحمر الوحشية فقد أرسلنى قبله لكى أعرف الأحوال فى وادى الغورى ، وأنا عائد الآن من هناك » • وكانوا قد سمعوا اسم لك قبل هذا ، فأخذوا سمك الى الأبطال فلما رأوه أدى التحية وسألوه « من أنت » ومن أين جئت ؟ فأجابهم سمك « أنا لك الجاسوس كان أرمنشاه قد أرسلنى الى وادى الغورى لأرى كم عدد جندهم ومقدار مؤنهم وكنت عائدا لأخبر أرمنشاه ولكن جنودكم أمسكونى » •

سألوه « وهل رأيت الوادى ؟ وكم عدد الرجال فى ذلك المكان ؟ » فأجابهم سمك « اثنا عشر ألف رجل ، أما المؤن فلا تكفيهم الا شهرين

أو ثلاثة ، وأنا ذاهب لاخبار الملك أرمنشاه ثم قال « أيها الأبطال ، اعطونى علامة حتى لا يتعرض لى أحد أثناء عودتى لأننى قادم على عجل منذ ثلاثة أيام وأنا على يقين أنهم ينتظروننى » فقالوا « اعطوه سهما » فقال سمك « اننى لا أريد سهما لأنهم قد يمسكوننى ببعض الأسئلة ولكن أرسلوا معى ثقة حتى يجيب على كل ما يسألون عنه » • فأرسلوا معه شخصا حتى أخرج سمك من منطقتهم فقال له سمك « أيها الفتى ، لقد تحملت مشقة كبيرة فعد » • أما سمك فقد سلك الطريق الى الوادى الأحمر •

حينما وصل سمك الى الوادى أمسكه جند شاهان وقالوا له « من أنت ؟ » قال لهم « أنا جاسوس قادم من وادى الغورى ، وقد جئت بأخبار سارة ولم أجد البطل شاهان فى المعسكر فقلت لعله هنا » فقالوا له « لا ، انه ليس هنا ، ويبدو أنه حينما هرب من ضياء عند الرمال المتحركة ذهب الى واديه وعاد كل جيشه قائلين طالما أخذوا شاهان فما شأننا ووادى الغورى ، فلما رجع شاهان من هناك فرحوا وعادوا الى مواقعهم •

رأى سمك قصرا أشد استحكاما من الصخر والخدم يقفون على بابه فتوجه اليهم وقال لهم « أخبروا شاهان أن شخصا جاء يحمل اليه البشرى » فلما أخبروه قال « أدخلوه حتى أرى من هو » • فأدخلوا سمك الى شاهان •

حين رأى سمك البطل شاهان أدى التحية وأثنى عليه فقال له شاهان « أيها الرجل الحر ، ماذا وراءك من أخبار ؟ » •

أجابه سمك « لقد جئت من وادى الغورى وكنت هناك حين أحضرك سمك الى الغورى واسلمك الى ضياء لتقتلك ، وقد نجاك الله ، ولم تذكر ضياء شيئا عنك الى أن ذهبت ثم قالت للغورى « أيها البطل لقد هرب من بين يدى » وقد أخذ الغورى فى تحقير سمك وضياء بما لا يمكن ذكره ، وقد تعهد سمك أن يأخذك له ثانية ، وكنت واقفا حينما كانوا يقولون ان سمك ومعه الجبالى وآخرون سيأتون ليأخذوك فقلت لنفسى « من المؤسف أن يضيع مثل هذا البطل على أيدى أمثال هؤلاء ، وقطعت الطريق اليك لأخبرك فيجب عليك الحذر والحيطة وأن تأمر الجيش لكى يراقبوا مختلف الطرق » •

سر شاهان وفرح وقال « سعدت أيها الرجل وبوركت فأنت رجل عصامى » ثم قربه اليه وأمر بالطعام فأكلوا ثم أخذوا فى تناول الشراب ولكن سمك قال « أيها البطل ، ليس هذا وقت الشراب لأننى من شدة الحزن لا أستسيغ الشراب » •

فقال له شاهان « اشرب الراح حتى تذهب عنك الأحزان وتعود الأفراح او حيثما شئت فاذهب » فادى سمك النحيه وشرب الخمر ، بينما اختار شاهان مائتى فارس لكى يحرسوا الطرق ٠

حينما أقبل الليل وخيم الظلام وضع سمك مخدرا فى الشراب ، ثم تظاهر بالنوم ونام من كان بالمجلس واحد تلو الآخر فاقدين لوعيهم من تأثير المخدر ، فقام سمك وأخذ يفكر فى كيف يحمل شاهان حتى واتته فكرة فذهب الى المطبخ وأخذ صندوقين انام شاهان فى أحدهما بعد أن أخذ عمامته ، ووضع بعض الذهب فى كمه وملأ الصندوق الثانى بالجواهر والذهب ثم فتح الباب وخرج وكان كل ما يقابله يعطيه بعض الذهب ويقول لهم ان البطل شاهان خلع على خلعة وسأرجع الآن فاذهبوا واحضروا بغلا من الاصطبل لانه وهبنى واحدا ثم استدعى رائدين لمساعدته فحملوا الصندوقين على البغل وجلس سمك بينهما ولا أحد يتصور أنها حيلة » ٠

مضى سمك فى طريقه بجرأة وكان كل من يسأله من أنت يرد عليهم أنا الذى أحضرت البشرى الى شاهان وأعود الى معسكرى ٠ وظن الناس أنه يذكر الحقيقة الى أن خرج من المعسكر وكان النهار قد طلع واستمر فى طريقه وهو يفكر كيف يمكنه الوصول الى وادى الغورى مع هذين الصندوقين وسط آلاف من الفرسان والجنود ٠

شاء الحق جل شأنه أنه كان يفكر فى هذا حين وصل الى سمعه أصوات وفجأة رأى قافلة تحمل مائة حمل فتقدم نحوهم وسألهم « من أنتم ولمن هذه الأحمال ؟ » أجابوه نحن قادمون من عند غاطوش وفى طريقنا الى وادى الأبطال (١) ٠ فقال لهم « أليس معكم خمر للبيع ؟ أجابوه « معنا » فقال لهم سمك « اعطونى دنين واخلطوهما بالماء » ٠ ثم وضع يده فى حزامه وأخرج عشرين دينارا من الذهب وأعطاها لهم ، فقالوا « انها ثمن اربعة دنان » وكان مع القافلة دواب خالية فأخذوا حمل سمك معهم فأعطاهم قطعتين أخريين من الذهب واندس بينهم كأنه واحد منهم ٠

وصلت القافلة وقت الضحى الى المعسكر وأنزلوا أحمالهم حتى يأخذ كل أمير خمره وطعامه ، وكان سمك قد أنزل حمله وأخذ ينظر الى أن رأى ساقى البطل أمير فقال له « هل عندك خمر » فأجابه عندى كل

---

(١) فى الأصل الغورى وهو خطأ كما يتضح من السياق ٠

ما تريد « فأعطاه سمك نحو خمسين دينارا ، فسأله الساقى الى أين تريد أخذها ؟ » ولكن سمك قال له « هل تعلم من هو أمير الطليعة هذه الليلة ؟ قال الساقى « النوبة الليلة على البطل دخان صاحب الخيمة المواجهة لنا والمرفوع عليها ثلاثة أعلام » ·

قال سمك لرجال القافلة اعطونى ثلاثة بغال لتذهب حتى تلك الخيمة وأدفع أجرتها » وأعطاهم قطعتين من الذهب وحملوا البغال الثلاثة بالخمر حتى وصلوا الى خيمة دخان ، وكان الناس واقفين أمامها فألقى عليهم السلام فردوا عليه التحية ثم قال لهم سمك « اخبروا البطل أن رجلا غريبا جاء ومعه هدية » · فدخل حاجب وذكر هذا للبطل فقال له « ادخله » · فأدخلوا سمك الذى أدى التحية وقال « أيها البطل ، لقد أحضرت لكم شيئا » فسأله دخان « وما هو » · فرد سمك « خمر ، فأنا رجل تاجر من حدود الصين ولى أخ وأم عجوز ، وقد ذهب أخى الى وادى الغورى منذ عام ، ولما وقعت هذه الأحداث الآن وصار الطريق مغلقا ، وقد مرضت أمى لفراق ابنها وهى تبكى ليل نهار ، ولهذا جئت لأسترد أخى ليكون لى ثواب عند الله كما أكون قد أديت حق أمى المريضة » ·

قال هذا ثم أخرج صره من الذهب من وسطه ووضعها أمام دخان وقال « أيها البطل اقبلنى كواحد من رجالك وأوصلنى الى أول وادى الغورى حتى أدخل الوادى وأحضر أخى وأعود لخدمتك وأبعث أخى الى أمى ويكون لك أيضا ثواب عند الله » · وظن دخان أن سمك صادق فيما يقول وكان الذهب قد جعل لسمك مكانا فى قلب دخان ، كما أن الخمر كانت قد لعبت برأسه ورق طبعه وخفت حدته فقبل ما عرضه سمك ، فمد يده الى اصبعه وأخرج خاتمه وأعطاه لسمك وقال له احتفظ بهذا وحيثما أردت أن تكون فى معسكرى فهذا الخاتم هو علامتى » ·

أدى سمك التحية وعاد الى صندوقيه وفتح غطاء ذلك الصندوق الذى كان به شاهان ، وأتى باناء به ماء وصب بعضه فى فم شاهان ووضع فيه قليلا من المنوم فعاد شاهان الى النوم وأعاد سمك وضع القفل على الصندوق وأغلقه وبقى حتى حل الظلام ·

فجأة جاء رجل الى سمك وقال له إن البطل يريدك فذهب سمك الى دخان وأدى التحية فقال له دخان اننى سأخرج للطليعة فان شئت جئت معى لكى أوصلك الى أول الوادى · فدعا له سمك ورجع الى صندوقيه فوضعهما على بغل وجلس بينهما وصحب البطل دخان وجنوده حتى

اقتربوا من وادى الغورى حيث كانت الطليعة فقال له دخان « أيها الرجل الحر ، لا يمكننا تجاوز هذا المكان وأنت تعرف الجانب الآخر » .

أثنى سمك عليه وقال « أيها البطل ، انك تعمل ما يجب عليك ، أما الجانب الآخر فاننى سأعرفهم بنفسى لأنهم سبق أن رأونى ويعرفوننى « قال هذا وتقدم بجرأة نحو مدخل وادى الغورى وهو يغنى حتى وصل الى الطليعة ونظر فرأى كثيرا من المشاعل المضاءة بينما يقف الجبالى وجهاد على رأس جيش كبير كطليعة ، كما أن ينال بن سنجانى كان معهم وحين سمعوا صوت سمك قال الجبالى » من هذا القادم الى الوادى وهو يغنى ؟ .

تقدم ينال بن سنجانى وأخرج قوسه من ذراعه ووضع فيه سهما لكى يرميه به فقال له سمك « يا ابن الحرام لا تضرب فأنا معرفة » وعندئذ عرف ينال صـــوت سمك فأخبر الجبالى وجهاد أن سمك قد عاد فقالا « ماذا تقول ؟ » وأسرعا بحصانيهما الى سمك وشاهداه وعرفاه وقالا « أيها البطل ، من أين جئت فى الوقت الذى قارب على منتصف ؟ هل تظن أنك راجع من السوق الىَ بيتك ؟ » .

أجابهم سمك « باقبالكم وسعدكم يستوى السوق والبيت ، فأنا قادم من الوادى الكبير من وسط مائة ألف عدو وأحضرت معى البطل شاهان » . فقال له الجبالى وجهاد « ماذا تقول ؟ من بين عدة آلاف من الفرسان يقفون على أول الوادى كيف تمكنت من الوصول الى هنا ؟ لماذا تقول هذا ؟ فرد عليهما « الرجال لا يكذبون اننى قادم من وادى شاهان » « فقالا له ان كان هذا صحيحا فأرنا علامة » فقال لهما سمك « اذا كنتما تريدان علامة فخذانى الى الغورى لأظهر هناك علامة الوادى الكبير » .

اتجهوا الى الغورى بعد أن قالوا للجند تنبهوا وتيقظوا . ثم جاءوا الى الغورى وكان مازال يشرب حينما تقدم اليه الجبالى وجهاد وأديا التحية فسألهما الغورى « لماذا جئتم وتركتم الطليعة ؟ » فأجابوه « أيها البطل ، لقد عاد سمك وهو يقول كلاما غير معقول وأنه راجع من الوادى الكبير » . فقال الغورى « أدخلوه » .

أدخلوا سمك الى الغورى فأدى التحية فقال له « أيها البطل سمك ، ما هذا الكلام الذى يقولانه عنك ؟ ماذا يعنى أنك قادم من الوادى الكبير ؟ وما هى علامة الوادى الكبير ؟ وكيف يمكن أن يحدث هذا ؟ » .

أجابه سمك « أيها البطل ، أنا قادم من الوادى الكبير ومعى العلامة فى الصندوق » ، وقدم صندوق الجواهر وفتحه وكان مملوءا بالذهب والجواهر ، فقال الغورى « يا سمك ، الرجال لا يكذبون » فضحك سمك وقال « احضروا الصندوق الثانى » فأحضروه وفتحه سمك فراى شاهان نائما بلا وعى ثم أخرجوه وأناموه أمام الغورى فقال سمك « هل هناك علامة أحسن من هذا ؟ وحين رأى الغورى شاهان بهت وعض بنان التعجب وقال « سعدت أيها البطل ، أى رجل فى العالم يمكنه القيام بهذا العمل أو حتى يمكن تخيله ؟ » .

كان الغورى يمتدح سمك العيـار حينما أخذ شاهان فى التحرك ثم تقيأ وفتح عينيه فرأى الجميع فبهت ثم أحنى رأسه وبكى بكاء مرا وقال « يا بطل العالم ، ويا قمة الفتيان لقد أحضرتنى وسلمتنى للقتل ، فأى فتوة وشهامة هذه ؟ ماذا قدمت لك من سوء طيلة عمرى ؟ كيف حدث هذا الحقد بينى وبينك ، ولماذا هذه العداوة ؟ هل الفتوة والشهامة أن تسلم شخصا لاراقة دمه ؟ ان ما فعلته معى يعد أسوأ من كل خسة ودناءة ، الا تخاف الله من أن تجعل دمى فى رقبتك ؟ أليس عندك رحمة على شبابى ؟ لا فائدة من الكلام الآن ، ولكن اعف عنى لوجه الله . وأنا فى حماك طالما أتيت بى عندك ولا تدعهم يقتلوننى ولو أنهم لن يؤمنونى على حياتى ، ولكن قبل قتلى أريد السماح لى بذكر سر يؤلمنى فى قلبى وأنت تعرف الباقى . واذكر الله ويوم القيامة ويداى معلقة فى أذيالك » .

حين سمع سمك هذا الكلام تألم وتأسف كثيرا ، وقال لنفسه لماذا أحضرته ؟ كنت أعلم أن الغورى سيقتله . كان من الأفضل أن يقولوا ان سمك ادعى ادعاء لا معنى له على أن يقتلوا شاهان ، والحل الآن هو أن أتحدث مع الغورى فلعل رغبة شاهان تتحقق وتقل آلامه وتخف معاناته كما أريد أن أعرف أيضا ماذا سيقول لأنه يمكن أن يذكر سره اذا أذن له الغورى وهو ما أرغب فيه بشدة » .

بينما كان سمك يفكر فى هذا رفع الغورى رأسه وقال « أيهـا الأصدقاء ، سمعتهم ما قاله شاهان وماذا يتمنى » فقال سمك « لقد أخذت العهد على نفسى ووفيت به ، والآن فاننى أطلب الشفاعة له من الغورى حتى يقول هذا الكلام ويعبر عما فى قلبه من آلام وأنت على قمة فتيان العالم وقد ذاعت فتوتك وشهامتك شرقا وغربا ويأتى على رأس الفتوة تحقيق رغبة الناس » .

وقال الغورى « اضرب عنقه اذا كنت تريدنى ، والا أمرت شخصا غيرك فما أعلمه لا تعلمه أنت ، ولن أتركه يقول هذا الكلام لأنه من غير المفيد ذكره » . فزادت الرغبة لدى سمك عن ذى قبل لمعرفة ماذا يمكن أن يقول شاهان ولهذا قال سمك « أيها البطل ، اذا لم تكن تريد شاهان أن يتكلم فتكلم أنت حتى تخفف عنه آلامه ثم اقتله بعد ذلك » .

قال الغورى » يا سمك ، أقسم أن كل من يسألنى عن هذا الكلام سوف أقطع رأسه ، والا قتلت نفسى حتى لا أقول هذا الكلام أو أسمعه ، أنت غريب جئت الى ولا تعلم ظروف هذا الكلام وقد قبلت لجوءك الى ولك على حقوق كثيرة وقمت بكثير من أعمال الفتوة ، كما وفقت فى كثير من الأعمال ولن أقتلك ، ولكننى سوف أبوح بهذا السر من أجلك ثم أقتل نفسى » .

انحنى سمك على قدمى الغورى وقال « حذار ، حذار ، أيها البطل ، لا تقل هذا الكلام واذا كان فى قلبك ما ينغص عليك فدعه ولا تثره ، واطلق سراح شاهان كى يذهب لوجه الله وعملا بفتوتك وشهامتك » . فقال الغورى « أطلقت سراحه » . فقدم سمك التحية وقام واحتضن رأس شاهان وقال له « يا شاهان ، بما أنك نجوت فاقسم على أن ما رأيته كأن لم يكن ، وما سمعته كأنه لم يذكر ، وألا تقول ذلك الكلام لأى أحد وألا تفشى سرنا وماذا فعلت أو ما قمت به أو ما حدث لك منى ، وألا تجيب على أى سؤال يسأله لك أحد عن هذه الأمور التى وقعت لك معنا » .

أقسم شاهان كما كانت عادتهم فى القسم على ألا يبوح لأحد بما حدث له سوى بالخير والثناء . وعندئذ احتضنه سمك وأثنى عليه ورافقه حتى أول الوادى وودعه .

كانت الشمس على وشك الشروق حين وصل شاهان الى معسكر هولان فتقدموا اليه سائلين « من أنت » . فأجابهم « أنا شاهان » . فعرفوه وأدوا له التحية واصطحبوه الى هولان وكان أمير وحورتك وعيلان ودخان موجودين لأنه كان من عادتهم أن يجتمعوا فى الصباح عند أحدهم ، فلما رأوا شاهان وقفوا جميعا وأدوا له التحية وأجلسوه فى صدر مجلسهم وقالوا له « يا شاهان ، من أين أتيت لأننا كنا فى قلق عليك ولم نسمع أخبارك وكيف نجوت ، اننا فى سعادة لعودتك . قل لنا ما هو سبب نجاتك من جيش الغورى فقد مضت مدة منذ اختطفوك ، حدثنا عن كل شىء » .

قال شاهان « أيها الأبطال ، حينما أخذونى أمر الغورى بقتلى ، ولكن سمك العيار الذى التجأ الى حمى الغورى قام بفتوة وشهامة وطلبنى من الغورى فوهبنى له ، ففك سمك قيودى ولاطفنى ورافقنى حتى أول الوادى ثم أطلق سراحى وحيانى ، وحياتى مدينه لسمك العيار والا لم يكن قد بقى شىء حتى يقتلنى الغورى • ما هى أحوال الجيش وأين غاطوش ؟

أجابوه « ذهب أبطال الوادى الى أماكنهم • كما ذهب البطل غاطوش مع جماعة الى أرمنشاه الذى وصل الى أول الوادى عند سهل الحمر الوحشية ، وقد بعثنا غاطوش لنعسكر على أول وداى الغورى وسنبقى هنا لنحاصره » • فقال لهم شاهان « يجب أن أذهب الى الوادى لأنظر ما هى أحوال جيشى وبعد ذلك أذهب لخدمة الملك » قال هذا وتوجه الى جيشه •

فى هذا الجانب كان الجيش على أول وادى الغورى يحاصره ، وهناك كان أرمنشاه قد نزل فى سهل الحمر الوحشية حيث وصل غاطوش وأدى له الخدمة فأكرمه أرمنشاه ورفع منزلته وأخذا يتحدثان معا عما وقع من أحداث • وكان أرمنشاه يتحدث عن خورشيد شاه والملك فغفور ، وكان غاطوش يروى قصصا عن أفعال سمك العيار وكان الجميع يتعجبون •

قال غاطوش « أيها الملك ، هل من الممكن أن يأتى خورشيد شاه الى هذا المكان ؟ فأجابه الملك « تلك الجرأة والشجاعة التى فى قلوبهم تجعلهم يأتون فى أثرى حتى ولو ابتعدت عنهم ألف فرسخ » •

شاءت ارادة الله تعالى أنهم كانوا فى حديثهم هذا واذا بدقات طبول الحرب تترامى الى أسماعهم ، فقال أرمنشاه « يا غاطوش لم يمض أسبوع حتى وصلوا » • وهكذا وصل جيش خورشيد شاه وكان على مقدمته فرخ روز أخو خورشيد شاه ونزلوا مع الملك فغفور فى الوادى ونصبوا خيامهم وأقاموا سرادقاتهم ومجالسهم •

بعد أن رحل أرمنشاه من ميدان القتال قال خورشيد شاه « يجب علينا الذهاب واللحاق بهم قبل أن يستريحوا ويصلحوا أمورهم • وأمر برحيل الجيش ، وتقدم فرخ روز وكل الجيش وفى أثرهم الأمراء والأبطال وخورشيد شاه والملك فغفور ، وكان كل من يصل يقيم خيامه حتى وصل كل الجيش وأقاموا خيامهم فى مواجهة جيش أرمنشاه •

## ضياء فى ظلمات الزنجى

نعود للحديث عن الغورى فيقول الراوى أنه حينما طلب سمك أن يعفو الغورى عن شاهان ثم ودع شاهان ورجع وجد الغورى وقد جلس على عرشه بينما كان الأبطال يتوافدون لتحيته وخدمته ونظر سمك فلم ير ضياء ففكر فى أنها ربما ذهبت الى الباب الحديدى فسكت • وحين جاء كل الأبطال قال سمك « أيها البطل الغورى ، هكذا سمعت أن الملك أرمنشاه قد وصل الى أول الوادى مع جميع جيشه ، ولا مفر أن يأتى خورشيد شاه والفغفور ويرسلون أحدا للبحث عنى ، كما أن أعداءنا لن يدعوا أحدا يخرج من الوادى منذ أن قاموا بهذا الأمر كما أنهم لا يتحرشون بنا فلنقض اليوم فى الشرب » • فأجابه الغورى « هذا ما يلزمنا » •

مدوا المائدة فلما فرغوا من طعامهم أعدوا مجلس طربهم وانشغلوا فى احتساء الصهباء ولكن قلب سمك كان مشغولا بضياء وقال لنفسه « لعلها ذهبت ووقعت فى قبضة الزنجى ويصل هذا الأمر الى سمع الغورى فيراق ماء وجوهنا » كان يفكر فى هذا الأمر ويتظاهر بالسكر فلما قام نهض معه هرمز وسمور وورد والآخرون ليكونوا فى معيته حتى وصلوا الى مكان اقامتهم فسألهم سمك عن ضياء فقال ورد « أيها البطل ، حينما ذهبت أنت قامت ضياء ودخلت فى هذا الوادى ورغم ما قلته لها ألا تذهب كما قال البطل سمك الا أنها لم تقبل كلامى ، وقد ذهبت فى أثرها ــ من أجلك ــ لأنك قلت لا تذهب فى هذا الوادى » •

بهت سمك وقال « ضياء متهورة ولا تشفق على نفسها أو ترحمها ولا تحافظ على سمعتنا وشرفنا وهى فخورة بغرورها مغرورة بقوتها ولا تخشى على روحها وتظن أنها تستطيع عمل كل شىء » • قال سمك هذا وحمل سلاحه وانطلق صوب الوادى حتى وصل قرب ذلك الباب الحديدى فلم ير أحدا •

بينما كان سمك يفكر فيما يمكن أن يكون قد صار اليه أمر ضياء اذ سمع زئير ذلك الزنجى وهو يخرج من شق الجبل وقد وضع رمحا على كتفيه وتوجه الى الباب الحديدى فاختفى سمك فى أحد الأركان حتى وصل الزنجى الى الباب وتفقده ثم عاد فتعقبه سمك حتى عاد الى مكانه حيث كان قد أوقد نارا ووضع عليها خروفا وجلس يشوى اللحم ويأكله •

كان سمك مختبئا فى أحد الأركان يراقب الزنجى ولم ير أثرا لضياء حتى مضت مدة من الوقت فرأى نورا قادما من بعيد ففرح ولكنه رأى الزنجى يقفز من مكانه ويضع الرمح على رقبته ويتجه للباب الحديدى•

كان سمك يراقب الزنجي الى أن وقف أمام البـاب واذا بالغورى يصل وفي يده شمعة معنبرة (١) فجرى الزنجي وقبل الأرض أمامه فقال له الغورى « أيها الزنجي ، ألم أقل لك تيقظ وحافظ على الباب الحديدى ؟ قل لى ألم تر أحدا ؟ ·

أجابه الزنجي « يا سيدى ، اننى لم أغفل عن عملى ولم أر أى شخص ولم يأت أحد » فقال له الغورى « احترس فقد أخذوا المفتاح ولاشك أنه سيأتى » · قال هذا وهم بالعودة ولكن الزنجي أدى التحية وقال « أيها السيد ، أحتاج للشراب اذ لم أذق الخمر منذ عدة أيـــام ، ويعلم البطل أننى لا أستطيع أن أعمل دون شراب ، ولما كنت لا تعطينى ما أريد فأذن لى مرة بالشرب » · فقال له الغورى « أيها الزنجي ، الليلة لك أن تشرب ، ثم عليك ألا تشرب لمدة أسبوع » وعاد الغورى بينما كان سمك ينصت الى هذا الحديث الى أن عاد الزنجي الى مكانه وأخـرج دنا من الخمر وشربه فاستولى عليه السكر ونام فى مكانه فقام سمك من مخبئه وتقدم الى فراش الزنجي ثم فك الوهق من وسطه وربط يدى الزنجي ورجليه باحكام ثم توجه الى شق الجبل وأخذ ينظر يمينا ويسارا فلم يعثر على أثر لضياء ، وكان الطعام والشراب كثيرا فى المكان فخرج سمك مغموما وقال لنفسه لا أعرف أين أذهب ، ربما كان الزنجي قد أكلها · واأسفاه » ·

رجع سمك ثانية الى الباب وأمسك القفل وحركه وقال ربما اتضح شىء وفجأة سمع صوتا يأتى من وراء الباب يقول « أيها الرجل ، لاتتعبوا أنفسكم واذا أردتم معرفة أحوالنا فافتحوا الباب » فقال سمك « ليس معى مفتاح فماذا أفعل ؟ » أجابه ألم يكن معك المفتاح وكنت تفتح الباب ؟ فرد سمك « ليس معى الآن » فجاءه الصوت من الداخل يقول « من أنت ؟ فرد عليهم سمك أنا سمك العيار » فقالوا له « من يكون سمك فى هذا العالم ؟ اننا لم نسمع عنه قط ، فمن أين جئت ؟ وماذا تعمل ؟ فقال لهم سمك » أنا من مدينة الصين وأنا الذى جعلت مدينة منغوليا والاثنى عشر واديا فى قلق واضطراب وأفعل بهم من الأفاعيل ما يعجز عنه كل شجعان الرجال ولكننى لا أعرف ما هذا السجن ولماذا تسجنون هنا ؟

جاء صوت من الداخل يقول « سمعنا ما قلته ومع كل هذه المهارة والشجاعة فكيف أنت من الفتوة ؟ فقال سمك » ان الناس يتعلمون الفتوة

---

(١) مصنوعة من شمع مخلوط بالعنبر لكى تعطى رائحة طيبة عند اشعالها ·

مني في الدنيا كلها » فجاءه الصوت قائلا « لما كنت كامل الفتوة وافـــر الشهامة فقل لنا ما هي أحوال شاهان ؟ » ٠

حينما سمع سمك هذا أدرك سبب العداء القائم بين الغوري وشاهان ولكنهم قالوا له من الداخل « افتح هذا الباب وادخـــل لتعلم هذا السر وتقف على أسرار هذا السجن » فرد عليهم سمك قائلا « وهل جاء أحد آخر قبل هذا ومعه المفتاح ووضعه في القفل وأراد فتحه وجاء الزنجي وأخذه ؟ أجابوه قائلين « نعم » ٠

عاد سمك العيار الى الزنجي ونظـــر يمينا ويسارا فلم ير أحدا ، فذهب مرة أخرى لشق الجبل للبحث عن ضياء فلم يجدها فتضايق وخرج من الشق وهو يفكر حتى اهتدى الى حيلة من الحيل أوحتها اليه الجملة التي قالوها له من السجن وهي « اطلب المفتاح من الزنجي » فقام ولبس الدرع على هيئة النقباء في الجيش وأخذ عصا في يده وجاء الى فراش الزنجي وحركه الى أن تقيأ وفتح عينيه وهو ثمل غير واع وقال « من أنت ؟ ومن أين جئت ؟ وبأي جرأة قدمت الى هذا المكان ؟ » ٠

قال سمك « أيها الزنجي ، يقول الغوري ألم أقل لك كن يقظا ؟ أهكذا تشرب الخمر حتى تفقد وعيك ويأتي شـــخص ويكشف سرنا ؟ والآن أرسل الى الأسير الذي أمسكته فقد أخبروني أنك أمسكت شخصا منذ يومين أو ثلاثة » ٠

ظن الزنجي وهو تحت تأثير الخمر والنـــوم أن الغوري علم بهذا فقال « وما الدليل ؟ أجابه سمك » بدليل أنه جاء الى الســجن وفي يده شمعة وقال لك تيقظ وسألك قائلا ألم يأت أحد الى هنا ؟ « فقلت لم يأت أحد وطلبت منه الاذن بشرب الخمر الليـــلة فقـــال لك اشرب الليلة ولا تشرب بعد ذلك لمدة أسبوع ، وقد علمت أن لديك أسيرا فأرسله لي مع المفتاح لأن لي شأنا معه » فقال الزنجي « السمع والطاعة » ابق هنـــا ساعة حتى أعود اليك ٠

نظر سمك ماذا سيفعل الزنجي فرآه ينهض ويدخل ذلك الشق في الجبل ، وبعد نحو ساعة خرج مع ضياء ، فتعجب سمك من أين أتى بها ثم قدمها الى سمك وقال له « احمله (١) الى البطل وقل له انني لم أذكر له أنني أمسكت شخصا لأنني منذ مدة لم أذق لحم بشر ، كما أنك لن تعطيني

(١) ضياء دائما كانت ترتدي ملابس الرجال وعلى هيئتهم ٠

لحما آدميا ولهذا أمسكته لنفسي ، فلما علم سيدي أرسلت الأسير لحضرته حتى يعرف أنني لم أخنه » ثم سلم ضياء لسمك العيار ٠

حين رأت ضياء سمك العيار فرحت وقام سمك بربطها من عنقها بحبل وخرج من عند الزنجي وقال له « أيها الزنجي ، أين المفتـــاح ؟ » فأعطاه له وبعد أن ذهب سمك وضياء وضع الزنجي الرمح على رقبته ووقف في حالة استعداد على باب السجن ٠ أما سمك فقد سحب ضياء حتى ابتعدا ثم فك الحبل من رقبتها فلما وصلا الى بركة ماء غسلت ضياء يديها ووجهها ثم قال لها سمك « يا أختي ، ألم أقل لك ألا تبحثي عن سر هذا الباب الحديدي ، كيف أمسكك الزنجي ؟ ٠

قالت ضياء « أيهـــا البطل ، حينما ذهبت للبحث عن شاهان ، استولت على الرغبة في معرفة سر هذا السجن ٠ وحين وصلت الى هنا ووضعت المفتاح في القفل وصل الى سمعي صـــوت ارتعدت منه وأذهب قوتي ولما حاولت اخراج المفتاح وصل الزنجي وأخذني الى ذلك الشـــق في الجبل وانزلني في جب وكان يقدم لي الخبز واللحم غير الناضج ثم أخذ المفتاح وصعد الى تلك اللحظة التي سلمني فيها اليك ٠

قال سمك « يا أختي ، ألم أقل لك ألا تبحثي عن هذا الأمر لأنني جئت مرتين الى هذا الشق للبحث عنك ولم أعرف طريقك ٠ والحمد لله أنه لم يصبك ســـوء بعد أن أراد أكلك ولو كان قد أكلك فماذا كنت أفعل ؟ لو أنني قتلت ألف زنجي كهذا لما كانوا عوضا عنك ألم أقل لك أنني سأحضر لك هذا الزنجي مقيدا ؟ أرأيت كيف تعاملت معه وكيف أخرجتك من يديه فليس كل شخص يستطيع القيام بالعمل » ٠

قالت ضياء « أيها البطل ، ماذا فعلت بشاهان ؟ » ٠

أخذ سك يروي لها ما حدث منذ ذهابه فقالت له ضياء « لك الشكر والثناء ثم أضافت قائلة » أيها البطل ، ان المفتاح معنا فلنذهب ونفتح ذلك الباب ونعرف هذا السر » ٠

قال سمك « يا أختي ، ألم تشبعي بعد ؟ وألم تفكري في أفعـــال الزنجي ؟ كفي عن هذا العمل لأنه أمر عظيم سيؤدى الى آلام ، وربمـا أتى الغوري الى هنا فلنذهب نضع المفتاح في مكانه ونستمع لأمر الغوري وحين يفتح الباب سينكشف هذا السر ، ولا يجب أن نخرج عن هذا الرأي وعليك بتنفيذ هذا الأمر لأنني أيضا لدى الرغبة مثلك ٠ فقالت ضـــياء السمع والطاعة » ٠

قالا هذا وعادا الى مقامهم وبقيا حتى أطل الصبح الصادق من وراء الجبل وأضاءت الدنيا حين جاء رجل من عند الغورى وقال « اذا لم يكن فى هذا مشقة على سمك فليحضر لأننا قمنا بعمل ولن يستقيم دون حضوره » فقام سمك مع ينال وورد ولهيب وضياء وشحشام والأخين القصابين وسعد العيار وتوجهوا الى مجلس الغورى ٠

قام الغورى واحتضن سمك ثم أجلسه أمامه وقال له « أيها البطل ، انى أعترف أنه لا يوجد رجل مثلك فى الشرق أو الغرب فأنت فتى ذو عقل وعلم وفضل وعيار كامل ولو لم أكن رجلا كهلا لصرت من أتباعك ومريديك، وتعلمت منك الرجولة والفتوة » ٠ وكان سمك يحيى الغورى كلما قال شيئا فى مدحه الى أن قال الغورى « أيها البطل ، لقد عرضت لنا فكرة لن تتحقق الا بمشورتك وهدايتك وكفاءتك » ٠

أدى سمك التحية وقال « أنا عبد من عبيدك وخدمك وأنا مطيع لك فى كل ما أقدر عليه فقال الغورى » أيها البطل ، تواجهنا مشكلة بسبب الجيش المرابط على مدخل الوادى ، فهنا يوجد اثنا عشر ألف رجل عدا النساء والأطفال والدواب وليس لدينا مؤونة لأكثر من شهرين ، ولدينا الكثير من الذهب والجواهر وما شابه ذلك ، ونرى أن ترافق شقيقاى الجبالى وجهاد وعددا من الرجال الأبطال ، وفى نهاية الوادى طريق لا يعرفه أحد اطلاقا سوى شقيقاى عليكم سلوك هذا الطريق لاحضار المؤونة والعلف لأن أمر الجيش الذى يحاصرنا غير معروف فان تقدموا لن نكون فى مأزق بسبب المؤن » ٠

أدى سمك التحية وقال « أيها البطل ، اننى أستطيع أن أحضر ما نحتاج اليه من وسط هذا الجيش » ٠ فتعجب الجميع وقالوا « هل تقول الحقيقة ؟ فطأطأ سمك رسه برهة ثم رفعه وقال « أيها البطل ، لقد اهتديت لحيلة حتى أننى لو جئت للوادى مائة مرة وخرجت منه لما منعنى أحد ، ولكن يجب اعطائى ثلاثين حملا من الذهب والجواهر والمسك وغيرها وكل هذه الأموال أتعهد باعادتها اليك وربما أكثر مما أخذتها مع احضار المؤن والأعلاف ولكن مر كى اصطحب هؤلاء الأسرى معى الى خورشيد شاه وسوف أرجع الى هذا الوادى بالحيلة والخديعة وأحضر الطعام والعلف » ٠

# الذهب مفتاح كل مغلق

قال الغورى « الأمر لك ، خذ ما تشاء من الأموال » ثم أمر بإعداد ثلاثين حملا من الذهب والجواهر والملابس المختلفة وكل ما يلزم ، كما أحضروا ثلاثين بغلا وحملوها بهذه الأشياء . كما أمر سمك هرمز وسمور ولهيب وينال وورد وشحشام وسعد العيار والرجال السبعة أن يلبسوا دروع الشاة ثم يلبسوا فوقهـا عباءات من اللباد ويضعوا على رءوسهم عمائم من اللباد أيضا ويلبسوا أحذية ريفية ويحمل كل منهم عصا فى يده ثم انطلقوا فى طريقهم .

قالت ضياء لسمك « أيها البطل ، ان قلبى معلق بالباب الحديدى ولا أريد الذهاب حتى أعرف سره » . فقال لها سمك « يا ضياء ، ألم أقل لك مرارا أن هذا الموضوع كان سينكشف على أيدينا حينما قيدت الزنجى وكنت أستطيع ذلك ولكن لا أحد يعلم هذا السر سوى الغورى وشاهان وعنهما سنعرف هذا السر فانهض لنذهب لأن صلاح أمرنا فى هذا . وهذا الأمر الذى دبرته لن يتم الا بك ، واخرجى الرغبة فى معرفة سر الباب الحديدى من قلبك الى أن يحين الوقت وسينكشف من تلقاء نفسه وأنا على يقين من هذا » .

قالت ضياء « سمعا وطاعة » . وقام سمك فجعل هيئته على هيئة التجار وكذلك فعلت ضياء وركبا حصانين وسحب الأبطال بقية الدواب وساروا فى طريقهم حتى خرجوا من الوادى وقد تعجب الغورى والأبطال من أعمال سمك العيار وكيف قام بهذا الدور .

حين وصل سمك والآخرون الى حافة معسكر الاثنى عشر واديا خرجت طليعة الجيش فقال سمك لرفاقه « ابقوا هنا حتى أرى من هو أمير الطليعة » وتقدم نحو الطليعة فلما رأى أميرها تقدم نحوه فى جرأة كأنه عائد من السوق الى بيته ، فصاح فيه أمير الطليعة « من أنت حتى تتقدم فى جرأة هكذا ؟ » فرد سمك « لست غريبا فأنا التاجر المعتمد للبطل دخان من الوادى الأسود ، فمن هو أمير الطليعة ؟» أجابه « أنا عيلان فالطليعة اليوم لى » .

أدى سمك التحية وقال « أيها البطل ، أنا عبدكم وخادمكم » ، ثم أخرج صرة ذهب من وسطه بها مائتا دينار ووضعها أمام عيلان وقال « أيها البطل ، أنا تاجر من الوادى الأسود وأطوف بتجارتى ، وهذا هو خاتم دخان أعطاه لى كعلامة حتى لايضايقنى أحد ويتركوننى أذهب لأى مكان

ويدعوننى أعبر من أرضهم ، وان كنت لا تثق فيما قلت فأرسل معتمدا الى دخان لتتأكد من صدقى لأنه حينما يصطف الجيشان أحدهما فى مواجهة الآخر فيجب على أن أحتاط » ٠

حينما رأى عيلان طلاقة لسان سمك فى الحديث قال له اترك هذا الخاتم معى فلدى رجل أمين سأعطيه الخاتم وأرسله الى دخان لأتأكد من صدق كلامك » ٠

قال سمك « أيها البطل ، مثل هذا الخاتم لا يرسلونه هكذا أمام الناس بل يجب ارساله باحترام » ٠ فقال عيلان « لا بأس » ٠ وتناول الخاتم وأعطاه لأحد ثقاته ثم استدعى أخاه وقال له اذهب الى دخان وقل له ان شخصا يحمل خاتمك ويقول ان دخان أعطانى الخاتم حتى يسمحوا لى بالمرور من أى مكان أصل اليه ، وقد أرسلناه اليك ، فهل هذا الرجل أمين أم لا ؟ » ٠

ذهب الشخصان وذكرا هذا لدخان الذى تعجب وقال « أرسلوه الى حتى أراه » ٠ فعاد المبعوث ليأخذ الخاتم فأعطاه سمك مائة دينار وقال له « خذ الخاتم والدنانير الى دخان وقل له ان حامل هذا الخاتم هو ذلك التاجر الذى أحضر لك الخمر وأعطيته الخاتم لكى يحضر أخاه من وادى الغورى هل هو معتمد أم لا ؟ » ٠

حمل المبعوث الخاتم والذهب وتوجه بها الى دخان وأدى التحية وقال أيها البطل « يقول لك عيلان ان حامل هذا الخاتم هو الذى أحضر لك الخمر وقد أعطيته خاتمك لكى يخرج أخاه من وادى الغورى فهل هو أمين أم لا ؟ » ٠

حين رأى دخان الذهب والخاتم قال « انه معتمد ، لاتمسوه بسوء » ٠ فعاد الرجل وذكر ما حدث مع دخان وكان عيلان قد أغراه الذهب فأمر أن يسمحوا لهم بالمرور وعندئذ حمل سمك أحماله مع رفاقه الى أن وصلوا أمام مجلس دخان فحطوا أحمالهم وكان هرمز يتعجب من أعمال سمك ويثنى عليه الى أن قام سمك وملأ طبقا بالذهب والجواهر ونافجه (١) بالمسك والعود والعنبر وزجاجة كافور وثوبا من القماش ووضعها على رأسه ثم سلمها لضياء وتقدم الى باب الخيمة وطلب مقابلة دخان فدخل أحد الحجاب

---

(١) نافجة المسك صرة كان يوضع بها المسك ٠

وذكر هذا لدخان فأمر بادخاله • وحين دخل سمك أدى التحية ووضع ذلك الطبق فقام دخان واحتضن سمك وأجلسه أمامه ولاطفه وسأله عن أحواله فقال سمك « باقبالك وسعدك أيها البطل أحضرت أخي وهو هذا الشاب الواقف في خدمتك ، وقد بقيت لى بعض الأموال في الوادى وقد جئت الآن للبطل لكي يتفضل ويأذن لى حينما أصل الى منغوليا أن أعود بأمى وأختى لكي آخذ ما تبقى لى من الأموال ولا يمنعنى أحد » •

قال دخان « طـــالما كان خاتمى معك فتستطيع أن تجيء وتذهب عشرات المرات ولا يمنعك أحد • فأدى سمك التحية وعاد • ونظر دخان الى ذلك المال والجواهر وهو يقول « لم أر قط فى الدنيا من هو أشجع من هذا الرجل كما يندر أن يوجد تاجر فى سخائه » •

حين أقبل الليل قام سمك وذهب الى دخـــان وأدى التحية وقال « أيها البطل ، اننى إعتزم الذهاب وأخشى أن يضايقنى جيش أرمنشاه » • فقال له دخان « ابق هنا فغدا معركة لأن جيش الفغفور وخورشيد شـــاه وصل وسوف أذهب مع جماعة لمشاهدة المعركة وسوف اصطحبك الى أن تعبر من جيش أرمنشاه ولا شأن لى بالناحية الأخرى » •

أثنى سمك عليه وقال « أيها البطل ، اننى أعرف الناحية الأخرى لأننى ذهبت عدة مرات الى معسكر خورشيد شاه وأعرفهم حتى أنه لو أخذ أحدهم رغيفا بغير حق فانهم يعدموه مهما كان عزيزا ، ولقد رأيت هذا عدة مرات » قال هذا وخرج من عند دخان •

كان دخان قد أمر باعطاء سمك ورفاقه ما يحتاجونه من غذاء وعلف كل ليلة ، وكان سمك يعطى لكل واحد من خدم دخـــان يحضر لهم طعاما بعض المال ويعتذر اليه فكانوا يفرحون ويثنون عليه • وبقى سمك فى مكانه هذا وكان هرمز يتعجب من أعمال سمك وسلوكه وقال له « أيهـــا البطل ، ممن تعلمت كل هذه الفنون والمعرفة ؟ ومع كل هذا فلماذا تنفق الذهب بغير حساب ؟

ضحك سمك وقال « أيها البطل ، ان الله وهبنى العقل والمعرفة الى الدرجة التى تجعلنى حينما أسمع كلامك وأحلله ، أهتدى الى خمسين طريقة للعمل معك ، واذا قام أحد بعمل ما ــ خيرا كان أم شرا ــ فانه ينفتح منه أمامى مائة عمل • أما انفاق الذهب بكثرة فانك ان لم تنفقه

فانك لا تصل الى ما تريد ، واذا كنت تقوم بعمل مهما كان واستعصى على كل رجال العالم فانه يتم القيام به بالذهب وعلى أكمل وجه لأن الذهب مفتاح كل مغلق ، والذهب يعقد لسان كل غماز لماز مفسد ، واذا لم يكن الذهب فكيف كنت أستطيع المجيء وسط كل هؤلاء الأعداء ؟ فلو أننى دبرت هذا العمل بألف مثلى لما أمكن انجازه ولكن انفاق الذهب هو الذى أنجز كل هذه الأعمال » :

تعجب الجميع من الأعمال التى رواها سـمك عن الذهب وأثنى الجميع عليه حتى إنقضى الليـل وأضاءت الدنيـا وقام جيش الوادى واختفى جنده في دروع الحديد فأرسل دخان شيخصا الى سمك لكى يحمل أحماله وبكرافقه ، وكان هناك نحو ألف من خاصة الجنود وكانت دقات طبول الحرب وأصوات الأبواق والنايات وغيرها تزلزل المكان ، وتحرك الفرسان وأخذ النقباء فى تسوية الصفوف · وقدم دخان سمك أمامه حتى أخرجه من على ميسرة جيشى أرمنشاه وقال له اذهب حيث تشاء وحينما تعود فخاتمى معك وتعال عندى » قال له هذا ورجع · فقال له سـمك « أيها البطل ، لك الشكر والثناء » ·

مضى سمك وسط جيش خورشيد شاه ومعه رفاقه وثلاثون بغلا محلاة ومزينة بالسروج والخلاخيل فأثارت قافلته الانتباه والتفت آرمنشاه الى الوزير شـهران وقال « أيها الوزير ، قافلة من هذه التى تعبر بين جيشين عظيمين هكذا ؟ فأجابه شهران » أيا كان فهم من أهل الجبـال خارجون من الوادى · وكان كيكان الجاسوس واقفا فقال « أيها الملك ، هل أذهب وأعرف أمرهم ومن هم ومن أين يأتون ؟ فقـال له أرمنشـاه « أسرع » · فانطلق كيكان وتحايل حتى دخـل بـين جيش الفغفور وخورشيد شـاه ·

فى الجانب الآخر ، قاد سمك بغاله الى قلب جيش خورشيد شاه حتى اقترب منه وكان هامان الوزير قد وضع عرش خورشيد شاه على ظهر فيل وحين رأى هذه البغال متجهة نحوهم قال « انظروا من هؤلاء ومن أين يأتون » · وكان فرخ روز على يمين خورشيد شاه ·

حين سمع خورشيد شاه أنه سمك نزل من على عرشه وركب حصانه وانطلق لاستقبال سمك وأراد أن يترجل عن حصانه حين تقدم سـمك وقبل ركابه وأقسم عليه ألا ينزل ، فأخذ خورشيد شـاه رأس سمك واحتضنه وأمر باحضـار خيل لسـمك ورفاقه فأحضروها وركب جميع

الأبطال ، وتقدم أبطال الجيش وقادته واحدا واحدا يحتضنون سمك ويحيونه حتى وصلوا الى قلب الجيش وتوقفوا ونزل الملك فغفور وهامان الوزير عن حصانيهما واحتضنا سمك وقال له خورشيد شاه « أيها البطل سمك ، ما هذا ومن أين أنت قادم ؟

أدى سمك التحية وقال ، أيها الملك ، أنا قادم من وادي الغوري مع هؤلاء الرجال الذين كانوا في السجن والآخرين الذين كانوا قد أخذوهم ، انهم ورد وينال وهرمز وسمور والأخين القصابين ولهيب وسعد العيار وشحشام (١) ومعي أحمال من الذهب والجواهر والملابس والمسك والعنبر والعود وغيرها » .

قال خورشيد شاه « كيف جئت من بين عدة آلاف من الأعداء ولم يعرفك أحد ولم يكتشف سرك ؟ انه عمل عظيم والشكر لله أنه لم يصبك مكروه » .

رد سمك العيار « أيها الملك ، باقبالك وسعدك تستقيم جميع الأمور ، لقد دبرت الأمر بحيث لو جئت وعدت مائة مرة لما عرف أحد » .

من ارادة الله أن كيكان الجاسوس كان قد وصل ووقف في قلب الجيش وسمع كل هذا وعرفه وعاد الى معسكر أرمنشاه وتوجه اليه وألقى بعمامته على الأرض وقال « أيها الملك ، انك غافل غفلة عظيمة ، لقد كانت القافلة من وادي الغوري وكان سمك العيار وكل الأسرى الذين كانوا في قلعة غضبان والذين كانوا قد أسروا في المعارك مع جماعة أخرى ؟ وأموال وجواهر وذهب قد مروا وسط عدة آلاف من الفرسان وذهبوا الى الملك فغفور وخورشيد شاه ولم يعلم أحد بهذا ، فماذا يفعل الجيش المرابط على أول الوادي ؟ » .

ثار أرمنشاه حين سمع هذا الخبر والتفت الى غاطوش الذي كان يقف أمامه وقال له « ما هذا يا غاطوش ، عدة آلاف من الفرسان على رأس الوادي فكيف يعبر من بينهم سمك ورفاقه مع كل هذه المشقة والمتاعب التي نتحملها بسببه انني لا أدري كيف حدث هذا » .

قال غاطوش « أيها الملك ، كنا عشرين ألف فارس على رأس الوادي وكان سمك يأتي ويأخذ الأسرى ، وسمعت أنه جاء عدة مرات الى مجلسك

(١) لم يذكر هنا اسم ضياء مع أنها كانت بصحبته وربما كان سهوا من المؤلف .

وامام عرشك وقام ببعض الأعمال ومع كل هذا لم يستطع أحد أن يوقع به ، لقد مكر ودبر وخرج سالما » .

التفت أرمنشاه الى شهران وقال « ما الوسيلة لنكف أيديهم لأن هذا السمك قد حير رجال العالم ولا يضع اعتبارا لأى رجل . فرد عليه شهران الوزير قائلا « أيها الملك ، ما هو التدبير ؟ لقد كافحناه بمختلف السبل كما تعلم وقاومناه ولكنـــه تفوق علينا ولم نقدر عليه ولعل الله يوقعه فى أيدينا » .

كان هذا الحوار يجرى بينما كان النقباء يسوون صفوف الجيش ، وكان المنادى ينادى من الذى سيبرز للقتال اليوم ؟ ولكن خورشيد شاه قال « ان الوقت تأخر ولن نحارب اليوم فرحا بوصول سمك فدقوا طبول الراحة فى الحال ورجع الجيشان الى موقعيهما . وكان أرمنشاه حزينـــا واسترخى الجيشان وخرجت الطليعتان وكان الحديث فى مجلس أرمنشاه يدور حول أفعال سمك . بينما كان سمك فى مجلس خورشيد شاه يروى وسط مظاهر الفرح والسرور ما وقع له وما حدث منــه . وكان الجميع يثنون عليه ثم انشغلوا بالشراب حتى حل الظلام فقام كل منهم الى مأواه حتى أطلت الشمس بوجهها من وراء الجبل وارتفعت أعلام النهار واذا بدقات طبول الحرب تتصاعد من معسكر الفغفور وخورشيد شاه .

## نهاية فرخ روز

اتجه الجيش بتجهيزاته الى الميدان ، كما توجه أرمنشاه بجيشه الى ساحة القتال واصطف الجانبان وإنقسموا الى ميمنة وميسرة وقلب وجناح ، وتقدم النقباء ونادوا من الذى سيتقدم للقتال اليوم ويظهر رجولته وشجاعته حين تقدم فرخ روز من جيش خورشيد شاه وأدى التحية وقال « أيها الملك العظيم والأخ العزيز ، بما أن عبدك مقدم فى كل عمـــل وهذا ما أقره الأمير وذلك منذ اليوم الذى خرجنا فيه من حضرة مرزبانشاه فى حلب ، واننى مقدم فى كل ما يواجهه الأمير من خير أو شر أو فرح أو غم وقد مضت مدة لم أقدم فيها أية خدمة » .

قال خورشيد شاه « يا قرة عينى ، ابق حتى يذهب الجيش الى الميدان ويفدوننا بأرواحهم وقد قمت بما وجب عليك ، والوقت وقت راحة وأخاف عليك من الأذى حتى أننى لو فنيت مع الجيش كان أحب الى من أن

تنقص شعرة من رأسك ، وقد يحدث خطأ تدمي منه قلوبنا وأفئدتنا لأنني عند سحر الليلة الماضية رأيت مناما أشعر بالرعب منه » .

قال فرخ روز « يا أخي ويا فخر الملوك ، قل ماذا رأيت » . فقال خورشيد شاه « يا أخي ، رأيت في نومي أنني سقطت في دوامة ماء مع حصاني ، وكان الحصان يلف بي فجئت وأخذت أنت عنان حصاني وأخرجتني ، وكنا واقفين نتحدث معا حين جاء عقاب واختطف عمامتك من على رأسك وطار ولهذا أشعر بالخوف من هذه الرؤيا » .

قال فرخ روز « أيها الملك ، ان ما تقوله اشارة للفراق وأنني سوف أتقدم للموت فاما أن يقتلونني أو يخرجونني وآمل — بسعادة الأمير واقباله — الا يحدث لي غير الخير وأرى الملك ثانية بعد تحقيق آمالنا . واذا حدث — نعوذ بالله — قضاء الله وانتهى أجلي فلتكن لك السلامة لأن أمر الدنيا هكذا ولن يبقى أحد قط ، وان شاء الله سوف تصل الى ما يتمناه قلبك فاذكرني وعندما تعود باليمن والسعادة للوطن فأبلغ سلامي الى الباب العالي لمرزبان شاه وعظ أمي وواسها وبلغ سلامي لأختي » .

بينما كان فرخ روز يقول هذا كان خورشيد شاه يبكي . سبحان الله، حين يتوقع الانسان الفراق ، تلعب الظنون بالقلوب ، وتنطلق الألسن بالغيب ويذكر الموت وكثرة الآلام . قال فرخ روز « لا مفر من أنني سوف أدخل الميدان » . وكان خورشيد شاه يقول في نفسه ما هذا الخوف الذي يملأ قلبي ولا أدري ما سيحدث . وأخذ فرخ روز وخورشيد شاه يبكيان . وكان فرخ روز يصر على القتال الى أن قال له خورشيد شاه » يا أخي ، يا أعز على من روحي ، رعاك الله ونصرك على الأعداء ، ومع أنني لا أريد أن تذهب للقتال ولكن طالما كانت هذه رغبتك فلعلنا نلتقي ثانية ان شاء الله . ما أعجب ألم الفراق الذي يحدث قبل الفراق ، وتتألم الروح من البعاد وترك فرخ روز بروح تملؤها الرهبة وقلب يحترق وعينين دامعتين ، أخاه خورشيد شاه الذي كانت روحه تتألم وقلبه ينفطر وانطلق بحصانه الى الميدان .

كان حصان فرخ روز كالفيل ضخامة ، قويا مدربا على القتال عريض الكفل مرتفع الأكتاف جميل الرأس كثير الحركة (١) . وكان فرخ روز

---

(١) اضطررت لحذف استطراد طويل في وصف الحصان حتى لا يؤدي للملل والاطالة .

فوق سرجه يلبس درعا من الزرد الدقيق ، ويلبس خوذة مذهبة ويتمنطق بحزام محلى بالجواهر ، وقوس وجعبة مملوءة بالسهام ، ودرع مصفح بألف مسمار حديدى ، وعلق وهقا بقربوص السرج ، وحربة كأنها عمود على كتف وأذن الحصان ، وعلى هذا النحو من الاستعداد القتالى والمهارة دخل الميدان وأخذ يجول فى الميدان ٠

كان حصان فرخ روز يدق الصخر بحوافره فيحوله الى كحل يحجب الرؤية ٠ وظل يجول فى الميدان حتى أثار الغبار ثم توقف وسار حتى وقف أمام قلب جيش أرمنشاه وخلع خوذته ووضعها على سرج حصانه وقال « كل من يعرفنى فانه يعرفنى ، ومن لا يعرفنى فأنا فرخ روز عبد خورشيد شاه ، ملك المشرق والمغرب ، وكل من امتلأ كأس عمره وتخلى عنه الحظ وشبع من حياته وودع روحه الجميلة فقولوا له لكى يدخل الميدان ويرى ألم الجراح من حراب الرجال ويجرب ضرب سيوف الشجعان البتارة » ٠

كان فرخ روز يتكلم فى هذا المعنى حين نظر أرمنشاه الى أبطال جيشه وقال « أيها الأبطال ، من منكم يدخل الميدان ويرد على كلام هذا الرجل الجر ويعطيه ما يستحقه ؟ » ٠

أدى البطل قباد التحية أمام أرمنشاه وقال « أيها الملك ، عبدك يدخل الميدان ويعتذر اليه كالرجال ، فاذا حالفنى الحظ فسوف أحضر عدو الملك مقيدا » فأثنى عليه أرمنشاه ٠

توجه قباد الى الميدان على حصان أبرش ، صغير الأذنين ، مدرب على القتال كأنه الريح وقد وضع قوسا خوارزمية ، وعلق حربة فى وسطه ، ووضع أحد عشر سهما فى حزامه ، وربط وهقه فى قربوص سرجه ٠

على هذا النحو دخل قباد الميدان وصاح فى فرخ روز قائلا « ما كل هذه الشطارة واظهار القوة ؟ لعلك لم تر رجالا فى الدنيا ولهذا تغتر بقوتك وشجاعتك » ٠ وكان الجيشان ينظران اليهما حين صاح فرخ روز فى قباد وبدءا فى الطعان بالرماح فساعة كان قباد يبذل جهده ، وساعة فرخ روز يظهر قوته الى أن صوب حربته نحو صدر قبد وألقاه من على ظهر حصانه فسقط على الأرض وتصاعد العويل والصياح من جيش أرمنشاه ٠

جال فرخ روز فى الميدان وطلب منازلا الى أن دخل الميدان فارس اسمه قارن وهو ابن أخ قباد وصاح فى فرخ روز وقال « أيها الحقير

قتلت بطلا كان أفضل من مائة ألف مثلك ومن مثل ملكك » فرد عليه فرخ روز « أيها المسكين ، احزن على نفسك لأنني سألحقك به الآن » . قال هذا وانتزع حربته وهجم على قارن وطعنه بحربته فى فمه حتى تولد الشرر من أسنانه وسقط من على حصانه . وتقدم آخر فصرعه أيضا وهكذا حتى قتل أربعين بطلا .

زأر فرخ روز وطلب رجـــلا فانطلق سحاب فجأة من ميمنة جيش أرمنشاه على حصان كأنه أسد (١) وكان سحاب يلبس درعا مزردا ، ويضع على رأسه خوذة عادية ، ويربط على وسطه حزاما وضع به سهاما طيارة ، وعلق سيفا كالماس فى حمائله ، ويمســـك حربة كالعمود كعبها فى يده وسنانها يجره وراءه على الأرض ، وأسرع نحو فرخ روز وهو يزأر ويصيح صيحات التهديد .

نظر فرخ روز فى قده وطوله وعرضه فوقع فى قلبه خوف منه ، وظهر عليه الرعب وقال له « بحق المعبود الذى تعبده ، ما اسمك ؟ لأننى لم أر رجلا فى شجاعتك ومهارتك » فأجابه سحاب « يا فرخ روز ، اسم الرجال على سنان سيوف الشجعان ، وطالما سألت عن اسمى فهو سحاب من سهل الخورجان » .

سأله فرخ روز « أيها البطل ، ألست أنت الذى جئت كمبعوث » أجابه « نعم ، أنا » . فقـــال له فرخ رو « ألا حمية لك ولا رجولة ؟ قل لى ماذا فعل لكم خورشيد شاه أيها الجبناء وأى حقد تكنونه له فى قلوبكم حتى ترفعوا سيوفكم ضده ؟ ان كنتم رجالا فردوا على أعمال الأحمر الكافر ، لقد أدخلناه فى طاعتنا بالرجولة ، ولأنه لاحمية له ولا رجولة عصانا وعصاكم لقد أخذ أميرتكم وأمها ودانة المربية وسكينة الساقية ثم قتل الأم والجاريتين واحتفظ بالفتاة فيجب عليكم قتاله وأن توجهوا اليه حقدكم . لماذا تأتون لحربنا ؟ ولكن لأن ملككم ليس حزينا على زوجته وابنته فلا يجب أن ننتظر خيرا من ورائكم . وطالما كان ملككم لا حمية له ولا شهامة ، فلا يجوز أن تكون لديكم أيضـــا لأن البيت على شـــاكله رب البيت ، والخادم لابد أن يشبه سيده وكلكم متشابهون » .

---

(١) حذفت هنا كثيرا من الصفات التى وصف بها هذا الحصان تجنبا للتكرار والاطالة .

حين سمع سحاب هذا الكلام ارتعد جسده وانتفض وقال « يا فرخ روز ، كل ما قلته صحيح ولكن بعد أن نفرغ منك سنتدبر أمر الأحمر الكافر » . قالا هذا وتقارشا بحربتيهما وبذلا جهدا كبيرا الى أن صوب فرخ روز حربته الى صدر سحاب ليطعنه ولكن سحاب كان يرتدى درقا (١) فلم يصب سحاب بألاى بينما انكسرت حربة فرخ روز فخجل ومد يده الى غمده وسحب سيفه الذى يبرق كالماس وهجم على سحاب ليضربه ولكنه ارتد الى الخلف فجاءت الضربة على رأس حصانه الذى انفصل عن جسده فانفصل سحاب عن حصانه ولم تكد قدماه تلامسان الأرض حتى سحب سيفه وأطاح برجلى حصان فرخ روز وتكسر السيفان فى أيديهما من كثرة ما تضاربا بهما .. وفجأة تقدم سحاب وأمسك فرخ روز من حزامه فأمسكه فرخ روز من حزامه أيضا وبذل كل منهما كل قوته ولكن سحاب كان أقوى واستطاع أن يوقع فرخ روز على الأرض ، ولم يكد يسقط حتى كان فريقان من الجيشين يسرعان اليهما .

من قضاء الله وارادة السماء أن فريق جيش أرمنشاه وصل قبل فريق جيش خورشيد شاه وأمسكوا فرخ روز وقيدوه وحملوه الى أرمنشاه وهجم الجيشان على بعضهما فقتل مالا يحصى من الجند وجرت سيول من الدماء .

كان خورشيد شاه حزينا من أجل أخيه فرخ روز فأمر بدق طبول التحاجز ، وعاد الجيشان لموقعيهما ، وأرسل خورشيد شاه شخصا ليعرف أحوال فرخ روز ، وحين وصل الرجل الى معسكر الأعداء وجد أن أرمنشاه أمر بضرب عنق فرخ روز على الفور . فقال له شهران الوزير « أيها الملك ، احذر فانه أخو خورشيد شاه الذى لم يقع بيننا وبينه ثأر ولا دم مع كل هذه الحروب القائمة فاذا قتلنا اليوم فرخ روز فلا أعلم ماذا سيحدث فى النهاية وكيف سنواجههم . ومع أننا تركنا بيوتنا وأهلنا فان الخوف أن تضيع بيوتنا وأهلنا ، كما أن سمك على قيد الحياة وهو الذى فتحت على يديه أحكم قلاع الدنيا ويأخذ الرجال أحياء كما سمعت ورأيت ويقوم بأعمال لا تستطيع أى جماعة أن تجاريه فيها » ..

كان شهران يتكلم فى هذا الشأن ، وكان قزل ملك واقفا فصاح فى شهران قائلا « أيها العجوز الذى لا عقل له ، يا عديم التدبير يا جاهل .

---

(١) الدرق أو اليلب ، جلود سميكة تلبس بمنزلة الدروع والدرقة الدرع من الجلد .

لو أننا قتلنا كل الذين أسرناهم حتى اليوم لكان الأعداء يشعرون الآن بالذل والهوان ولم يتخذونا هكذا ، ولم يرفعوا أيديهم في وجوهنا . ألم تكن أنت الذى قلت فى شأن كل من وقع فى أيدينا منهم قيدوهم فانهم أبطال وهم كذا ويفعلون كذا ؟ أيها الحقير الجاهل » .

قال شهران « أيها الأمير ، أنت شـــاب ولم تجـــرب الدنيـــا ، وخورشيد شاه ليس رجلا بسيطا وليس بناء على كلامى ، ولكن الدنيـــا كلها تعلم هذا ، وأن ما أقوله هو لمصلحتكم ولصالح الملك الذى يخسر وينهـــار » .

جن جنون قزل ملك وقال « أيها الشيخ الجاهل ، هل تريد بتدبيرك هذا أن تضيع ملك أبى ؟ واستل سيفه وهجم على شهران الوزير الذى ترجل بسرعة عن حصانه فأصاب السيف الحصان وشطره نصفين ثم تقدم الى فرخ روز وأطاح برأسه من فوق جسده ، وكان هذا على مرأى من جيش خورشيد شاه الذين كانوا يركزون أبصارهم على ما يجرى فى مواجهتهم وكان خورشيد شاه فى وسطهم ينتظر ان كانـوا سـيأخذون فرخ روز أسيرا أو يعيدونه ، وفجأة رأى قزل ملك يضربه بسيفه فيفصل رأس أخيه فرخ روز عن جسده .

صاح خورشيد شاه ، وألقى بنفسه من على صهوة جواده وأخذ فى البكاء والنحيب وشق ثوبه ونثر التراب على رأسه ، وخلع الملك فغفور التاج من على رأسه ، وشق هامان الوزير وكل الأبطال أثوابهم وحثوا التراب على رءوسهم ، كما شق الثعلب الفيلم وســمك والعيارون جميعا أثوابهم ثم قام الفغفور وهامان الوزير وأمسكا بساعدى خورشيد شـاه وأوقفاه وساروا جميعا حتى وصلوا الى المجلس وجلس خورشيد شاه على التراب وكان يصيح ويتأوه بين لحظة وأخرى قائلا « يا أخى العزيز الحبيب ، يا نور عينى ، حرام على .... (١) .

فى الجانب الآخر ، ذهب شهران الوزير الى خيمته وأرسل شخصا الى أرمنشاه يقول له « حيث أننى صرت لا عقـــل لى ولا علم ولا فكر ، ولا تتأتى منى أية فائدة ، فليعفنى الملك من خدمته كى أجلس فى زاوية وأشتغل بالعبادة وأدعو للملك وللأصدقاء فان الانسان يعمـل من أجـل الكرامة والاحترام ، فان ذهب الاحترام فان ملك الدنيا لايساوى شيئا » .

---

(١) ساقط فى الأصل .

عندما جاء المبعوث وذكر هذا لأرمنشاه ، أدرك أن وزيره قد استاء من قزل ملك ، فالتفت اليه وقال له « يا قزل ملك ، اذهب الى خيمة شهران الوزير ولاطفه واعتذر اليه واحضره للمجلس » ٠

ذهب قزل ملك الى خيمة شهران الوزير كما أمره الملك وسلم عليه فقام شهران وأجلسه فى مكانه فقال له قزل ملك « ياشهران ، جئت معتذرا فقد حدث منى اليوم خطأ وقد تغير خاطرك وأنت تعرف أحوال الشباب ، ولن أزيد عن هذا ، فقد سيطرت نزوة الشباب على وكان أجل فرخ روز قد انتهى وهكذا حل القضاء وان كان مؤسفا ، وقد جئت اليك معتذرا فقم لنذهب معا للمجلس لأن الملك ينتظرنا » ٠

قام شهران الوزير فأخذه قزل ملك بجانبه فاثنى عليه الوزير وذهب الاثنان للمجلس وأدى الوزير التحية فقال له الملك أرمنشاه « هل تريد الابتعاد عنا ؟ فرد عليه شهران الوزير » أيها الملك ، ان قزل ملك هو الذى أمر بهذا ، ولكننا لن نتحدث عن الماضى ، وكما قال الأمير نعمل للمستقبل » ٠

قالا هذا وانشغلوا ببعض أمورهم الى أن انقضى بعض الوقت فأحضروا المائدة وتناولوا طعامهم فلما فرغوا منه قال سحاب « أيها الملك ، ما سمعته بالأمس من فرخ روز لن أنساه أبدا ، كما أنه يوجع قلبى من طعن لسانه الذى طعننى به أمس من ناحية الأحمر الكافر والحق معه فقد قال لى بالأمس اننا لا غيرة لنا ولا حمية ، وقد صدق » ٠

قال أرمنشاه « يا سحاب ، ألم تكن قد أرسلت رجلا ؟ لقد مضى أسبوعان ولم يأت أحد بالرد « فأدى سحاب التحية وقال « أيها الملك ، لقد عاد الرجل ولكننى لم أجرؤ على اطلاع الملك » ٠ فسأله أرمنشاه « وما هى الأحوال » ٠

قال سحاب « أيها الملك ، لقد خرج الأحمر الكافر من سهل الخورجان ، ولعله فكر فى أننا قد نمسكه فلم يستقر له قرار وحمل الأميرة بدرية وذهب الى وادى الجبل الأسود لأنه واد شديد الاستحكام وبه عشر طاحونات ماء ، ولا تستطيع جيوش العالم اقتحامه ٠ ويبدو أن ست طواحين قد أخذت من أيدى أهل الوادى حتى أن كل من يذهب الى احداها يقتله الأحمر الكافر ويأخذ منه غلاله ٠ واذا أراد أحد من أهل السهل طحن غلاله ذهب معه خمسون شخصا حتى يستطيع طحن ما معه من غلال وذلك خوفا من الأحمر الكافر ٠

حزن أرمنشاه وقزل ملك من هذا الموضوع ، فقال سحاب « أيها الملك ، لا تحزن فانني سأذهب على رأس أربعة آلاف فارس من الذين رأوا هذا الوادى ويعرفونه ، وسوف أحضر الأحمر الكافر والأميرة اليكم » .

دعا له أرمنشاه وقال له « ماذا ستفعل ومتى تذهب ؟ فأجابه سحاب « حتى أعد ما يلزم سأذهب مساء الغد ان أمكن » . قالا هذا وانشغلا فى تناول الشراب حتى خيم الظلام وتفرق جمعهم وأمر سحاب للأعداد للرحيل فذاع فى المعسكر أن البطل سحاب سيذهب الى وادى الجبل الأسود لكى يحضر الأميرة والأحمر الكافر . وسمع جاسوس خورشيد شاه بهذا فعاد اليه وذكر له كل ما حدث .

كان خورشيد شاه مازال فى حالة الحداد عندما ذكر له سورة الجاسوس هذا الخبر فبكى حزنا على أخيه . فقال له سورة الجاسوس « أيها الملك ، ان ابن الملعونة سحاب هذا الذى حمل فرخ روز من ميدان المعركة وتسبب فى قتله سيذهب الى وادى الجبل الأسود مع أربعة آلاف فارس لكى يحضر الأميرة بدرية والأحمر الكافر .

## سمك ينقذ الأميرة بدرية

كان سمك واقفا أمام خورشيد شاه وقد شق ثوبه والتراب على رأسه فقال « يا ملك العالم العظيم ، سمعت أنك أخذت على نفسك العهد لأرمنشاه أن ترسل اليه بدرية والأحمر الكافر ، وعلى هذا الأساس فاننى سأذهب الى وادى الجبل الأسود فى سهل الخورجان ـ وباقبالك وسعدك ـ سوف أحضر لك الأحمر الكافر وسحاب وبدرية مقيدين ، ولعل هذا يخفف عنك الحزن على فرخ روز . والى أن يحين الوقت لمكافأة قزل ملك على عمله » .

حين سمع خورشيد شاه اسم أخيه بكى وأثنى على سمك وقال له « لقد كنت عونا لى فى كل الأعمال ، كان الله عونا لك » وكانت ضياء واقفة فقالت « أيها الملك ، لما كان سمك سيذهب الى وادى الجبل الأسود ، فان لى رجاء أيضا اذ كنت قد رأيت شيئا فى وادى الغورى وأريد معرفة سره ، ولكن البطل سمك لم يتركنى ، فان أذن لى الملك ذهبت » .

صاح فيها سمك قائلا « الآن تريدين أن تلقى نفسك فى التهلكة باذن الملك ؟ ألم أقل لك ألا تبحثى عن هذا الموضوع ؟ ولو أن هذا الأمر يمكن أن يكتشف سرا لأمكننى ذلك أفضل منك » .

سأل خورشيد شاه « ما هذا ؟ فذكر له سمك موضـــوع البـــاب الحديدى ووقوع ضياء فى يدى الزنجي مرتين والأصوات التى سمعها من وراء ذلك الباب » • فقال له خورشيد شاه « يا سمك ، ان لى رغبة شديدة فى أن أرى من فى ذلك السجن ، ولو كنت أستطيع الذهاب لذهبت » •

قال الثعلب الفيلم « أيها الملك ، لما كان سمك سيذهب الى هذه الناحية ، فسأذهب أنا وضياء لنعرف سر هذا السجن » • عندئذ لم يستطع سمك أن يعلق بشيء لأن الثعلب كان أستاذه ولكنه قال « يا بطل العالم وعيار الدنيا ، ان ضياء متهورة ولا تخاف على حياتها وقد أدخلت نفسها فى أمر الخروج منه أصعب ، ولا أستطيع أن أقول لك لا تذهب لهذا الأمر ، لأن لديك ألف تلميذ مثلى وقد تعلموا فنون الحيـــل منك ، ولكن أحذر ألا تعمل طبقـا لقول ضـــياء لأن ذلك قد يؤدى الى ألم يصيبنا بالحزن فانك لم تر هذا المكان ولا تعرف كيفيته واذا كنت تريد الذهاب فاحتط لنفسك وحافظ عليها وأنت لست فى حاجة لمن يعلمك » •

قال الثعلب الفيلم « ان ضياء رأت المكان وسوف أجعلها أمامى لتكون دليـلى » قالوا هذا وتفرقوا كل لشأنه •

عاد الثعلب الفيلم الى مأواه وأرسل فاستدعى ضياء وسألهـــا عن أحوال ذلك السجن فشرحت له ضــــياء كل شيء وكان يسألهـا عن كل مالا يعـرفه •

فى الجانب الآخر كان سمك العيار يقف أمام خورشيد شاه وكان يروى قصصا من الماضى يحاول بها أن يسرى عنه موت فرخ روز حتى أذن ديك الصباح وطلع النهار ولاح ، وبدا الناس حركتهم يزاولون أمور حياتهم ، فأدى سمك التحية وقال « أيها الملك ، أســـتأذنكم فى الراحة بعض الوقت لأننى سأذهب الى وادى الجبل الأسود » فدعا له الملك وقاما لينالا قسطا من الراحة •

حينما عاد خورشيد شاه الى مجلسه لتقبل العزاء ، جاءه كل الناس يعزونه ويواسونه أما سمك فقد قام وارتدى ملابس السفر وحمل صرة من الذهب لأنه بدونه لا تتحقق أعمـــال الناس ثم اختـــار جمازة من بين الجمال ، سنامها عال كالجبال ، وأرجلها فى العدو كالغزال ، وجسمها فى قوة أجسام الأفيال ، من أصل عربى ، ركبها سمك وانطلق كالريح حتى أنه وصل قبل سحاب بيومين فالتف حوله أهل الخورجان سائلين من أنت ومن أين قدمت ؟ فقال لهم « لقد أتيت بالبشرى لكم ، اذ أن البطـــل

سحاب سيأتى على رأس أربعـــة آلاف فارس لكى يأسر الأحمر الكافـر ابن الفاعلة ويأخذه الى أرمنشاه مع ابنته الأميرة » فقال له الناس « وكيف يمكنه أخذه وقد التجأ الى وادى الجبل الأســـود حتى ولو كان معـه أربعون ألفا بدلا من الأربعة آلاف فارس فانهم لايستطيعون عمل شيء له . وقد نالنا الضر على يديه لأنه اســـتولى على طواحيننا ولا نستطيع طحن قمحنا » فقال لهم سمك « أيها الأبطال ، لقد تعهد ســـحاب أن يفتح هذا الوادى ويأسر الأحمر الكافر ، واذا لم يكن يستطيع هذا لما أخذ العهد على نفســـه » .

قالوا هذا وتفرقوا وأخذ ســمك يتجول فى كل مكان حتى جاء الى السوق واشترى حملا من القمح وضعه على ناقته ثم اتجه الى الوادى وتجاوز الطاحونة الأولى ووصل الى الثانية ولم يمكث بها واتجه الى الثالثة ثم الرابعة وهكذا حتى وصل الى الطاحونة الثامنة ولم ير أحدا وقال لنفسه على أن اذهب حتى أقترب من الأحمر الكافر ولايرانى ولايعرف شيئا عنى . ثم انتقل الى الطاحونة التاسعة فلم يجد بها أحدا أيضا فذهب الى العاشرة فرأى واديا واسعا مليئا بالعشب والأشجار وينابيع الماء الجارية فقـــال لنفسه لقد استولى الأحمر على مكان رائع قد لا يوجد له مثيل فى الدنيا ، وفى وادى مثل هذا ماذا يستطيع أى جيش أن يفعـــل ؟ قال هذا وأنزل القمح عن ناقته وأطلقها لترعى بين الأشجار وحمـــل القمح الى داخل الطاحونة وقال لنفسه « يا سمك ، انك لا تعرف شيئا عن الطحن ولكن لا بأس أن تتعلم . ثم وضع القمح فى القادوس وصعد وفتح قليلا من الماء للنـــاعورة التى تدير الطاحونة وقال يجب على أن أطحن هذا القمح على مهـــل .

بينما كان سمك يطحن قمحه وصـــل الى أذنيه فجأة صوت وقع حوافر دابة فنظر من باب الطاحونة فرأى الأحمر الكافر بجسمه الضخم وقد ركب حصانا وهو قادم نحوه . وكان سمك قد غير وجهه وجعل شعر رأسه على هيئة شعر أهل الصحراء ، وكان متربا مغبرا ، وخـــرج من الطاحونة ، وكان الأحمر الكافر قد وصل اليه وصاح فيه « أيها الرجل ، بأية جرأة جئت الى هذه الطاحونة ؟ ألم تسمع عن اسمى وألا تعرفنى ؟

قال سمك بصوت حزين وهو يتصنع الخوف « أيها البطل ، سمعت اسمك وأعرف من أنت ، ولكننى رجل فقير وعنـــدى كثير من الأولاد ولم يتركنى الناس أطحن قمحى فى أية طاحونة وأنا أحتـــاج لقوت يومى ، فدفعتنى الضرورة الى الخروج للبحث عن طاحونة حتى وصلت الى هنا » .

سأله الأحمر الكافر ؟ ماذا لديك من أخبار عن الجيش وأهل الوادى والسهل ؟ فقال سمك « هناك اشاعة بأن البطل سـحاب قادم على رأس أربعة آلاف فارس لكى يمسكوك ولا أعرف أكثر من هذا » ٠

حينما سمع الأحمر هذا تركه ومضى ولكنه عاد بعد فترة ثم اتجه الى نهاية الوادى فقام سمك وأغلق الماء عن الطاحونة وذهب فى أعقاب الأحمر حتى وصلا الى نهاية الوادى حيث يوجد طريق لا يسمح الا بمرور شخص واحد فقط ، كما رأى خمسين رجلا واقفين وهم يرتدون سلاحهم كاملا ٠ فقال سمك من أين أتى بكل هؤلاء الرجال ؟ والطريق لايمـكن المرور منه وظل يراقبهم فلم يلحظ منهـم أية حركة كمـا لم ير أحدا غيرهم فتقدم ووضع يده على أحدهم فوجده تمثال من الصخر منحوت على هيئة جندى بكامل سلاحه بحيث يبدون لمن يراهم من بعيد أنهم جنود مسلحون ٠

بعد ان رأى سمك هذا قال لنفسه ليس هذا وقت الذهاب خلف الأحمر الكافر بل يجب أن أقوم بعمل مع الجيش القادم ولأنظر أولا ماذا سيصنع هذا الجيش وكيف يتصرف » ٠

نعود الى سحاب فيقول المؤلف انه حينما تعهد سحاب بالذهاب الى وادى الجبل الأسود من أجل الأحمر الكافر والأميرة بدرية دعـا له الملك أرمنشاه وعاد سحاب الى مقره للاعداد للرحيل واختار أربعة آلاف فارس ثم توجه بهم الى الوادى فلما وصل الى سهل الخورجان اسـتقبله أهله وأنزلوه بالترحاب والسرور ، فلما سألهم سـحاب عن الأحمر الكافر قالوا له « أيها الملك ، لقد ذهب الى وادى الجبل الأسـود واستولى على الطواحين » ٠ فاختار سـحاب مائة رجل فى الحال وقال لنذهب وننظر ماذا يجب علينا عمله وماذا سيكون موقف الجيش ٠ فلما دخلوا الوادى ونظروا رأوا تلك التماثيل الواقفة بكامل سلاحها فظنوها جنودا حقيقية وصاحوا فيها فسمع الكافر صياحهم وزأر فيهـم فلما تقـدموا فى ذلك الطريق الذى لايسمح بمرور أكثر من واحد فكانوا كلما ضرب جندى منهم تمثالا هجم عليه الأحمر الكافر وقتله حتى قتل أربعين فارسا وفر الباقون منهزمين فانطلق الأحمر فى أثرهم وقتل بعضهم أيضا ٠

بقى سمك لمدة يومين فى تلك الطاحونة ثم قال آن وقت العمـل وقام وسار فى طريقه حتى وصـل الى وسط الوادى فرأى روضة نضرة كأنها جنة من الجنان ورأى فيها خيمة من الأطلس الأحمر مرصعة بالجواهر

وحبالها من الحرير وأوتادها المذهبة مثبتة على الأرض ، وحول الخيمة شريط من الذهب الأحمر مرصع أيضا وفوق الخيمة هلال من الذهب ٠

تعجب سمك وقال من أين أتى الأحمـــر بهذه الخيمـــة وبكل هذه الزينة ؟ ثم تقدم الى بابها فسمع أنين الأميرة بدرية وهي تقول « أيها الحظ المعكوس والسعادة التي ولت وأيها الفلك الغدار ، وأيها الزمن المشئوم ، ماذا تريد مني أنا العاجزة المسكينة ؟ ماذا فعلت حتى صار نصيبى الهم والبلاء ؟ اننى لم أسعد يوما واحدا ، ولم أتنفس نفســـا يريح قلبى ، أى حظ وطالع هذا الذى أصابنى ؟ ماذا أقول ؟ أمى قتلت ومربيتى قطعت رقبتها ، كما قتلت دانة خازنتى وحاملة سرى ، هلكت سكينة الساقية وألقى بى فى القيد والبلاء » ٠

وا أبتاه ، لماذا تخليت عن حميتك ولم تعد تهتم بسمعتك أو عارك ؟ ملكك هذا من أجل ماذا ؟ يا قزل ملك ، يا أخى العزيز ، انك لم تكن تسمح للنسيم أن يمر على رأسى وأنا الآن فى يدى الأحمر الكافر أسيرة فى هذا الوادى البعيد لكى يجلب لى العار والفضيحة وا أسفاه على بطولتك وخوضك للمعارك ؟

أيها البطل سمك ، اذا كان أهلى قد تخلوا عن حميتهم وغيرتهم ، فماذا أصـــابك ؟ بحق معرفتى بك ومشاهدتك لى الا أنقذتنى من هذا البلاء وخلصتنى من يدى ابن الفاعلة هذا ٠ هل اقتصرت معرفتك وعلمك على اخراجى من قصرى وموطنى ؟ يجب عليك أن تخرجنى من هذا المكان حتى تنال الشهرة ٠ عليك أن تستجيب لندائى أم أن كل من يقوم بعمل يقوم به لمنفعته وهواه ؟ بالله عليه الا قمت بعمل وخلصتنى من يدى ابن الحرام هذا فاننى أخشى أن يصيبنى الجنون ٠ ولكن من أين لسمك أن يعلم بهذا ؟ وما هذا الهراء الذى أقوله وأحدث به نفسى ؟ وحتى لو علم فمن الذى يشاطرنى آلامى وعذابى ؟ واذا كان أبى وأخى لا يشاطرانى محنتى فهل يكون سمك الغريب هو الذى يشاطرنى ويواسينى ؟

كانت الأميرة بدرية تتكلم هكذا وتبكى وتقول جزى الله أبى وأخى على تهاونهما ٠ ماذا أستطيع أن أفعل ؟ ومن كثرة ما كانت تردد مثل هذا الكلام نفد صبر سمك فدخل الخيمة وقال « أيتها الملكة ، اذا كان أبوك وأخوك لايهتمان بك فقد جئت لكى أحملك الى وطنك عند أبيك وأخيك » ففرحت الأميرة بدرية حين رأت سمك الذى قال لهـــا « أيتهـــا الملكة ، أية مناسبة للفرح الآن ؟ » ٠

احتضنته بدرية بحكم الأخوة وقالت له « أسعدك الله أيها البطل ، فقد أبديت الشهامة التامة واستحقيت لقب الفتوة الكاملة اذ جئت لانقاذي . وليتك وصلت قبل هذا لتنقذ أمي والأخريات من القتل » .

قال سمك « أيتها الملكة ، لقد كنت محصورا في وادي الغوري وجئت الآن لكي أحمل الأحمر الكافر ، فهل يوجد هنا أحد ؟ أجابته بدرية ، لا يوجد أي شخص » . فعاد وسألها « هل الأحمر يشرب الخمر أم لا ؟ » فردت بدية « أيها البطل ، منذ جاء الى هنا لم يشربها وهو متيقظ لا يغفل » . فقال سمك « أيتها الملكة ، اننا نواجه أمرا عظيما ، ألا يوجد شيء يحب أن يتناوله ؟ » قالت توجد الحلوى اذ أنه بعد الطعام يحب أكل الحلوى » . فقال لها سمك « هذا حسن ، احضرى طبق الحلوى هذا » فوضعت الطبق أمامه فنثر عليه سمك مخدرا كان معه ثم أعاده حيث كان .

اختفى سمك تحت العرش لأن الأحمر كان قد أحضر معه عرشا وكثيرا من الدواب وانتظر سمك مدة حتى جاء الأحمر الكافر ونزل عند باب الخيمة ثم أخذ يسير بحصانه لكي يجفف عرقه ثم علق في رأسه مخلاة بها بعض التبن ودخل الخيمة وكانت بدرية مقيدة من رجليها على سريرها . وجاء الأحمر الى عرشه وجلس عليه وبعد نحو ساعة أحضر طعامه وتناوله ثم توجه الى بدرية بالحديث قائلا « أيتها الملكة ، لقد جاء جيش من عند أبيك لكي يأخذونني ، وقد تصديت لهم ، فقتلت فريقا وفريق فر منهزما ، وأنت تعلمين جيدا أنهم لن يتمكنوا مني أبدا حتى لو جاءت جيوش الأرض فانها لن تتمكن من عمل شيء لي ، واذا تأزم الأمر فانني سألقي صخرة ضخمة تسد الطريق بحيث لايستطيع أحد المرور ، وأبقى هنا آمنا هانئا ، ولهذا أرى أن تعدى نفسك لأنك ستبقين معي ، وكما ترين فعليك أن تعطيني يدك من الآن ولا تتركيني في الحزن والغم حتى أحقق ما تطلبين وأفك قيدك لأنه يحزنني ويؤلمني وبهذا نقضي العمر معا نحقق آمالنا وأحلامنا » .

قالت الأميرة « أيها البطل ، أحقيقة ما تقول ؟ لقد بقيت معك مدة ولكن لي أمنية لم أذكرها لك . ولكنني سأذكرها الآن ان أردت أن أعطيك ما تريد ونعيش معا في سعادة ذلك أنني أرى كثيرا في نومي أن سمك قيدني وأخذني ، فان فكرة مجيئه وأخذه لي كلما فكرت فيها وأنا سعيدة معك فان صورة سمك تنغصني وتجعلني لا أدرى ما حولى فان أحضرت رأس سمك فانني سأستريح وأحقق رغبات قلبك » .

قال الأحمر الكافر « أيتها الملكة ، ليس عملى احضار رأس سمك لأننى لا أقدر عليه ، فقالت الأميرة « رجل بضخامتك وبطولتك ، وسمك بضعفه وحقارته لو أنك ضربته بيدك لسويته بالأرض » .

قال الأحمر « انه لايقوم بأى عمل أثناء النهار لأنه رجل عيار مكار يربط الرجال ويقيدهم بالحبال ، انه لايواجهك ولكنه يعمل فى الخفاء ، وأنا على يقين أنه لايمكنه المجىء الى هذا المكان ، ولو جاء فاننى سأحقق لك ما تطلبين ، واذا كنت تخافيه فاننى أستطيع أن ألقى صخرة ضخمة فى الطريق بحيث لايستطيع الهواء المرور الى هذا المكان . فاسعدى وافرحى . ومع كل هذا فان كان يمكننى أن أذهب وأحضر سمك بالحيلة ارضاء لك ، ولكن كيف أتركك وحدك فى مثل هذا المكان ؟

قالت الأميرة بدرية « اذا كان الأمر كذلك فأمهلنى عشرة أيام حتى يهدأ قلبى لأننى الآن مضطربة » . فقال لها الأحمر « لك هذا » ثم تناول طبق الحلوى وأخذ يأكل وفجأة دار رأسه وسقط رغما عنه فاقد الوعى .

قال سمك « هذا حسن » ثم خرج من مخبئه وقيد الأحمر الكافر جيدا ثم فك قيد بدرية التى قبلت قدمه وقالت له « أيها البطل الأوحد ، ويا فتى الزمان ، جعل الله الدنيا وفق ارادتك ، ورضى عنك وأرضاك ، ولتكن كل أعمالك مقرونة بالسعادة كما جعلتنى سعيدة وخلصتنى من يدى هذا الظالم ، والآن كيف ستحملنى ؟ وكيف ستعبر من وسط هذا الجيش ؟ وبعد أن تعبر من وسط هذا الجيش فالى أين ستحملنى ؟ هل ستجعلنى مرة أخرى فى سجن خورشيد شاه ؟

أجابها سمك العيار « أيتها الملكة ، اطمئنى فاننى لن أضعك فى القيود أو السجن وسوف أحملك الى المعسكر ومن هناك نضعك فى محفة مزينة بالجواهر ونرسلك الى أبيك على أحسن صورة وأكمل وجه ، لقد جئت بناء على رغبة خورشيد شاه وأنقذتك من يدى الأحمر الكافر لأن خورشيد شاه تعهد لأبيك أن يعيدك اليه » . فقالت له بدرية « أيها البطل، كيف سأذهب ؟ فقال لها سمك « انظرى ، أولا أريد أن أعيد الأحمر الى وعيه وأعاقبه عقابا حتى يرى أننى جئت لهذا المكان وقيدته لأنه قال ان سمك لايمكنه المجىء الى هذا المكان ولا يستطيع الوصول اليه » . وفى الحال صب بعض الماء فى أنف الأحمر ثم دلكه وحركه حتى تقيأ واستعاد وعيه وفتح عينيه فرأى نفسه مقيدا وسمك يقف عند رأسه فبهت ولم يستطع أن يقول شيئا فوضع سمك قدمه فوق رقبته وقال له « يا ابن اللئام يا سىء الفعال ، أرجل مثلك يصطاد فى عرين الأسود ؟ هل عملك هذا

مكافأة لما قدمته لك ؟ ألم ترتبط معى بعهد وميثاق آلا تخون ولا تغدر ولا تفكر في التحايل وألا تنحرف عن الطريق السوى ؟ هل احضرت ابنه الملك الى مثل هذا المكان لكى تسبب لها العار والفضيحه ؟ لاتنظر الينا ولا تحسب حسابنا ولكن كان يجب عليك أن تحافظ على حق أرمنشاه وحرمته وتخشى الله من أن يأتيك يوم كهذا . ومع كل هذا ماذا صنعت لك الملكة الآم والجوارى حتى تقتلهن ؟ اذا لم أقتلك قتلة تعتبر منها الدنيا وتروى قصتها على مر الأجيال فلست بسمك » .

ألقاه سمك وأخذ يركله حتى تمزقت وأصاله ، وكان الأحمر يصرخ وسمك يضربه حتى أغمى عليه فتركه وقال « يا بدرية ، احترزى عليه لأننى سأذهب وأحضر البطل سحاب » فقالت بدرية « أيها البطل ، كيف أبقى وحدى مع الأحمر الكافر وكيف ستحضر البطل سحاب ؟ . لقد تأخر الوقت ولن تستطيع العودة بالليل وأنا أخاف وحدى هنا » .

أجاسها سمك « اجلسى وانظرى لأننى سأعود كما أن الاحمر الكافر ليس في حالة تسمح له باسترداد عافيته قبل أسبوع » . قال هذا وخرج من الخيمة وسار فى طريقه وانطلق كالريح حتى خرج من الوادى وامتطى حصان الأحمر الكافر ومر على الطواحين كلها حتى وصل لجيش سحاب فرأوه يخرج من الوادى فسألوه « من أنت ؟ وكيف خرجت من هذا الوادى ؟ فأجابهم « خذونى الى البطل لأن لى معه حديث » . فأخذوه الى سحاب فنزل عن حصانه وأدى التحية . فسأله سحاب « من أنت ؟ » فقال سمك « أيها البطل ، أنا أزل الجاسوس ، أرسلنى أرمنشاه لكى أرى مكان الكافر وأوضاعه ، وحين جئت وسرت فى الوادى كان الطريق صعبا ولم أستطع السير وحدى وفجأة رآنى الأحمر الكافر وأمسكنى وقال لى » من أنت ؟ لعلك جاسوس أرمنشاه ؟ فطلبت الأمان وقلت له « أيها البطل ، لقد هربت من القصاص وجئت من سهل الخورجان لأننى قتلت رجلا ولم أستطع الذهاب الى أى مكان فالتجأت اليك حتى تحمينى فاحمنى بفتوتك وارعنى وقد صدق الأحمر قصتى وقال ابق معى الآن واخدمنى ، وأنا أقف في خدمته منذ عام راضيا أو مرغما ولم أستطع الخلاص منه ، وقد تألم قلبى كثيرا من الذل الذى يذيقه للأميرة ولم أستطع عمل أى شيء مع الأحمر الكافر لأنه فى غاية اليقظة والحيطة في كل أعماله وحين يشرب الخمر فانه يقيدنى ، ولهذا كنت عاجزا أمامه الى أن كان الأمس وتعلق بالأميرة وقال لها اعطنى الآن ما أريده منك لأن الجيش جاء مع سحاب وقد قتلت جماعة منهم وفر الباقون ، وحين سمعت هذا منه فرحت لأن البطل بسحاب جاء لانقاذ الأميرة ، وانتظرت

حتى سنحت لى فرصـــــة وجلس الأحمر يحتسى الخمر وقيدنى ولكننى استطعت بعد مجهود شاق أن أفك قيدى وتركتــه يشرب الخمر وجئت مسرعا لأخبرك حتى أسلمه لك مقيدا فلا يوجد أحسن من هذه الفرصة » ٠

كان سحاب قد سمع اسم أزل الجاسوس لأنه كان مشهورا فصدق قصة سمك وقام وأراد أن يذهب مع سمك العيار ولكن سمك قال له « احضر معك عشرة أو خمسة عشر جنديا لأننا سنحتاجهم فى حراسة مدخل الوادى ، بينما أدخل وحين نقيده فاننى أعود لأخبرهم حتى نختصر الطريق ونأخذ تلك الأموال الوفيرة التى جمعها هناك ونخرج مع الأميرة بدرية والأحمر الكافر » ٠

اختار سحاب عشرين فارسا الى جانب خاصته وسار مع سمك حتى وصلوا الى الطاحونة الخامسة فأمر سمك أن يبقى رجلان أو ثلاثة هناك للحراسة ، وهكذا ترك رجلين أو ثلاثة فى كل طاحونة وسار وهو وسحاب حتى وصلا الى تلك التماثيل الصخرية المسلحة فقال سحاب « يا أزل ، لقد ظننت أن هذه التماثيل حقيقية » فأجابه سمك « أزل » أيها البطل ، كلها صخور نحتها الأحمر الكافر حتى تبدو لمن يراها أنها جيش » ٠ وتقدم سمك ونزع سلاح أحد التماثيل الصخرية المسلحة ومر سحاب من بينها وكان النهار قد انتصف حين وصلوا أمام خيمة الأحمر الكافر ٠

كانت بدور جالسة فى ضيق وعينها على الطريق الى أن وصـــل سحاب مع سمك ورأى تلك الخيمة فى تلك الروضة النضرة فقال لنفسه ما أحسن ما اختار هذا المكان ، فنحن لم نر هذا المكان أبدا عندما قال له سمك « أيها البطل ، اجلس هنا ريثما أذهب وأنظر اذا كان الأحمر نائما أو مستيقظا حتى لا تواجهنا مشاكل كما أخبر الأميرة بدرية أنك جئت معى لكى تأخذ الأحمر الكافر فلا تخاف كما أفك قيودها حتى تتعاون معنا » ٠

قال سحاب « لا بأس » ثم نزل عن حصـــانه وجلس فى ناحية ، كما نزل سمك أيضا ودخل الخيمة فرأى الأحمر الكافر فاقد الوعى اذ أن سمك قبل ذهابه كان قد وضع فى حلقه بعض المخدر ، كما كانت بدور جالسة بجوار فراشه وكان كل جسمه مخدوشا وقد نزع شاربه ، وحين رأت بدرية سمك وقد عاد فرحت وقالت « أيها البطل ، هل تحقق أملك ؟ » فأجابها سمك « أيتها الملكة » لقد أحضرت ســـحابا وأجلسته خـــارج الخيمة » ٠

نظرت بدرية من الخيمة فرأت سحاب جالسا فقالت « يا سمك ، ان الفتوة والرجولة في الدنيا خالصة لك ، فماذا سنفعل معه ؟ » قال لها سمك « أيتها الملكة ، خذي طبق الحلوى هذا وضعيه أمامه وقدمي له منه ولا تخشي شيئا فانني سأحملك من هذا المكان لأنني اعتدت على مثل هذه الاعمال ، وقولي له أيهـــا البطل أعانك الله لأنك جئت لمساعدتي وعوني واستعن بذلك الرجل الذي يعمل في خدمة الأحمر الكافر لأنه يمكنه أن ينفعنا في عملنا ، ثم ابقى معه حتى يأكل من الحلوى ويفقد وعيه وعندئذ نقيده ونرحل من هنا لأن الوقت يمضي بسرعة » .

قالت بدرية « لا بأس » ثم قامت وزينت طبق الحلوى وحملته على يدها ولما قدمته الى سحاب أخذت تثني عليه وقالت له « أيها البطل ، ما الذي حدث حتى تذكرتموني لأنكم تركتموني في يدي هذا الكافـــر ابن الحرام ؟ هل نسيني أرمنشـــــاه أبي وقزل ملك أخي ؟ عفـــا الله عما سلف . ان هذا الرجل الذي يعمل خادما للأحمر الكافر يعمل على انقاذي وقد أحضرك لهذا الغرض وقد وعدته بخمسة آلاف دينار اذا أنقذني من هذا السجن . فتفضل بتناول هذه الحلوى الى أن يغط الأحمر الكافر في النوم لأنه مازال يقظا وذلك الفتى يقوم بتدليك قدميـــه ليساعده على النوم » .

كان سحاب ينصت لحديث بدرية وينظر اليها فرأى ذلك الوجه والشعر والجمال والطول والقد ، رآها كأنها شجرة سرو تميس (١) ، وجهها كالبدر ليلة التمام ، وطرتها (٢) كأنها وهق أسود ، ابتسامتها كأنها اشراق الصبح ، في مشيتها كأنها حمامة القطا ، طلعتها بهية ، نون ذقنها كأنها من الفضـــة النقية ، أنفها كأنه حافة درهم ، عيناها كعين الغزال ، أسنانها كأنها لآلئ ، جبهتها كأنها صفحة من الفضة ، خدها كأنه وردة حمراء ، كاملة الحسن لو رآها زاهد لتخلى عن زهده ولو رآهـــا صوفي لترك طاعة المتصوفة ، ولو هب النسيم على ذوائبها لحمل العطر للدنيا كلهـــا .

---

(١) نوع من الشجر دائم الخضرة يشبه به القد المشوق .

(٢) الطرة ما غشى الجبهة من الشعر . والذؤابة شعر خفيف خلف الرأس أو الغظائر .

(٣) نون الذقن أو بئر يوسف انخفاض في وسط الذقن وهو من علامات الحسن .

تناهى سكون الحسن فى حركاتها فليس لراء وجهها ولم يمت عذر(*)

حين وقعت عينا سحاب على الأميرة افتتن بجمالها وحسنها وصار عاشقا لها وبقى مذهولا حائرا وقال « ان الله خلق مثل هذا الحسن وجعله فتنة لقلوب الناس والحل هو أن أطلبها من الملك حينما أحمل اليه الأحمر الكافر ، وأعلم أنه لن يمانع وأقضى العمر معها فى سعادة » · كان يحدث نفسه بهذا ويفكر فى المحال ويملأ قلبه بأطماع زائفة ويأكل من طبق الحلوى ويتأمل جمال بدرية وفجأة اصابه سهم حبها فى قلبه فقد أثر المخدر فيه وفقد وعيه ·

أخذت بدرية تضحك عليه وكان سمك واقفا ينصت اليها ، فلما رأى أن سحاب وقع فاقد الوعى خرج من الخيمة وقيد يديه ورجليه جيدا ثم أحضر صندوقين من المطبخ وأنام الأحمر فى صندوق والبطل سحاب فى الصندوق والآخر ثم قال لبدرية يجب أن أضعك فى صندوق أيضا على ان تكتمى أنفاسك حتى نخرج من هذا الوادى · فقالت بدور « سأختنق فى الصندوق فرد عليها سمك » هذان الرجلان فى الصندوقين الآخرين لماذا لايختنقان ؟ فأجابته « لأنهما بلا وعى » فقال لها سمك « ان شئت أعطيتك قليلا من تلك الحلوى » · فضحكت بدرية وقالت « لقد تبت عن الحلوى وأكلها لأنها لاتناسبنى » فضحك سمك ·

أحضر سمك صندوقا وثقبه عدة ثقوب وهيأ به مكانا لبدرية وصندوقا آخر وضع به الجواهر والذهب والملابس وكل ما استطاع من النفائس ثم أحضر ناقتين من النوق التى كانت ترعى فى تلك الروضة وحملهما بالصناديق وقاد الجملين حتى وصل الى مدخل الوادى ·

كان رجال سحاب ينتظرون هناك وحين رأوه قال لهم « اذهبوا فان البطل سحاب قد أمسك الأحمر الكافر وهو جالس عند الأميرة بدرية ينتظركم وقد وهبنى هذا المال وأنا راجع الى مكانى ، فأسرعوا لأن الأموال كثيرة حتى تنهبوها ، فانطلق الجند الى داخل الوادى » ·

قاد سمك الناقتين بسرعة حتى وصل الى الجيش الذى كان على رأس الوادى وحين رآهم قال « أيها الأبطال ، لقد أمسك سحاب بالأحمر الكافر وقيده وهم ينهبون أمواله » · فانطلق الجيش طمعا فى النهب الى داخل الوادى أيضا ·

انطلق سمك كالريح يقود جماله ويسلك طرقا غير مطروقة حتى أقبل الليل وخيم الظلام وكان قد قطع نحو عشرة فراسخ فتوقف عن

(٤) ورد البيت باللغة العربية هكذا ·

السير وأخرج الأميرة بدرية من الصندوق وألبسها ملابس الرجال وجعلها على هيئة الجمالين وأجلسها على جمل وانطلق مرة أخرى فى طريق العودة الى معسكر خورشيد شاه ٠

فى الجانب الآخر ظن جيش سحاب أن قائدهم قد أسر الأحمر الكافر والأميرة بدرية وأنهم فى الخيمة فانطلقوا يسلبون وينهبون حتى نسوا قائدهم سحاب ولم يحاولوا حتى معرفة مكانه حتى أقبل الليل ، وكانت هذه خطة سمك لكى ينشغل الجيش بجمع الأموال ريثما يعود هو الى معسكره ٠

كان التوفيق حليف سمك الذى ظل يسير طوال الليل حتى طلع النهار لم يتوقف ولم يسترح وأقبلك الليلة الثانية ولم يذق طعم الراحه حتى طلع عليه نهار اليوم الثالث فوصل الى معسكر خورشيد شاه فى الصباح وذهب الى مجلسه ونزل عن ناقته وأخذ يد الأميرة بدرية ودخل المجلس وأدى التحية أمام العرش وحين رآه خورشيد شاه وقف واحتضنه وقال له « أيها البطل ، كيف كنت ؟ ان شاء الله لم تكن مهمتك شاقة أو متعبة ، من هذا الذى أحضرته ؟

قال سمك « أيها الملك ، استدع لالا صلاح لكى يأخذه الى خيمة الأميرة ماه برى فقال له خورشيد شاه « أيها البطل ، ماذا تقول ؟ كيف يذهب رجل غريب الى خيمة النساء ؟ وماذا يفعل فى حرم الملوك ؟ دعه يبقى أمام عرشنا ولو أننا لانمنعك عن أى عمل تقوم به ٠ ولو كان مائة رجلا بدلا منه وقلت أنت ليذهبوا الى خيمة النساء لأمرت لك بهذا ، لأنك لا تفعل فعلا الا عن صواب رأى ولا تجيز غيره ، ولكن هذا قبيح » ٠

قال سمك « أيها الأمير لا كان ذلك اليوم الذى أرتكب فيه عملا غير مناسب أو غير لائق خاصة مع أسرتك ، أيها الملك ، ألا تعرفها ؟ أنها بدرية بنت أرمنشاه وقد أحضرتها على هذه الصورة » ٠

فرح خدرشيد شاه عندما سمع هذا وأثنى عليه وقال له « سعدت وهنئت أيها البطل الذى لا يوجد لك مثيل فى الدنيا ، ولا يوجد أحد فى ثقافتك وعيارتك ، ولم تلد أم مثيلا لك ، ان العيارين ليفتخرون بك » ٠ وفى الحال أخبروا ماه برى واصطحبوا الأميرة بدرية اليها فأرسلتها ماه برى الى الحمام ثم ألبستها ملابس ملكية وسألتها عن أحوالها وكيف أحضرها سمك ٠ فروت لها بدرية كل ما حدث ٠

قال خورشيد شاه « يا سمك ، ماذا فعلت بالأحمر الكافر ؟ ومتى ذهب سحاب الى ذلك المكان ؟

قال سمك « باقبالك وسـعدك ، تم على يدى عمل لا يتخيل أحـد القيام به أو يستطيعه • لقـد أحضرت الأحمر الكافر وسحاب » ثم أمر باحضار تلك الصناديق وكان خورشيد شاه والفغفور وهامان الوزير وجميع الأبطال موجودين •

فتح سمك صندوق الذهب والجواهر وأخرجها ثم فتح الصندوقين الآخرين وأخرج الأحمر الكافر وسحاب وكانا مازالا فى غير وعيهما مـن تأثير المخدر وقال سمك « أيها الملك ، مر بوضع قيود ثقيلة فى أرجلهما وأيديهما » وفى الحال قيدوهما ووضـعوا عليهما الحراس بينما أثنى الحاضرون على سمك •

قال خورشيد شاه « يا أخى ، كيف أوقعت بهما بمفردك ؟ هل تعرف شيئا من السحر ؟ فأدى سمك التحية وقال « أيها الملك العظيم ، لعن الله كل السحرة ، فأنا لا علم لى بالسحر ولكن الله يهديني الى سواء السبيل ، وكل مالا يكون بأمر الله فلا يمكن القيام به بألف سحر أو ساحر » ثم أخذ يروى ما حدث فتعجب الجميع مما فعل •

قال سمك « أيها الملك العظيم ، اننى لا أرى ضياء أو الثعلب فى خدمتكم ، فهل ذهبا الى الباب الحديدى ؟ فأجابه خورشيد شاه » نعم ، فحينما ذهبت ـ بالسعادة ـ ذهبا أيضا » فتضايك سمك وبهت وقال « وا أسفاه ، لا أعلم ما صار اليه أمرهما ، وأنا أخاف من ذلك السجن ، وأخشى أن يكون الزنجى قد قتلهما لأنه آكل للحوم البشر ثم قال أيها الملك اننى سأذهب للبحث عن الثعلب وضياء لأننى اذا لم أعترف بحقهما على فلن أعترف بحق أى انسان » قال هذا وخرج •

فى خيمة الحريم كانت بدرية تجلس مع ماه برى فقالت « أيتهـا الملكة ، عندما أحضرنى سمك قال حينما أعود للمعسكر سـوف أرسلك الى أبيك لأن خورشيد شاه ملك الدنيا تعهد أمام نفسه لأبى أن يعيدنى اليه ، ومع أن وجودى هنا يسعدنى الا أننى أريد رؤية أبى وأخى وأقيم معهما عزاء أمى ، وقد ذكرت لك هذا الكلام لأن الرجال لايكذبون خاصة فتى مثل سمك لايخلف وعدا » •

قالت ماه برى « ان سمك لا يكذب ، وكل ما يقوله سـمك فكأننا قلناه » . ثم طلبت ماه برى الأمير خورشـيد شاه ، فلما جاء أخبرته بما قالته بدرية فقال لها « ان ما يقوله هو وسمك واحد ، وأمره نافذ فى كل ما لدينا ، فلا فرق فى أوامرنا » ثم أمر ماه برى أن تلبسها ملابس قيمة لكى يذهبوا معها على أحسن صورة ، كما أمر لالا صلاح أن يذهب معهم وحينما يصل الى أمنشاه يقول له اننا وفينا بما تعهدنا به وأعدنا اليك ابنتك دون أن يلحقها أى أذى ومع أنك كنت قد أرسـلت الأبطـال لاحضارها . ولو كان أمثال هؤلاء الرجال يستطيعون القيام بعمل لما أقدم الأحمر الكافر على فعلته ، ويجب عليك الآن أن تحافظ على ابنتك .

قال لالا صلاح « السمع والطاعة » ثم سار فى طريقه حتى وصل الى أطراف المعسكر فرأتهم طليعة أرمنشاه وتقدموا اليهم سائلين « من أنتم ومن أين أنتم قادمون ؟ فتقدم لالا صلاح وأدى التحية وقال « الأميرة بدرية نحملها الى أرمنشاه » ففرحوا وحملوا البشرى الى الملك بأنهـم أحضروا الأميرة . فسألهم « ومن أحضرها ومن أين ؟ هل سحاب هو الذى أحضرها أم لا ؟ وفرح هو وقزل ملك .

قالوا « أيها الملك ، لالا صلاح هو الذى جاء ، وهو الذى أحضرها فى مهد مرصع بالجواهر ومن عند خورشيد شاه ففرح الملك .

أدى لالا صلاح التحية للملك أرمنشـاه الذى نظـر اليه وقال « يا عديم الوفاء ، بماذا أسأت اليك ؟ أو ماذا فعلتـه ابنتى معك حتى تركتنا ؟ فأدى لالا صلاح التحية وقال « أيها الملك العظيم ، لقد قيدنى سمك بالقسم لأكون فى خومة ماه برى بدلا من لالا صالح وأخاف الله أن أترك خدمتهم . أيها الملك ، ماذا أستطيع أو يستطيع ألف مثلى فعله لكم سواء كنت فى خدمتكم أو فى خدمة خورشيد شاه ثم قال أيها الملك ، ان خورشيد شاه يبعث اليك بالسلام ويقول لقد أنجزنا وعدنا وذهبنا بالرجولة وخلصنا الأميرة بدرية من يدى الأحمر الكافر فى وادى الجبل الأسود وأرسلناها اليك دون أذى ومع أنك أرسلت بطـلا مع جيشـك لاحضارها ولكن لايمكن لأمثال هؤلاء الرجال أن ينجزوا عملا » .

فرح أرمنشاه وقزل ملك وشهران الوزير وكل الأبطال من ذلك العمل الى أن قال الملك « يا لالا ، ألم يقم سحاب بأى عمل حتى يتهموننا ويطعنوننا هكذا ؟ هل تعلم ماذا فعلوا بالأحمر الكافر ؟

أجابه لالا صلاح « أيها الملك ، لقد أتوا بالأحمر الكافر وسحاب مقيدين أمام خورشيد شاه » . فقال أرمنشــاه « من قال هذا الكلام ؟ فرد عليه لالا صلاح « انه سمك » فحزن الملك على سحاب ثم سأله « كيف أحضروه ؟ فأجابه لالا « أيها الملك ، لقد أحضرهما سمك واســأل بدرية عن الباقى » قال هذا وأمر الملك أن يأخذوا الأميرة بدرية الى خيمة النساء كما أمر بخلعة للالا صلاح حتى يعود الى معسكره .

التفت الملك الى شهران الوزير وقال « كيف حدث هذا ؟ سحاب ومعه جيش ، وسمك بمفرده كيف يمــكن أن يكون ؟ لعله كذب » . فقال شهران « أيها الملك ، اسأل الأميرة بدرية كيف حدث هذا لأن هذا الكلام بغيض على القلب كما أن أحدا من جيش سحاب لم يعد للآن » .

قام الملك واصطحب قزل ملك وذهبا الى خيمة بدرية واحتضناها فبكت وولولت أولا على وفاة أمها وثانيا من كثرة مالاقت من آلام وعذاب ثم أخذت تتحدث عما جرى منذ أن أخذها الأحمر الكافر حتى عودتهـا ، وعن مجىء سمك واحضاره الأحمر الكافر وسحاب ، واجلاس بدرية فى صندوق ، وظلت تحدث الملك أرمنشاه وقزل ملك حتى طلع النهار .

عاد أرمنشاه الى مجلسه وجلس على عرشه وأخذ يتحدث عن أعمال وأفعال سمك ، وكان الأبطال والخاصة جميعا حاضرين والملك يـروى لهم ما حدثته به بدرية فاستولى العجب والدهشة على الأبطال الى أن قال الملك « لقد وقع ما وقع ، فماذا سنصنع لسحاب الذى أسروه ؟ » .

قال شهران الوزير « أيها الملك ، يجب علينا أن نعمل شيئا صوابا وأن نرسل لخورشيد شاه ونقول له أن يعيد البطل سحاب أيضــا » فقال له أرمنشاه « افعل ما يجب » .

فتح شهران الوزير الخزانة وأخرج خمسين حملا من الذهب والفضة والجواهر والمسك والعنبر والكافور والأطلس وغيرها وكتب رســالة جاء بهــا .

« بسم الله الرحمن الرحيم ، بعد حمــد البــارى والثناء على خورشيد شاه وسمك ثم قال يعلم خورشيد شاه أن أمر الدنيا هكذا منذ كانت والى أن تزول فيجب عليك حين تقف على هذه الرسالة أن ترسل الينا البطل سحاب فى الحال . وقد أرســلنا بعض المال لتنفقه على الجيش

ولا تصعد الأمور لأن سحاب ليس رجلا بسيطا فله كثير من المنتقمين • وعلى العموم فله صهر فى جبل الذهب اسـمه دبور بطل لم يذهب قط لخدمة أى ملك لأنه يعتمد على شجاعته وقوته الشخصية ، ولم يقصده أى ملك لاخضاعه لأنه لن يتمكن من قتاله • فان أعدت لنا سحاب البطل فان الصداقة ستبقى وان يتوجه اليكم دبور والا فالخسران وقد ذكرناكم والسـلام » •

قرأ الرسالة على الملك ثم ختمها والتفت الملك الى الأبطـال وقال « من منكم يحمل هذه الرسالة والأموال الى خورشيد شاه ؟ • وكان هناك بطل اسمه طلامة حمل هذه الأموال مع خمسين فارسا وسار الى أن وصل الى حافة جيش الفغفور فتقدمت اليه الطليعة قائلين » من أنتم ومن أين جئتم ؟ فقال طلامة « أنا رسـول أحمل رسـالة من أرمنشاه الى خورشيد شاه » • فأبقته الطليعة حيث كان وأرسـلوا رجـلا الى خورشيد شاه ليخبره بقدوم الرسول فقال لهم احضروه • فعاد الرجل لاحضاره بينما أمر خورشيد شاه بتزيين المجلس وحضر القواد والأبطال والمبارزون الى المجلس ، وجلس كل منهم فى مكانه ووقف البعض الى أن دخل طلامة المجلس وأدى التحية وقبل الأرض ودعا وأثنى •

أمر خورشيد شاه فأجلسوه على كرسى مذهب وأحضروا ماء الورد فشربوا ثم مدوا الموائد فطعموا ، فلما انتهوا من الطعام غسلوا أيديهم وأعدوا مجلس الطرب وقسموا الشراب وأشار الملك الى هامان الوزير أن يسأله لماذا جـاء •

قال هامان الوزير « أيها البطل ، أمير الدنيا يقول لك ان كنت تحمل رسالة فهاتها وان كنت تنقل كلا ما فاذكره » فوقف طلامة وأدى التحية وأمر فى البداية بادخال الهدايا التى أحضرها الى المجلس وعرضها ثم أخرج الرسالة وقبلها ووضعها على حافة عرش خورشيد شاه •

أخذ خورشيد شاه الرسالة وسلمهـا لهامان الوزير الذى فض ختمها وقرأها وذكر ما بها لخورشيد شاه الذى التفت الى طلامة وقال له « هل سحاب أفضل من أخى فرخ روز الذى أتوا به أمامى وفصل قزل ملك رأسه عن جسده باحتقار ومذلة ؟ قسما بالخالق العادل لأقتلن واحدا مقابل كل شـعرة كانت على رأسـه مع أنها لن تكون عوضـا عن فرخ روز » •

وقف طلامة وأدى التحية وقال « أيها الملك ، لا تندفع لأن سحاب ليس مجهولا فهو عتيد الأصل ، والذى سيثأر له هو دبور قاهر الشياطين الذى لا يوجد فى الدنيا من مشرقها الى مغربهـــا رجـل فى بطولته ، وان استمعت لقولى فكف يدك عن هذا فهو أصلح لك » ٠

استشاط خورشيد شاه وانفعل وقال « لو لم تكن رسولا لأمرت بضرب عنقك أولا لأنك تمدح صاحبكم وتعظمه وأنه ليس مجهولا » فهل كان فرخ روز مجهولا أو أن سحاب هو الوحيد ذو الأصل ؟ ثم أمر باحضار سحاب والأحمر الكافر وكانت أيديهما مقيدة خلف ظهرهما والأغلال فى عنقيهما وحين دخل سحاب لم يسلم ولم يؤد التحيـــة وجلس حيث كان فزاد غضب خورشيد شاه الذى قال له « يا سحاب ، أن اسمك ظلل على رأسك بالرحيل وأجلك متربص بك ٠ هل أمام عرشى كملك تحافظ على الأدب هكذا ؟ لاتؤدى التحية ولا تلقى السلام ولا تدعو لنا ثم تجلس دون اذن ؟ » ٠

قال ســـحاب « أيهـــا الملك ، لا تقل هذا لأننى فعلت ما فعلت لسببين ، الأول وهو أننى لم أسلم لأن السلام يعنى السلامة والأمان ، وأنا لا أرى فى هذا الموقف أية سلامة لأنهم أحضرونى هنا للقتل ٠ والثانى أننى لست الشخص الذى يجب أن يقف أمامك ذليلا كسيرا وأنا لا أقف هكذا الا أمام ملكى وأميرى وصاحب الفضل على والانعام الى ، كما أن الشجاعة لم تعدم بين الناس فى الدنيا » ٠

قال خورشيد شاه « ان رأمنشاه يريد أن يستردك الآن بالأموال أو بالتهديد بدبور قاهر الشياطين ، وهو للآن لم يعرفنى لأن كل هذه الأموال لايمكن أن تغير انتقامى ، كما لو أن الدنيـــا كلها كانت دبابير قاهرة للشياطين ، فاننى لا أهتم بهم أو أخشاهم اقطعوا رقبته » ٠

تقدم الجلاد وبسط النطع (١) ومزق ذيل رداء سحاب وربط به عينيه وأخـــرج سيفه الذى يلمع كقطعة من الماس ، وكان ذلك الجلاد المتحجر القلب يرتدى ملابس القتل ويربط رأســـه بعصـــابة حمراء ثم دار حول سحاب وقال « أيها الملك ، هل أضرب عنقه بأمرك ، انه ليس كالكرات اذا قطعته نما مرة أخرى ، فالرأس اذا انفصلت عن الجسد لايمكن اعادتها » فقال له خورشيد شاه « اقطع رقبته قطعت يداك » ٠

---

(١) النطع جلد كبير كالبساط يفرش ليراق عليه دم المقتول بالسيف ٠

وقف طلامة وقال « أيها الملك ، لا تفعل كي لا تندم وآنذاك لا ينفع الندم فانت لا تعرف من هو دبور قاهر الشياطين ولم تسمع عن اسمه ، ولم تر رجولته وشجاعته فان أمرت بضرب عنق سحاب فلن يزول الانتقام من قلب دبور الى الأبد » .

قال خورشيد شاه « يا طلامة ، اذا كنت تخيفنى من دبور قاهر الشياطين فهذا كلام لا قيمة له ، ولو أنك تشفعت له بدلا من التهديد لوهبته لك ، ولكننى ان رددته الآن اليكم فسيقولون لقد خاف من دبور . اننا لم نأت من حلب بالجبن والخوف . اضرب عنقه ، لماذا تبقى عليه ؟ فضرب السياف رقبته ضربة جعلت رأسه يطير فى الهواء لمسافة عشرين خطوة » .

أمر خورشيد شاه فعلقوا رأس سحاب فى رقبة طلامة حتى يعود هكذا الى أرمنشاه ثم قال ردوا اليه الأموال التى أحضرها ليأخذها معه . وهكذا عاد طلامة بالأموال ورأس سحاب معلق فى رقبته الى ملكه أرمنشاه .

حينما رأى أرمنشاه وقزل ملك والأبطال هذا المنظر تصايحوا وحزنوا الى أن قال أرمنشاه « من الذى فعل هذا ؟ » فرد طلامة « أمر به خورشيد شاه » ثم روى لهم كل ما قاله وما فعله الى حين عودته . فعض أرمنشاه ظهر يده من الغيظ وقال « أيها الأبطال ما التدبير مع قوم مجهولين من مدن متفرقة ولا أقدر عليهم فهم يقومون بأعمال لا تخطر على بال أحد » .

قال شهران الوزير « أيها الملك ، ان سحاب ليس بسيطا ، فلو أهملناه فان المنتقم له هو دبور قاهر الشياطين ، ولهذا يجب أن نخبره حتى لا يغضب منا . والعداء له أمر صعب . ولما كانوا قد أوقفوا الحرب للعزاء فى فرخ روز ، فلنتوقف عن الحرب أيضا للعزاء فى سحاب ونرسل رسولا لكى يخبر دبور قاهر الشياطين كيف وقعت الأحداث لأن دبور اذا لم يكن قد جاء للحرب فانه سيأتى الآن ، ومع أنه من المؤسف فقدان بطل كسحاب ولكن هذا ما حدث » .

قال أرمنشاه « يجب ارسال شخص الى الفغفور ليخبره أننا لن نحارب لمدة عشرة أيام ويجب أن نرسله بسرعة حتى لا يخرجوا للحرب » . فأرسل شهران الوزير رجلا لابلاغ هذه الرسالة .

حينما وصل هذا المبعوث كان هرمز على طليعة خورشيد شاه فتقدم اليه سائلا من أنت ؟ فقال الرجل « اذهبوا وقولوا للملك أن أرمنشاه

يبلغكم أننا لن نحارب لمدة عشرة أيام لكى نقيم عزاء سحاب لأن له الكثير من الأقارب والأصدقاء وهو ليس بالرجل الصغير حتى لا نقوم له بواجب الاحترام والاجلال وعندما نفرغ من مأتمه نستعد للحرب » ٠

عاد هرمز الى مجلس خورشيد شاه وأدى التحية وذكر له ما قاله الرجل فقال الفغفور انه يدبر حيلة حتى يرسل شخصا الى دبور يستدعيه٠ فقال خورشيد شاه « وماذا يهمنا ؟ لو أنها ليست عشرة أيام بل شهرا كاملا فلا يهمنا ما يتصورونه أو يعدون له » ٠ قال هذا وعاد هرمز ليبلغ المبعوث بالرد ٠ وكان الأحمر الكافر واقفا فى مجلس خورشيد شاه وهو يرتعش من هيبته وقسوته وخوفا على حياته ٠

وقعت عينا هامان الوزير على الأحمر الكافر فقال « أيها الملك ، لماذا يقف الأحمر ؟ فرد خورشيد شاه « اضربوا عنقه فهو ابن حرام ولا فائدة من مثله ولا يجب أن يبقى » فجاء السياف وضربه بالسيف وفصل رأسه عن جسده ثم سحبوه من قدميه وأخرجوه من المجلس ٠

بعد هذا أمر خورشد شاه باعداد مجلس الطرب وأخذ المطربون يتغنون بأغانيهم بينما انشغل الملك والأبطال بالشراب ٠

حين عاد الرجل الى أرمنشاه وذكر له رد خورشيد شاه التفت الملك إلى وزيره شبهران وقال « لقد طفح الكيل ، اكتب رسالة إلى دبور » فقال الوزير « السمع والطاعة » ثم كتب الرسالة (١) التى جاء بها » ٠

« بسم الله الملك الديان ، وبعد توحيد الرحمن ، والثناء والحمد على عباده ، ومدح البطل قال فليعلم دبور قاهر الشياطين أن هذه الرسالة منى أنا أرمنشاه الى البطل العزيز دبور قاهر الشياطين لأخبرك عن أحوال الزمان وما حدث منها اذ جاء قوم من حلب يقودهم أحد أبناء ملك حلب اسمه خورشيد شاه وجاء الى ولاية الصين لخطبة ماه برى بنت الفغفور وقصتهم طويلة ولكن منذ أربع سنوات لم يغمد سيف الانتقام فى غمده ورقد مائة ألف تحت التراب بسبب ماه برى » ٠ ويوجد معهم رجل عيار ، لص ، مكار ، خرج من مدينة الصين يطلقون عليه سمك العيار آثار الاضطراب والفزع فى الدنيا ولا يمكن ذكر أعماله وأفعاله الا مشافهة

---

(١) يوجد نحو ستة أسطر فى وصف القلم والمحبرة والورق رأيت عدم ترجمتها منعا للاطالة ٠

وكان من آخرها ان رجلا من ولايتنا يعرف باسم الأحمر الكافر وكان بطلا عظيما ، وقاتلا وصاحب ليل ، وصفات كثيرة لا يمكن ذكرها ولكن مع هذه القوة والشجاعة التى كانت له فان سمك العيار امسكه وادخله فى عهده وتبعيته وقد أخذ الاحمر الملكة بدور والأميرة مع جاريتين ، ولا أعرف كيف عصاهم وخلع طاعتهم واختطف بدرية ابنتى وامها والجاريتين ثم استولى على وادى الجبل الأسود وقتل الأم والمربية والجارية وسجن الأميرة بدرية وحين علمنا أرسلنا البطل سحاب على رأس أربعة آلاف فارس الى وادى الجبل الأسود ليمسك الأحمر الكافر وينقذ ابنتنا من يديه ، ولكن سمك العيار سبقه الى هناك واستطاع بالمكر والحيلة والغيارة أن يأسر الأحمر وسحاب وكان بمفرده وحملهما مع ابنتى الى خورشيد شاه صهر الملك فغفور الذى جاء من حلب وقد قام خورشيد شاه بقتل البطل سحاب فالبقاء لك وأرسلنا اليك رأسه • ومع أنك لم تتعب نفسك ولم تذهب الى أى ملك ، كما أننا لم نطلب منك أن تأتى لمساعدتنا أما وقد حدث هذا الأمر ويجب أن نرد عليهم وهذا واجبك لأن أخت سحاب تقيم فى بيتك أولا كما أنك ابن أخ أبيه ثانيا • فان أردت الثأر فكلما كنت أسرع كان أفضل لأننا أوقفنا الحرب حتى وصولكم ونحن لا نحبهم ولا نتقبلهم وقد وقع هذا الأمر على عاتقك وعليك ايجاد الحل بالثأر لابن عمك أولا ، والمحافظة على حق وحرمة أخته ثانيا ، كما أنك ستنقذ الولاية من يد الأعداء ثالثا وتكون قد استجبت لاستغاثتنا لأننا صرنا عاجزين والسلام » •

ختم شهران الرسالة ووضعها أمام أرمنشاه الذى التفت الى طلامة وقال له « يجب عليك أن تحمل هذه الرسالة ومعها رأس سحاب معلق برقبتك لأنك ان ذهبت وقلت قتلوا سحاب فلن يكون مؤثرا • كما أن عليك أن تذكر كل ما تستطيع من الكلام السىء حتى تدفع دبور للمجىء بسرعة ويردعلى تطاول خورشيد شاه لأنه لا أحد غيره يعرف الوسيلة للقضاءعليهم ، لأن رجلا بمفرده استطاع أن يخرج من مكان كوادى الجبل الأسود بطلين مثل سحاب والأحمر الكافر ومعهما بدرية من وسط عدة آلاف من الفرسان ماذا يمكن أن نفعل معه ؟ •

أدى طلامة التحية وقال « أيها الملك ، كيف يمكننى أن أذهب والرأس معلق فى رقبتى ؟ سأضع الرأس فى صندوق وعندما أقترب من الجبل أعلقه فى رقبتى • فقال شهران « أفعل هذا » فأخذ طلامة الرسالة ووضع رأس سحاب فى صندوق وسار فى طريقه يرافقه عشرون فارسا •

عاد ذلك الجيش الذى كان قد ذهب مع سحاب الى وادى الجبل الأسود إذ أنهم بعد أن أرسلهم سمك الى داخل الوادى بدعوى أن البطل

سحاب قد أمسك الاحمر الكافر ويريدهم وطمعهم سمك بالنهب والسلب، وعندما وصلوا الى الخيمة وبحثوا ونقبوا لم يجدوا أحدا ، فظلوا ليومين فى البحث ولم يعثروا لهما على آثر فعاد الجيش ادراجه الى أرمنشساه فوصلوا فى تلك الساعة التى توجه فيها طلامه الى دبور ووقفوا امام أرمنشاه وذكروا له ما حدث فقال لهم أرمنشاه « نعم الابطال والرجال أنتم لكى تسند اليكم هذه المهمة . لقد أخذ سمك الاميرة بدرية وسحاب والأحمر الكافر منكم ومر من وسطكم وأنتم فى غفلة لا تشعرون . اللعنة عليكم وعلى أمثالكم من الرجال الذين يفعل بهم هذا رجل واحد . لقد قتلوا سحاب والأحمر الكافر وأعادوا الى الأميرة بدرية . وقد أرسلت رأس سحاب الى دبور قاهر الشياطين » .

بهت الجميع حين سمعوا هذا وقالوا لأنفسهم لقد كان سمك هو ذلك الرجل الذى أخذ سحاب من بيننا وقال لنا ان الأحمر الكافر نائم وتعالوا اقبضوا عليه ثم قيدها وطلب منا دخول الوادى لنهبه بينما خرج هو منه . فقال لهم أرمنشاه « كيف حدث هذا ؟ فذكر له الجند ما شاهدوه . فتعجب الملك والحاضرون .

شاءت ارادة الله أنه حينما توجه طلامة لمهمته واقترب من جبل الذهب وجد طلعا (١) ، فلما صعده ونظر في الناحية الأخرى رأى روضة جميلة نضرة ورأى خمسين فارسا وقد تحلقوا فى ناحية منها وفى الوسط بعض الصيادين يقومون بصيد الحيوانات المحاصرة وفى ناحية أخرى رأى فارسا يقف ، أين منه رستم بن سهراب أو سام بن نريمان أو بهمن طويل الساعد أو اسفنديار الضخم الجسم ، رجل فى جسمه كأنه فيل ضخم وقد رفع فوقه علم عليه رسم تنين . فتقدم طلامة ونظر اليه فوجده فارسا لم ير مثله من قبل ، فقال لنفسه من المحتمل أن يكون هذا هو دبور قاهر الشياطين لأنه لم يسبق له أن رآه قبل ذلك ولهذا سأل الدليل وقال له من هذا ؟ فأجابه الدليل « هذا هو دبور قاهر الشياطين » فقال طلامة « احضروا الرأس » فأحضروا رأس سحاب فعلقها فى رقبته ونزل من على الطلع وترجل عن حصانه ومزق ثوبه ونثر التراب على رأسه ومزق الفرسان ملابسهم وحثوا التراب على رءوسهم وأخذوا فى النحيب والعويل .

---

(١) الطلع بكسر الطاء كل مرتفع فى ربو اذا اشرفت عليه رأيت ما فيه .

سمع دبور أصواتهم فأرسل اليهم أحد حجابه وقال له « انظر من هم ومن اين جاءوا ، وهل جاءوا يتظلمون ام ماذا ؟ فذهب الحاجب اليهم وقال « من أنتــم ومن آين جئتــم ؟ ومن الذى ظلمكم هذا الظلم ؟ ولماذا جئتــم ؟

أجابه طلامة « خذنى الى البطل دبور حتى أقول له » فعاد الحاجب الى دبور وأدى التحية وقال له « انهم بعض الرجال شقوا ثوابهم وحثوا التراب على رءوسهم وهم ينتحبون ويبكون ويتقدمهم شخص يعلق راسا فى عنقه ويريد مقابلتكم » فقال له دبور « احضرهم » . فعاد الحاجب اليهم وقال لهم « ان البطــل يقول تعــالوا لانظر من أين هذا الظلم ومن ظلمك » فقال له طلامة « مر رجالك ليغسلوا هذا الرأس وآنذاك سترى رأس من ، ثم أقول لك من أين جاءنا هذا الظلم » . فتقدم دبور بنفسه وأخذ الرأس من رقبته ووضعه فى طشت وغسله ووضعه أمامه ودقق النظر اليه فوجده رأسى سحاب وآنذاك خرجت منه آهه وأغمى عليه فتقدم اليه خدمه ونثروا الماء على وجهه الى أن استعاد وعيه فأخذ فى الصياح والعويل وهو يقول « يا بطلى ، يا سحاب ، من الذى فعل بك هذا ؟ أى ابن حرام يا أخى ؟ وما السبب الذى جعل هذا يحدث لك ؟ لقد كنت لى ذخراً بدلا من أبى يا روح عمك ، لقد كنت روحى ، لماذا لم تودعنى ، لقد كنت لى أخا ، لقد حرقت قلبى ، ما هذا البلاء الذى أصابك ؟ لقد خرجت للصيد فاصطدت أحسن صــيد . لقد وقعت روحك صــيدا لى ، كيف سيكون ملكى بعدك ؟

بكى دبور كثيرا وناح على سحاب ثم التفت الى طلامة وقال « هل أرمنشاه هو الذى فعل هذا ؟ فأدى طلامة التحية وقال « أيها البطل ، أحذر أن تظن هذا الظن » . ثم أخرج الرسالة وقبلها ووضعها امام دبور قاهر الشياطين الذى فتحها وقرأها فعرف منها كل ما حدث ، فثار وقال « هذا الرجــل خورشيد شــاه من يكون ومن أين جــاء ؟ وهذا السمك من أى الرجال ؟ وكيف يمارس البطولة وبأى أسلحة يحارب ؟ وكم يبلغ وزن حربته ؟ وكيف يضرب بالسيف ؟ وما نوع سهامه وقوسه ؟ وما طول رمحــه ؟

أجابه طلامة « أيها البطل ، أى مجال للحربــة والرمــح والســهم والقوس ؟ ان سمك رجل حقير حتى أننى لو ضربتــه بيــدى على رأسه لبعثرته أشلاء ، ولكنه يقوم بأعماله بالحيلة والمكر والحكايات . « ثم ذكر له بعض الأعمـــال التى قــام بهــا سمك وظل يحــدثه حتى

جعله يثور ويغضب فقال « هل وصل الأمر ان رجلا مثل خورشيد شاه ـ يعلم الله ـ أية ولاية ألقته علينا ، وابن من يكون ورجلا مثل سمك حقير يلحقان الظلم بى ويقتلان ابن عم ابى وفى النهاية يرسلون رأسه على هذا الوضع الحقير ويقول ان عندى من الخدم مائه مثل دبور قاهر الشياطين وليس عندى أدنى خوف منه » ·

كان يقف أمام دبور رجل من رجاله اسمه سيماب وهو قائد جيشه فقال له دبور « اذهب الآن للمدينة واحضر كل الدروع وادوات المطبخ والمفروشات وارسل الفاكهة التى تكفى عدة موائد ، ثم احضروا الفاكهة فأكلوا ثم مدوا سفرة من الأطلس الأحمر واحضروا الطعام فطعموا فلما فرغوا منه غسلوا أيديهم ·

بعد ذلك أقاموا مجلس طرب وأخذ المطربون يرددون الحانهم ودار السقاة بكئوسهم ، بينما أخذ دبور يستفسر عن أحوال خورشيد شاه وسمك العيار وأفعالهما ، فحدثه طلامة عن صفاتهما ورجوله وشجاعة خورشيد شاه فى القتال ، وأعمال سمك الى ان قال له دبور « ايها البطل، اذا وجد الماء بطل التيمم ، لقد راج سوقهم الى الآن لاننى لم أكن موجودا، انتظر لترى كيف سألاعبهم ، وسوف أحضر سمك مقيدا بما يجعلك تتعجب » ·

رد عليه طلامة « أيها البطل ، ان أحدا لا يرى سمك ، ولكن خورشيد شاه يمكنك أن تراه كل يوم أثناء الحرب وهو واقف فى الميدان فهو غير مختف واذا ذهب شخص اليه وتحدث معه فانه يستمع اليه ويرد عليه » فقال له دبور « قم لنذهب فقد حيرتنى » · فقاما متوجهين الى أرمنشاه ·

حين اقتربوا أخبروا الملك أرمنشاه فخرج مع كل الجيش لاستقبال دبور وعادوا معه الى المجلس فرحب به الملك بحرارة وذكر له كل أحوالهم ثم سألهم دبور عما حدث لسحاب وعن خورشيد شاه ، والكلام يجر الكلام ، فأخبروه بكل شىء وأعاد دبور ما كان قد ذكره لطلامة من أنه سوف يحضر سمك مقيدا أمام أرمنشاه مما سيجعله يتعجب من ذلك ·

كان جاسوس خورشيد شاه حاضرا وعلم بكل ما حدث فعاد الى خورشيد شاه وقال له « ان دبور قاهر الشياطين وصل وهو رجل طوله عشرة أشبار ذو هيبة ، وكان جالسا فى مجلس أرمنشاه يتناول الشراب

ويدعى فيسامه بأعمال عظيمه ويقول سأعمل كذا و يوم بعدا فرد عليه خورشيد شاه قائلا « لا يهم » ٠

حينما اقبل الليل خرجت الطليعة من الجانبين وكان طلامة أمير الطليعة على راس ألفين من فرسان آرمنشاه ، وشروان الحلبي من جانب خورشيد شاه على رأس عشرة آلاف فارس ٠

كان دبور قاهر الشياطين حريصا على القتال فلم يتناول خمرا تلك الليلة وقام ، فلما انقضى ردح من الليل لبس سلاحه وكان له حصان اسمه رخش (١) امتطاه وذهب الى الطليعة وقال لطلامة « هل تعلم من هو أمير طليعتهم ؟ فأجابه طلامة « المسافة بيننا وبينهم نصف فرسخ ولا أعلم من هو » ٠

انطلق دبور بحصانه حتى اقترب من طليعة خورشيد شاه وتصاعد صوت حوافر حصانه فقال شروان « هناك صوت حوافر حصان غريب لعله من الأعداء » ٠ وانطلق بحصانه تجاه الصوت حتى اقترب من دبور ونظر فرأى شخصا كأنه جبل يتحرك فصاح فيه قائلا « من أنت ؟ » فقال له دبور « أيها الحقير ، من تكون ؟ أيقولون لى من أنت ؟ أنا دبور قاهر الشياطين فأى مجال للانسان معى ؟

حينما سمع شروان اسم دبور استولى عليه الخوف الى حد ما ، ومع هذا تقدم اليه يريد طعنه برمحه ، فضحك دبور وعندئذ مد شروان يده وأمسك بدبور الذى ثار ومد يده الى حزام شروان ورفعه عن سرج حصانه وحمله على يده وعاد الى معسكر أرمنشاه وتوجه الى المجلس وقيد شروان الحلبى وألقاه هناك ثم ذهب الى فراشه ونام الى أن دارت الدنيا دورتها وأزاح ضوء النهار ظلمة الليل فنهض دبور قاهر الشياطين وتوجه الى مجلس أرمنشاه الذى كان جالسا على عرشه ، وجاء الأبطال ليكونوا فى خدمته ، فلما دخل دبور أدى التحية فقام أرمنشاه واحتضنه وأكرمه ورحب به وأجلسه أمامه وسأله عن حاله فقال دبور « باقبالك وسعدك استرحت وقد أحضرت لك بالأمس هدية » ٠ ثم ارسل شخصا أحضر شروان الحلبى الى المجلس مقيدا ، فلما رآه أرمنشاه قال لدبور « أيها

---

(١) رخش كان اسم حصان البطل الاسطورى الايرانى رستم بن سهراب ٠

البطل ، من أين اتيت به ؟ فأجابه دبور « ليلة أمس خرجت للطليعة وجاء هذا المخلوق أمامى فأمسكته وأعلم أنه كان أمير الطليعه » .

التفت أرمنشاه الى أمير الطليعة وسأله « ما اسمك ومن اية ولاية أنت ؟ فأجابه شروان « أنا من مدينة حلب ، وأنا عبد لخورشيد شاه ، ويطلقون على شروان الحلبى » . فقال له أرمنشاه « يا ابن اللئام ، أنت فى الأسر وسيقتلونك ، والآن تتحدث وتقول أنا عبد خورشيد شاه الآن سآمر بقتلك لأرى كيف سيأتى خورشيد شاه لانقاذك » .

قال شروان « أيها الملك ، لا يجب الحزن على الروح لأن كل انسان أمامه الموت ، اذا لم يكن اليوم فغدا سيموت ، وليس هناك شىء أكثر من الموت فخذ كل ما تشاء ، واذا كان أجلى قد انتهى فلا فائدة ترجى . هل يجب على الا اتكلم الآن لأنك ستقتلنى ؟ ان كل موجود لا مفر من موته ، وأعلم أنك سوف لا تنجو من الموت لا أنت ولا غيرك ولهذا فلسانى منطلق لأن ورائى من يثأر لدمى ولتكن السعادة لخورشيد شاه الذى سيأخذ قصاص دمى » .

استشاط أرمنشاه وقال « انظروا ابن اللئام هذا الى اى حد يتطاول فى كلامه . اقطعوا رقبته » . فقال دبور « أيها الملك ، دعه كى أحمله للميدان فاليوم سنخرج للقتال لأننى لم أحضر للراحة ، وعندما نسوى الصفوف ننصب مشنقة فى الميدان ونشنقه عليها جزاء لهذا التطاول فى الكلام وسأقتله قتلة تجعل الطيور تبكى عليه » .

قال أرمنشاه « هكذا سنفعل » ثم أمر باقامة مشـنقة فى ميدان القتال ودق طبول الحرب واتجه الجيش الى ساحة القتال وتقدم النقباء أمام الجيش يسوون الصفوف حينما عادت طليعة خورشيد شاه اليـه فسألهم « أين ذهب شروان ؟ قالوا مساء أمس سمعنا صوت غريب فتوجه اليه شروان ولم يعد ولا نعلم ماذا حدث له » .

حزن خورشيد شاه لهذا وأمر بخروج الجيش الى ميدان القتـال حتى وقف فى مواجهة قلب جيش أرمنشاه وتصاعدت أصوات الأبواق والطبول وغيرها من آلات وأخذ نقباء كل جيش يسوون صفوفه حين خرج من جيش أرمنشاه البطل دبور مع خمسين رجلا الى ساحة القتال وقد وضع غلا فى رقبة شروان الحلبى وهو يسحبه . وفجأة وصلت أصوات طبول الحرب من وراء جيش أرمنشاه مما أدى الى اضطراب نظام الجيش .

كان دبـور قد أرسل لجين لكي يجمع الجيش ويلحق به ويحضر الخيل التي يحتاجها ، وقد ذهب لجين الى جبل الذهب وجمع الجيش متوجه الى معسكر أرمنشاه فوصـل في تلك السـاعة التي كانوا يسوون فيها الصفوف ، وكان أرمنشاه قد التجأ الى هذا الجانب خوفا من أن يكون جيش الأعداء قد التف من خلف جيشه ، وكان دبور قاهر الشياطين ينظر الى تلك الناحيـة أيضا ليعرف من هو القـادم من خلفهم • وكان جيش خورشيد شاه في مواجهتهم ينظر الى ما يحدث والى أولئك الرجال الذين كانوا قد أوقفـوا شروان الحلبي تحت المشـنقة ليشـنقوه ، وانتظروا ما سيفعلونه لشروان الحلبي لأنهم كانوا قد اتجهوا بأنظارهم الى ناحية الطبول •

أمر خورشيد شاه ثلثمائة من الرماة بوضع سهامهم في أقواسهم والوقوف بجانبه لعلهم يستطيعون انقاذ شروان ، بينما كانوا متوجهين للناحية الأخـرى ينظرون للجيش القادم انطلق خورشيد شاه بحصانه نحو الخمسين رجلا وتبعه الثلثمائة فارس حتى وصلوا الى مكان المشنقة وأطلقوا عليهم السهام وتقدم خورشيد شاه وأنزل شروان من على منصة الشنق وعاد الى معسكره بينما جرح بعض الرجال الخمسين وفر بعضهم الآخر منهزمين •

في الجانب الآخر وصل جيش دبور وتقدم الى ساحة القتال فشاهد رجاله تلك الجماعة تصيح قائلة ان أكثرنا جريح أو مصاب » • فسألهم دبور « ماذا حدث ؟ ولماذا لم تشـنقوا شروان الحلبي ؟ » أجابوه « أيها البطل ، هل هذا وقت شروان ؟ ان خورشيد شاه جاء وأخذه معه » • فقال لهم دبور « وهل كنتم أمواتا أو نائمين ؟ » فقالوا « أيها البطل ، لقد انشغلت أنت بوصول الجيش كما أننا كنا ننظر الى تلك الناحية وكنا غافلين حينما فتحوا علينا وابلا من السهام ثم تقدم خورشيد شاه ومعه ثلثمائة فارس وأخذوا شروان الحلبي من على المشنقة » •

قال دبور « أين يمكن أن يقال هذا الكلام ؟ » وغضب جدا اذ كيف يخطفون رجـلا من على منصـة الشنق ومن وسط خمسين حارسـا ولم يستطيعوا المحافظة عليه وبهذا أخذوا صيده من يديه في ميدان القتال وهو واقف لا يدري • قال هذا وانطلق بحصانه إلى ساحة القتال وكان اسم حصانه رخش • وكان طول دبور عشرة أشبار ، قوي الفخذين غليظ الرقبة رفيع الوسط ذا ذراعين مفتولين الى جانب شجاعته وخفة حركته

ومهارته . وكان دبور يلبس درعا كأنه من صناعة النبي داود ، ويضع على رأسه خوذة عادية ويتمنطق بحزام مرصع بالجواهر وقد علق قوسا عاجي المقبض طيار الأسهم ، وجعل على ظهره جعبه مملوءة بالسهام وارتدى ساقين وساعدين ، وعلق سيفا في حمائله وربط عمودا ثقيلا في قربوص سرجه (١) ، وعلق وهقا جديدا في سيوط السرج (٢) ، وأمسك في يده حربة كالعمود كعبها يجر على الأرض ، وكان دبور كجبل جالس على هذه الهيئة دخل الميدان وأخذ يصول ويجول ويزأر ثم وقف أمام قلب جيش خورشيد شاه وخلع خوذته عن رأسه ووضعها على مقدمة سرجه وصاح قائلا « الى كل من يعرفني ومن لا يعرفني ، فأنا دبور قاهر الشياطين ، بطل عصره ، والى كل من امتلأ كأس عمره وتخلى عنه حظه وتربص به الأجل لكي يعرف كيف يكون الرجال » .

يا خورشيد شاه ، تعالى الى الميدان ، أظننت أنك الرجل الوحيد في هذه الدنيا ؟ أنا الرجل لا أنت ، أنا بطل الدنيا لا أنت » .

أين رأيت شجعان الرجال الفاتكة وأنت لم تسمع صوت الثالب العاوية أى جيش ذلك الذى هزمته ؟ وأى بلاد تلك التى استوليت عليها ؟ هل أنت سعيد لأنك اختطفت رجلا من على منصة الاعدام كنت قد تركته مع مجموعة من العجزة ؟ لقد كانت فرصة عظيمة لك لكى تحارب حفنة من الصبيان . هل تظن أنك بهذا قمت بعمل بطولى ؟ وثانيا ، هل تظن أنك باختيارك لرجل حقير يخطف الأبطال بالحيل والمكائد ويحضرهم اليك لتقتلهم تكون بطلا ؟ لا ، يجب عليك أن تأتى الى ساحة القتال وتصارع كالرجال لتثبت رجولتك في الميدان وأنا على يقين أنك لا تعرف شيئا عن فنون القتال أو الشهرة ، انك فقط تدخل الميدان لكى تحارب حفنة أطفال وتصرعهم ثم تصيح وتقول أنا بطل العالم » .

كان دبور هذا الكلام ولم يجرؤ أحد على دخول ميدان القتال بل أخذ أبطال جيش خورشيد شاه ينظرون بعضهم الى بعضهم الآخر بينما نظر خورشيد شاه وقال « وا حسرتاه ، أين أنت يا فرخ روز؟ أين ذهبت وقد جاء هذا البطل الذى يريدنى لقتاله ؟ أين أنت حتى لا تتركنى أدخل ساحة القتال ؟ كنت تمسك بعنان فرسي وتمنعنى . لقد كنت تسبقنى في مواجهة الشدائد . ارفع رأسك من ثرى القبر وانظر فلن

---

(١) قربوص أو قربوس السرج هو الارتفاع الذى فى مقدمته .
(٢) سيوط السرج سيور تعلق من السرج .

ترى أحدا يدخل للقتـال . يا رفيق حزنى وهمى أين ذهبت ؟ سوف أدخل ميدان القتال لأواجه العدو . اقسم لى أنك لن تتركنى أقاتل وتقدم واجعل روحك فداء لأخيك . يا أخى الحبيب ، لا أحد يحزن على حين أدخل الميدان . فمن الذى سيدعو لى ؟ من الذى سيطلب لى النصر من الله ؟ من الذى سينوح على أن قتلت ؟ ومن الذى سيتقبل عزائى ؟ ومن الذى سيحمل خبر موتى الى أبى وأمى ؟ » .

كان خورشيد شاه يقول هذا ويبكى وهو يستعد للقتال حتى أن هامان الوزير والفغفـور أخـذ فى البـكاء من انفعـاله وبكائه ولـين فجأة انطلق فارس من ميمنة جيش خورشيد شاه ممتطيا حصانا كأنه الريح ، وأخذ يجول فى الميدان وكان حصانه مزينا مجهزا عليـه درع صينى وسرج ذهبي وركاب فضي وكان الفارس يلبس درعـا من الزرد الدقيق ، ويضع على رأسه خوذة ملكية ويتمنطق بحزام القناصين ، وقد أحاط نفسه بالسهام وحمل قوسه فى كتفه ولبس سلاحه ورتبه وصاح وهو يعدو فى الميدان حتى وقف أمام دبور قاهر الشياطين وصاح فيه وقال « ما كل هذه الضجة ومدحك لنفسك وغرورك بطولك وقدك ؟ ان الجمل طويل أيضا ولكنه عاجز فهات ما عندك من فنون القتال » .

قال هذا وتناول كل منهما حربة الآخر بحربته وظلا يتقارشسان بهما كثيرا ،وكان هرمز ماهرا فى القتال بالحربة فوجه حربته لكى يطعن بها صدر دبور الذى سارع بالاحتماء بدرعه ولكن هرمز وجه طعنته الى وسط الدرع مما جعل حربته تنكسر فخجل وألقاها من يده وتناول سيفه البتار من غمده ووضع الخوذة على رأسه وهجم ثانية على دبور .

حين رأى دبور هذا استل سيفه ووضع خوذته على رأسه واتجه الى هرمز وأخذا يتبادلان الضرب بالسيوف على رأسيهما فلم يظفر أحدهما بالآخر حتى تقدم دبور فجأة وأمسك بحزام هرمز ورفعه من على سرج حصانه لكى يحمله أمامه ويأسره ولكن من قضاء الله أن انقطع حزام هرمز فسقط من يدى دبور ، وما كادت قدما هرمز تصـلان الى الأرض حتى قفز على ظهر حصانه ثانية وانطلق منهزما خارجا من ميدان القتال .

## دبور يقتل البطل سمور

وقف دبور متعجبا بينما عاد هرمز الى جيشه فصاح دبور وطلب رجالا للقتال فلم يتقدم أحد وعندئذ أراد خورشيد شاه أن يدخل للميدان ولكن سمور البطل انطلق بحصانه حتى جاء أمام دبور وهو مشرع حربته نحوه ولم يتكلم وتقاتلا كثيرا بالحراب ثم استلا سيفيهما وأخفيا رأسيهما في خوذتيهما وهجم سمور وهوى بسيفه لكي يضرب دبور حين وجد دبور أن سمور قد كشف عن جنبه فضربه بسيفه فأطار ذراعه مع رأسه وصاح صيحة النصر ٠

حين رأى جيش أرمنشاه هذا تصاعدت صيحات الفرح من جانبهم بينما بكى الفغفور على سمور لأنه كان يمت له بالقربى ، وعاد دبور بعد هذا الصراع وأمر بدق طبـــول الراحة فعاد الجيشـــان الى موقعيهما واسترخيـا ٠

حين أقبل الليل خرجت الطلائع من الجانبين ، فخرج طلامة على رأس طليعة أرمنشاه بينما خرج الشبل بن السباع من جيش خورشيد شاه على رأس عشرة آلاف فارس ٠

## خورشيد شاه ودبور يتصارعان

شاءت ارادة الله أنه حينما انقضى ردح من الليل المظلم قال خورشيد شاه لنفسه « لا أشك فى أن دبور سوف يعاوده الطمع كأمس فى اختطاف أحـد رجالنـا فلأخرج لعلنى أوقـع به » ثم قال لماه برى « يا حبيبتى ، استيقظى وتنبهى جيدا لأن قلبى مشغول بما أصـاب الجيش من خوف من دبور قاهر الشياطين ، ولهذا أريد أن أدور دورة حول المعسكر » ٠ فقالت له ماه برى « أعانك الله ووفقك » ٠ ثم خرج خورشيد شاه وكان حصان النوبة واقفـا على باب الخيمة فركبـه وجهز أسلحته وســار فى طريقه حتى وصل الى الطليعة وذهب الى قائدها الشبل وسأله ؟ ألم تر أحدا يتقدم الى هنا ؟ » فأجابه الشبل « أيها الملك ، لم أر أحدا » فتركه خورشيد شاه وسار فى طريقه ٠

فى الجانب الآخر فكر دبور قاهر الشياطين نفس التفكير وقال لنفسه « أخرج الليلة لعلنى أســتطيع أن أوقــع بأحد من الأعداء » وذهب الى الطليعة وسأل قائدها قائلا « ألم يأت أحد الى هنا ؟ » فأجابه أمير الطليعة « لا » ٠ فواصـل دبور سيره ٠ وبين الطليعتين التقى الحصـانان وكان

حصان دبور متعبا لأنه كان قد اشترك في القتال بالنهار فصهل صهيلا ارتج له الجبل والوادى وسمعته الطليعتـان في الناحيتين • فلما سمع خورشيد شاه صهيل الحصان الآخر انحنى فوق حصانه حتى صـارت رأسه بين أذنى الحصان ونظر ناحية الصوت فلما دقق النظر رأى دبور كالجبـل فعرفـه •

قلنـا قبـل هذا ان خورشيد شـاه كان في قمة المهارة في الرمى بالسهام ، فاخرج قوسه من ذراعه وشد سهما وأطلقه • وحين سمع دبور صوت القوس وانطلاق السهم قفز عن ظهر حصانه فأصاب السهم جبهة الحصان وانغرس فيه كل نصله فسقط الحصان قتيلا فقال دبور لنفسه « حسنا ان هذا السهم الذى أطلقه ذلك البطل لم يقتلنى » • وأخذ يفكر واذا بخورشيد شاه يصل اليه ونظر فرأى الحصان مقتولا ودبور واقفا على قدميه وكانت هناك حربة معلقـة في قربوص سرجه فتنـاولها وقذفها نحو دبور الذى ارتمى على الأرض حتى مرت الحربة من فوقه وانغرست في الأرض حتى منتصفها فقال دبور لنفسه « افرح أيها البطل فقد نجوت من موت محقق مرتين » • واذا بخورشيد شاه يهجم عليـه بحصانه ليضربه بالسيف فاسـتل دبور سيفه وضرب قدمى الحصـان فقطعهما ، وقفز خورشيد شاه ونزل واقفا على الأرض وأخذا يتضاربان بسيفيهما الى أن هجم دبور على خورشيد شاه وأمسكه من حزامه وأخذا يتصـارعان وبلغ من ارتفـاع صـياحهما أثناء المصـارعة أن سمعت به الطليعتان فاتجه نحوهما الفرسان من الجانبين الى أن التقوا وأخذوا يتبادلون الضرب بالسيوف التى ارتفع صليلها وسقط القتلى من الفريقين بينما كان خورشير شاه ودبور يتصارعان وحدهما الى أن بدأ ضوء الصباح يلوح ، وارتفعت رايات النهار ، فتحاجزت الطليعتان بعد أن قتل وجرح الكثون ثم قال دبور « هل أنت خورشيد شاه ؟ » فأجابه خورشيد شاه « اسكت أيها الجاهل ، ان لدى خورشيد شاه آلاف مؤلفة مثلى كى يحارب بهم يوم القتال » • فبعث الكلام الرعب في قلب دبور فقال « لتهنأ وتسعد أيها الرجل ،لا أدرى ماذا سيفعل خورشيد شاه ان كنت أنت على هذه الحال » • ثم أردف قائلا « أيها الفتى ، يستحسن أن نعود لأن النهار قد طلع ونحن كلانا صرنا عراة الرأس حفاة القدمين ، وأنا على يقين أن الجيشين سيأتيان للبحث عنا ولا يليق أن يرونا على هذه الحال والصورة شريطة أن نلتقى عندما يصطف الجيشان يوم القتال » • فأجابه خورشيد شاه « ان جئت فانني أيضا سآتى » •

قالا هذا بعد أن كفا أيديهما عن الصراع واتجه كل منهما الى معسكره فلما اقترب دبور أبلغوا الملك أرمنشاه أن البطل دبور قادم عاری الرأس حافی القدمين فأمر الملك أن يأخذوا اليه حصانا خاصا لكى يركبه • فلما جاء الى المجلس سأله أرمنشاه « أيها البطل ماذا حدث ؟ » فذكر له دبور ما حدث وأخذ يصف بطولة خورشيد شاه وقال « أيها الملك ، لا أشك فى أنه ليس خورشيد شاه وقد اتفقنا على أن نخرج اليوم للقتال » • فقال أرمنشاه لن نقرر شيئا الى أن نذهب للقتال » • قال هذا وانشغلوا فى تناول الشراب •

فى الجانب الآخر عادت طليعة خورشيد شاه وكان الملك فغفور مع هامان الوزير فى المجلس وتأخر مجىء خورشيد شاه ، فأرسلوا خادما يستفسرون عن سبب تأخره ، فلما ذهب الخادم وجد لالا صالح واقفا على باب خيمة ماه برى فقال له « يا لالا ، لماذا تأخر ذهاب خورشيد شاه للمجلس لأن الملك فغفور فى انتظاره ؟ فأجابه لالا صالح « خرج الملك مساء أمس ولم يعد » فعاد الخادم الى هامان الوزير واطلعه على السبب فاغتم هامان والآخرون معه وأرسلوا شخصا الى أمير الطليعة يسألونه ان كان قد رأى الملك يمر عليه مساء أمس ، وحينما خرج الرجل ليتوجه الى الشبل ليعلم منه ان كان الملك قد ذهب الى الطليعة أم لا ، وصل رجل الى المجلس وأخبرهم أن الملك قادم على أطراف المعسكر وهو عارى الرأس حافى القدمين •

قام هامان الوزير والملك فغفور والأبطال وساروا على أقدامهم واصطحبوا معهم الحصان الملكى الخاص ، فلما التقوا بخورشيد شاه أدوا له التحية وركب خورشيد شاه وجاء الجميع الى المجلس وتوجه خورشيد شاه الى عرشه وجلس عليه فسأله هامان الوزير « أيها الملك ، من أين أنت قادم وماذا حدث ؟ فذكر خورشيد شاه ما حدث معه فأثنى الجميع عليه ثم قال له هامان الوزير « أيها الملك ، يجب ألا نحارب اليوم لأن الملك متعب مما حدث أمس والى أن يستريح ». فقال له خورشيد شاه « لقد اتفقت مع دبور على أن نتصارع اليوم » • فرد عليه هامان « أيها الملك ، لن نذهب الى ساحة القتال حتى يأتوا هم » • فقال الخورشيد شاه « هكذا سنفعل » وبهذا أغلق الجانبان باب الحرب ولم يخرجا للقتال وانشغلا فى الشراب •

## الثعلب وضياء فى أسر الزنجى

يقول مؤلف الأخبار وراوى القصة أنه فى ذلك الوقت الذى كان فيه الثعلب الفيلم وضياء قد ذهبا لفتح باب ذلك السجن ، ذهب سمك فى أثرهما . اذ أن سمك بعد أن أحضر الأحمر الكافر وسحاب وبدرية من وادى الجبل الأسود سأل عن الثعلب وضياء فقال له خورشيد شاه أنهما ذهبا لرغبتهما فى معرفة سر سجن الغورى ولم يرجعا للآن » . فتضايق سمك واستأذن الملك قائلا « سأذهب للبحث عنهما » .

سار سمك الى أن وصل الى سفح الجبل ثم سار صاعدا الى قمته وقال لنفسه « اننى لن أستطيع السير بالنهار لأن الحراس سيروننى » . وبحث عن صخرة كبيرة وجلس خلفها وكان معه طعام وماء فأكل ثم نام فى ظل تلك الصخرة حتى حل الظلام فقام وهبط من على الجبل وسار الى أن وصل الى وسط الوادى فى الموضع الذى كانا فيه فلم ير احدا ، فنظر حوله فلم يعثر على أثر لهما ، فتقدم الى الباب الحديدى فرأى قفله مغلقا فتضايق ونظر فرأى الزنجى كأنه فيل وهو جالس فى مكانه وقد ذبح نحو سبعة أو ثمانية خراف ووضعها أمامه وقد أشعل نارا وأخذ يشوى تلك الخراف ويأكلها بينما تسيل دماؤها من فمه . وفجأة رأى سمك نورا قادما من بعيد فلما اقترب اذا هو الغورى الذى قال للزنجى « احترس وتيقظ حتى لا ينكشف هذا السر ولا تقرب الخمر » . فقال الزنجى « سمعا وطاعة ، لن أشرب الخمر » . فقال له الغورى « يا زنجى ، هل عندهم طعام أم لا ؟ » فرد الزنجى « مازال عندهم طعام ، فمنذ عشرة أيام أرسلت لهم الطعام » . قالا هذا وعاد الغورى كما رجع الزنجى الى مكانه يأكل من لحم الخراف غير الناضجة .

كان سمك يقف فى الجهة المقابلة للزنجى فقال لنفسه « ان الزنجى منهمك فى أكل اللحم ، فلأذهب الى ذلك الشق فى الجبل وأبحث فيه لعلنى أعثر على دليل عن الثعلب وضياء وأنصت واذا بأنين الثعلب يصل الى أذنيه وهو يقول « يا ضياء ، من المؤسف أننا وقعنا فى يد هذا الزنجى ، وسوف تضيع أرواحنا هباء ولن يذكرنا أحد ، وأنت التى أوقعتنى فى هذا المأزق فأضعت نفسك وأضعتنى معك ، والا ما شأنى وهذا الباب الحديدى » . فردت عليه ضياء بقولها « أيها الثعلب ، اطمئن فان الله يحفظنا ، وهذا الأمر الذى أقدمنا عليه قمنا بمثله كثيرا ، ولكن يجب أولا أن تضع روحك على كفك ثم تقدم على ما تريد ، وآمل ألا يتركنا سمك ويقوم بالبحث عنا » . فقال الثعلب « ان سمك خرج للقسام بعمل اجازه

أصعب من هذا العمـــل ، ولن يستطيع الجصـور قبل أن يطمئن للعمل وكيف سيتم ، وأخشى انه حينما يأتى سمك يكون هلاكنا قد تم . وحتى اذا جـاء فانه لن يعلم الغيب وأنهم يسجنوننـا فى هذه المطمورة تحت الأرض » . فقالت ضياء « أيها الثعلب ، اذا جاء أجلنا فلن نستطيع أن نفعل شيئا من القضاء والقدر » .

كانتا يتحدثان هكذا حينما قال سمك « يا أستاذى ، لك منى السلام ولأختى ضياء » . وحينما سمع الثعلب وضياء صوت سمك فرحا وأثنيا عليه لانه استطاع النزول اليهما حيث كان الزنجى آكل لحوم البشر قد قيدهما بحبل الوهـق ، ففكهما سمك وصعد معها وخرج بهما من ذلك الشق وجلس ثلاثتهم خلف صخرة كبيرة فى مواجهه الزنجى الى أن قال الثعلب « يا سمك هل أحمل حجرا كبيرا وأضرب به رأس ذلك الزنجى لكى اقتله » فقال سمك « أيها الأستاذ ، احذر أن تقول هذا الكلام ، فلو كان يجب قتل ذلك الزنجى لقتلته يوم قيدت يديه ورجليه ، فقتله الآن خطأ يثير عش الزنابير ويضر عملنا فى معرفة هذا السر ، ومع كل هذا قولا لى كيف أمسك بكما ؟ » .

قال الثعلب « يا سمك ، عندما وصلنا الى هذا المكان ذهبنا الى باب السجن وأمسكنا بالقفل لكى نفتحه وفجأة جاء الزنجى وأخذنا ولا أعرف من اين ظهر ، وهجمت ضياء على الزنجى لتمسك به لأنه ماذا يفعل مع اثنين ؟ ولكن الزنجى قفز وأمسك ضياء ولم يكد ينتهى من تقييدنا حتى وصل الغورى ورآنا فى يدى الزنجى فسأله « من هذين ؟ » فقال الزنجى « يا سيدى ، انهما كانا يريدان فتح السجن » فلما نظر الغورى الينـا عرف ضياء فقال لها « أيتها الرعناء الخائنة للحق والحرمه ، هل تردين الحسنة بالسيئة ؟ لماذا جئت ؟ وماذا كنت تفعلين ؟ وما شـأنك وباب السجن ؟ لولا أننى أرعى حق سمك وحرمته ـ رغم أننى لم أكن أرتاح له لأنه سـبب لى كل ألم وخـراب كما تعلمين أنت أيتها الرعنـاء ـ لأمرت بتقطيعكما اربا اربا » .

قال هذا والتفت الى الزنجى وقال له قيدهما وألق بهما فى ذلك الشق من الجبل » فبقينا فى تلك المطمورة التى رأيتها حتى هذه الساعة التى أتيت فيها وأخرجتنا والا ماذا كنا سنفعل ؟ .

قال سمك لعيار « يا أستاذ ، لقد رأيت ليلة أمس رؤيا جعلت قلبى يرتجف منها » . فقال الثعلب « يا بنى ، لعله خير ، قل لنا ماذا

رأيت في نومك ؟ » فقال سمك « يا أستاذى ، رأيت في نومى ان سحابه سوداء هبطت من السماء ووقفت فوق رأس خورشيد شاه وقد خرجت نار من تلك السحابه اصابت خورشيد شاه فكان يتألم ويصرخ ، وظل هكذا من الصباح الى ان غربت الشمس في وسط تلك النار ، وكان يتقلب من جانب الى جانب اخر ولم يسرع احد لنجدته الى ان استطاع بعد جهد جهيد أن يتخلص من هذه النار سالما . ولهذا فقلبى مشغول عليه، ومع انه لم يلحق به اذى ، لكنه صغير رغم انه بطل وشجاع لا يدرى شيئا عن الحيطة والحذر . فيجب عليك انت وضياء ان تذهبا الى المعسكر وان ترعيا أعماله وتحافظا عليه لأنك أستاذى ولك تجربتك ، وتبقيا كلاكما مع خورشيد شاه وسأبقى فى هذا المكان حتى اذا فتحوا هذا الباب جاهدت لمعرفة هذا السر ومن فى هذا السجن ، وأنا على يقين من أن هذا السر سينكشف لأننى سمعت الغورى يقول للزنجى هل بقى طعام لهم أم لا ؟ فقال الزنجى هناك طعام ليومين أو ثلاثة » .

حين قال سمك هذا دعا له الثعلب وضياء وحملا بعض الطعام والماء وخرجا من ذلك المكان وبعد أن ذهبا أعد سمك عدته وحمل معه سقاء ماء وسار فى طريقه وصعد الجبل ونزل فى الجانب الآخر منه وكان هناك روضة وضع بها الطعام وعاد واختبأ خلف صخرة فى مواجهة الزنجى .

شاءت ارادة الله أنه حين انقشع الظلام وأضاء النهار قام الزنجى لتناول طعامه فدخل الشق فوجد باب المطمورة مفتوحا وحين نظر فيها لم يجد الأسيرين ، فغلى الدم فى عروقه وقال لنفسه « كيف فعلا هذا ؟ » من الذكى الذى قام بهذا العمل ؟ كيف اهتدوا الى هذه المطمورة تحت الأرض ؟ وا حسرتاه ، ماذ أفعل ؟ لو أننى أخبرت الغورى فاننى أخشى أن يؤذينى ، وان لم أخبره أكون قد عصيته . ولو طلبهما منى فماذا أقول له ؟ لا مفر من الذهاب اليه وابلاغه بما حدث قبل أن يطلب منى الأسيرين » . قال هذا وسار فى طريقه الى الغورى .

رأى سمك من على قمة الجبل أن الزنجى فى طريقه متجها الى الغورى فقال لنفسه ان الزنجى ذاهب للابلاغ عما حدث ، ولا شك أن الغورى سيبحث هذا الموضوع فماذا أصنع ؟ اذا كان مقدرا لى أن أقع فى أيديهم هنا فليس فى امكانى عمل شىء . وأخذ سمك يفكر على هذا النحو .

في الجانب الآخر فان الزنجي وصل الى الغوري وكان آنذاك جالسا مع أخويه الجبالي وجهاد واولاده حبيب وفاتك ومصارع وبقية الأبطال ، بينما وقف بعض الخدم · وحين دخل الزنجي نفر اولئك الرجال منه ·

أدى الزنجي التحية للغوري ووضع يديه فوق بعضها احتراما فقال له الغوري « ايها الزنجي ، لماذا تركت مكانك وجئت هنا ؟ فأدى الزنجي التحيه وقال « ايها الملك عندى كلام » فنزل الغوري من على عرشه وأمسك يد الزنجي وذهب به الى أحد الاركان وقال له » قل مادا وراءك ؟ » فقال الزنجي « ايها البطل ، لقد أخذوا الأسيرين اللذين كانا في الحبس » · فقال له الغوري « ماذا تقول؟ كيف أخذوهما ؟ » فأجابه الزنجي « لا أدرى، اذ حينما دخلت شق الجبل لأحضر طعامى رأيت باب المطمورة مفتوحا وقد خرج الأسيران ولا أدرى من ذلك الماهر الذى اهتدى الى تلك المطمورة تحت الأرض » ·

غضب الغوري وكان يحمل خنجرا مربوطا الى جنبه فاستله وقطع احدى أذني الزنجي وقال له « أيها الحقير التافه ، ألم أقل لك مرارا تيقظ وتنبه ؟ هل وصلت بك الغفلة الى درجة أن يأخذوا أسيرين من عندك وأنت لا تدرى ؟ لولا حرمتك القديمة لأمرت أن يشنقوك » · وأخذ يسب الزنجي ويعنفه ثم إستدعى أخويه وأبناءه وقال لهم « أسرعوا مع خمسين فارسا بالصعود من هذا الوادى الى الجانب الآخر وابحثوا عمن فعل هذا ، ومن ذلك الذى تجرأ على أسرتنا ، وأنا على يقين أنه لم يبتعد عن هذا الوادى كثيرا وأنه أقدم على هذا العمل بدافع الطمع » ·

## سمك في الشبك مرة أخرى

قال الغوري هذا وعاد الى مكانه وجلس غاضبا مقطب الجبين الى أن انطلق أخواه وأولاده والخمسون فارسا بسلاحهم ومعهم الزنجي آكل لحوم البشر ، وكان لخروجهم جلبة وضوضاء جعلت سمك يتنبه اليهم ويراهم فقال لنفسه « لقد ذهب الزنجي وفتن وأتى بالرجال لكى يمسكوا بى ونظر سمك اليهم حتى ذهبوا الى ذلك الباب ·

من قضاء الله أن البطل جهاد كان ذكيا خبيرا سار في هذا الجبل كثيرا ويعرف مكان كل صخرة وحجر فيه ، كما أنه كان عالما بتتبع الأثر حتى أنه كا يعرفه ولو بالليل ، وكثيرا ما كان يصعد الجبل لاقتفاء الأثر ·

وبدأ جهاد من السجن وقال عثرت على أثر الرجـل وهو متجه الى تلك القمة · ثم صعد الى أن جاء الى تلك الروضة حيث كان سمك قد أخفى طعامه وماءه ، فلما عثر عليهما جهاد صاح قائلا ان الفاعل لهذا الأمر قد جهز نفسه وأعد زاده ، فابحثوا عنه فهو مازال فى هذا الجبل » · وتفرق الفرسان وسمك ينظر اليهم وقال لنفسه اذا لم استسلم لهم فاننى لن أفلت منهم ، واذا استسلمت فلا أدرى ماذا سيكون مصيرى مع الغورى ولا مجال للفرار الآن ، فلأستسلم للقضاء وأرى ما سيحدث فلم يعد منه بد ·

كان سمك يحدث نفسه بهذا ، بينما كان الفرسان يفتشون الجبل وجهاد يتتبع الآثر حتى وصل الى تلك الصخرة فرأى شخصا جالسا ، فأخرج قوسه من ساعده وشد فيه سهما لكى يرميه به ، وحينما نظر رأى سمك فعرفه وتقدم اليه وقال « أيها البطل ، ما هذا العمل ؟ ما الذى أقدمت عليه وعرضت روحك للخطر من أجله ؟ هل جزاؤنا أن تعرض أموالنا وأملاكنا للخطر والضياع ؟ ثم أمسك يد سمك وصاح فى رجاله لقد وجدت الرجل الذى نبحث عنه » فهرع الجميع اليه وقيـدوا يدى سمك خلف ظهره ثم ساروا عائدين وسبقهم شخص الى الغورى قال له « لقد أمسكنا رجلا » · فسأله الغورى « ومن هو ؟ فأجابه الرجل ، انه سمك الذى كان عنـدنا لمدة طويـلة » · وبينما كان هذا الرجـل يخبر الغورى بالخبر وصل جهاد وقد وضع الغل فى رقبة سمك وقيد يديه خلف ظهره وأوقفه أمام الغورى ، فأدى سمك التحية فلم يرد عليه الغورى ولم ينظر اليه الى أن انقضت نحو ساعة رفع بعدها الغورى رأسه وقال « يا ابن الحرام ، سيء الفعال عديم المروءة ، أجئت لتحمل أموالنا وتخرب بيوتنا ؟ هل جئت ترد الجميل الذى قمت به نحوك ؟ ان من لا أصل له مثالك فهو ابن حرام ، وكل وضيع سيء الأصل لا يعرف ما تقدمه له من خير أو معروف · إنك لو قضيت مائة عام تربى أفعى حتى تكبر فانك تكون أول من تلدغه · ويقولون لا فرق بين مصاحبة الأفاعى ومصاحبة سفلة الناس وأدنيائهم ان من يربى الأفاعى هو الجانى على نفسه، ومروض العقارب باحث عن حتفه بيده ، لأن مصـادقتها مثل الاحسان الى سفلة الناس ، فالسفلة والأدنياء يفعلون ما تفعله الأفاعى والعقارب من ايذاء · أبعد كل هذا الاحسان الذى قدمته لك تفعل هذا بى ؟ ماذا فعلت لك سوى أننى أغضـبت الملك على وأثرت جيوش الأثنى عشر واديا لقتـالى ووهبتك مائة ألف دينار، وأزهقت أرواح آلاف الناس من أجلك وناصبتهم العـداوة والبغضـاء ولو لم يكن هذا من أجلك فما هو شـأنى والحرب والقتال ؟ كنت سعيدا هانئا كما كنت منذ زمن بعيد ، والآن فانه يؤسفنى

أن يضيع كل هذا بسببك . لقد فعلت لك الكثير كما لم يفعله أحد يا عديم الفتوة دنيء الأصل بلا وفاء . لقد ذهبت من عندى لكى تحضر لنا الزاد والعلف وأخذت ثلاثين حملا من الذهب والجواهر ، فأى حيلة هذه التى احتلت بها على ؟ » .

ظل الغورى يوبخه بمثل هذا الكلام وسمك مطرقا رأسه لا يرفعه الى أن قال الغورى « قيدوه لأن لى معه شأنا آخر » . فقيدوا سمك والقوه ولم يجرؤ أحد من الأبطال أو الخدم على ان يتفوه بكلمة لأن سمك كان سيء الفعل . وطأطأ الغورى رأسه وأخذ يفكر لأنه كان رجلا عالما عاقلا حكيما الى أن انقضت نحو ساعة فرفع رأسه والتفت الى أخويه وقال « اننى أفكر فى شيء وهو ما يجب أن نقوم به » . فأديا له التحية وقال « ان ما يراه البطل هو الصواب ولا يجب أن نفعل غيره » . فقال الغورى « تعلمان أنه حدث بينى وبين أرمنشاه خلاف بسبب أفعال أبن الحرام هذا ، وهو ما لم يقدم على مثله آباؤنا من قبل ولم يخرجوا عن طاعة أى ملك ، ولقد أثرنا علينا جيوش الوديان الاثنى عشر وصار بيننا وبينهم دم وثأر ، وفقدنا كثيرا من الأموال ، وكل هذا بسبب تلك الحفنة من اللصوص عديمى الفتوة والمروءة . والآن استقر رأيى على اعداد مائة ألف دينار لارسالها للملك أرمنشاه مع الاعتذار اليه وارسال سمك اليه كهدية حتى يرضى قلبه علينا ولا يضرنا ويرتفع سيف العداء من بيننا ، وان كنت لم أرسل سمك اليه قبل هذا لأنه كان قد لجأ الى حماى وأبيت أن انقض حمايتى لمستجير ، وبهذا حافظت على اسمى وسمعتى . والآن فقد أمسكت سمك متلصصا سارقا لقد جاء ليسرق أموالى ولم يحفظ حق الخبز والملح ، وأظهر سوء معدنه وجوهره » .

أخذ الغورى يتحدث عن رأيه هذا فأدى الجميع التحية له ثم قالوا « أيها البطل ، يجب علينا أن نذهب أولا الى عاطوش ونعرض عليه هذا الرأى ونرى ماذا سيقول » .

أجابهم الغورى « هذا ما سنفعله » . ثم اختار الجبالى وجهاد وخمسين رجلا وأرسلهم الى غاطوش مع خلعة جميلة ، فساروا فى طريقهم حتى وصلوا الى الوادى فرأوا جيشا كبيرا معسكرا على أول الوادى ، فلما عرفوا أنهما الجبالى وجهاد أدوا لهما التحية مجردين من أسلحتهم وقالوا « أيها البطلان ، لماذا تحملتما مشقة المجيء » ؟ فأجابهم الجبالى « أبلغوا غاطوش أن أخا الغورى جاءا ويطلبان المثول لأداء الخدمة » . فقالوا لهما أن غاطوش فى أول الوديان عند الملك أرمنشاه . فسار الجبالى وجهاد متجهين الى المعسكر حتى وصلا الى أطرافه وبعثا برجل ليخبر غاطوش

بمقدمهما ، فلما وصل الرجل الى غاطوش وجده فى المجلس يتناول الشراب والأبطال بعضهم جالس وبعضهم واقف فى خدمته ، فأدى له التحية وقال « أيها البطل ، أبشر فقد جاء أخا الغورى للتحية وهما واقفان على باب المجلس ، ففرح غاطوش وقال « أدخلوهما لأرى سبب قدومهما لعل وراءه خيرا ويكونوا قد ندموا على ما فعلوا » .

تقدم الحجاب وأمسكوا يدى الجبالى وجهاد وأدخلاهما الى المجلس فلما صارا أمام غاطوش أديا له التحية ، فأمر باجلاسهما فى أحسن مكان . وفى الحال أتوا بماء الورد فشربوا ، والفاكهة فأكلوا ثم مدوا الموائد فطعموا . ولما انتهوا من طعامهم أخذوا فى تناول الشراب فقال لهما غاطوش « لماذا تحمل البطلان مشقة المجىء » ؟ فأدى الجبالى وجهاد التحية وقالا « أيها البطل ، ان الغورى يبعث لك السلام والدعاء فقد ندم على ما فعل ويقول ان بطل الدنيا غاطوش يعلم أن جماعة من اللصوص الأوباش أبناء الحرام جاءوا الينا واحتموا بنا ، وأنت تعرف أن أجدادنا كانوا ملوك هذا الوادى وأبطاله ولم ينقضوا عهدا للمستجيرين بهم أو اللاجئين اليهم . فلما توليت الملك وجلست على العرش بعد أبى ، مرت ستون سنة لم أنقض عهدا لمستجير ، بل جعلت روحى ومالى فداء لهم حتى ولو كانت امرأة مع أن هذه الجماعة كانت أقل همة وشهامة من النساء . ومع أننى لم أعرفهم الا أننى أجرتهم وقبلت حمايتهم وخرجت عن طاعة أرمنشاه من أجلهم وتسببت فى ايذائك الى أن ظهر سوء عملهم وأخذوا ثلاثين حملا من الذهب والجواهر الى جانب المسك والعنبر والعود والكافور والأطلس المطرز لكى يذهبوا ويحضروا لنا من معسكرهم الزاد والعلف ، ولكنهم استولوا على تلك الأموال بالحيلة والخديعة . وقد أردت الحضور بنفسى لتقديم التحية ولكننى لم أجد الشجاعة لهذا ، ولم أستطع الاعتذار الى أن أصلح الله الأمر وجاء هؤلاء القوم الى وادينا للسرقة وكانوا يهدفون القضاء على أموالنا وثرواتنا ، وفى النهاية ألقينا القبض على سمك الذى أثار هذه الفوضى والفتنة فى الدنيا . ولم أكن أستطيع تسليمه لك قبل هذا لأنه كان لاجئا الى ، محتميا بى ، ولكننى الآن أمسكته بعد أن عاد للسرقة من وادينا . وعلى البطل غاطوش أن يتوسط لدى الملك أرمنشاه لأدفع له مائة ألف دينار كغرامة وأرسل له سمك كهدية حتى يرضى قلبه علينا ويرفع هذه العدواة والبغضاء من بيننا ويقبل اعتذارنا لأن ما حدث كان عن جهالة . وأرجوا أن يقبل ذلك المبلغ الحقير من أجل الأبطال ونفقات الجيش » .

قال الأخان هذا ووضعا تلك الهدية والخلعة أمام غاطوش . وحينما رأى غاطـوش تلك الأموال وسـمع ما قاله الجبـالى وجهـاد قال « أيها البطلان ، لا يجوز هذا . انكما تدبران مكيدة أو تلجآن للحيلة . ولعل سمك علمكما هذا حتى يخرجوا من الوادى ويذهبوا الى خورشيد شاه وقد سبق ولجأوا لحيل كثيرة كهذه خاصة وأن سمك يوقعنا فى شباكة بأمثال هذه الحيل والألاعيب » . فأقسـم الجبال وجهاد بالخالق العادل ان هذا الكلام ليس حيلة وأنهما لا يمكران ولا يختلفان قصة أو حكاية ، اذ أنهم أمسـكوا سمك العيار وقيدوه وأنهما جاءا لكى يصطحبهما لأرمنشـاه » .

حين سمع غاطوش هذا وقف واحتضـنهما وقال لهما « يا بطلا الوديان الاثنى عشر اطمئنا لأننا لو حملنا أموال الدنيا الى الملك أرمنشاه فانه لن يفرح بها فرحة بحملنا سمك اليه » . قال غاطوش هذا ثم أخبر الأبطال الذين كانوا بمجلسه أن الغورى قد ندم على ما بدر منه وطلب أن نتوسط له عند أرمنشاه ، وأنه أسر سمك العيار وسوف يرسله كهدية الى أرمنشاه » . ففرح الأبطال جميعا وتصايحوا صيحات الفرح .

بعد هذا قال غاطوش « يجب علينا الذهاب الى أرمنشاه لنخبره بهذا » . ثم ركب مع أبطال الاثنى عشر واديا واصطحبوا الجبالى وجهاد معهم متجهين الى أرمنشاه الذى كان يبعد عنهم بنحو عشرة فراسخ .

حينما وصلوا الى معسكر أرمنشاه شاه تقدير الحق تبارك وتعالى أن دبور قاهر الشياطين كان يعد ضيافة ليستضيف أرمنشـاه وكل الجيش وأقام سرادقا على نصف فرسخ طولا وعرضا ، وجعل فى وسطه خيمة من الأطلس الأحمر ثبتها على أربعة أعمدة من الفضة ، وأحاطها بحزام من الذهب المرصع بالجواهر ورفع عليها هلالا من الذهب . وكان كل الجيش قد جاء لمشاهدة هذه الخيمة . وكانت كل أدوات الحانة والفراشـة والمطبخ ذهبية أو فضـية . وعلى هذا النحو زين المجلس وأوقف حوله ألف حصان بألجمة ذهبية بل ان كل الخيل كانت لها نعال من الذهب أو الفضة ذلك لأن دبور كان من ولاية جبل الذهب حيث كان يوجد الذهب والجواهر بكثرة .

على هذا النحو كان الجميع ضيوفا على دبور قاهر الشياطين . فلما رأى غاطوش ومن معه المجلس على هذا النحو من العظمة والبهـاء وشاهدوا تلك الزينة والضياء تحيروا وتعجبوا لأنهم لم يروا مثلها أبدا . فلما تجاوزه الى مجلس أرمنشـاه دخل الحجاب وأدوا التحية وقالوا

« أيها الملك العظيم ، ان غاطوش والجبالى وجهاد يقفون بباب المجلس »
فقال لهم أرمنشاه « أدخلوهم لأنظر ماذا يريدون » .

خرج الحجاب وأمسكوا ساعد غاطوش وأنزلوه عن حصانه مع الآخرين ، فلما دخلوا المجلس أدوا التحية لأرمنشاه ، وكان شهران الوزير يجلس عن يمينه بينما كان قزل ملك قائما على رأس أبيه (١) . وكانوا قد وضعوا كرسيا ذهبيا عن يمين الملك فتقدم غاطوش وذهب الى هناك وجلس على هذا الكرسى بينما جلس كل واحد من الأبطال فى مكانه الى أن قال أرمنشاه « أعرف أن البطل جاء بهذه السرعة لأمر هام ، فقل ما هو حتى يستريح قلبنا » . فأدى غاطوش التحية وقال « يا ملك الدنيا وسيد العالمين ومالك الزمان ، لقد جئت شفيعا للغورى مع الأبطال وأمراء الوادى لأنه ندم على فعلته وهو يريد الاعتذار عن زلته وقد أعد مائة ألف دينار نثارا لحوافر حصان الملك حتى يقبل العفو عن ذنبه » .

قال الملك أرمنشاه « يا غاطوش ، لو كان الغورى قتل ابنى قزل ملك وتوسطت أنت فى هذا لأطلقت سراحه ولم أتكلم فى هذا الأمر ، ولكن لا كان ذلك اليوم الذى تقع فيه عينى على الغورى . فأنت تعلم ماذا فعل ، فهل يوجد فى الدنيا من يفعل ما فعله مع مجموعة من اللصوص الأوباش ؟ لقد قلب مملكتى رأسا على عقب وأثار الاثنى عشر واديا بعضهم ضد بعضهم الآخر ، الى جانب مقتل أكثر من خمسين ألفا من الرجال . كل هذا من أجل حماية حفنة من اللصوص والأوباش » .

أدى غاطوش التحية مرة أخرى وقال « أيها الملك العظيم ، أنت تعرف أحوال الغورى وأنه رجل غيور يحمى المستجير ، وحتى الآن فانه قبل حماية مائة ألف لص وقاتل (٢) التجأوا اليه وحافظ عليهم بالمال والروح . وما فعله كان من أجل سمعته وشرفه ، وقد حافظ على ملوكيتك جيدا لكى تقول الدنيا ان الملك أرمنشاه لديه خادم يفدى المستجير بروحه ولا يسلمه أبدا . وقد ندم الآن على ما فعل . ولأن الملك غضب عليه هذه المرة فانه يريد الاعتذار ويقول لقد ظننت أن سمك وصحبه يتحلون بالرجولة والشهامة وساء ظنى ، وسأقدم مائة ألف دينار غرامة خطئى . كما سأرسل سمك مقيدا كهدية حتى أكون قد قدمت عذرى عن كل

---

(١) قائم على رأس أبيه اصطلاح أى واقف خلف أبيه .
(٢) هذا العدد مجازى للدلالة على الكثرة وليس حقيقيا .

الأخطاء · والآن فليعطنا الملك براءة بذلك ويصفح عن ذنبهم ولا يعاديهم ولا يسيء الى أسرتهم ويقبل هذا الاعتذار » ·

حين سمع الملك أنهم أمسكوا سمك العيار وقف على قدميه واحتضن رأس غاطوش وقال له « أيهـــا البطل ، هل تظن أنني لم أقبل كلامك أو أنني لم أقبل اعتذاره ؟ ان ما قلته كان لأن ما فى قلبى من كراهية سمك لا يمكن وصفه ، وكان الغورى قد انضم لسمك وقام بكل هذا الظلم فكيف تجعل قلبى يميل اليهم ؟ انك ان جئتنى بأموال الدنيا لما رضى قلبى عنه الا أن يرسل الى سمك العيار ، فان أرسله الى فاننى سوف أعفيه من ارسال أية أموال ، كما أننى أهبه خراج الوديان الاثنى عشر وأمنحه خمسين ألف دينار هى نفقات شرطة منغوليا وليس لأحد أن يحاربه لا منا ولا من غيرنا حتى عندما يصير ابنى ملكا » ·

بينما كانوا فى هذا الحديث دخل دبور مجلس الملك وأدى التحية ، فوقف أرمنشاه وأمسك يد دبور ورفعه الى عرشه وأجلسه عن يمينه ، وفى الحال جاء السقاة بماء الورد ووضعوا الفاكهة حتى أكلوا ثم جاء أصحاب الطعام ففرشوا السماط وعندئذ أدى دبور التحية وقال « أيها الملك العظيم ، أنا غريب هنا ولا أستطيع أن أقدم ما يليق بالملك ، ولكن تابعا لى اسمه لجين أحضر معه شيئا بسيطا وأعد ما استطاع ، فيجب على الملك أن يشرفنى ويمد يده الى طعامى حتى يكون لى عظيم الفخر » · فقال له أرمنشاه « أيها البطل ، لقد جاءتنى اليوم ضيافة عظيمة أسعدتنى كثيرا » · فسأله دبور قائلا « وما هى أيها الملك حتى أعرف » ؟

أجاب أرمنشاه « أيهاالبطل ،أعلم أنهم أمسكوا سمك العيار وسوف يأتون به الى » · فسأله دبور « أيها الملك ، أى نوع من الرجال هذا السمك العيار ؟ وماذا فعل فى هذه الدنيا » ؟

قال أرمنشاه « أيها البطل ، هل سمعت عن أعماله ؟ ثم أخذ يروى أعمال سمك من أولها الى آخرها كما كان قد سمعها من مهران الوزير وكما حدثت فى بلاد الصين الى تلك الساعة التى وصل فيها دبور الى المجلس من حيل ومكر وفتح للقلاع مثل القلعة الشاهقة ، وقلعة الفلكى ، ثم مجيئه الى بلاد المغول وكل أعماله فيها كما سبق أن ذكرناها رواها كلها لدبور حتى ذهابه الى الوديان الاثنى عشر واقتحامه لقلعة البطل غضبان وقتل المستحفظ واخراج الأسرى ، وعلم أرمنشاه بذهاب سمك الى الوديان الاثنى عشر وارسال الرجال للقبض عليه وهروبه ولجوئه

الى وادى الغورى الى تلك اللحظة التى أرسل فيها الغورى البطل غاطوش للاعتذار حتى يرسل سمك مقيدا الى الملك أرمنشاه » .

حينما سمع دبور كل هذا قال لأرمنشاه « اعطه لى لكى أقطع جلده ولحمه بالأظافر وأضعه له فى فمه ليأكله جزءا ما فعله ابن الحرام هذا ، لأنه هو الذى ألقى الملكة والأميرة وسكينة الساقية ودانة الى التهلكة فهو حين أخذهن وسلمهن للأحمر الكافر قتلهن ولما حمل الأميرة الى وادى الجبل الأسود وذهب سحاب لاستعادتها دبر سمك مكيدة وأسر الأحمر الكافر وسحاب وحملهما الى خورشيد شاه الذى قتلهما » .

روى كل واحد من الحاضرين كثيرا من هذه الحكايات الى أن التفت أرمنشاه الى غاطوش وقال له « كم عند الغورى من الأبطال والخدم » ؟ فأدى غاطوش التحية وقال « أيها الملك العظيم ، هذان الشابان الواقفان فى خدمتكم شقيقا الغورى وله ثلاثة أبناء هم مصارع وفاتك وحبيب » .

حين سمع الجبالى وجهاد هذا أدبا التحية فنظر اليهما أرمنشاه ووجد فيهما شابين ذكيين فسألهما « كم عندكم من الأبطال أمراء الجيش ؟ فأدى الجبالى التحية وقال « أيها الملك العظيم ، ان ذكر اسم أهل الجبال فى مثل هذا المجلس وأمام مثل هؤلاء الأبطال العظام ليس من الأدب ، فمهما كان عددهم فكلهم عبيد الملك » .

أعجب أرمنشاه بكلام الجبالى لأنه كان فصيحا بليغا ، ثم أمر فى الحال باحضار ألف خلعة الى جانب خلعة ملكية خاصة للغورى وخلعتين جميلتين للجبالى وجهاد ألبسوهما لهما ، وثلاث خلع لأولاد الغورى ، ثم قال الملك أرمنشاه « أيها البطل غاطوش ، على هذا الأساس يجب أن تذهب للوادى لتقول للغـورى ما يجب قوله ، ثم تحمل سمك العيـار وتحضره سريعا لأننا سننتظرك » . فأدى غاطوش التحية وقال « الأمر والطـاعة » .

حينما انتهوا من حديثهم هذا كان شهران الوزير قد كتب منشور تولية الغورى امارة الوديان الاثنى عشر وختمه وسلمه لغاطوش الذى انطلق فى طريقه الى وادى الغورى بصحبة الجبالى وجهاد والفرسان . فلما ذهبوا قال دبور قاهر الشـياطين « أيها الملك ، بهذه المناسبة السعيدة نؤجل ضيافة اليوم لأن للملك ضيافة كل يوم ، وعلى هذا السرور نبقى فى خدمة الملك ولا نفعل شيئا سوى تناول الشراب » .

قالوا هذا وانشغلوا فى تناول الشراب وفرحوا وسعدوا لأنهم أمسكوا سمك العيار ، وكانوا ينتظرون احضاره ولننظر ماذا سيكون شـــأنهم ٠

يقول راوى الحكاية ومؤلف القصة أنه حينما ذهب الثعلب الفيلم مع ضياء من بيت الزنجى آكل لحوم البشر تاركين سمك العيار وراءهم كانا يسيران فى الجبل ليلا ويختبئان خلف الصخور نهارا الى ذلك اليوم الذى عاد فيه غاطوش من عند الملك أرمنشاه يصحبه الجبالى وجهاد ومعهم تلك الخلع وهم فى فرح وسرور ، وكانت اصوات صيحات الفرح تتعالى الى عنان السماء ٠ ومن قضاء الله أن الثعلب وضياء كانا يختفيان على قمة الجبل حتى يحل الظلام فيهبطا ليكملا سيرهما حينما سمعا صوت صيحات الفرح والسرور التى كان يطلقها الجبالى حين وصوله الى أول الوادى ٠ فقال الثعلب لضياء لعلهم حققوا نصرا والا فما سبب فرحهم » ؟ ثم قال يجب علينا أن نندس فى وسطهم لنعرف ما هو سبب فرحهم » ٠ فقالت له ضياء « حينما يحل الظلام نهبط الجبل ونعرف أحوالهم علنا نستطيع أن نصيد شيئا وبعد ذلك نكمل سيرنا » ٠ قالا هذا وبقيا الى أن أقبل الليل وأظلمت الدنيا ٠

نزل الثعلب وضياء من على قمة الجبل وأخذا يتجولان حول المعسكر يتسمعان ما يحدث أو يدور حتى وصلا الى باب خيمة كان بها شخصان أو ثلاثة يتناولون الشراب وقال أحدهم « وأسفاه أن سمك سيضيع هباء ، وانتهت كل شجاعته وعبارته الى لا شىء » ٠ وحين سمع الثعلب وضياء هذا الكلام انهارت قواهما ثم انصتا جيدا ليعرفا ما حدث فقال الشخص الثانى « لعلهم يقتلونه لأن هذه الفتن فى الدنيا كلها نتيجة أعماله وسوء أفعاله » وكان هناك شخص ثالث يجلس بجواره ضربه بيده على صدره وقال له « أيها الدنىء ، ما هذا الكلام الذى تقوله ؟ هل لأن الدنيا من شرقها الى غربها لا يوجد بها رجل مثله فى الرجولة والعيارة والرأى والتدبير والعلم والعقل والكفاية ؟ وأعرف أيضا أنه لن يكون مثله ٠ فماذا سنع سمك من سوء حتى لا يريد الرجال رؤيته » ؟

أعجب الثعلب الفيلم وضياء بكلام هذا الرجل وأثنيا عليه ولكن الخـــوف كان قد استولى عليهما من أجل سمك ، فقالا أحدهما للآخر « واأسفاه ، كيف وقع سمك فى الشبك ؟ فاما أن يكون الغورى قد عثر عليه ، واما أن يكونوا قد أمسكوه وهو يقتحم ذلك السجن فقالت ضياء « أيها البطل ، ليس هناك مجال للبحث والتفكير ، بل يجب أن نعمل على تخليصه من أيديهم ، فلا يجب أن يهلك والا فان ألفا مثلنا لن نساوى

شيئا » . فقال الثعلب « ان سمك فى وادى الغورى فماذا نستطيع أن نفعل » ؟ فأجابته ضياء « ألم تسمعهم يقولون ان غاطوش ذاهب لاحضار سمك من عند الغورى ليوصله الى أرمنشاه » ؟

قال الثعلب « يا ضياء ، ألا تعلمى أنه لو وجد رجل أستاذ فى الحيل والمكر فانه لا يكون شيئا أمام امرأة لا تعرف شيئا من أمور الدنيا ؟ فما باللك اذا كانت قد رأت الدنيا وعلمت الكثر ؟ ان للنساء مكرا وفكرا وخداعا ، فهن حين ينظرن للأرض فانهن يفكرن فى ألف حيلة وحيلة ، وأنت ذات ذكاء ومهارة وتتفوقين على كثير من رجال العالم وأنت – وان كنت فتاة – الا أنك ترجحين كثيرا من رجال الدنيا » .

قالت ضياء « أيها الأستاذ ، انك تقول كلاما خطيرا ، فأنت تشعل النار ثم تصب عليها الماء ، فكلامك فيه تحريض وايعاز ، ولكن حينما تكون موجودا فان رجال الدنيا يعجزون عن عمل شىء الى جانبك خاصة أنا ، لأنك أستاذ سمك عيار الدنيا الذى يتعلم منه كل العالم ، ولكن علينا ألا نضيع الوقت أكثر من هذا » .

قال الثعلب « نعم ، أنا أستاذ سمك . وقد ربيته ونشأته وهو يعد تلميذا لى ولكن لسمك مائة ألف تلميذ مثلى أنا الأستاذ . أنظرى كيف أنقذنا من سجن الزنجى ، فلو كان سمك فى مكاننا فربما احتجنا عشر سنوات لنخرجه منه ، ان التلميذ أفضل من ألف من أساتذته » .

بينما كانا فى حديثهما هذا تذكر الثعلب حيلة فقال « يا ضياء ، لو كانت هناك ملابس نسائية لقمت بحيلة » . فقالت ضياء سوف أحضر لك الملابس فابق أنت هنا » . ثم توجهت ضياء الى وسط المعسكر وكانت حيثما سارت تسمعهم يتحدثون عن سمك ، ومع أنها كانت حزينة عليه الا أنها كانت تبحث عن الملابس النسائية فى كل ركن أو مكان ولكنها لم تستطع الحصول عليها الى أن وصلت الى احدى الخيام فوجدت رجلا جالسا وأمامه قينتان (١) تحمل كل واحدة منهما بربطا (٢) وهو يعلمهما فيقول لواحدة « امسكى هكذا » ويقول للأخرى « اجعلى أصبعك هكذا » ويقول للأولى « اضربى الوتر برقة » ثم يقول للثانية « اخرجى الصوت

---

(١) القينة – الجارية المغنية تكون من التزين ويقال قانت المرأة قينا أى تزينت .
(٢) البربط آلة موسيقية وترية كالكمان .

على هذا النحو وأعزفي هكذا ، وكان يلقنهما كل شيء ، بينما كانوا يتناولون الشراب ، ويعلمهما آداب الشرب والتقديم والجلوس والقيام ٠

حينما رأت ضياء هذا قالت لنفسها « ان لم أحصل من هذا المكان على الملابس النسائية فلن أتمكن من الحصول عليها من أى مكان آخر » ٠ وبقيت ضياء فى ذلك المكان نحو ساعة حتى سكروا وناموا فدخلت ضياء الخيمة وأخذت الملابس وخرجت وعادت الى الثعلب ووضعت الملابس أمامه وقالت له « أيها الثعلب ، لقد عثرت على الملابس » ٠ فقال الثعلب « حسنا أنك جئت ، قومى زينى نفسك واخلعى عنك أسلحة الرجال وملابسهم وتزينى أحسن زينة » ٠ فقامت ضياء وفعلت كما أمرها الثعلب٠ وكانت ذقن الثعلب سوداء مشربة ببعض الشيب ، ونظرت ضياء الى الثعلب الذى وضع يده فى وسطه وأخرج كيسا ومد يده فيه وأخرج منه شيئا وضعه على شعر ذقنه فتحول كله الى اللون الأبيض ، فتعجبت ضياء من هذا العمل وقالت « أيها الأستاذ ، ماذا تنوى أن تفعل ؟ فأجابها الثعلب « انظرى ما سأقوم به » ٠ ثم اصطحبها الى المعسكر فوصلا مع طلوع النهار ٠

كان الناس يرون الثعلب ومعه ضياء فيبهرهم جمالها ويأسر ألبابهم، وكان الثعلب يقول ان قينة أخرى هربت ونحن نبحث عنها ٠ وكان كل من يقابله من الناس يسأله « أين أنت ذاهب أيها الشيخ » ؟ فيجيبهم « اننى أبحث عن القينة » ٠ وهكذا أخذ يتجول فى المعسكر الى أن وصل أمام خيمة غاطوش الذى كان يستعد للذهاب الى وادى الغورى ، وفجأة رأى ذلك الشيخ وقد اصطحب جارية كأنها قمر وهو يتجول فى المعسكر ، فاستدعاه غاطوش فذهب الثعلب اليه وقدم التحية فأخذ غاطوش ينظر الى جمال ضياء التى كانت تبدو فى غاية الجمال والبهاء ثم قال « أيها الشيخ ، لمن هذه الجارية » ؟ فأجابه الثعلب « أيها السيد ، انها لى ، وكان معى قينة ثانية أخت لها اشتراها رجل منى بالأمس ولم يدفع لى أكثر من مائتى دينار ، وقال سأدفع لك الباقى غدا ٠ والآن لا أجده ولا أعرف أين هو ، ولكننى أعرفه شكلا وأتجول الآن لعلنى أعثر عليه فاما أن آخذ منه بقية الذهب أو استرد القينة » ٠

بينما كان الثعلب يقول هذا ، كان غاطوش يرمق ضياء بعينيه ، ومن قضاء الله أن قلبه مال اليها ٠ فقال للثعلب « أيها الشيخ ، بع لى هذه الجارية وخذ ثمنها » ٠ فأجابه الثعلب « الأمر لك » ٠ فسأله غاطوش « بكم ؟ أجابه الثعلب « بألف دينار كما بعت الجارية الأخرى »٠ فقال له غاطوش « وما اسم هذه الجارية » ؟ فقال الثعلب « اسمها راحة

القلب حبيبة » . وعندئذ أخرج غاطوش خاتما من أصبعه وأعطاه للثعلب وقال له « احتفظ به لأنني الليلة مشغول بأمر وحين أفرغ منه أعطيك الثمن ، كما سأخلع عليك خلعة جميلة » .

أدى الثعلب الفيلم التحية وأخذ الخاتم وقبله بينما أمسك غاطوش يد ضياء وأجلسها أمامه وقال لها « أيتها الجارية ، ماذا تجيدين » ؟ فقالت ضياء « أجيد العزف على البربط » . وكان الثعلب يجلس أمام الخيمة فقال « أيها البطل ، حينما تذهب ـ رافقتك السعادة ـ الى وادى الغورى فخذنى معك حتى أبحث عن ذلك الرجل لعلنى أعثر عليه فتمسكه أنت ، فاما أن تأخذ منه بقية الثمن وأما تأخذ منه الجارية حتى تكون الأختان معك . وأحذر أن يعرف أحد أن ذلك الرجل هارب منى » . فقال غاطوش « هكذا سأفعل » .

بعد أن انقضى بعض الوقت ، جاء أمراء الوادى وأدوا التحية لغاطوش وقالوا « أيها البطل ، يجب علينا الذهاب الى وادى الغورى واحضار سمك لأن أرمنشاه ينتظر » . فقام غاطوش وركب حصانه وسار فى طريقه وقال للجيش أبقوا فى أماكنكم حتى نعود من وادى الغورى » . وأمر فأحضروا حصانا ركبه الثعلب ، وحينما أراد أن يذهب أخذت ضياء فى البكاء والصراخ فقال لها غاطوش « يا حبيبة ، لماذا تبكين » ؟ فأجابته « ولم لا أبكى ؟ وماذا أعمل هنا وأنا غريبة ولا يمكن أن أبقى وحدى ، فان كنتما ستذهبان فخذانى معكما » .

قال غاطوش « أنت جارية ذات حمية وعفة ، انهضى وتعالى معنا أيضا » . فأحضروا لها حصانا آخر ركبته وسارت معهم الى أن وصلوا الى أول الوادى ، وكانوا قد أرسلوا رجلا سبقهم يخبرهم بقدوم غاطوش . فأمر الغورى مائة غلام يحملون أطباقا من الذهب والجواهر بالخروج مع الأبطال وأبنائه للاستقبال . فلما رأى أبناء الغورى غاطوش نزلوا عن ظهور خيولهم كما نزل غاطوش أيضا عن ظهر جواده ، ونزل فرسان الفريقين ، عن خيولهم وساروا على أقدامهم الى أن التقى الغورى وغاطوش . ثم توقف غاطوش وقال « ليركب البطل الغورى لأن علينا خدمة الشيوخ ، فمن لا يحترم الشيوخ لا يصل الى منزلتهم واجلالهم » . قال غاطوش هذا ثم ركب الاثنان الى أن وصلا الى تلك الشجرة التى اعتاد الغورى الجلوس تحتها ، فترجل الغورى أولا ثم أمسك ساعد غاطوش وعاونه على النزول من على حصانه اكراما له ، ثم صعدا معا الى عرش الغورى وجلسا . وفى الحال أحضر السقاة ماء الورد والفاكهة فشربوا وأكلوا ثم مد قيم الطعام الموائد ، فلما فرغوا من طعامهم جاء الفراشون

بالطشوت والاباريق فغسلوا أيديهم ، وبعد هذا أقاموا مجلس الطرب فأخذ المغنون يتغنون بأعذب الأغانى والألحان بينما السقاة يدورون عليهم بكئوس الشراب الارغوانى ٠

أخرج غاطوش ذلك الأمر الملكي وقبله ووضعه أمام الغورى ، وحينما رأى الغورى ختم الملك على الرسالة وقف وحيا ثم قبل الأرض وأخذ الأمر الملكى وفتحه وبدأ فى قراءته بنفسه ـ اذ أنه كان يعرف القراءة ـ ورأى فيه كل هذا الانعام عليه من الملك ففرح ٠ ثم أحضر غاطوش كل تلك الخلع وألبس الغورى خلعته أولا ، ثم أخويه وأبناءه وأعطى للأبطال خلعهم فعم الجميع الفرح والسرور وأخذوا فى الثناء على أرمنشاه ٠ بعد هذا قال غاطوش للغورى « أيها البطل ، احضر سمك العيار لكى نذهب » فأجابه الغورى انك لم تجىء للوديان الاثنى عشر تطلب نارا ، فلتبق يوما وليلة نقضيهما فى الشراب ، وغدا نمسك سمك لأننى أيضا سآتى معك لكى أقبل يد أرمنشاه » ٠ فأجابه غاطوش « الأمر لك ، فقبل أن أصل الى هنا كان الأمر فى يدى ، أما وقد صرت ضيفك فعلى أن أطيع ما تأمر به » ٠

قالا هذا وأخذ فى تناول الشراب ، بينما أخذ المطربون يرددون أغانيهم وألحانهم الى أن قال غاطوش « أين حبيبة ؟ احضروها لنرى كيف تغنى » ٠ ونحن نعرف من قبل أن ضياء كانت تجيد العزف والغناء ٠ فلما جاءت أدت التحية أمام غاطوش ثم جلست وأخذت عودا من المطربين وشدت مفاتيحه وضبطت أوتاره ونسقت نغماته وأخذت تعزف عليه ثم دخلت فى الغناء ، فغنت مقاما فى الغزل والوصال ، فدهش كل من سمعها من الخاصة والعامة وأنصت الأبطال بآذانهم وأرواحهم الى غنائها حتى فرغت منه ووضعت العود بجانبها وسكتت ، ولكن كل الجالسين هاموا بها ، أما غاطوش فكان قد فقد عقله وروحه فى حبها ٠ وكانوا جالسين يشربون ويستمتعون بالغناء بينما كان سمك العيار فى نهاية الوادى فى يدى الزنجى آكل لحوم البشر مقيدا ويقوم على حراسته خمسون رجلا ٠

## شاهان ينقذ سمك العيار

نجىء الى حديث سمك العيار وكيف نجا من هذا الأسر فيقول الراوى انه حينما آمسك الغورى سمك وقيده ثم فكر وأرسل أخويه الى غاطوش ليكون واسطة لابلاغ اعتذاره الى أرمنشاه ، وترك سمك العيار

لدى الزنجى آكل لحوم البشر واحترز عليه بخمسين رجلا وشاع هذا الخبر فى الوديان الاثنى عشر بأن الغورى سيرسل سمك العيار الى الملك أرمنشـــاه ٠

شاءت ارادة الله أن البطل شاهان حين نجا من القيد والقتل بشـفاعة سمك وعاد الى واديه ظل فى قصره يقضى وقته فى الشراب والحديث مع أقاربه يشيد بسمك وانقاذه له وما فعله من أجله ، وكيف أن شاهان أرسل جيشه الى غاطوش وتخلف هو عن الذهاب بحجة مرضه حتى بلغه خبر القبض على سمك ذات صباح ففزع شاهان وسأل من أخبره « ماذا تقول » ؟ فذكر له الرجل ما حدث من ذهاب سمك للوادى والقبض عليه ، وارسال الغورى شقيقيه الى غاطوش للوساطة وقبوله دفع مائة ألف دينار كغرامة ، وذهاب غاطوش الى أرمنشـــاه ، ومجىء غاطوش الى وادى الغورى لأخذ سمك ٠ فتضايق شاهان من هذا الخبر ، وقال لنفسه « واأسفاه لو أن رجلا كسمك تعرضى للموت فسيكون عملا دنيئا بعيدا عن الفتوة فماذا أصاب الغورى ليفعل هذا بسمك ؟ كان غاطوش يحدث نفسه بهذا ويخاطبها وقال أيضا « يا شاهان لقد قام سمك بمروءة نحوك ، ولو أردت أن ترد له الجميل فهذا أوانه فلتقم وتذهب لعلك تستطيع أن تفك أسرة وتنقذه منهم » ٠

حين استقر رأى شاهان على هذا وفكر فيما هو قادم عليه ، حدث أقاربه ثانية بما فعله سمك له وقال انه هو الذى انقذ روحى فهى له ٠ والآن فان الغورى قد أمسكه ولا أعلم ما صار اليه أمره فلعلنى أستطيع الذهاب وأطلق سراحه ، وبهذا أكون قد عوضت بعض جميلة ، والا فاننى سأفتديه بروحى حتى يتحدث الناس ما بقيت الدنيا ويقولون ان شاهان قدم روحه فداء لسمك من أجل الفتوة وحسن السمعة ، وكلما فكرت لم أهتد لأفضـــل من هذا ٠ والآن عليكم أن تحافظوا على هذا المكان وأحذروا أن تغادروه الى مكان آخر » ٠

قال شاهان هذا وودع أقاربه وأهله وانطلق فى طريقه على قدميه عبر جبال وصحارى الوديان الاثنى عشر حتى جاء الى طريق سار فيه الى أن صعد الجبل وبحث عن ركن فى وادى الغورى جلس فيه حتى خيم الظلام فخرج ونظر فرأى الغورى جالسا مع غاطوش وجميع الأبطال تحت تلك الشجرة يتناولون الشراب وقد أضاءوا كثيرا من الشموع ، وأصوات المغنيين والمطربين ترتفع الى عنان السماء ، فهبط شاهان الجبل حتى صار أمامهم ٠

شاءت ارادة الله أنه فى تلك الساعة التى وصل فيها شاهان أمامهم كانت نوبة ضياء فى الغناء وقد احتضنت العود بجانبها وأخذت تغنى ، وكانت تترنم بأصوات مختلفة فى صوت جميل رقيق يتردد صداه بالليل بين الجبال · وكانت تلك الجماعة متحلقة حولها وقد أسلمت لها آذانها وأفئدتها اعجابا بغنائها ، فلما نظر شاهان اليهم رأى ضياء جالسة بجار غاطوش وهى تغنى ، فقال شاهان لنفسه « ان هذه المغنية غريبة ولم أرها من قبل أبدا فى هذا الوادى ، ولم أسمع من أحد أن مطربا غريبا جاء الى الوادى ولا أعرف من أين جات » كان يحدث نفسه بهذا ويتعجب من جمال ضياء حتى آستولى عليه حبها وكما يقولون ·

صن ناظريك عن سحر الجمال فبلاء القلوب من طول النظر
فان صنت نجوت من البلا واذا نظرت فقد سقطت للقدر

على أية حال فان شاهان حينما رأى ضياء فقد السيطرة على نفسه ، وصار حبها كسكين انغرس فى قلبه ، وكان يخشى أن يندفع وسط تلك الجماعة ولكنه تعقل ، وانقشعت عن قلبه سحب الغفلة والتهور ، وقال لنفسه « يا شاهان ، ألا تخجل من ادعائك صداقة رجل تتحدث كل الدنيا عن فتوته وشجاعته بينما تعرض نفسك للتهلكة من أجل امرأة لا تعرف لمن هى ، وتترك ذلك الرجل فى أيدى الأعداء ؟ هل هذا مكان الحب أو وقته ؟ هناك ما هو أوجب من هذا ، وواجب على أن انتهى منه أولا ، أيتها العين ، كل هذه الفتنة منك ما هذه النظرة المهلكة ؟ أليس لك عقل يا شاهان ؟ يجب على أن أذهب للبحث عن سمك لعلنى أعثر عليه وانقذه من الأسر ولا يجب أن أتأخر فى هذا » ·

قال شاهان هذا وقام وقلبه مملوء بالفكر والحب وتوجه الى وسط الوادى وأخذ يتجول فى كل مكان باحثا عن سمك وأين يمكن أن يكون مسجونا الى أن رأى ضوءا من بعيد فى آخر الوادى فاتجه نحوه وسار الى أن وصل اليه ونظر فرأى الخمسين رجلا وهم متحلقون والزنجى آكل لحوم البشر أمامهم وقد أوقد شمعة وهم يتناولون الشراب ، فلما نظر فى وسط الرجال رأى سمك مقيدا وملقى بينهم ، فحزن لوجوده على هذه الحال وقال لنفسه « ماذا أصنع لأخرجه من وسط هذا الجمع من الحراس ؟ وأخذ يفكر فلم يجد سبيلا لانقاذ سمك الى أن قال لنفسه ثانية « اختبىء فى ركن حتى يستولى عليهم السكر فينامون وآنذاك انقذ سمك من بينهم » · وظل على هذه الفكرة وهو ينظر اليهم من بعيد وفجأة

قام الزنجى وأعطى ابريق الخمر الى أحد الحراس فشرب منه ثم أعطاه لحارس آخر ٠

شاءت ارادة الله أن ذلك الرجل قام ليعيد الابريق للزنجى وكان يتمنطق بحزام مزين بالجواهر فأراد أن يخلع هذا الحزام ويعطيه للزنجى وقال لنفسه « لا يجوز أن أفكه فى وسط الناس » وابتعد عن رفاقه ومعه الابريق وجاء الى ناحية فوضع الابريق لكى يتمكن من فك الحزام ، وهنا خطرت على ذهن شاهان حيلة ، فتتبع ذلك الرجل ثم أمسكه من حلقه حتى لا يتمكن من الصياح وقتله وخلع ملابسه ولبسها ووضع عمامته أيضا على رأسه ثم أمسك القدح الذى كان مع الرجل وتظاهر بالسكر وذهب اليهم فى جرأة واتجه الى الزنجى ليعطيه ابريق الخمر وألقى بنفسه فوق الشمعة وأطفأها فأظلمت الدنيا ولم يعد أحد يرى أحدا لأنهم جميعا كانوا سكارى ٠ وقال أحدهم « ماذا فعلت » ؟ وقال آخر « لقد سكرت بسرعة » وقال ثالث « دعونا هكذا ولا تتكلموا » ٠ وفى هذه الأثناء تقدم شاهان وحمل سمك من بين الحراس وخرج والشمعة مطفأة والدنيا مظلمة ولم يفكر أحد من الحراس أن شخصا يمكن أن يقوم بعمل كهذا مادامو يحرسون سمك العيار ، وكانوا فى غفلة من شدة سكرهم ولم يستطيعوا اشعال الشمعة مرة أخرى ٠

أما شاهان فقد أخرج خنجره وقطع قيود سمك من يديه ورجليه فسأله سمك « من أنت ؟ » فأجابه « أنا عبدك الذى حررته ، أنا شاهان ، ابن شقيق الغورى » ٠ فلما سمع سمك اسم شاهان أمسك رأسه واحتضنه وقال له « أسعدك الله يا ابن الحلال ، لقد كافأت سوء فعلى معك بحسن صنيعك لى ، فهل معك أحد من أصحابى ؟ فقال شاهان « لا » ٠ فأثنى عليه سمك وقال يجب أن نفكر فى حيلة حتى لا ينكشف هذا السر » ٠ فسأله شاهان « ماذا يجب أن نفعل » ؟ فأجابه سمك العيار « نحتاج الى ميت أو قتيل لاحتال به عليهم » ٠ فقال له شاهان « لقد قتلت رجلا لكى أخرجك من وسط الحراس » ٠ وذكر له ما فعله ٠

دعا له سمك وقال له « أسرع باحضاره حتى أقيده ثم أحمله وأضعه وسط الحراس فى مكانى قبل أن يتمكنوا من اشعال الشمعة » فقام شاهان وفك وهقه من وسطه وقيد يدى ذلك الرجل ورجليه وحمله الى حيث كان الحراس وأنامه فى الموضع الذى كان فيه سمك وقال لهم « لماذا لم توقدوا الشمعة » ؟ قال هذا وعاد الى حيث كان ينتظره سمك وأمسك يده وسارا فى طريقهما قبل أن يتمكن الحراس من اعادة اضاءة الشمعة ٠

كان شاهان وسمك قد ابتعدا عنهم كثيرا ، وأخذ شاهان يحدثه بما فعل ويروى له ما وقع ، وفى أثناء حديثه قال « أيها البطل ، أمامنا أمر خطير » • فقال له سمك « قل ما هو لعلنى أستطيع أن أجد له حلا » • فقال شاهان « أيها البطل حينما بلغنى الخبر أن الغورى أمسكك وأنه سيأخذك الى أرمنشاه تألمت كثيرا وقلت لنفسى الغورى ابن الحرام هذا قد يتسبب فى هلاك سمك ، وقلت قم واذهب لعلك تستطيع أن تنقذه ـ كما وفقنى الله ـ وعندما كنت آتيا عن طريق الجبل تصادف مرورى من أمام مجلس الغورى فرأيته جالسا تحت الشجرة مع غاطوش يتناولان الشراب وبجوار غاطوشى جارية مغنية كانت تعزف وتغنى لم أسمع فى حياتى مثل صوتها الى جانب جمالها الذى فتننى من أول نظرة اليها حتى أننى عشقتها وتسمرت قدماى ولم أستطع أن أغادر المكان حتى استطعت بالعزيمة والفتوة أن انتزع نفسى من هناك من أجلك ، وان كنت قد تركت قلبى معها وجئت لهذا العمل » •

قال له سمك « يا شاهان ، أرنيها حتى أدبر الوسيلة لكى أجمعك بها ان يشأ الله » وسار الاثنان حتى جاءا أمام مجلس الغورى واختبأ خلف صخرة ونظر سمك فوقعت عيناه على الثعلب الفيلم فعرفه وقال بالله العادل لقد جاء الى هنا لكى ينقذنى ، ولقد أحسن التنكر للوصول الى هذا المكان » •

قال شاهان « يا سمك ، ان قلبى مع تلك الجارية » فنظر سمك اليها فوجد أنها ضياء وعرفها ففرح ولكنه تعجب من تنكرها فى هيئة مطربة وقال لشاهان « اهنأ واسعد أيها الرجل » • وبعد فترة من الوقت أخذ سمك ابريقا وضع فيه بعض المخدر الذى كان يحمله ثم أخذ يدور الى أن جاء أمام ضياء وأشار اليها فعرفته وفرحت وتعجبت من حضوره ثم عاد سمك الى شاهان •

## نهـــاية محب عجـــول

قدمت ضياء الشراب الى غاطوش والغورى فسكرا وعاد خدمهم الى منازلهم وبقى غاطوش مع حبيبة وفجأة مد يده وأمسك ذوائب حبيبة وجذبها ، فسحبت ضياء نفسها وقالت « أيها الملك ، انك تريد جارية تعاشرها وأنا لا أصلح لهذا ، ولم يمض على فى خدمتك الا يومان أو ثلاثة ، وأنا أطربك وأغنى لك » • فقال لها غاطوش « لقد اشتريتك ودفعت ثمنك » • فردت عليه ضـــياء « لم يكن هذا شرطنا » • وكان

غاطوش ثملا فى غاية السكر والشهوة غالبة عليه ، فقام لكى يضرب ضياء ولكنها قفزت ولكمته على عنقه لكمة جعلته يقطع أنفاسه ، وكان غير مسيطر على قواه وأفعاله فسحبت ضياء خنجرها واحتزت رأسه ووضعته على صدره وخرجت • فلما رآها الخدم الذين كانوا نائمين على باب الخيمة خارجه سألوها « ما هذا » ؟ فأجابتهم « ان البطل غاطوش أعطانى ذهبا لكى أعطيه لسيدى الأول الذى باعنى له » •

قالت ضياء هذا وذهبت وكان الثعلب يراقب ما تقوم به فذهب اليها فقالت له « أيها البطل ، لقد قتلت غاطوش ، كما أن سمك أشار الى وذهب فهيا بنا لنذهب من هنا ولو أنه لا سبيل لخروجنا » • فسألها الثعلب « ولماذا فعلت هذا ؟ أين سنذهب الآن ؟ أجابنه ضياء « يجب علينا سلوك طريق الجبل والاختفاء وراء الصخور » •

قالا هذا وسارا ، فلما طلع النهار جاء الأبطال الى باب الخيمة وقالوا للخدم « قولوا للبطل غاطوش أن يأتى لكى يأخذ سمك العيار الى الملك أرمنشاه » • فقال لهم الخدم « انه فى حالة الخمار (١) » ظانين أنه فى خلوة مع حبيبة المطربة • ولهذا حمل أمراء وادى الغورى وخدمه الجثة التى يعتقدون أنها لسمك الى أرمنشاه وقالوا « أيها الملك ، أبقاك الله ، اذ أن سمك العيار أصيب بجروح كثيرة ومات فى الأسر » • فقال لهم أرمنشاه « لا نستطيع أن نفعل شيئا مع الأجل » • ثم أمرهم باحراق الجثة فاحرقوا جثة ذلك المسكين • وعاد أرمنشاه الى الطرب والشراب •

فى الجانب الآخر كان خدم غاطوش ينتظرون فلما تأخر الوقت أرسلوا خادما الى داخل الخيمة ليعرف لماذا لم يخرج سيدهم • فلما دخل الخادم رآه مقطوع الرأس فصاح وأقبل الخدم ورأوا تلك الحال فتصايحوا واتجهوا الى وادى الغورى وذكروا له ما رأوه فحزن الغورى واغتم وقال « كيف حدث هذا ؟ قالوا « أيها البطل ، كان وحده مع تلك الجارية المطربة ، وفى الصباح وجدناه هكذا » • فقال الغورى « ان من فعل هذا لم يعد الى مكانه بعد ، فابحثوا عنه » • فانطلق الجبالى وجهاد فى تتبع الأثر وهكذا سارا فى أثر الثعلب الفيلم وضياء •

---

(١) الخمار بالضم الحالة بين السكر واليقظة التى تسبق زوال أثر الخمر ويكسر الخاء رداء الرأس المعروف •

## الثعلب وضياء في الأسر

من قضاء الله أن الثعلب وضياء كانا يشاهدان هذا من مخبئهما ، وشاهدا رجلا يصعد مقتفيا أثرهما فقالا أحدهما للآخر « وما العمل ؟ بعد كل هذا لا مفر من أن نظهر نفسينا » وأخذا يلقيان عليهم الصخور من قمة الجبل فقتلا اثنين أو ثلاثة من الذين كانوا يصعدون للبحث عنهما . وفى النهاية أحاطت بهما مجموعة من الرجال وأمسكوهما وحملوهما الى الغورى فقال واحد منهم « هذه ضياء التى كانت مع سمك العيار هناك ، أما ذلك الشيخ فلا أعرف من يكون » .

نظر الغورى الى ضياء فعرفها وارتعش جسده وانتفض وقال لهما « أسعدكما الله ـ يا ابنى الحرام ـ انكما اللذان كان الزنجى قد أمسك بكما وجاء سمك وأطلق سراحكما وعرض حياته للخطر من أجلكما ، ومن جرأتكما لم تغادرا الوادى الى الآن حتى أمسكنا بكما ثانية . والآن وقد قتلنا سمك فيجب أن نتدبر أمركما » . ثم التفت الى ضياء وقال لها « أيتها الرعناء (١) ، لقد تنكرت على هيئة مطربة ، وهذا العاهر معك لكى تقتلى البطل غاطوش بحجة الغناء . أنا الذى سأرد على عملك » . وفى الحال أمر بتقييدهما لارسالهما الى أرمنشاه طالما أن سمك قد مات فليرسل هذين حيين ، وقيدهما الخدم وألقوا بهما أمامه .

كان سمك العيار مع شاهان على قمة الجبل يشاهدان ما يحدث وقد استولى عليهما الحزن والضيق فقال شاهان لسمك « أيها البطل ، أغثهما » . ولكن سمك العيار كان قد بهت ، وبعد مدة رفع رأسه وقال « يا شاهان ، لقد انقذتهما من سجنهما » . قال هذا ووضع يده فى وسطه وأخرج دواة وقلما كما أخرج من وسطه أيضا زندان (٢) وجمع قنيلا من الحطب أشعله وعلى ضوئه كتب رسالة على لسان دبور :

جاء فى أول الرسالة ذكر الله وبعد أن أثنى على الغورى قال « أعلم وتأكد أننا جئنا لخدمتك وكنا قد سمعنا دائما عن فتوتك وحمايتك للمستجير بك وشجاعتك ، وكنا نثنى عليك فى غيبتك ونطمع فى أن تتحسن علاقتك بالملك أرمنشاه الى أن تحقق أملنا وأمسكت سمك العيار

---

(١) الرعناء أى الحمقاء ورجل أرعن أى أحمق .

(٢) الزند بفتح الزاى العود الذى تشعل به النار وهو الأعلى والزندة السفلى وفيها ثقب وهى الأنثى وجمعها زندان بالفتح .

غدو ملك الدنيا وأأسلته اليه • وقد ظننت أن البطل سيأتى معه ولكن لم يحدث • ولا شك أنه كان هناك سبب أخرك ، ولهذا فنحن محرومون من رؤية البطل الغورى وأنا ـ أخوك ـ قد أعددت ضيافة للملك عليك أن تحضرها أيضا لأنه بدونك لن يكتمل السرور • وحينما تصلك رسالتى فأعزم على الحضور لأننا فى انتظارك • وقد أرسلت هذه الرسالة على عجـــل » •

حينما انتهى سمك من كتابة الرسالة قال « يا شاهان ، تابعنى واحمنى ولا تغفل عنى حتى اذا حدث شىء لى انقذتنى » • فقال له شاهان « الأمر لك » • ثم أرشد سمك الى طريق قريب ليسلكه • فسار سمك فيه حتى وصل الى الغورى وأدى التحية وتحـدث بلهجة أهل صـحراء الجوزجان وكان قد غير هيئته على شاكلتهم ، ثم أخرج الرسالة وسلمها للغورى • فسأله الغورى « من أين جئت وما هذه الرسالة » ؟ فأدى العيار التحية مرة ثانية وقال « هذه الرسالة أتيت بها من عند دبور قاهر الشياطين » • ففتح الغورى الرسالة وقرأها وعلم ما بها وقال لنفسه « يجب أن أذهب » •

فى الحال أمر الغورى باعداد خمسين حملا من النفائس وأخويه وأبناءه وألف فارس فلما استعدوا كان النهار قد طلع ، فأرسل الغورى شخصا الى الزنجى آكل لحوم البشر استدعاه اليه وقال له يجب عليك أن تحافظ على الوادى لأننى ذاهب الى خدمة الملك أرمنشاه » • فأدى الزنجى التحية وقال « أيها البطل ، تعلم أنه لو جاء خمسون ألف رجل الى هنا فان عبدك يســتطيع أن يقهرهم ويردهم ، فلا يجب أن تفكر فى هذا أبدا » •

قال الغورى هذا وأمر الجيش بالتحرك • وكان الثعلب الفيلم رضباء مقيدين فوضـــعوهما هكذا على الجمـــال وصحبهم سمك أيضا ، وكان شاهان قد نزل من على قمة الجبل وشاهد ما حدث واندس بين تلك الجماعة الى أن وصل الى سمك وقال له « أيهـــا البطل الى أين تريد الذهـــاب » ؟

أجابه سمك العيار « يا شاهان ، حسن أنك جئت ، يجب علينا أن نقوم بعمل ولا يجب التأخير فيه ، وعلينا أن نظهر فتوتنا وشجاعتنا حتى لا ندع هذه الأموال تذهب الى أرمنشاه لأنه ظالم » • فقال له شاهان « أيها البطل » ماذا يجب عمله ؟ فأجابه سمك « يا أخى ، أنت تعرف طرق هذه الأودية جيدا ولهذا يجب عليك أن تذهب وتخبر خورشـــيد

شاه لكى يجيئوا ويأخذوا هذه الأموال ويستردوا الأسيرين ويكون هذا نصرا عظيما لنا » • فقال له شاهان « أيها البطل ، سأذهب من طريق بحيث أصل الى معسكر خورشيد شاه قبل أن يكونوا قد وصلوا الى أول الوادى ولكن بشرط أن تزوجنى ضياء » • فأقسم سمك قائلا « سأزوجك ضياء اذا هى قبلت » •

انطلق شاهان بحيث وصل الى خورشيد شاه مع غروب الشمس وفجأة دخل المجلس بحيث أن الأبطال فوجئوا به فسألوه « من أنت حتى تدخل بجرأة هكذا » ؟ فقال شاهان « أنا رسول سمك أرسلنى لأمر عاجل بحيث لا يجب التأخير فيه » •

حين سمع خورشيد شاه اسم سمك استدعى شاهان اليه وأكرمه واحتضنه وأخذ يسأله عن أحواله فقال شاهان « أيها الملك ، ليس هذا وقت الكلام ، لقد طلب سمك جيشا لأنهم أمسكوا الثعلب وضياء وسوف يحملونهما الى أرمنشاه مع أموال وفيرة » فسأله خورشيد شاه « كم يبلغ تعداد جيشهم » ؟ فقال شاهان « انهم نحو ألف فارس » •

التفت خورشيد شاه الى هرمز وشروان الحلبى وقال لهما « أسرعا وخذا ألفين من الفرسان واذهبوا واقطعوا الطريق على الغورى واعملوا على هزيمتهم جميعا واحضار تلك الأموال » • فأعد هرمز وشروان ألفين من الفرسان وانطلقوا وشاهان يتقدمهم وهم يسلكون طرقا غير مطروقة الى أن جاءوا الى مضيق جبلى فاستبقاهم هناك حيث سيكون مرور الغورى منه وقال لهم « ابقوا هنا لأنه لا يوجد لهم طريق آخر غير هذا لأننى سأعود الى سمك العيار » •

قال شاهان هذا وسار فى طريقه حتى وصل الى سمك الذى سأله حين رآه « أيها البطل ماذا فعلت لأنك عدت بسرعة ؟ » فأجابه شاهان « سرت طوال ليلة أمس حتى وصلت الى خورشيد شاه وأحضرت الجيش وقد أبقيتهم فى موقع كمين للأعـداء » • فأثنى عليـه سـمك وقال له « ان هذا العمل الذى قمت به أفضل من كل الأعمال التى قمنا بها فى الدنيا حتى الآن ، وعليك حين يلتقى الجيشان ويشتبكا فى القتال أن تفك قيود الثعلب بينما سأقوم أنا بفك قيود ضياء » • فقال شاهان « أيها البطل ، ألا يمكن أن أفك أنا قيود ضياء » ؟ فضحك سمك وقال له « يا أخى ، انك تريد شيئا من وراء هذا يتمناه قلبك ، وليس من الواجب أن تضع يدك عليها لأنك صاحب هوى وغرض ، ولو أنى لا أتوقع منك خطأ ، ان ضياء ليست من الفتيات اللائى يمكن أن ينظر اليها رجال الدنيا وفى أعينهم غرض » • فقال شاهان « لا بأس ، سنفعل ما قلت » •

سارا معا الى أن قطعا نحو نصف فرسخ حين أشرقت الشمس وأضاء النهار ووصل الغورى بجيشه فى وقت الضحى الى ذلك الموقع الذى كان يكمن فيه هرمز وشروان الحلبى وفجأة تصاعدت دقات طبول القتال ووصلت صيحات الرجال الى عنان السماء ، وقطعوا الطريق على الغورى وأعملوا فى رجاله السيوف بينما أسر هرمز الجبالى وأسر شروان الحلبى أخاه جهاد وقتل الكثير من جيش الغورى بينما فر الغورى وأولاده وبعض الفرسان منهزمين حيث كان يوجد نهر جاف انطلقوا فيه وكانت خيولهم قوية وذهبوا الى معسكر أرمنشاه لأن طريق الوادى الذى جاءوا منه كان قد قطع عليهم ٠

غنم هرمز والآخرون تلك الأموال ، ثم تقدم هرمز وشروان الى سمك ونزلا عن جواديهما واحتضناه ، واستفسرا منه عن حاله ، فقال لهما سمك « أيها البطلان ، ليس هذا مكان توقف ، فيجب أن نذهب فى الحال ونسوق هذه الأموال أمامنا » ٠ فحملوا الجبالى وجهاد مقيدين وساروا وبعد نحو فرسخ قال سمك للثعلب وشاهان وضياء « اذهبوا أنتم الى المعسكر وخذا هذه الأموال معكم وسلموها لخورشيد شاه لأننى تركت شيئا فى وادى الغورى وسأعود لأحصل عليه ، وقولوا لخورشيد شاه أن يرعى أخوة الغورى ولا يؤذيهما لأن لى معهما شأنا » ٠ ثم قال للثعلب « أيها الأستاذ ، قل لخورشيد شاه أن يكرم شاهان اكراما عظيما أكثر مما يمكن قوله لأنه هو الذى أطلق سراحى وحررنى ، وهو من ناحية أخرى سليل سبعين ملكا وأميرا ، وكل ما يفعله معه كأنه فعله لى لأنه ترك الملك وكل ما كان ويكون ، وبيته وأهله من أجلى ، وألقى بنفسه فى هذا البلاء لكى ينقذنى » ٠

## سمك يحتال لمعرفة سر سجن الغورى

قال سمك هذا وعاد واتجه الى وادى الغورى حيث كانت كل الوديان قد خلت الا من النساء والأطفال ٠ بينما وصل هرمز وشروان الحلبى مع الثعلب وضياء وشاهان وتلك الأموال الوفيرة والجبالى وجهاد أسيرين الى خورشيد شاه ٠ وحين رأى خورشيد شاه تلك الأموال فرح وسأل عن سمك فأجابه الثعلب « أيها الملك ، حينما انهزم جيش الغورى وغنمنا هذه الأموال كان آتيا معنا ولكنه عاد وقال لو سأل الملك عنى فقولوا له أنه رجع الى وادى الغورى لأنه ترك شيئا وذهب ليحضره ، ولكنه أوصى كثيرا على شاهان واخوة الغورى لكى يرعاهم الملك » ٠ فقال الملك « مادام

قد ذكر هذا عن رعايتهم فقد جعلتهم فى صحبتك » ثم قال « أيها الثعلب ، لم يكن من الواجب ترك سمك ليعود » ٠

فى الجانب الآخر سار الغورى مع تلك المجموعة من الفرسان التى نجت من المعركة حتى وصلوا الى معسكر أرمنشاه ، وحين رأى رجال أرمنشاه الغورى فرحوا بمقدمه وسعدوا وحمل أحد الرجال الخبر الى أرمنشاه بأن الغورى قد وصل مع جيش الوديان الاثنى عشر فسأل أرمنشاه « وأين هم ؟ أحضروهم بسرعة » ٠

ويقول الراوى أنه حينما استقبلهم جمع من جند أرمنشاه كان الغورى قد وصل قبل بقية جيشه لأنه لم يكن يستطيع الذهاب الى أى مكان آخر لخجله وندمه ، فعاد من عند أطراف المعسكر وتوجه الى مجلس أرمنشاه وأمام عرشه قبل الأرض وأدى التحية ٠ فأمر أرمنشاه أن يجلسوا الغورى لأنه كان شيخا مسنا ، فأجلسوه على كرسى وسأل أرمنشاه عن أحواله فقال « لقد انقض علينا جيش خورشيد شاه وهزموا جيشنا هزيمة نكراء ، وحملوا كل تلك الأموال التى أحضرتها ، كما أسروا أخوى وقتلوا غاطوش فى الوادى اذ كنا قد أسرنا اثنين منهم وكانا مقيدين فاستعادوهما ٠ وا أسفاه على انتقامهم « فسأله أرمنشاه كيف حدث هذا ؟ » ٠

ذكر الغورى حادث قتل غاطوش وارسال رجل تتبع الأثر وأمسك ضياء وشيخا كان معها ثم استعداده لكى يحضرهما أحياء الى الملك وفجأة وصلت رسالة من دبور قاهر الشياطين قال فيها انه من الواجب أن أحضر لأننا سنعد ضيافة لأرمنشاه وبدون حضورك لن نسعد ٠ فحملت أموالا وفيرة وهذين الشخصين اللذين قتلا غاطوش لكى أحضر لخدمة الملك ، وكان جيش خورشيد شاه قد قطع الطريق على أول الوادى ولم يكن أمامنا مفر ٠ أيها الملك ، لا أعرف من أين جاءوا وأخذوا أخوى ، وقد هربت منهم مع أبنائى وما تبقى من فرسانى » ٠

أرسل أرمنشاه شخصا أحضر دبور قاهر الشياطين وذكر له موضوع ارسال الخطاب الى الغورى ٠ فقال دبور « أيها الملك ، لا أعلم شيئا عن هذا اطلاقا » ٠ فأقسم شهران الوزير بالله العادل وبرأس أرمنشاه (١) « أن هذا عمل سمك العيار » ٠ فقال أرمنشاه « يا غورى ، أليس هذا العمل مكيدة من سمك دبرها وخدعت أنت بها وكان القتيل الذى أرسلته

---

(١) فى الاصل « تراب قدمى أرمنشاه » فاستبدلناه برأسه لعطفها على اسم الله العادل٠

لنا ليس سمك العيار لأنه دبر مكائد أكثر وأبشع من هذه • ان قلبى يحدثنى أن شهران الوزير صادق فيما قال لأن سمك فى استطاعته أن يفعل مثل هذه الألاعيب » •

أقسم الغورى بكل ما هو عظيم أنه قبض على سمك وأرسله الى أرمنشاه ، وأقسم كذلك أبناء الغورى وتعجبوا جميعا مما حدث ثم قالوا « وما العمل وماذا نفعل معهم ؟ » •

نظر أرمنشاه فرأى كيكان الجاسوس فقال له « يا كيكان ، أسرع بالذهاب الى جيش خورشيد شاه ومعرفة أحوالهم وكيف كان هذا الأمر ؟ ومن الذى دبر هذه المكيدة من العيارين ؟ وهل سمك على قيد الحياة أو مات ؟ واعرف أحوال الجبالى وجهاد وماذا فعلوا بهما وعد بسرعة » • فأدى كيكان التحيةوسار متوجها الى معسكر خورشيد شاه •

أكرم أرمنشاه الغورى وأعزه وأمر لهم بمكان حسن يقيمون به ، كما أمر بذهابهم للراحة • ثم استغرق أرمنشاه فى التفكير فى كيفية حدوث هذا الأمر وماذا يفعلون •

شاءت ارادة الله أن سمك حين رجع ووصل الى أول الوادى رأى بضعة أحمال موضوعة على الأرض ، وشاهد جماعة من الرجال جالسة على مقربة من هذه الأحمال ، فذهب سمك اليهم وسلم عليهم فردوا عليه السلام ثم سألهم « من أين أنتم وما هذه الأحمال ومن أين أنتم قادمون ؟ فأجابه الرجال « جئنا بهذه الأحمال من الروضة التى وراء الجبل ونحملها للملك أرمنشاه » • فقال لهم سمك « ولماذا تأخرتم فى احضارها ولديهم نقص فى الأعلاف والمؤن وقد أرسلونى لهذا ؟ فقالوا له « ان صعوبة الطريق أخرتنا ولم نستطع المجىء لأن الغورى كان قادما وقال لنا أن نسلك طرقا غير مطروقة وكان فى هذا مشقة ، وقد وصلنا بعد ما واجهناه من تأخير » •

قال لهم سمك « أسرعوا بتحميل هذه الأحمال فقد ذهب الغورى عند أرمنشاه وسيعود سريعا وحتى لا يحدث تأخير مرة أخرى » • فقالوا « لقد وصلنـــا الآن فدعنا نســتريح بعض الوقت » • فأجابهم سمك « ستستريحون فى الوادى لأن الغورى سيصـــل الآن وقد يعنفكم » • فحمل الرجال الأحمال مرة أخرى على الدواب وساروا وسمك يتقدمهم حتى اقتربوا من الزنجى آكل لحوم البشر ، فلما رآهم تقدم اليهم وســألهم « من أنتم ؟ » فتقدم اليه سمك وقال « أيها البطل ، انها بعض الأحمال

من العلف والزاد أحضروها للغورى » . فقال الزنجى « أنزلوها فى الوادى وسارعوا فى الخروج منه » .

أنزل الرجال الأحمال ، بينما ذهب سمك الى ناحية ومد رجله وأخذ فى البكاء ، وبينما كان الزنجى يتفقد الحمالين وصل الى سمك فرآه ممددا على الأرض وهو يبكى وقد رفع ساقه فى الهواء ، فسأله الزنجى « ماذا أصابك » ؟ فأجابه سمك « أيها البطل بينما كنت قادما من ذلك الطريق انزلق حجر من تحت قدمى فسقطت وقد أصيبت ساقى بالألم وا أسفاه على وعلى زوجتى وأولادى ، فقد صرت عاجزا كليلا ، كيف أستطيع السير » ؟ قال هذا وأخذ يجهش بالبكاء والعويل حتى حار الزنجى فيه ، ومع أنه كان قاسيا الا أن قلبه رق لسمك وقال له « أيها الرجل الحر ، لا تفكر فى الأمر وابق عندى حتى تتحسن ساقك وقل لهؤلاء الناس أن يأخذوا دابتك معهم » . فدعا سمك للزنجى وقال « أسعدك الله أيها الفتى وأعانك كما أعنتنى ورحمت أولادى وزوجتى » .

قالا هذا وعاد الحمالون وبقى الزنجى فى مكانه وجلس وأخذ فى تناول الشراب وسمك جالس أمامه وهو يئن وينظر الى الزنجى وبعد فترة من الوقت التفت سمك الى الزنجى وقال « أيها الرجل الحر ، ألا يمكن أن تعطينى كأسين أو ثلاثة من هذا الشراب لعله يخفف من آلامى لأننى فى غاية الألم لكى أستريح قليلا وأنا ثمل لأننى لا أطيق هذا الألم » . فقام الزنجى وأتى بأبريق خمر وضعه أمام سمك وقال له « اشرب » .

دعا له سمك وأخذ فى تناول الشراب وهو ينظر الى الزنجى ثم قال له « أيها الرجل الحر ، ان تناول الانسان للشراب بمفرده سىء جدا لأنه يكون غير مفرح خاصة اذا لم يكن هناك غناء وطرب أو ندماء يشربون معه » . فقال الزنجى « أيها الرجل الحر ، الغورى أمرنى ألا أشرب وقال لى حافظ على الوادى وأنا الآن أشرب قليلا قليلا حتى لا أسكر وأفقد الوعى » .

قال له سمك « مثل هذا الشراب الذى نتناوله لا يمكن أن يسكرنا ، فلنشرب ببطء حتى نؤنس بعضنا » . فتقدم الزنجى وجلس لتناول الشراب مع سمك الذى تمكن بالحيلة من وضع بعض المنوم فى كأس الزنجى لكى يشربه ، فلما مضى بعض الوقت دارت رأس الزنجى وظهر عليه أثر السكر والمنوم ، فلما شرب كأسا أخرى سقط بلا وعى ، فقام سمك وذهب الى سرير الزنجى وأخذ المفتاح من تحت رجله وسار الى أن وصل الى السجن ووضع المفتاح فى القفل وبذل قوته فلم يستطع فتحه ولا تحريكه وأثناء ذلك جاءه صوت من داخل السجن يقول « أيها الرجل الحر ، لماذا تتعب

نفسك كثيرا هكذا وتسبب لنا القلق لانك لن تستطيع فتح هذا الباب الذى لا يمكن أن يفتحه سوى الغورى أو الزنجى آكل لحوم البشر الذى علمه الغورى كيفية فتحه » • فبهت سمك وقال لنفسه « فلأذهب وأمسك الزنجى لعلنى أستطيع بحيلة أن أجعله يأتى ويفتح هذا الباب » •

فكر سمك فى هذا وعاد الى حيث كان الزنجى ووضع دواء كان معه فى حلقه وحرك الزنجى الى أن تقيأ وأفاق فقال له سمك « أيها البطل ، ماذا أصابك حتى فقدت وعيك هكذا ، ولو كان الغورى قد وصل ورآك على ذلك النحو من فقدان الوعى فماذا كان سيفعل ؟ فقال الزنجى « لقد ألحقت بى كثيرا من المهانة » • ونسى الزنجى أن سمك كان مريضـا وظل سمك معه حتى انقضت تلك الليـلة ، وفى اليوم التالى قال له « أيها البطل ، لقد سعدت كثيرا بالبقاء معك ، فلو رأيت فاننى يمكن أن أعمل عندك فأنا رجل فقير ثم اننى سأحصل على أجر لقاء عملى ، كما أنك لن تكون وحيدا فى هذا المكان » •

قال الزنجى « لا بأس ، ولكن يجب أن تكون أمينا ، وأن تتعامى عن كل ما تراه ولا شـأن لك أو دخل بكل ما تراه » • فأجابه سـمك « احذر أن تظن بى هذا الظن ، فأنا أعرف جيدا كيف أسـاير الحياة ، كما أننى أخدمك حتى أحصل على بعض المال وحينما ترى أو تشاء سأعود الى أسرتى » • فقال له الزنجى « ما اسمك » ؟ فأجابه سمك « اسمى أخنـــوخ » •

قال هذا وبقيا حتى جاء يوم بلغهما فيه أن الغورى قد عاد • ذلك أن الغورى بعد أن قص على أرمنشاه ما حدث له وحزن الملك وأرسل كيكان الجاسوس لمعرفة أخبار خورشيد شاه واعداد مكان لاقامة الغورى عنده • ولكن فى اليوم التالى عندما ذهب الغورى لخدمة أرمنشاه وعند انصرافه من مجلسه استأذن فى العودة الى واديه لمعرفة أحوال جيشه ، ومن قتل منه ، وللاعداد للعودة مرة أخرى لخدمة الملك أرمنشـاه حتى يسترد أخويه الأسيرين عند خورشيد شاه • فاذن له أرمنشاه فى العودة • وسار الغورى حتى وصل الى أول الوادى فسبقه خبر قدومه • ولهذا قال الزنجى لسمك « قم واذهب الى مكانى فى آخر الوادى حتى اذا وصـل الغورى وأديت له التحية لحقت بك هناك » •

فرح سمك وانطلق كالريح الى آخر الوادى حتى وصل الى مكان الزنجى فلما رجع الغورى أدى له الزنجى التحية • فسـأله الغورى « ما هذا الأحمال ؟ » فأجاب الزنجى « أيها البطل ، لقد جاء قوم من المزرعة

التى وراء الجبل وأحضروا هذه الأحمال ووضعوها وقد أعدت الرجال ولم أسمح لأحد منهم بالبقاء بجانبها » • فقال الغورى « لقد كان سمك هو الذى يريد لنا السوء ، فلما قضينا عليه فان أحدا فى الدنيا لن يقصدنا بسوء » •

قالا هذا ثم لاطف الغورى الزنجى وأكرمه وقال له عد الى مكانك » • فعاد الزنجى الى شقه فى الجبل فى آخر الوادى فوقف له سمك وأدى التحية • وكان الزنجى يكرمه ويراعيه وظل سمك فى خدمته بينما كان الغورى يعد نفسه للعودة الى أرمنشاه •

يقول مؤلف الأخبار وراوى القصة انه حينما أرسل الملك أرمنشاه جاسوسه كيكان ووصل الى معسكر الملك فغفور وخورشيد شاه ، فانه أخذ يتجول حول مجلسهما ويتسمع الأخبار • ومن قضاء الله أن هرمز كان عند خورشيد شاه يروى له ما حدث فى الهجوم على الغورى بينما كان الجبالى وجهاد مقيدين وموضوعين عند باب المجلس ، وكان أناس يدخلون وأناس يخرجون منه وكل منهم يتحدث بحديث الى أن أمر خورشيد شاه باعطاء شاهان خلعة فاخرة وقال له ليطمئن قلبك ، فحينما أفرغ من هذا الأمر فاننى سأهبك أية ولاية تريدهـــا » • فأدى شاهان التحية وقال « أيها الملك العظيم ، لقد تركت مالى ووطنى وملكى واصدارى للأوامر لكى أكون فى خدمتك وفى خدمة سمك العيار » • فأثنى عليه خورشيد شاه وقال « يا شاهان ، ان خدمتنا أو خدمة سمك واحدة » •

بعد هذا خرج شاهان والثعلب وضيباء من المجلس ودفعوا الجبالى وجهاد أمامهم وذهبوا الى مكان اقامتهم لأن خورشيد شاه كان قد جعلهم فى رعاية الثعلب • ومن قضاء الله أن كيكان الجاسوس سأل أحد الرجال قائلا « هل ســـمك هنا أم لا » ؟ وأين هو ؟ فأجابه ذلك الرجل بقوله « يقولون ان سمك عاد الى وادى الغورى لأنه ترك شـــيئا هناك وذهب ليحضره » • وحين سمع كيكان هذا ووقف على أحوال معسكر خورشيد شاه عاد الى معسكره وذهب الى أرمنشاه وأدى التحية وأخذ يتحدث فذكر كل ما رآه أو سمعه الى القول بأن سمك عاد الى وادى الغورى لأنه ترك شيئا هناك سيأتى به ، كما أن شاهان قد خرج على الطاعة وهو أيضا من وادى الغورى فهو ابن شقيقه » •

حين سمع أرمنشاه هذا تعجب وبهت ثم قال « أى أناس هؤلاء الذين يأخذون الناس من الطرقات ويدخلونهم فى طاعتهم ، واذا قمنا بشىء فى الخفاء علموا به وأذاعوه واذا أسرنا أحدهم وقيدناه ووضعناه فى السجن

استردوه • لقد ظننا أننا قتلنا سمك العيار وأحرقنا تلك الجثة على أنها سمك بينما هو على قيد الحياة • ان الحق مع شهران الوزير الذى قال ان ســـمك يستطيع أن يقوم بمثل هذه المكائد وليس بالرجل الذى نستطيع قتله » •

تعجب الجميع فى أمر سمك وضياء ، وتحير الخاص والعام من أفعاله وأعماله الى أن قال شهران الوزير « أيها الملك ، أرأيت أن ما قلته هو الحقيقة ، ان ســـمك ليس من هؤلاء المنافسين الذين يستسلمون لغيرهم ، أو أن يقول الغورى أنه يمكنه القاء القبض عليه • لقد تعجبت كثيرا من أن يتمكن الغورى من الايقاع برجل مثل سمك • وعلى أية حال فقد ذهب الى واديه لمعرفة حقيقة هذا الأمر » •

كان أرمنشاه يتلوى من الغضب والتفت الى شهران الوزير وقال له « أكتب رســـالة الى الغورى وقل له » « لقد دبرت حيـلة جيـدة وأمسكت سمك العيار وأرسلته الينا وأحرقناه • مسكين ذلك الرجل الذى أرسلته لكى نحرقه ، ولو نظرت جيدا لوجدته أحد رجالنا الأعزاء • من يستطيع أن يحتال عليك بمثل هذه الحيلة ؟ لقد خدعك سمك وأنت صرفتنا عن الطريق لأننا أخذنا كلامك على أنه صدق • والآن فان سمك حى يرزق وهو موجود فى واديك فأرسله سريعا الينا حتى تكون قد وفيت بما قلت ، كما لا أندم على ما قلته لك وأفى بعهدى وأنظر فى انقاذ أخويك اللذين أسرا من أجلى والا أمرت جيشا مجهزا بالتوجه الى واديك ونهبه كله واحضارك أنت وأقاربك وأبطالك وما تملك الى أعتابى حتى لا يقول أحد بعد هذا ما لا يعرفه وألا يتعهد بالقيام بما لا يستطيع القيام به ولا يسخر منى أحد وهو جاهل » •

قال شهران الوزير « السمع والطاعة » • وكتب الرسالة فى الحال وذكر فيها كل الأحوال وشرح ما حدث وما أمر به الملك • فلما أتم الرسالة أثنى على الملك ثم ختمها واستدعى أرمنشاه الجاسوس كيكان وسلمها له وقال له أسرع بايصالها الى الغورى كى يعلم ما فعله سمك به وحتى يبحث عنه » • فأخذ كيكان الرسالة وسار فى طريقه حتى وصل الى وادى الغورى •

حينما وقف كيكان أمام الغورى أخرج الرسالة وسلمها له فقبلها الغورى وفتحها وأخذ فى قراءتها ، فلما علم أن سمك حى وموجود فى واديه ، وأن شـاهان صار صـديقا له وخرج عن طاعة الملك ، انتفض جسده من الغضب واستولى عليه الحزن والغم وقال لنفسه « كيف تخلص

ابن الحرام هذا من القيد والأسر ؟ ألم يكن هو سمك الذى أمسكناه ؟ وكان أبناؤه واقفين فقالوا « يا أبانا ، لقد كان سمك بنفسه الذى أمسكناه وقيدناه وتركناه لدى الزنجى آكل لحوم البشر وجعلنا عليه خمسين رجلا ليحرسوه ، وما حدث أمر غريب » ٠

صمت الغورى وأخذ يفكر فيما يفعل ، وبعد فترة من الزمن التفت الى أبنائه الثلاثة حبيب وفاتك ومصارع وقال لهم « لقد اعتقدنا أننا تخلصنا من سمك بينما هو الآن يريد مهاجمتنا وتخريب ملكنا وادينا ، فيجب عليكم الآن أن تأخذوا خمسين رجلا وتذهبوا الى بدايات الطرق وفى كل مكان يمكن أن يعبر منه ولو شخص بمفرده وتحفروا بئرا وتغطوا فتحتها بالأعشاب وتكمنوا بالقرب منها حتى اذا جاء أى شخص سقط فيها ، فلعل سمك يقع مرة أخرى فى المصيدة ، وابحثوا عنه فى كل مكان حتى يمكننا أسره مرة أخرى » ٠

فى الحال خرج خمسون رجلا وحفروا الآبار فى أوائل الطرق وغطوها جيدا بالأعشاب وجلسوا فى مكمن ينتظرون بينما انطلق فريق آخر منهم يبحثون عن سمك ويفتشون فى أرجاء الوادى عنه وعن ضياء والآخرين من أصحابه ٠

يقول مؤلف القصة وراويها أنه حينما أرسل الملك أرمنشاه جاسوسة كيكان الى وادى الغورى وكان دبور جالسا أمام الملك فقال « أيها الملك ، نحن لم نأت الى هنا للنزهة ، فالوقت يمضى ومنذ تلك الليلة التى تصارعت فيها مع ذلك البطل من أحزمتنا واتفقنا على اللقاء معا فى ميدان القتال فى اليوم التالى ولم نخرج للقتال وقد مضت مدة طويلة ولهذا يجب أن نعد للحرب » ٠

بينما كانا فى حديثهما هذا وصل غوش بن غاطوش الى مجلس أرمنشاه ومعه الفان من الفرسان ، ذلك أن أمراء الوادى كانوا قد اتفقوا على ارسال ابن غاطوش الى خدمة الملك أرمنشاه ، فلما وصل أخبروا الملك أنه يريد أداء التحية فأمر الملك بادخاله فلما دخل وأدى التحية وقبل الأرض وأثنى على الملك نظر اليه أرمنشاه فرأى فيه شابا حسن الوجه ولكنه كان صغير السن ، فأكرمه وعزاه فى أبيه ٠ وفى الحال أمر شهران الوزير فكتب منشورا بأن يؤول اليه كل ما كان لأبيه لا ينازعه فيه أحد ؛ فلما فرغ شهران الوزير من كتابة هذا المنشور خلع عليه الملك خلعة فاخرة وأجلسه ليشرب معه ثم قال لدبور « أيها البطل ، اليوم خمر وغدا أمر » ٠

في الحال أمر النقباء باخبار الجنود بأنهم غدا سيحاربون ، فأخذ كل منهم يعد للمعركة ، بينما أخذ أرمنشاه يتناول الشراب مع البطل دبور الى أن حل الليل وأظلمت الدنيا وخرجت الطليعتان من الجانبين مجهزتين بالسلاح وأدوات القتال .

وفي الجانب الآخر كان خورشيد شاه وهامان الوزير وشاهان الذى التحق بخدمته وكل الأبطال من الصين وحلب (١) يشربون فى مجلسه ، بينما كان الثعلب وأصحابه يشربون فى ركن آخر وهم يتبادلون الحديث عن أفعال سمك وأعماله وما قام به شاهان لسمك . وكان الملك يبدى اعجابه وثناءه الى أن سكروا ثم قاموا ليستريحوا .

حينما انقضى الليل وطلعت الشمس وأضاءت الدنيا تصاعدت دقات طبول الحرب من جانب جيش أرمنشاه ، ونفخوا أبواق القتال واتجه الجيش الى ساحة الوغى .

فى الجانب الآخر أمر خورشيد شاه أن يخرج الجيش الى ميدان القتال ، فقرعوا طبول الحرب أيضا ، وتصاعدت أصوات الأبواق النحاسية والطبول الكابلية (٢) وغيرها الى عنان السماء ، وتوجه الجيشان الى ميدان القتال ، وتقدم النقباء وأخذوا فى تسوية الصفوف حتى اكتملت الميمنة والميسرة والقلب والجناح ، ووقف خورشيد شاه فى القلب وعلى يمينه وزيره هامان . وأمر خورشيد شاه أن يتولى هرمز الميمنة ، وجعل سمور على الميسرة ، وولى الجناح لجواد أما الساقة فكانت تحت قيادة الراعى الأسمر . فلما انتهى من اعداد الجيش صعد على ظهر فيل وصحبه هامان الوزير .

فى الناحية الأخرى فان أرمنشـاه أيضا أوكل كل فرقة الى بطل بينما وقف بنفسه في القلب ومعه دبور قاهر الشياطين وقزل ملك وشهران الوزير ، وفجأة انطلق لجين وهو أحد أتباع دبور قاهر الشـياطين بحصانه الى ساحة القتال وقد تدرع هو وحصانه فى دروع الحديد بحيث لم يكن يظهر منه الا عيناه ، ومن الحصان الا حوافره وأخذ يجول ويصول ويستعرض مهارته فى القتال حتى أنه من كثرة عدوه وجريه بحصانه اختفى وسط الغبار الذى أثاره ثم هدأ مدة الى أن سكن الغبار وانقشع

---

(١) نذكر هنا أسماء أكثر من عشرين بطلا حذفتهم منعا للملل والاطالة .

(٢) نسبة الى كابل ولعلها « كابول » عاصمة أفغانستان حاليا ولعلها كانت تشتهر بالطبل .

ثم اتجه الى جيش خورشيد شاه وقال « من منكم يدخل ساحة القتال ويظهر شجاعته ورجولته ونستعرض فنوننا بين الجيشين » ٠

انطلق شاهان من جيش خورشيد شاه وأدى التحية ، وكان يركب حصانا أحمر اللون ، وقد جهز نفسه بمعدات القتال وسلاحه ودخل الميدان وهو يصيح حتى أن كل من رآه أثنى على مهارته وروعته الى أن جاء أمام لجين وصاح فيه صيحة مرعبة وقال « أيها الحقراء عديمي الأصل . بأي حق تتطاولون وتتقدمون للقتـــال ؟ هات ما عندك من شـــجاعة ورجولة » ٠

نظر لجين الى قد شاهان وطوله وعرضه ، فلما سمع كلامه انتزع حربته من مكانها وهجم على شاهان ، فتلقى شاهان حربته بحربته وظلا يتقارشان بحربتيهما حتى تقصفتا ولم يتمكن أحدهما من التغلب على خصمه فالقيا ما تبقى من الحربتين واستلا سيفيهما البتارين ثم جعلا الدرق على وجهيهما وعاودا القتال وظلا يضربان بهما على رأسيهما الى أن أسرع شاهان وهجم على لجين وهوى بسيفه ليضربه ولكن لجين تلقى الضربة بدرعه فما كان من شاهان الا أن غير اتجاه ضربة سيفه بمهارة وضرب لجين في وســـطه وكان من قوة شاهان وحدة سيفه أنه جزله (١) الى نصفين فسقط عن ظهر حصانه ٠

حينما رأى جيش أرمنشاه هذه الهزيمة لبطلهم لجين تصاعدت آهاتهم ، وكان للجين قريب اسمه ذهبي اللجام انطلق الى الميدان حتى وقف أمام شاهان وصاح فيه قائلا « أيها الخسيس ، لقد قتلت بطلا افضل من مائة ألف منكم ، ولكن لا بأس فان له الكثيرين الذين يثأرون له أنا أحدهم ، ولكن ما الفائدة ؟ فلو قتلت منكم مائة ألف فلن تعادلوا شعرة من شعره » ٠ فرد عليه شاهان « يا ابن الحرام يا سيء الفعال ، أحزن على نفسك فانني سأبعثك اليه الآن » ٠

قال شاهان هذا وتقدم الى ذهبي اللجام ، الذي لم يكن ندا له ومن أول حربة صوبها شاهان الى صدر ذهبي اللجام خرجت من ظهره نحو شبر ٠

كان لذهبي اللجام أخ اسمه ذهبي الحزام انطلق بفرسه الى الميدان وتوجه الى أخيه فوجده قتيلا على هذا النحو ، فبكى عليه من أعماق قلبه

---

(١) جزلة بالسيف ـ قطعه الى جزلتين أو قطعتين ٠

وقال « أخى العزيز ، لقد قتلت على يد الأعداء غدرا وغيلة ، ولكن جاء أخوك الى الميدان لكى يثأر لك من العدو ، كيف احتمل عدم رؤياك بينما يقف عدوك سعيدا فى الميدان » · وبعد أن بكى بعض الوقت وناح تقدم الى شاهان وصاح ، واشتبكا فى قتال واستلا سيفيهما وسحبا الدرق حتى أكف أيديهما وتضاربا كثيرا بالسيوف وفجأة هوى شاهان بسيفه ليضرب ذهبى الحزام على رأسه ولكنه رجع الى الخلف فهوت الضربة على رأس الحصان التى انفصلت عن جسده ، وسقط ذهبى الحزام على الأرض ، ولم يكد يقف حتى ضربه شاهان بسيفه فألقى برأسه بعيدا عن جسده فتصاعدت الآهات من جيش أرمنشاه ، بينما تعالت أصوات الفرح والسرور من جيش الفغفور ·

## دبـــور يثـــور

قال دبور « وا أسفاه ، ان لهما أما عجوزا حينما تسمع خبر مقتل هذين الابنين فماذا سيحدث لها ؟ وهل ستستطيع تحمل فراقهما ؟ ثم أمر باحضار جثتيهما من ساحة القتال ولفهما فى الجلود لارسالهما الى أمهما · فاتجه اثنان من المشاة الى ساحة القتال لإحضار الجثتين لارسالهما الى ولاية جبل الذهب ، ولم يكد الاثنان يقتربان من مكانهما حتى وضع شاهان سهما فى قوسه وأطلقه صوب صدر أحدهما فخزقه السهم (١) وخرج من ظهره وانغرس فى الأرض وسقط الرجل ميتا ، وما كاد الآخر يرى هذا حتى عاد هاربا ولكن شاهان أطلق عليه سهما بين كتفيه فأرداه قتيلا ·

ثار دبور وانفعل ، وانطلق بحصـــانه الى الميدان ، وكان يركب حصانه رخش ، وهو حصان وكيع جسيم (٢) قوى البنيان ، مدرب على القتال فى الميدان ، واسع الخطو سريع العدو ، وكأنه ماء ونار وهواء ، ولم يكن لأحد حصان مثله فى ذلك الوقت ، فهو فى قوة التحمل كالفيل ، وفى الجرأة كالأسد ، وفى القفز كالبرق ، وكان هذا الحصان مجهزا تجهيزا ثمينا ، ومدرعا تدريعا قويا ، وقد ثبتت على رأسه مرآة ، وكان دبور يلبس دروعه ، ويتمنطق بحزام مزين بالجواهر ، وقد وضع على رأسه خوذة مسدسة مرصعة بالجواهر أيضا ، وعلق فى ساعده قوسا شاشيا ، ولبس ساقين وسـاعدين ، وجعل على ظهره درقا من جلد

---

(١) خزقه السم اى اخترقه ·

(٢) وكيع اى شديد صلب وجسيم اى ضخم الجسم ·

الجاموس ودرعا فولاذيا ، وعلق في ركابه دبوسا رأسه مثمنة ، وعلق في سيوط سرجه رمحا يزن ثمانين منا ·

على هذه الهيئة دخل دبور الميدان وكأنه جبل يركب جبلا وهو يصيح ويزأر حتى وقف في مواجهة شاهان وصاح فيه قائلا « أيها الحقير سيء الأصل ، ألم يكفك أنك خنت العهد وأضعت سمعة السنين الطوال ، ورفعت السيف في وجه ملوكك ، وجعلت كومة من قتلى رجاله ولم تدعهم يخرجونهم من ساحة القتال ، فان لم أقتلك قتله يتحدث عنها الناس فلست بدبور قاهر الشياطين » ·

تعجب شاهان من قد دبور وطوله ومنظره وهيبته وعظمته ، ومع أنه كان في رعب منه الا أنه رد عليه بقوله « الرجال لا يقولون مثل هذا الكلام ولكنهم يعملون ، فهات ما عندك من شجاعة ورجوله » · قال هذا واشتبكا بحربتيهما في طعان ، ومع أن شاهان كان بطلا في الميدان ، ورغم تقارشبهما بالرماح فان أحدا منهما لم يظفر بالآخر أو يتغلب عليه مما أثار ثائره دبور فالقى الرمح من يده وتقدم وأمسك بحزام شاهان واستجمع قوته ، وما أن تنبه شاهان حتى كان دبور قد رفعه عن حصانه وأمسكه بيده واستدار عائدا الى جيشه ووضعه أمام ارمنشاه وأمر بتقييده وارساله الى أم ذهبي اللجام والحزام لتفعل به ما تشاء انتقاما لدم ولديها ·

عاد دبور إلى الميدان وطلب رجلا للنزال فدخل رجل اسمه طالار ، وكان من أهل الصين ، ولم يثبت لحظة أمام دبور · ودخل آخر من جيش خورشيد شاه فقتله دبور أيضا وكانوا يدخلون الميدان ودبور يصرعهم ويقتلهم لأنهم لم يكونوا أندادا له الى أن صرع سبعة عشر · وبعد فترة صاح « يا خورشيد شاه ، لماذا تخلفت ؟ تعال الى الميدان لترى طعان أسنة الرجال وتنظر الى سيوف الأبطال التي تقطف الأرواح · ان وقوفك وارسال جماعة من العجزة الضعاف الى القتل ليس من الرجولة والفتوة · يجب أن تقوم بما عليك ·

## خورشيد شاه ودبور يتصارعان

حينما سمع خورشيد شاه ما قاله دبور قاهر الشياطين ولم ير أحدا من أبطاله يدخل الميدان ، نزل عن ظهر الفيل الذي كان يركبه وأمر باحضار جعبة سلاحه · فتقدم اليه هامان الوزير وقال « أيها الأمير ، لن أتركك تذهب الى ساحة القتال لأنه ليس آدميا فلم تقع عيني على

مثله أبدا » . فأجابه خورشيد شاه « يا والدى لا تفكر في أى شيء فقد جربته فى القتال وخبرته ، وماذا يهمنى من أنه كبير الجسم . لقد كان عبد أرمنشاه الذى أحضرته المربية الساحرة أضخم منه وقد صرعته على الأرض حتى أن روحه خرجت من جسده . كما أن الجمل أيضا كبير ولكنه يكون أسيرا لصبى . ان الحرب والقتال لا يرتبطان بالضخامة بل هو أمر الهى . فلعل الله يرعانى ويحفظنى فأمدنى بدعائك » . فقال هامان الوزير « السمع والطاعة » .

وضع خورشيد شاه جعبة أسلحته أمامه ، ثم لبس أولا عشر طبقات من الحرير الصينى لكى تكون ناعمة على جسمه وربطها جيدا ، ثم تمنطق بحزام مزين بالجواهر فوق دروعه ووضـــع على رأسه خوذة مرصعة بالجواهر ، ورتب الساقين والســـاعدين ، وعلق فى ســـاعد قوســـا خوارزميا (١) مذهبا وجعل على ظهره درقا ، وعلق فى حزامه جعبة من السهام وفى حمائله تعويذة ملكية .

بعد أن تدجج (٢) خورشيد شاه بأسلحته جاء سائسه وأحضر حصانا قد أدرعه (٣) . سرجه وركابه من الذهب ، ووضع تحت الركاب سيفا من الذهب أيضا ، وعلق على قربوص السرج دبوسا ثقيلا ، وربط فى سيوطه وهقا من جلد الحمار الوحشى ، وكان الحصان كميتا عربيا كأنه قطعة من جبل ، يخيل لمن يراه أنه ريح وماء ونار ، سريع العدو كالريح حين يعدو فى الصحراء ، أو ينساب من المرتفعات كما ينساب الماء ، وهو مطيع مع أنه كالشيطان .......... (٤) ، فوضع خورشيد شاه قدمه اليسرى فى الركاب وامتطى صهوة جواده وأمسك فى يده رمحا خطيا واتجه الى ساحة القتال ، وجال فى الميدان وصال وهو يستعرض مهارته ثم اتجه الى دبور ووقف أمامه .

نظر اليه دبور قاهر الشياطين فرأى قده وقامته وزينته الملكية ، كما أن الرجولة والبطولة كانت بادية عليه فقال له « أيها الفتى » من أنت ؟ ولمن تنتسب لأنك شاطر وماهر ولم أر أبدا فارسا مثلك ؟ ألست خورشيد شـــاه ؟

---

(١) دولة خوارزم التى كانت تقع عند مصب نهرى سيحون وجيحون جنوب بحر الاورال زالت هى وكل مدنها تقريبا وحلت محلها الآن جمهورية القرة قبلق ذات الحكم الذاتى داخل جمهورية أوزبكستان وعاصمتها مدينة نوقوس .

(٢) تدجج أى دخل فى سلاحه فهو مدجج .

(٣) أدرعه أى ألبســه الدروع .

(٤) وصف طويل فى الحصان حذف منعا للاطالة .

أجابه خورشيد شاه « أيها الجاهل ، ان خورشيد شاه لديه عشرة آلاف عبد مثلي وهو لا يمكن أن يأتي لقتالك لأنك مجهول حقير ، وهو بطل وأمير ، وهو لا يقاتل الا أرمنشاه لأنه صاحب تاج مثله ، وربما قبل أن يقاتل ابنه فهو أمير ، والآن أن كنت قد جئت للقتال فما شأنك باسمي ونسبي ؟ ان أسماء الرجال على أسنة سيوفهم » ٠

حين قال خورشيد شاه هذا ثار دبور لأنه دعاه حقيرا مجهولا ، فانتزع حربته وتقدم نحو خورشيد شاه الذى تلقى حربته وظلا يقارشان بالرماح ، ولم يتمكنا الا من فتح حلقه فى درعيهما بسنان رمحيهما ، فألقى كل منهما حربته واستلا سيفيهما الهنديا الصنعة من غمديهما وسحبا الدرق على كفيهما ، وأخذ البطلان والعياران الجريئان والمقاتلان الشجاعان خورشيد شاه ودبور قاهر الشياطين يتضاربان بسيفيهما ، وأخذ كل منهما يضرب خصمه على رأسه ومفرقة حتى صار السيفان فى يديهما كأسنان المنشار وتقطعت أطراف درقهما ولم يتمكن أحدهما من الآخر فشدا عناني فرسيهما والتقطا أنفاسهما بعض الوقت حتى هدأتا ثم تناول كل منهما دبوسه ذى القرنين وأخذا يتقارعان بهما حتى أن صوت تبادل ضرباتهما على رأس كل منهما كانت تسمع فى كلا الجيشين وكأنهما حدادان يتناوبان الضرب بمطرقتيهما على السندان ٠ وفجأة هجم خورشيد شاه على دبور وهوى بدبوسه الذى سقط على دبوس دبور وكان يضعه كدرع فوق رأسه فأصاب خوذة دبور التى انكسرت وشجت رأس دبور فسال الدم على وجهه ، وثار دبور ومن شدة غضبه وثورته هجم على خورشيد شاه ورفع دبوسه ليضرب خورشيد شاه الذى ارتد للخلف فأصاب الدبوس رأس الحصان مما جعل خورشيد شاه يسقط من على حصانه ، وهجم دبور عليه مرة أخرى وجعل حصانه يقفز فوقه لكى يضربه أو يجرحه ، ولكن خورشيد شاه أسرع الى حصانه وركبه ثانية واتجه الى دبور لكى يتماسكا ويتقاتلا ٠

عندئذ قال شهران الوزير « أيها الملك ، لقد جرح دبور والدم يسيل على وجهه فلا يجب أن يصيبه مكروه ، فمر بدق طبول التحاجز ، وفى الحال أمر أرمنشاه بدق طبول الراحة ، فعاد خورشيد شاه ودبور من ساحة القتال واتجه كل منهما الى مجلسه » ٠

حين عاد دبور الى مجلسه أمر الملك أرمنشاه فى الحال بارســـال خمسين حصانا بآلة ذهبية ، وعشرين طاقة ملابس ، وعشرين صرة من الذهب وبعض عقود الجواهر والخلع الثمينة الى دبور ٠ وكان دبور حين نزل عن حصانه وخلع سلاحه ووضع الدواء على جروحه وربط رأسه أخذ فى تناول الشراب لأن السكر يخفف من الألم ٠ وكان شاهان ملقى أمام

عرشه فكان كلما شرب كأسا ألقى جرعة منه عليه • فقال له شـــاهان « أيها البطل دبور ، لست هكذا بحيث تلقى على بجرعة من الشراب ، ان الرجال لا يفعلون هذا ، لأن هذا من عمل النساء ، فاقطع رقبتى لأنه أفضل من الاحتقار والإذلال » • فغضب دبور وأمر به فحملوه وألقوه على باب مجلسه •

## دهاء الثعلب لم ينفع

شاءت ارادة الله أن خورشيد شاه حين عاد أثنى عليه هامان الوزير والفغفور والآخرون خاصتهم وعامتهم • ثم التفت خورشيد شاه نحو هامان الوزير وقال « وا أسفاه لو أن حصان دبور كان معى لكان لى شأن مع دبور تتحدث عنه التاريخ ما بقيت الدنيا » وكان الثعلب الفيلم واقفا أمام خورشيد شاه فلما سمع هذا الكلام قال « أيها الملك العظيم ، هل أذهب وآتيك به ؟ فأثنى عليه خورشيد شاه وقال « يا والدى ، ان عملى كله سينتقيم بك » • ودخل جميع الأبطال المجلس وخلعوا ســـلاح الحرب وأقاموا مجلس طرب ، والتفت خورشيد شاه الى الثعلب الفيلم وقال « أيها البطل ، نفذ ما قلت » • فأجابه الثعلب « نعم ، سأذهب الآن فقد اقترب الليل » • ثم نهض ليذهب ويحضر الحصان رخش حين قالت له ضياء « سآتى معك حتى أرى كيف ستأتى به » • فقال الثعلب « لا بأس » •

سار الاثنان وعبرا من الطليعتين ثم اندسا فى وسط معسكر دبور ورأوا سرادقه وقد جعله من الذهب المسبوك ، وحباله من الذهب المفتول ، ونصب خيمته من الأطلس فى وسط السرادق بينما كان دبور وخاصته يتناولون الشراب • ورأوا ذلك الحصان مربوطا أمام المجلس ، كما شاهدا شاهان ملقى فى أحد الأركان ولم يكن يتولى حراسته أحد لأنهم لم يتخيلوا أن يجىء أحد ليفك قيوده أو ينقذه •

قالت ضياء « أيها الأستاذ ، اجتهد فى أن تتمكّن من أخذ الحصان بينما أقوم بفك قيد شاهان لأن له حقوقا عندنا » • فقال لها الثعلب « لا بأس » • فعادت ضياء وذهبت الى شاهان وغيرت صوتها وقالت بلهجة غريبة « أيها الرجل الحر ، هل تريد أن أخلصك من هذا الأسر ؟ فأجابها شاهان « ولماذا لا أريد وتكون قد قمت بعمل من أعمال الفتوة والشجاعة » • فقالت له ضياء « شرطى أنه عندما أطلق سراحك هو أن تكف عن موضوع ضياء ولا تطالب أن تكون زوجة لك » • فأدرك شاهان أنها ضياء ومع هذا قال لها « أيها الرجل الحر ، لا كان ذلك اليوم الذى أكف يدى عنها ،

ثم من أخبرك بهذا الأمر ؟ أجابته ضياء « ذلك الرجل الذى تعهد لك بأن يزوجنى اياك لو اننى قبلت ، أخى بطل الدنيا سمك العيار والآن تقول لا كان ذلك اليوم الذى أكف فيه عن موضوعك • وأنا أقول لك لا كان ذلك الرجل الذى ينظر الى بعين الخطأ ، أو فلأمت اذا كان على أن يمسنى بشر ذات يوم ، ومع أن الله خلق المرأة من أجل الرجل ــ ولا عيب فى هذا ــ الا أن قلبى خال من الرجال لأن رجال الدنيا اخوة لى » • فبعد ارادة الله فان أى رجل يريدنى فاننى سأقتله ان استطعت والا قتلت نفسى • وأسأل الله أن يحفظنى بقلبى هذا وأن ينزهنى عن الدنس والا يوقعنى فى يدى أى رجل لعلنى أبعث يوم القيامة عذراء طاهرة » •

أجابها شاهان « أيتها الفتاة ، أعلم ما هو هدفك ، وقد رضيت بقضاء الله حتى يلين الله قلبك ويهبه لى ، فاذا لم يشأ فلا حيلة لى • فكى قيدى » •

فكت ضياء قيده فوقف وقال لها « أيتها الملكة ماذا لديك من أخبار سمك ؟ هل عاذ أم لا ؟ فأجابته ضياء « لم يعد للآن ولو كان قد رجع لجاء الى هنا من أجلك » • فقال شاهان « أرجو ألا يكون قد أسر أو قتل فى مكان ما • يا ضياء ، ارجعى أنت رافقتك السعادة وسأذهب أنا للبحث عنه » فقالت ضياء « البحث عن سمك أوجب على منك لأن حقه على أكثر من حقه عليك ، وسأذهب معك أيضا » وسار الاثنان • وسنعود للحديث عنهما •

فى هذا الجانب كان الثعلب الفيلم يدور حول مجلس دبور ويراقب ما يدور ويفكر فيما يمكن أن تصير اليه الأمور ، الى أن دخل السائس فجأة الى دبور وقال « أيها البطل ، هل نسقى الحصان فالآن موعد شربه ؟ فقال دبور « اذهبوا واسقوه » فجاء رجلان وأخذا عنان الحصان وخرجا من المجلس وأخذاه الى النهر ، وكان الثعلب يتابع هذا وسار فى أثرهما وكان الحصان لا يطيعهما فقال أحدهما للآخر اركب انت فاننى لا أجرؤ على ركوبه » • فتقدم الثعلب وقال لهما « ليركب أحدكما » • فردا عليه متهكمين ساخرين « اركب أنت » • ظانين أن الحصان لن يدعه يركب عليه •

قفز الثعلب على ظهر الحصان ولوى عنانه لكى يذهب به الى معسكر خورشيد شاه ولكن رخش كان عطشانا فجمح ولم يسر كما أراده الثعلب واتجه الى الماء وحمل الثعلب وألقى به فى وسط النهر • وكان السائسان يجريان خلفه الى أن وصلا الى الماء وكان الحصان قد وصل الى منتصف

النهر وكانا يخشيان أن يغرق الحصان وراكبه ولكن الثعلب تمكن من السباحة بسرعة والخروج من النهر فأمسكه الرجلان وقيداه وقالا « انت لص اردت سرقه الحصان وسنأخذك الى البطل » ٠

بينما كانوا فى حديثهم خرج الحصان من الماء فأمسكاه وسحباه الى المجلس وربطاه وأرادا أن يأخذا الثعلب الى دبور قاهر الشـــياطين ولكن خدمه أخبرا السائسين أن البطل قد نام ٠ فتركا الثعلب مقيدا حتى يستيقظ ٠

## ضياء وشاهان فى غيابة الجب

نعود للحديث عن ضياء وشاهان وذهابهما للبحث عن سمك العيار وقصتهما وما صار اليه أمرهما ٠ فحينما ذهب شاهان وضياء من عند مجلس دبور وسارا حتى وصلا الى وادى الغورى للبحث عن سمك وكانا غافلين عن الحفر التى حفرها الغورى فى الطرق كلها للايقاع بسمك وجعل عليها مراقبين ٠ وكان شاهان يسير فى المقدمة تتبعه ضياء الى أن وصلا الى مكان الحفر حيث سقط شاهان وسقطت فوقه ضياء ٠ وحين وجدا نفسيهما فى قاع الحفرة تحسرا وتحيرا وقالا « وا أسفاه ، لأننا سنتخلف عن تحقيق هدفنا ، لقد جئنا للبحث عن سمك فسقطنا فى هذا الفخ والآن يجب أن يأتى سمك للبحث عنا ٠ ليتنا كنا نعرف أخبـار سمك وما حدث له لأننا جئنا بلا فائدة » ٠

بينما كانا يتحدثان فى هذا وصل المراقبون الى البئر التى سقطا فيها وشاهدوهما وصاحوا « لقد وقع العدو فى المصيدة ٠ فتجمع الناس وأخرجوهما من الحفرة وقيدوهما وربطوهما بحبل فى عنقيهما وسحبوهما الى الغورى الذى نظر اليهما فرأى شاهان مع ضياء فانتفض من الغضب وقال « أيها الحقيران ، ما هذا العمل الذى تقومان به ؟ قولا من أين أتيتما ولأى هدف جئتما الى هذا الوادى ؟ من سوء فعلكما وانحطاطكما لا ينتظر منكما غير هذا » ٠ ثم التفت الى شاهان وقال « أيها الحقير ، أبعد أن تركتك بناء على شفاعة ابن الحرام سمك ، تذهب للأعداء ثم تهاجم أسرتى ، هل هذا جزائى ؟ لو لم يكن اطلاقى سراحك لهذا السبب لأمرت بتقطيعك اربا اربا مع هذه الرعناء التى جعلت نفسها على هيئة الرجال ولكننى سأتولى أمركما كما يجب » ٠

كان الغورى يتحدث بكل كلام وهما واقفان وقد أطرقا رأسيهما ولم يردا بشىء الى أن ثار الغورى وقال قيدوهما لكى أرسلهما الى أرمنشاه

بدلا من سمك العيار ، ولعل سمك يقع فى الفخ أيضا » . فلما قال هذا قيدوهما .

## سمك فى سجن الغورى

كان من تقدير الله أن سمك لما جعل نفسه خادما للزنجى آكل لحوم البشر وظل معه حتى جعل الزنجى طوع أمره يفعل كل ما يقوله سمك ، وكان الزنجى يحترم سمك ويجلعه ويقبل كلامه وذات يوم قال سمك للزنجى « أيها البطل ، أريد أن أنظر فى ذلك المكان وكيف هو ولماذا تغلقون بابه ؟ فرد عليه الزنجى « يا أخنوخ ، ما شأنك وهذا المكان ؟ ليس لك بما تسمعه أو تراه دخل . ابق هنا حتى أذهب الى الغورى وأقول له انهم يحتاجون الى طعام لكى يحضر ويفتح الباب ويدخل فتدخل أنت خلفه وترى ما تريد » .

أثنى عليه سمك ، بينما قام الزنجى وسار فى طريقه الى أن جاء الى الغورى وكان قد أخذ المفتاح ليذهب الى السجن ولكن الرجال جاءوه بشاهان وضياء أعطى الغورى المفتاح للزنجى وقال له « اسبقنى وافتح البـاب وسألحق بك » فأخذ الزنجى المفتـاح وعاد الى سمك وقال له « يا أخنوخ ، تحقق أملك اذ أحضرت المفتاح وسأفتح الباب فادخل والق نظرة الى أن يأتى الغورى فأناديك لتخرج بسرعة ، واحترس وحاذر على نفسك فمع أننى لم أر هذا المكان الا أننى أعلم أنه تحت طبقات الأرض لأن أصوات من هم فى ذلك المكان تأتى من تحت الأرض » . فقال سمك لنفسه « ان كل ما فى هذا المكان فهو قريب من الباب » . ثم وضع قدمه ونزل ثلاث درجات وعندما وضع قدمه على الدرجة الرابعة دارت كأنها عجلة وسقط سمك الى أسفل ، وكان الزنجى يقف عند الباب ينتظر قدوم الغورى ولكنه تأخر لأنه كان مشغولا مع شاهان وضياء ، فلاجاء الغورى ولا خرج سمك من السجن ، فناداه الزنجى قائلا « يا أخنوخ ، أين ذهبت ؟ أخرج » . فلم يجبه أحد . فاستولى عليه الضيق والحزن وقال لنفسه « وا أسفاه ، لقد كان أخنوخ رجلا طيبا ولا أعرف ما حدث له ، ربما كان فى ذلك المكان بئر سقط فيها » وحزن على أخنوخ . وفجأة وصل الغورى وكان معه شاهان وضياء وقال للزنجى « احترز على هذين وخذهما الى تلك المطمورة تحت الأرض الى أن أرسلهما بدلا من سمك الى الملك آرمنشاه » .

فتح الزنجي الباب وترك الأسيرين مقيدين ثم عاد وذهب الغورى الى السجن وظل نحو ساعة قدم خلالها الطعام لمن كان به ثم خرج وأغلق الباب وقال للزنجي « كن يقظا لأنني ذاهب وأرع الأسيرين » .

عندما ذهب الغورى عاد الزنجي الى شقه فى الجبل وكان شاهان وضياء مقيدين ولم يهتم بهما الزنجي لحزنه على سمك ، وكان كل مدة يخبط كفا على كف ويتاسف على سمك لأنه كان قد أثر فى الزنجي تأثيرا كبيرا حتى أنه لم يطق البعد عنه ، ومن كثرة تحسر الزنجي قال له شاهان « أيها البطل ، من هو أخنوخ هذا حتى تحزن عليه كل هذا الحزن ؟ فأجابه الزنجي « أيها الرجل الحر ، وما شأنك بهذا ؟ أحزن على نفسك لأن أخنوخ كان عزيزا على وهو فتى وبطل وعيار حلو الحديث لطيف المعشر وهو يعمل لدى يؤنس وحدتى وطلب منى أن يلقى نظرة على ذلك المكان ففتحت له الباب فلما دخل لم يعد أو يظهر له أثر وأنا الآن حزين عليه » .

قالت ضياء لشاهان « بالخالق العادل ان ذلك الشخص الذى يتحدث عنه ليس الا سمك » . قالت هذا وأخذت فى البكاء وشاركها شاهان أيضا الذى أخذ يبكى فقال لهما الزنجي « ماذا أصابكما ؟ » فأجاباه « أيها البطل ، انه اخونا ، وقد جئنا للبحث عنه ولكنهم أمسكونا وكان من حب الزنجي لسمك أنه صدق ما قالاه وظن أنهما من تلك المزرعة خلف الجبل التى كان أهلها قد أحضروا أحمال العلف والزاد الى الوادى وكان سمك يرافقهم فقال لهما « اذا كنتما تقولان الصدق فاننى أفك قيودكما لأننى أتألم من أجله » . فأقسما على أنه أخوهما .

فك الزنجي قيودهما ثم سألهما « والآن ماذا نفعل ؟ لو أن الغورى طلبكما فماذا أقول له ؟ أجابه شاهان « أيها البطل ، سوف أدبر لك حيلة ولن يعرف أحد » . فقال له الزنجي « دبر حيلتك الآن » . فسار شاهان فى الطريق لأنه كان يعرف المكان جيدا وذهب الى بعض الرعاة وتمكن بالحيلة من الامساك باثنين منهم وخنقهما ثم سحبهما الى أن جاء الى الزنجي وألقاهما أمامه وقيدهما وقالا له « أيها البطل ، اذا طلبنا الغورى منك فقل له أنهما ماتا فان لم يصدق فاحمل هاتين الجثتين اليه وألقهما على الأرض بحيث تتهتكان » . فقال له الزنجي « اطمئن من هذه الناحية فاننى سوف ألقى بهما على الأرض بحيث لا يبقى فى جثتيهما عضو سليم حتى لا يتعرف عليهما أحد » .

قالوا هذا وبقوا مدة حتى قال شاهان « أريد أن أفتح هذا الباب لعلى أجد أثرا لأخى وهل مات أم ما زال حيا لأن أخنوخ كان لى نعم الأخ » .

فقال له الزنجي « ان المفتاح مع الغوری » • فقالت ضياء « أيها البطل ، ان شئت ذهبت وأحضرت المفتاح » • فسالها الزنجي « وكيف تعثرين عليه ؟ » • فأجابته ضياء « أعرف المكان الذی يضع فيه الغوری المفتاح » • فقال لها الزنجي « يجب ألا يراك أحد حتى لا يتسبب هذا فی أذانا » • فقالت ضياء « لا تقلق فسوف أوفق » •

قالت ضياء هذا وسارت وكان الليل قد أقبل حتى وصلت الى المكان الذي كان به الغوری وأخذت تراقبه الى أن خلا ولم يبق به أحد عند عرش الغوری فأخذت المفتاح من مكانه وعادت الى الزنجي ووضعت المفتاح أمامه ، فأثنى عليها وقام الى الباب وفتح القفل ووقفت ضياء بينما دخل شاهان الى ذلك السجن وسار الى أن وصل الى المكان الذی سقط منه سمك ظهر له الدرج فوضع قدمه لينزل ولم يكن يدرى أنه خدعة وشرك كما لم يلاحظه سمك الذی كان فی غاية الحيطة والحذر ، وما كاد يضع قدمه على الدرجة الرابعة حتى دارت وسقط هو أيضا •

كانت ضياء واقفة مع الزنجي في الخارج وبعد نحو ساعة لم يظهر شاهان فناداه ، فلم يجبهما أو يرد عليهما فتضايقا وقال الزنجي « قلت لكما لا شأن لكما بهذا المكان ، فقد راح واحد ولحقه الآخر ومن يعرف ما أصابهما ، ولا يمكن أن نسأل الغوری ، ولا مفر من اغلاق هذا الباب لأنه لا يمكننا عمل شيء • لقد حل عليهما القضاء » • فأغلقا الباب ثم قال الزنجي لضياء « خذی المفتاح وأعيديه الى مكانه حتى لا يتنبه الغوری » • فأخذته ضياء وأعادته الى مكانه ورجعت الى الزنجي وقالت « أيها البطل ابق أنت ريثما أذهب وأخبر أبي لعله يجد وسيلة لانقاذهما وسوف أعود لك » •

قالت ضياء هذا وسارت عائدة الى معسكر خورشيد شاه • وفی اليوم التالی أرسل الغوری رجلا الى الزنجي يقول له أن يحضر الأسيرين لكی يرسلهما الى أرمنشاه • فلما وصل الرجل وطلب الأسيرين قال له الزنجي « ارجع وقل له انهما ماتا » • فعاد الرجل وأخبر الغوری فقال له الغوری « احضرهما لأنظر كيف ماتا فربما قتلهما الزنجي لنفسه لأنه منذ مدة لم يأكل لحم بشر فتعلل بموتهما ، فان كان قتلهما فسأعاقبه » فعاد الرجل وقال له « احضر الأسيرين ليراهما الغوری » • وكان الزنجي حزينا على أخنوخ الذی اعتاد عليه وألفه وعلى شاهان الذی لحق به فغضب وحمل الاثنين على يديه الى أن جاء الى الغوری وألقاهما على الأرض بحيث تقطعت أوصالهما وقال « يا غوری ، لقد ظننت أنني أكلتهما » • ثم أخذ فی أكلهما • فتعجب الغوری من هذا وقال « لا أدری ما أمر هؤلاء الناس ،

أمسكهم وأقيدهم فاما يهربون أو يموتون ، أليسوا هم أنفسهم ؟ انه أمر عجيب » واستغرق الغورى فى التفكير فى هذا الأمر ، بينما حمل الزنجى احدى الجثتين ورجع ولم يعرف أحد هذا السر ٠

شاءت ارادة الله أنه حينما سقط شاهان فى ذلك السجن الذى كان سمك قد سقط فيه من قبل ، كان فى قاع تلك البئر حوض ماء سقط فيه سمك ولكنه خرج منه ولاحظ أن الماء يجرى بسرعة فسار معه نحو رمية سهم فرأى الماء يغور فى فتحة ضيقة فجلس وأخذ يوسعها بخنجره فسمع صوت مياه عظيمة فقال لنفسه « لا أستطيع الخروج من هذه الفتحة لأنها ضيقة ، كما أننى لا أعرف الى أين سأذهب ، وربما يسقط هذا الماء فى بئر تبدو أنها بعيدة جدا فان نزلت فربما لا أستطيع الصعود ، وعاد ورجع الى قاع البئر التى سقط فيها ٠

تصادف أن سمك رجع الى هذا المكان عندما سقط فيه شاهان الذى أخذ يتجول فى الحوض الى أن رأى طريقا سار فيه وقال لنفسه « لا شك أن سمك سار فى نفس هذا الطريق » فلما سار فى اتجاه الماء سمع سمك وقع أقدامه فقال لنفسه « ان أحدا قادم الى هنا » وصاح قائلا « من أنت ؟ فعرف شاهان صوت سمك وفرح وقال « أيها البطل أنا شاهان » ٠ فقال له سمك « يا أخى ، أليس معك شىء لآكله فقد أوشكت على الموت جوعا » ٠ فقال له شاهاهن « معى » ٠ ثم مد يده الى كيس كان معهو فتحه وأخرج له بعض الخبز واللحم فأكل ثم احتفظا بالباقى قائلين « سوف نحتاج له فنحن لا نعرف ما سوف يحدث لنا » ٠

ظلا مدة الى أن قال سمك « يا شاهان ، هذا الحائط من الطين يجب علينا أن ننقبه لعلنا نجد مكانا نجلس فيه » ٠ فقال له شاهان « فلنقم بهذا العمل » ٠ وأخذا ينقبان ذلك الجدار وهما يتحدثان عما وقع لكل منهما وقال سمك « يا شاهان ، طالما أن أختى ضياء هنا فلا خوف علينا لأنها ستصل الينا فهى فتاة ذات رأى وتدبير وعلم » وهكذا كانا يتحدثان وهما ينقبان الجدار حتى عملا فيه فجوة عبرا منها فلم يجدا شيئا ، فجلسا مستسلمين للقضاء والقدر والى أن ينقذهما الله ٠ وهكذا كان سمك وشاهان فى غيابة هذا الجب بينما تركت ضياء الزنجى وذهبت لتخبر خورشيد شاه ٠

نعود للحديث عن الثعلب الفيلم وما صار اليه أمره في يدى دبور قاهر الشياطين فى معسكر أرمنشـــاه ، فيقول المؤلف انه حينما ذهبت ضياء وشاهان الى وادي الغورى للبحث عن سمك العيار وتركا الثعلب الذى وقع آسيرا ، وحينما اقتادوه الى دبور وأمر بوضـــعه فى القيود واحكموها فان دبور قاهر الشياطين عندما استيقظ فى اليوم التالى وجاء الى عرشه قال « احضروا شاهان لأنظر فيما يجب أن نفعله معه » ، فان خدمه قبلوا الأرض وقالوا « أيهــا البطل ، لقد هرب شاهان ولكننــا أمسكنا واحدا غيره » . فقال دبور « أحضروه لأرى من يكون » . فاتوا بالثعلب الفيلم أمام دبور فسألهم « أين أمسكتموه ؟ لعله هو الذى فك قيود شاهان » . فقالوا له « لا علم لنا عن كيفية اطلاق سراح شاهان ، ولكن هذا الرجل أراد سرقة حصان البطل » . وذكروا لدبور ما حدث منه (١) .

قال له دبور « يا ابن الحرام ، بماذا أسأت اليـــك حتى تسرق حصانى ؟ قل الحقيقة من أنت ؟ » فبكى الثعلب وقال أيها البطل « اعطنى الأمان حتى أتكلم ، فأنا لا علم لى بما يتحدث عنه هؤلاء الناس ، ومالى أنا وسرقة الخيل خاصة حصان البطل ، فما أنا الا رجل راع من رعاة خورشيد شاه ، وكان رجلان أو ثلاثة قد ســـطوا على القطيع ليسرقوا حصانا ، فلما تنبهت لهم وضيقت عليهم هربوا أمامى فجئت فى أثرهم الى أن وصلت الى شاطىء النهر وقفزوا فى الماء فنزلت خلفهم لعلى أمسك أحدهم ، ولكننى لم ألحق بهم فخرجت من الماء وحينما أردت العودة كان خدمك يقفون على شاطىء النهر فأمسكونى وقالوا انك تريد سرقة حصان البطل وربما كان أحد غيرى قد سرقه وأمسكونى أنا ، أستجير بك أيها البطل فاننى برىء » .

كان الثعلب الفيلم يتكلم وهو يبكى وينوح حتى أن دبور أشفق عليه وقال « اتركوه يذهب فلا يمكنه القيام بشىء » . فأطلقوا سراح الثعلب الذى عاد فى طريقه الى أن وصل الى مجلس خورشيد شاه وذكر

---

(١) تروى كتب التاريخ قصصا عن مثل هذه السرقات من ذلك أن السلطان مسعود الغزنوى اثناء حربه للسلاجقة فى بداية أمرهم فى بلاد ما وراء النهر كان يستخدم فيلا كان مربوطا على باب خيمة السلطان فتسلل أحد رجال جفرى بك السلجوقى الى معسكر مسعود تحت جنح الظلام وسرق الفيل الى معســكر السلاجقة فلما علم مسعود عده فالا سيئا وعلامة على زوال ملكه ـ ( الكامل ج ٨ ) .

له ما حدث ففرح خورشيد شاه والآخرون بعودته وقال له خورشيد شاه « أبتاه ، أين ذهب شناهان وضياء وماذا حدث لهما ؟ » .

شاءت ارادة الله أنه في الصباح وبعد يومين دخلت ضياء من باب المجلس وأدت التحية أمام عرش الملك ، فأكرمها خورشيد شاه وأعزها وقام الأبطال تحية لها واكراما للملك الذى أجلسها أمامه وسألها عن أحوالها وقال « يا أختاه من أين جئت وما هى أحوال أخى سمك ؟ أين أخذت شاهان ؟ وكان الأبطال والعيارون حاضرين فأنصتوا لما ستقوله ضياء التى قالت « أيها الملك العظيم ، هل أحضر الثعلب حصان دبور أم لا ؟ فأجابها خورشيد شاه « يا أختي أتهتمين بالحصان إلى هذا الحد ؟ لم يحضره الثعلب بعد . فقولى لنا أخبار سمك » . فأخذت ضياء تتحدث عما حدث منذ ذهبت من أمام خورشيد شاه وأطلاق سراح شاهان ، وذهابها الى وادى الغورى وأسرهما وتسليم الغورى اياهما الى الزنجى آكل لحوم البشر ، وتخفى سمك تحت اسم أختوخ وبكائها وشاهان على أختوخ أخوهما ، وأطلاق الزنجى سراحهما ، ثم رجائهما للزنجى كى يفتح لهما الباب وأحضارها المفتاح وفتح الباب ودخول شاهان السجن واختفائه .

بعد أن استمع خورشيد شاه لهذا الحديث ، استولى عليه الضيق وقال « لا حيلة لنا حتى نعرف أحوال سمك وكيف سقط داخل ذلك السجن » . فقالت ضياء « أيها الملك ، ان شقيقى الغورى فى السجن ، فمر باحضارهما واستفسر منهما عن كيفية ذلك السجن فلعلهما يخبرانا عن سره لأننا لن نستطيع أن نفعل شيئا ، فاذا كان سمك وشاهان على قيد الحياة أمكننا اخراجهما لأنها خسارة فادحة أن يضيع رجل مثل سمك » . فأمر خورشيد شاه باحضار الشقيقين وفك قيودهما ثم وقف خورشيد شاه واحتضنهما وأكرمهما وخلع على كل منهما بخلعة فاخرة ، فلما ألبسوهما ، أجلسهما أمامه وقال لهما هامان الوزير « أيها الحران ، لقد خلع الملك عليكما وأكرمكما وهو يريد منكما كلاما صادقا ، فان قلتما الصدق فاننى سأعيدكما الى الغورى ، وهكذا تبقى الصداقة بيننا لأن شيقيقكما قدم لنا الكثير من أعمال الفتوة ، ومع أنه فى النهاية قدم ضررا ولكننا لن نتحدث عن هذا ، فان لم تقولا الصدق فسيكون فى هذا ضرركما ، وسوف يعيدكما خورشيد شاه الى حيث كنتما » .

أديا كلاهما التحية وقالا « نحن عبدان للملك ، وسوف نذكر كل ما نعرفه ولن نخفى شيئا » . فقال لهما خورشيد شاه « أخبرانى عن كيفية سجن الغورى . ذلك السجن الذى له باب حديدى وفى نهاية الوادى ويحرسه الزنجى آكل لحوم البشر وما هو البئر الخفى والبئر الظاهر ؟ » .

قال الاخوان « اننا لم نر ذلك السـجن ولا ندرى عنه شيئا لأن الغورى أقامه منذ خمس سنوات ، ولا يوجد أحد في الدنيا يعلم عنه شيئا أو لماذا أقامه لأنه منذ شرع في بنائه لم يكن أحد يجزؤ على الذهاب الى ذلك المكان سوى البنائين والغورى ، وقد جعل الزنجي حارسا هناك منذ البداية ولم يذكر شيئا عنه لأحد قط . ثم قتل البنائين الذين شيدوه له وترك الزنجي هناك . ولا نعلم أكثر من هذا » . فقال الثعلب « أيها الملك ، سيذكران ما يعرفانه بالضرب بالعصـا ، واذا لم يقولا فانهما لا يعرفان شيئا عن الوادى » .

أمر خورشيد شاه باحضار الجلادين ثم أخرجوا الشقيقين من المجلس وربطوهما في الفلقة وضربوهما كثيرا وكانا يصيحان ويقولان لا نعرف شيئا عن هذا » .

كان من تقدير الله أن كيكان الجاسوس كان واقفا ورأى ضربهما بالعصا وسمع عن سبب ضربهما وأنه لكى يذكرا ما يعرفانه عن سجن الغورى لأن سمك وشاهان اختفيا فيه . وقد فقد الجبالى وجهاد وعيهما بعض الوقت من قسوة الضرب ولم يقرا بشيء ، فذهب الثعلب الى خورشيد شاه وأدى التحية وقال أيها الملك انهما لا يقران بشيء فلعلهما لا يعرفان شيئا ، ولهذا سـأذهب لأحضر الغورى ليذكر لنا ما نريد معرفته عن السجن » . فاثنى عليه خورشيد شاه وقال له « أنت أدرى بهذا » . ثم عاد الثعلب وجعل حراسا على الجبالى وجهاد وانشغل باعداد ما يلزمه للذهاب الى وادي الغوري .

انطلق كيكان الجاسوس حتى جاء الى أرمنشـاه والقى قبعته على الأرض وقال « أيها الملك أرأيت ما يفعله الغورى إذ قال أننا أمسكنا سمك وأحرقناه وفي النهـاية سمعت أنه حي وقام بأعمال كثيرة وهم يقولون الآن أنه اختفى في سجن الغورى مع شاهان ، وهذا ما قالته ضياء لخورشيد شاه . وقد ضربوا الجبالى وجهاد كثيرا ليذكرا لهم كيفية ذلك السـجن ولكنهما لم يتكلما الى أن أقسم الثعلب وقال أنا ذاهب لاحضار الغورى لكى يذكر لنا سر سجنه تحت تأثير الضرب » . فتعجب أرمنشاه كثيرا وقال لقد مضى أسبوع منذ هرب شاهان منا ، فكيف وقع في سجن الغورى ؟ ثم قال لشهران الوزير « أكتب رسالة للغورى وأذكر له هذه الأخبار ليعرفها ويحترس من مكر ودهاء أبناء الحرام هؤلاء فانهم قوم سوء كما أن الثعلب هو أستاذ سمك العيار » .

في الحال كتب شهران الوزير رسالة الى الغورى ذكر فيها كل ما رواه كيكان الجاسوس وأن سمك وشاهان قد اختفيا في سجنه وأنهم

سألوا شقيقيه عن كيفية السجن وعدم بوحهما بشيء وتعهد الثعلب بالذهاب لاحضاره ليذكر لهم سر هذا السجن وأن عليه أن يتنبه ويبحث عن كيفية اختفاء سمك وشاهان في سجنه حتى يعمنا الفرح ، وأن يخبرنا بما صار اليه أمر سمك وليس كما سبق أن ظننا أننا أحرقناه ولم يكن هو » . فلما أتم الرسالة ختمها وسلمها الى كيكان وقال له أوصلها الى الغورى فخرج كيكان متوجها الى هناك .

في الجانب الآخر ، كان الثعلب الفيلم كان قد ذهب ليحضر الغورى ، وبعد ذهابه أدت ضياء التحية وقالت « أيها الملك العظيم ، ان الثعلب الفيلم لن يستطيع القيام بهذا العمل وحده لأنني أعرفه ، والآن فانني أستأذن في الذهاب لأشترك معه في تدبير هذا الأمر فلعل الله يوفقنا » . فقال خورشيد شاه « أنت أدرى بهذا » . فذهبت ضياء في أثر الثعلب .

كان كيكان الجاسوس متوجها الى وادى الغورى بينما كان الثعلب وضياء ذاهبان أحدهما في أثر الآخر الى الوادى أيضا .

كان من قضاء الله أنه حينما أرسل أرمنشاه جاسوسه كيكان قال دبور « أيهـــا الملك ، ماذا يشغلنا حتى نغلق باب الحرب ؟ هل جئنا للضيافة ؟ مر بدق طبول الحرب وخروج الجيش للميدان ، لماذا نضيع هذا الوقت ؟ » فقال أرمنشاه « أيها البطل ، لم نقاتل من أجل اصابة رأسك وحتى تشفى لأننا لا نريد الملك والأمر لك » . ثم أمر بدق طبول الحرب . فلما تصاعدت أصوات دقاتهـا خرج الجيش للميدان وأخذ النقباء يسوون الصفوف .

في الجانب الآخر فانه حينما سمع خورشيد شاه دقات طبول الحرب أمر الجيش بالتوجه الى الميدان ، وأخذ نقباؤه يسوون صفوفه في ميمنة وميسرة وقلب وجناح ، وأخذ الفرسان يعدون بخيلهم استعدادا للنزال .

كان أحد أتباع أرمنشاه اسمه سهمك وهو ظاهر الرجولة والبطولة ومن أقارب دبور قاهر الشياطين وكان يركب حصانا قويا سريعا وهو مدجج بسلاحه ، فخرج له رجل من جيش خورشيد شاه يركب حصانا أبرشا وقد لبس سلاحه وصاح في خصمه قائلا « هات ما عندك من شجاعة وفنون القتال » . وتقارشا برمحيهما وتبادلا الطعان الى أن تمكن سهمك من توجيه حربته الى صدر ذلك الرجل وطعنه طعنة نجلاء خرجت من ظهره فأذراه عن فرسه . ثم دخل فارس آخر من جيش خورشيد شاه ألحقه سهمك بصاحبه حتى قتل سبعة رجال .

دخل فارس ثامن من جيش خورشيد شاه فقتله سهمك عندئذ ركب هرمز حصانه وتقدم الى خورشيد شاه وأدى التحية ثم انطلق الى ساحة القتال على حصانه الى أن وقف أمام سهمك وصاح فيه قائلا « أيها الحقير ، ما كل هذه الشطارة ؟ هات ما عندك من مهارة ، لأنك لم تر رجالا يردون عليك حتى ترى وتعرف كيف تكون الرجولة والشجاعة » ٠

قالا هذا واشتبكا برمحيهما الى أن حاول هرمز طعن سهمك الذى انحنى بشدة ونجا من الطعنة . فعاد هرمز وجعل رمحه فوق أذنى فرسه وهجم على سهمك مصوبا الرمح الى صدره فنفذت الحربة من صـــدره وخرجت نحو ذراع من ظهره ، ثم رفع هرمز كعب حربته لكى يسقط سهمك من على ظهر جواده فسقط ميتا ، وارتفعت آهات الحزن من جيش أرمنشاه ٠ ثم دخل فارس آخر فقتله هرمز وهكذا حتى قتل ثمانية رجال ٠

ثارت ثائرة دبور قاهر الشياطين فدخل الميدان وهو يصيح ، فلما رأى هرمز أن دبور قاهر الشياطين هو الذى دخل الى ساحة القتال عاد الى جيشه وذهب أمام خورشيد شاه وأدى التحية ، فسأله خورشيد شاه « أيها البطل ، لماذا عدت ؟ » فأجابه هرمز « أيها الملك أنا لست ندا له ، فأول كل عمل هو أن تعرف حدود هذا العمل وتعرف الخصم حتى لا تضيع الروح هباء وهدرا » ٠

## واندثرت الجوهرة من الوجود

حين سمع خورشيد شاه هذا ، أدرك أنه لن يبرز أحد لقتال دبور فنزل عن الفيل الذى كان يركبه ولبس سلاحه لكى يدخل الى ساحة القتال حين تقدم اليه لالا صلاح وقال « أيها الملك العظيم ، أن ملكة الدنيا ماه برى تتألم لأنها ستفتح خزانة الجواهر ، أى أنها تعانى من آلام الوضـــع » فالتفت خورشيد شاه الى هامان الوزير وقال له « أنت فى منزلة أبى ، فاذهب الى باب سرادقى وانصت الى أن تفتح ماه برى خزانة السعادة وتخرج اللؤلؤة المكنونة وتضع قرة عينى فخذ طالعه ، وانظر فى طالع سعده ونحسه لأننى لو ذهبت اليها فلا يوجد من يدخل الميدان لنزال دبور ، وسيقول الآخرون ان خورشيد شاه خاف ، وأنا لا أخاف أحدا فى هذه الدنيا ولو كان دبور قاهر الشياطين » ٠

قال هامان الوزير « السمع والطاعة » ٠ ثم توجه الى باب سرادق خورشيد شاه وجلس وراء الأستار واسطرلابه فى يده وقال للالا صلاح

« خذ طشتا معك ، وحينما يولد الطفل دق عليه حتى أعلم وأقيس الارتفاع والبروج » .

ظل هامان الوزير نحو ساعة ثم تصاعدت أصوات النساء فسأل عن سبب هذه الضجة فقال له لالا « أيها الوزير ، انفتح باب خزانة الوجود واندثرت الجوهرة من الوجـود » . فسـأله الوزير « ماذا تقول ؟ » أجابه لالا صلاح « ماه برى ، لك طول البقاء ، فانه حين ولد الطفل أسلمت الروح » . فقال له هامان « أى طفل ؟ فأجابه لالا » لقد كان الطفل الذى ولد ميتا » . فحزن هامان الوزير وانهارت قواه وقال « احذروا واسكتوا فان الملك فى ساحة القتال ولا يمكن أن أخبره فينشغل قلبه ويحدث له ما يسوء اذ لا يوجد ألم أشد من هذا » . ثم رجع هامان الوزير الى قلب الجيش ووقف فى مكانه .

فى الناحية الأخرى فانه عندما أرسل خورشيد شاه وزيره هامان الى السرادق لبس هو سلاحه ودخل الميدان ووقف فى مواجهة دبور . فلما نظر اليه دبور عرف أنه نفس الفارس الذى كان قد رآه فقال له « أيها البطل ، لو كنت رجلا من صلب أبيك فاصدقنى من أنت ؟ فأجابه خورشيد شاه « وهل تخفى الشمس ؟ أنا خورشيد شاه » . فقال له دبور « ان الملوك لا يقومون بأعمال كهذه ، فلا يأمرون أحد رجالهم بسرقة حصان ، فان كنت ترغب فى هذا الحصان فها هو ، ولكن لا يوجد فى هذا الجيش أحد يستطيع ترويضه أو كبح جماحه ، فان كانت لك رغبة فى الحصان فهو لك بشرط أن تروضه وتدخل به الميدان ، وان لم تستطع فلا تدعى القتال أو تزعم أنك فارس مغوار » .

قال خورشيد شاه « هذا أمر سهل » ثم طلبا الوزيرين من الجانبين وشهدا على هذا الشرط وهو أنه اذا سيطر خورشيد شاه على حصان دبور قاهر الشياطين فان الحصان يكون من نصيب خورشيد شاه ولا يقوم دبور بمنازلة خورشيد شاه الا بالجيش والأبطال ، فان لم يستطع خورشيد شاه ترويضه فان على خورشيد شاه ألا ينازل دبور قاهر الشياطين » .

حين انتهى الوزيران من شهود هذا الشرط عادا الى مكانيهما وترجل دبور عن حصانه وأخذ السرج واللجام ، وكان له سائس عجوز تربى على يديه ذلك الحصان تقدم وأمسك مقود الحصـان وهو ما لا يمكن لأى شخص آخر أن يقوم به والا فان رخش يقطعه بأسنانه . ونزل خورشيد شاه عن حصانه وخلع سلاحه ، وكان خورشيد شاه ماهرا فى ترويض الخيل كما فعل مع حصان المربية الساحرة من قبل .

حين تقدم السائس بالحصان ، تقدم اليه خورشيد شاه وقال له أترك مقوده ، فلما تركه نظر الحصان واذا يشخص غريب فرفع أذنيه وأخذ يدق الأرض بيديه ثم هجم على خورشيد شاه لكي يعضه بأسنانه ولكن خورشيد شاه رفع يده وأمسكه من فكه ثم ضربه بقبضة يده على أذنه ضربة جعلت الحصان يصاب بدوار ويرفع يديه لكي يضرب خورشيد شاه الذي قفز الى جانبه وضربه على مؤخرته ضربة كان يخشى منها أن تخلع فخذه ، ثم لكمه عدة لكمات تحت بطنه مما جعل الحصان يقف في مكانه وكأنه حمار مستبسلم • وآنذاك طلب خورشيد شاه سرجا ، فلما أحضروه له شده عليه والجيشان ينظران اليه باعجاب ، فلما وضع السرج وألجم الحصان ركبه وأخذ يجرى به عدة مرات الى اليمين والى اليسار •

حين رأى دبور هذا استولى عليه الحزن وقال « وا أسفاه أن فقدت حصانا كهذا ولم أكن أتصور أن يروضه على هذا النحو ، والآن كيف أسترده ؟ • وكان ذلك السائس يقف أمام دبور فقال له « أيها البطل ، هل يفعل أحد ما فعلته ؟ وعلى أى حصان سوف تقاتل الأعداء الآن ؟ أى حصان يتحملك ؟ ثم ان خورشيد شاه اذا ركب هذا الحصان فمن يستطيع محاربته أو قتاله لأن قتال الفارس يعتمد نصفه على الحصان ونصفه الآخر على الانسان لو كان بطلا ؟ ومن الصعب القتال كالمشاة لأنه لو وجد الحصان وكان غير مناسب فان الفارس يكون عاجزا » • فقال دبور « ان ما حدث لا علاج له » •

قال السائس « أيها البطل ، ماذا تعطيني لو أعدت لك الحصان ؟ كما أنني سأعمل على هلاك العدو » • فقال له دبور « أن قمت بهذا العمل وأعدت لي حصاني رخش فانني أعطيك كل ما تريد » • فقال السائس حين سمع هذا « اعطني شيئا عاجلا » • وكان في يد دبور سوار خلعه وأعطاه له فقال السائس « أيها البطل ، توجد فرس تطلب الذكور اعطها لي واركب أنت حصانا آخر واكمن مع مائتي رجل نابل حتى اذا أحضرت خورشيد شاه مع حصانك أطلقوا عليه سهامهم ولعلنا نفلح في عمل شيء » •

أمر دبور باسراج حصان آخر له ، فلما ركبه اختار مائتي فارس من أمهر الرماة أبقاهم في موضع كمين على الطريق ثم دخل بحصانه الى الميدان حتى صار في مواجهة خورشيد شاه بينما ذهب السائس من الناحية الأخرى وهو يركب الفرس التي كان رخش معتادا عليها وجاء في مواجهة خورشيد شاه • فلما اشتم الحصان رائحة أنثاه اتجه اليها وحاول خورشيد شاه وقفه وبذل كل ما في قوته ووسعه ولكنه لم يستطع أن يوقفه وشمله

رخش مسافة طويلة وخاف خورشيد شاه ولم يستطع أن يفعل شيئا لأن الحصان كان يسير وفق هواه وقفز خورشيد شاه من على ظهره وأمسك لجامه لكي يوقفه وضربه بضع لكمات وركلات ولكن الحصان لم يهدأ أو يأبه به ولما لم يجد خورشيد شاه آية وسيلة أطلق عنان الحصان ورجع . وكان السائس واقفا فجعل الفرسة أمام الحصان حتى هدأ ووقف .

فرح دبور وأسرع بركوب حصانه رخش ورجع الى ساحة القتال وصاح في خورشيد شاه قائلا « لا تهرب ، هات ما عندك » فأجابه خورشيد شاه « أيها البطل دبور ، المثلى يقال لا تهرب ؟ ألم يعطونى حصانك لأننى رضته ؟ ولكن لما كان حصانك يلزمك فكان يجب أن تخبرنى لأعيده لك لأننى رضت الحصان بشجاعتى وقوتى وأنت أخذته بالحيلة والمكر . لقد ظننت أننى لا أستطيع أن أروض حصانك وأكبح جماحه ، فهل كنت تختبرنى ؟ وبينما كانا فى حديثهما هذا كان سائس خورشيد شاه قد أتاه بحصانه فامتطاه وقال لدبور « هات ما عندك لأننى لا يمكن أن أهرب أبدا » .

قال هذا واشتبكا بحربتيهما ثم القياهما وتناولا سيفيهما من غمديهما ووضعا درقيهما على رأسيهما وظلا يتضاربان ولم يظفر أحدهما بالآخر ، فوضعا السيفين فى غمديهما وتناولا دبوسيهما وهجما كل منهما على الآخر وتقاتلا كثيرا حتى هوى خورشيد شاه بدبوسه لكى يضرب به رأس دبور الذى عرض دبوسه ليصد به دبوس خورشيد شاه ولكن من قوة خورشيد شاه فان دبوس دبور وقع على كتفه فضعفت يده وكلت حتى أن الدرق سقط من على يده .

رأى شهران الوزير هذا فقال لأرمنشاه « أيها الملك ، مر بدق طبول التحاجز » . وكان خورشيد شاه قد رفع دبوسه فوق رأسه لكى يضرب به دبور مرة أخرى حينما وصل الى سمعه صوت طبول التحاجز من جيش أرمنشاه ثم من جيشه فكفا أيديهما عن القتال وعادا .

حينما عاد خورشيد شاه الى مجلسه سأل هامان الوزير عن أحوال ماه برى قائلا « هل أنجبت ماه برى بنتا أم ولدا ؟ وآنذاك ألقى هامان الوزير عمامته من على رأسه وأخذ فى البكاء والصياح فسأله خورشيد شاه » ماذا حدث ؟ فأجابه هامان « حين وضعت ماه برى الطفل توفيت » . فقال خورشيد شاه وأين الطفل ؟ فأجابه هامان الوزير « أيها الملك ، لقد ولد الطفل ميتا » . فلما سمع خورشيد شاه هذا ارتفع صراخه وألقى

التاج من على رأسه ونزل عن عرشه وجلس على التراب وأخذ فى النحيب وشق الملك فغفور رداءه ، وحثا التراب على رأسه ، وشق الأبطال ملابسهم وقص الخدم شعورهم وجعلوا البلس (١) فى أعناقهم وتزلزل المعسكر كله من الحزن والبكاء ، وحين رأت الجوارى والخادمات بكاء خورشيد شاه والفغفور ونواحهما ذهبن الى فراش ماه برى فرأينها وقد غطيت بأغطية الموت والحزن ورأين وجهها الوردى وقد علته الصفرة والذبول ٠

ألقى خورشيد شاه نفسه عليها وأخذ فى النحيب قائلا « أيتها الرفيقة الغالية والزوجة الوفية ، هل هذا ما قلته لى ؟ اننى لم اشبع منك ولم أقض معك يوما كما كان يريد قلبى ولقد تحملت كثيرا من الآلام والمتاعب لكى أصل اليك ، فلما اجتمع شملنا افترقت عنى وا حسرتاه على وجهك وشعرك وحبك » ٠ وكان يردد مثل هذا الكلام ويبكى ٠ وكان الملك فغفور ينتحب ويقول « ابنتى العزيزة ، ما هذا القضاء الذى حل عليك ؟ قلت الآن سوف أسعد وأراك كما يحب قلبى ويتمنى لك ولكنك افترقت عنى بسرعة ٠ ما هذا الذى حل بك ؟ ليتك كنت أسيرة المربية الساحرة حتى كنت أراك على الأقل » ٠ وعلى هذا النحو كان يصرخ وينوح ، ثم خرج هو خورشيد شاه وهامان الوزير من عند ماه برى وأمر أن تدفن مع طفلها ثم جلس خورشيد شاه والملك فغفور وأمراء الدولة للعزاء ٠

أيها العاقل ، انظر كيف أن الدنيا بلا وفاء ، فقد ربت ماه برى منذ البداية على هذا النعيم حتى بلغت أوج السماء وجعلتها لا تقارن ببشر فى الحسن والبهاء ، ولم تكن الرياح تجرؤ على المرور على حجرتها ثم أوصلتها الى زوج بقصة من أعجب العجب ، ولم تدعها تنعم بلحظة سعادة بعد زواجها ولم تتركها تحقق حلم قلبها ثم حملتها بسرعة لتوارى تحت الثرى ٠ وكل الناس سيكون مصيرهم هكذا كما ترى ، وسوف تصيب يد القدر الجميع بالموت وهذه أحوال الدنيا الجافية القاسية ٠

فى هذا الجانب كان خورشيد شاه والملك فغفور والخاصة والعامة يجلسون للعزاء ، أما فى الجانب الآخر فان أرمنشاه كان حزينا على دبور قاهر الشياطين لأنه جرح فى يده وكان الجرح يؤلمه ولكنهم أنشغلوا بتناول الشراب وسنعود للحديث عنهم ان شاء الله »

يقول مؤلف الأخبار وراوى القصة أنه حينما توجه الثعلب الفيلم وضياء الى وادى الغورى وكان كيكان الجاسوس قد وصل قبلهما وسلم

---

(١) البلس جمع بلاس هو الصوف السميك الذى كان يرتديه الصوفية ٠

رسالة ارمنشاه الى الغورى الذى قراها وعرف ما بها وقال « اذا كان سمك وشاهان قد سقطا فى سجنى فللملك طول البقاء لانهما لن يبقيا احياء ، ولكن هذا امر عجيب لاننا امسكنا شاهان وضياء وقيدناهما لنرسلهما الى ارمنشاه وكانا معا وقتلهما الزنجي وأكلهما، والان يقولون انهما فى سجنى وان ضياء عند خورشيد شاه ، فهل هذه جماعة من السحرة ؟ أنا لا ادرى ما هى احوالهم فقد أسرناهم عدة مرات وهم يقولون لنا الآن انهم احياء واخشى الا يكون سمك وشاهان فى سجنى • وعلى ايه حال اذا كان الثعلب الفيلم سيأتى لكى يأخذنى لخورشيد شاه فهذا حسن » • ثم التفت الى أولاده وقال « اكمنوا له ، وسأبقى على عرشى واذا اقبل الليل فاننى سأحرم النوم على نفسى واتظاهر بالنوم حتى اذا جاء الثعلب أمسكته » • واتفقوا على هذه الخطة •

شاءت ارادة الله أن الثعلب الفيلم وضياء وصلا الى وادى الغورى عن طريق الجبل ، وكانا يحتاطان أثناء سيرهما ، وذهبت ضياء الى الزنجى وادت التحية وسألته عن أحواله ثم قالت له « أيها البطل ، ذهبت وأخبرت والدى وقد جاء الآن لعله يتمكن من الايقاع بالغورى لكى يطلب منه أن يفشى سر هذا السجن • والآن هل يمكنك أن تقوم بهذه الخدمة الجليلة وقبل أن يصل أبى فتتفق معى على تقييد الغورى لنعرف منه ماذا أصاب أخوى فأجابها الزنجى « احذر فاننى لا يمكن أن أقوم بهذا العمل أبدا لأننى أقسمت للغورى بالخالق وبالشمس والقمر والنجوم ألا أعاديه أو أقبل عداوته » • فقالت له ضياء « اذن فحاول أن تفتح هذا الباب حتى أدخل لأعرف مصير أخوى أو ألحق بهما ، وآنذاك يبحث عنا أبى » • فقال لها الزنجى « اننى لا أستطيع أن فعل شيئا سوى أن أذهب وأحث الغورى على المجىء الى هنا لفتح الباب ، وآنذاك دبر أنت الأمر (١) » • واتفقا على هذا •

بعد أن ذهبت ضياء وافترقت عن الثعلب الذى سار فى طريقه الى أن جاء الى حيث كان يقيم الغورى وأخذ يتجول فى كل مكان الى أن انتصف الليل ، وكان غافلا عن أن الغورى يعلم بمجيئه وأنه أعد له كمينا وشركا لاصطياده • فلما تقدم الثعلب الى عرش الغورى ولم ير أحدا سوى الغورى نائما بمفرده على العرش صعد فوق العرش وفك الوهق من وسطه لكى يقيد به الغورى ، وفجأة خرج حبيب وفاتك ومصارع من مكمنهم وأمسكوا الثعلب وقيدوه وقال له الغورى « أيها الثعلب ، هل

(١) الزنجى يخاطب ضياء على أنها فتى اذ انه لم يعرف انها فتاة حتى الآن •

تظن أنك ستمسكنى نائما ؟ لقد علموك كل حيل الدنيا وأخبروك أننا لا نعلم بمجيئك ، أين ستقيدنى ؟ أسعدك الله يا فيلم » .

## اكتشاف سر السجن

قال الغورى هذا ثم نهض وأخذ شمعة فى يده ودفع الثعلب أمامه ليسلمه للزنجى ، فلما رأى الزنجى الضوء قادما قال لضياء اختبيء حتى اتحايل على الغورى فربما فتح الباب وآنذاك آفعل ما تشاء » . فاختبأت ضياء وحين وصل الغورى أدى الزنجى التحية وأعطى الغورى الثعلب للزنجى وقال له « احترز عليه جيدا لانه كان قد جاء لكى يأخذنى مقيدا الى خورشيد شاه ، وسوف أرسله الى أرمنشاه لأنهم يقولون أن سمك ومعه شاهان قد اختفيا فى هذا السجن ، فكيف يمكن أن يحدث هذا ؟ فأدى الزنجى التحية وقال « أيها البطل ، كيف يدخل أحد الى ذلك المكان والباب لا يفتحه أحد سواك ، فاذا فتحت الباب فان الهواء لا يجرؤ على المروز أمامه ، ولكننى أسمع صياحهم من الداخل فلعلهم يريدون الطعام » . وكان الغورى يحمل معه مفتاح الباب ففتحه وقال « فلأنظر ماذا يريدون » .

دخل الغورى ذلك السجن فدخلت ضياء فى أثره خفية وهى تلاحظ كيف يسير الغورى ، فرأته يتجاوز أول باب ويصل الى الباب الثانى ويفتحه ثم نزل ، ورأت ضياء عمودا اختفت خلفه حتى عاد الغورى ولم يخطر على فكره أن أحدا يختبيء هناك ثم خرج وأغلق الباب خلفه وقال « يا زنجى ، تنبه جيدا » . وحين ذهب الغورى قام الزنجى يبحث عن ضياء فلم يجدها فقال لنفسه « ما هذه المحنة ، لقد ضاع شاب ثالث » ثم ذهب الى باب السجن وصاح « يا أخى أخنوخ » . فردت عليه ضياء قائلة « أيها الرجل الحر ، اطمئن فاننى هنا بالداخل لأعرف أحوال أخوى ، فاعتن أنت بأبينا »

ذهبت ضياء الى رأس تلك البئر وفتحت الباب وصاحت « أيها البطل سمك ، هل أنت هنا ؟ فجاءها الرد من قاع البئر » من أنت الذى تنادى على سمك ؟ فقالت ضياء « أنا ضياء ، خادمتك ، كيف أدبر أمرك ؟ » فقال لها سمك « يا أختاه ، جعل الله عمرك مثل اسمك ، انزلى الوهق » . فأدلت ضياء الوهق وأراد سمك أن يصعد عليه ولكن شاهان قال له

« أيها البطل ، أرسلني قبلك » - فجعله سمك يتسلق ويصعد على الوهق، فلما صعد قبل يدى ضياء وقدميها ودعا لها وأثنى عليها فقالت له ضياء « أهذا وقت الدعاء والثناء ؟ وأدلت طرف الوهق ثانية فصعد سمك ايضا واحتضن ضياء واثنى عليها ثم سألها عن الاحوال فذكرت له كل ما حدث. فقال لها سمك « هل الثعلب في السجن ؟ فأجابته ضياء « نعم ، انه فى يدى الزنجي آكل لحوم البشر ولكنني قلت له أنه أبونا » .

ذكر لها سمك كل ما قاله او فعله ، وكيف وقع في الفخ ثم تقدم نحو الباب وصاح مناديا الزنجي الذى سأله « من انت ؟ فرد سمك « انا أخنوخ » . ففرح الزنجى وسأله « كيف أنت ؟ فأجابه سمك « كنت في البئر وجاء أخى وأخرجني وسأذهب الآن لأرى من فى تلك البئر ، واذهب أنت وابق فى منزلك حتى اذا جاء الغورى ناديتنى لأعرف » . فقال الزنجى « هكذا سأفعل » . وذهب الزنجي ووقف على باب بيته . بينما أوقف سمك شاهان في ركن وأوقف ضياء في ركن آخر وقال لهما تنبها حتى اذا جاء الغورى فلعلنا نستطيع أن نمسكه وحتى أذهب وأعرف من الذى يوجد هنـا » .

ترك سمك ضياء وشاهـان وتجاوز أول بئر ، وهو الذى كان قد سقط فيها وجاء الى البئر الثانية واستلقى على حافتها ونظر فرأى شمعة موقدة ووجـد فتاة جالسـة كأنها الشمس والقمر والقيود فى رجليها وخادم عارى الرأس حافى القدمين مقيد أيضا وأمامهما امرأة عجوز بغير قيود . فذهل سمك من هذا الأمر وقال لنفسه ما هذا ؟ وكانت الفتاة تقول فى تلك الأثناء لمربيتها لقد رأيت فى المنام أننى كنت حتى رقبتي فى الوحل والطين الأسود ولم أستطع أن أخرج منه وقد حاولت أنت وهذا الخادم إخراجى ، فلما أخرجتمانى جاء شخص احتضننى واعتنى بى كثيرا، وكان قد اجتمع حولنا كثير من الحيوانات الأليفة والمفترسة وفجأة خرج شبل من أشبالنا واتجه الى تلك الحيوانات وفرقها جميعا » .

قالت المربية « أيتها الفتاة ، افرحى فسوف تخرجين من هذا المكان وسيتزوجك ملك ويولد لك إبن تطيعه الدنيا كلها » .

تعجب سمك وناداهم ، فقالوا « من ذا الذى يتالم لنا ؟ هل مات الغورى واندحر أبناؤه ومات أخواه ؟ فأجاب سـمك » انهم باقون ، وأنا سمك الرجل الذى سينقذك من الطين الأسود ويوصلك الى خورشيد شـاه الملك الذى سيكون زوجا لك وتنجبين منه ولدا يحكم الدنيـا » .

فقالت الفتاة « من هو سمك ومن هو خورشيد شاه ؟ » فذكر لها سمك من هو ومن يكون خورشيد شاه باختصار · فقالت المربية « لقد جاءنا الفرج ووصل دواء آلامنا وجاء مفتاح الفرج والسرور لقفل الحزن والهموم وتحققت رؤياك · ويبدو أن هذا الرجل هو الذى حاول منذ بضعة أيام فتح قفل الباب وقال أنا سمك وقد ارشدناه إلى مكان المفتاح وقد اراح كلامه آنذاك قلوبنا وأدركت ان انقاذنا وشيك » · فقال سمك « انا نفس الرجل وقد سمعت تلك الرؤيا التى رأتها الفتاة واستاذنكم فى النزول » ·

قال سمك هذا ونزل الى قاع البئر فرأى مكانا متسعا وبه كل ما يلزم من طعام وملابس مكدسة ففك سمك قيودهن ثم حملهما الى حافة البئر واجلسهما ثم قال « أيتها الفتاة ، من انت ولماذا يسجنونك ؟ » فقالت « يا سمك ، أنا بنت الغورى ، وسبب قيدى أن أبى الغورى كان له اخ اسمه غالى له ابن اسمه شاهان خطبنى لابنه ، فلما توفى عمى غضب أبى من شاهان ولا اعرف لماذا · وقد سمعت ان أبى سيزوجنى لشاهان منذ كنت طفلة وكثيرا ما لعبنا معا وقد أحببته فلما علمت بغضب أبى عليه كتبت رسالة الى شاهان سرا قلت له فيها « اذا كنت تريدنى فاطلبنى من أبى قبل أن يخطبنى منه شخص آخر » وقد سلمت الرساله لهذه الخادمه وارسلتها له ، وكان هناك شخص من أقارب شاهان قادماً لأبى أخذ الرسالة من الخادمة وقدمها لأبى الذى أخذها منه وجاءنى بها لأراها ولم يقل شيئا · ثم أنشأ هذا السجن الذى تراه فى آخر الوادى وأحضرنى معها الى هنا · أما الأشخاص الذين أقاموا هذا المكان فكانوا عشرين رجلا قتلهم جميعا سرا بعيدا عن الناس ثم أشاع أننى ـ ابنته ـ قد مت · ولم ير أحد فى الدنيا هذا المكان غيرك حين جئت لنا الآن · ألا تعرف أحوال شاهان وما صارت اليه أموره ؟ ·

## صريع الهوى

أجابها سمك « أيتها الفتاة ، ان شاهان هنا وقد سقط معى فى تلك البئر وهو واقف الآن خلف الباب » ·

حين سمعت الفتاة هذا بهتت ثم قالت « يا سمك ، احترس حتى لا يراني شاهان وكى لا أقع فى بلاء وغم لأننى قد أخرجت حبه من قلبى · ان الحب فى أول الصبا يكون جميلا ولكن اذا كنت ستأخذنى عنده الآن فضع النقاب على وجهى ولا تقل له شيئا عن أحوالى لأنه لا يعلم أننى مازلت

على قيد الحياة » . فتعجب سمك وقال « أيتها الفتاة ما اسمك ؟ » فقالت، أطلق أبى وأمى على اسم « غدير » (١) .

من قضاء الله أنهما كانا يتحدثان هذا الحديث بينما كان شاهان ينصت لهما ثم ذهب اليهما ورأى غدير كأنها شمس ساطعة وقد ترعرت فى الجب ، وكانت المربية تقف أمامها والخادم وسمك يتحدثان معها فى تلك اللحظة التى قالت فيها غدير لقد نزعت حبه من قلبى ولا ترينى اياه حتى لا يعرف من أكون .

حين سمع شاهان هذا صرخ صرخة من أعماقه حتى أن الزنجى فى الخارج سمعها ثم سقط شاهان فاقد الوعى ، فأسرع اليه سمك ووضع يده على صدره فوجده قد مات وصعدت روحه وحمل معه أحزانه وقلبه المملوء بآلام الهجر والفراق . وحين رآه سمك على هذه الحال بكى عليه وأخذ فى النحيب حزنا على ما انتهى اليه أمره ، لأن شاهان كان شابا ولم يستمتع بحياته فى الدنيا ومات فجأة هكذا .

بينما كان سمك يبكى وينوح على شاهان فى داخل السجن ، كان الثعلب الفيلم وقد فكه الزنجى من قيوده يتبادل معه الحديث الى أن قال الثعلب « أيها الزنجى ، كم يصل أجرك كل عام من الغورى ؟ فقال الزنجى « لا يدفع لى سوى طعامى وملابسى لأنه اشترانى وأنا عبده » . فقال له الثعلب « رجل بطل مثلك لماذا لا تلتحق بخدمة ملك يعطيك كل عام مائتى الف دينار وتصير بطلا لفرقة من الجيش وتكون لك كل اسبوع خلعة وتعيش بين الناس ؟ ما هذا المكان الذى تعيش فيه ؟ من سيعرفك وأنت فى وسط الجبل لا يراك انسان ؟

قال الزنجى « كيف أذهب ؟ لقد اشترانى الغورى واحتجزنى هنا وأين يمكن أن أذهب ؟ أجابه الثعلب « أيها الزنجى، ان عاهدتنى وأقسمت لى على أن تفعل ما أقوله لك ، ولا تخن ولا تفكر فى الخيانة أو تقبلها وترضى بها ، فستأتى معى لآخذك الى خورشيد شاه وتصير بطل جيشه وقائده ومقدمه » .

فسأله الزنجى « ما اسمك ؟ وهؤلاء الأبناء ماذا يدعونك ؟ وما هى منزلتك عند خورشيد شاه حتى أنظر فيما قلت هل هو صدق أم كذب ؟

---

(١) اسمها فى الأصل « آبان دخت » وآبان جمع آب وهو الماء واسم الشهر الثامن من الشهور الأيرانية و « دخت » بمعنى ابنة ولهذا اخترت لها اسم « غدير » .

فقال له الثعلب « اقسم على ألا تخون ولا تفكر فى الخيانة وتكون صديقا لى وعونا حتى يتحقق ما تريد وأذكر لك كل شى » • فأقسم الزنجى كما طلب منه الثعلب •

## الشكوى من أهل العصر وكل عصر

فى الزمن الماضى وبين الناس الذين عاشوا قبلنا عندما كانوا يقسمون او يبرمون عهدا فانهم كانوا يحافظون عليه بكل قوة ، واذا اقسم شخص كذبا أو نقض ذلك العهد لم يكن يبقى له مكان بين الناس • ولكن فى هذه الايام التى نعيش فيها فانهم يقسمون الف قسم ، فاذا تحقق ما اقسموا عليه بالنسبة لهم تناسوا القسم • فما أعجبه من زمان ابتلينا فيه ، ومع أن الزمن يتغير الا أننا صرنا جهلة ضعاف العقل ليس فى قلوبنا خوف من الله •

نعود للحديث عن الزنجى والثعلب ، فانه حين اقسم الزنجى ذكر له الثعلب حقيقته وحقيقة سمك وضياء وخورشيد شاه كما لو كان الزنجى يعمل معهم ولم يخف عنه شيئا حتى جعل قلب الزنجى يتعلق بالعمل معهم وظل ساكتا الى أن قال له الثعلب « أيها الزنجى ، سوف أجعلك شريكا فى ملك خورشيد شاه لان خورشيد شاه لا يخرج عما نطلبه منه ويجرى فى ملكه ما نراه له » • ففرح الزنجى وقال « لا بأس » ثم أقسم مرة أخرى •

قالا هذا وقاما وذهبا الى باب سجن الغورى وقال الزنجى « ما هذا الصراخ ؟ فقال له سمك من خلف الباب « يا زنجى ، لقد عرفت سر هذا السجن فابنة الغورى هنا فى هذا المكان مع مربيتها » فسأله الثعلب « يا سمك ، من الذى توفى ؟ » وحين سمع سمك صوت أستاذه ينادى يا سمك قال باللهجة التى يتحدثون بها عادة فيما بينهم « أيها الأستاذ ، أنا إسمى أخنوخ فكيف تسميني سمك وبهذا يعرف الزنجى سرنا » •

قال الزنجى « يا سمك ، لقد كنت أخنوخ فيما مضى ، ولكنك الآن أخى اذ عرفت كل شىء عنك » • وقال له الثعلب « يا بنى ، ان الزنجى صار منا » • ثم ذكر له ما حدث فأثنى عليه سمك وقال لضياء « يا أختى ، مع أن أبانا لم يقم بعمل أبدا ، الا أنه قام بعمل جليل هذه المرة حيث أوقع الزنجى فى شراكنا ، ثم أننا يجب أن نذهب من هنا قبل أن يجىء الغورى

للبحث عنا » فقال له الزنجى « ماذا نفعل ؟ ابقوا أنتم فى الداخل ونبقى نحن نراقب الخارج وحين يأتى الغورى ويفتح البـاب نقيـده ونتركه ونذهب » • فقال له سمك من داخل السجن « ايها الزنجى ، لا يجب ان نفعل هذا بل حطم هذا الباب بالقوة من أجل الملك وسعد خورشيد شاه ومستعينا بولاية سمك لهذا العمل » • فقام الزنجى بنزع الباب من مكانه وقال « اخرجوا لنذهب » •

حين خرجوا قالت غدير « يا سمك ، الى اين ستأخذنى ؟ » فأجابها سـمك « أيتها الحسناء الى خورشيد شاه لتتحقق الرؤيا التى رأيتهـا وأزوجك لذلك الأسد وتعيشى فى كنفة فهو ملك الدنيا ، ولكى تعيشـا بقية عمركما فى سعادة » • فقالت غدير « يا سمك ، ان لى فى هذا الوادى من الذهب والجواهر ما لا يمكن حصره ، ورثته عن أمى » • فقال لها سمك « أيتها الملكة لا تحزنى فان عند خورشيد شاه من الاموال ما لا يوجد مثله لدى أى ملك آخر ، وعندما يحين الوقت فسوف آتيك بمالك » • فسألته غدير « وكيف سنذهب ؟ فتناول سمك يدها وتآخيا ثم قال لها « هذه ضياء فتاة مثلك وسوف نحملك على أكتافنا » • ثم أسدلوا النقاب على وجهها وساروا •

نظرت غدير الى ذلك الزنجى فرأت عبدا عظيما مخيفا ، بينما حملها سمك على كتفه وسارت ضياء أمامهم كدليل لتفادى الحفر التى حفرهـا الغورى للايقاع بهم ، وسار الزنجى مع الثعلب والمربية والخادم • وكان سمك يقول لهم « احترسوا واحذروا حتى لا يرانا أحد » فقال له الزنجى « سر ولا تفكر فى شىء، فلو جاء جيش الغورى بأكمله فاننى أهزمه » • كان سمك وضياء يتبـادلان حمل غدير حتى عبروا ذلك الجبـل وتلك العقبة فلما طلع النهار كانوا قد وصلوا الى السهب (١) فاستراحوا ساعة وأكلوا مما كان معهم من خبز ولحم وماء •

كان سمك والثعلب وضياء ينظرون الى قد غدير وطلعتها ويتعجبون من صنعة الله وقدرته رغم أنها كانت ترخى النقـاب على وجهها ولكنها كانت كالبدر ليلة التمام تشع نورا من خلف النقاب ، وبعد أن استراحوا واصلوا السير حتى حلول الظلام وكانوا قد اقتربوا من معسكر خورشيد شاه ، فقال سمك « يا ضياء » فلنبق نحن هنا وتذهبى أنت الى خورشيد

---

(١) السهب هو الأرض المنبسطة التى يمكن زراعتها • أما السهل فقد يكون رمليا لا يزرع •

شاه وتذكرى له أحوالنا وما حدث لنا وتطلبى منه أن يرسل مهدا مزينا بالجواهر لتجلس به غدير ، وكذلك بعض الجوارى والخدم وخيلا ومائتى عبد من أجل الزنجى » ٠

سارت ضياء ولم تكن تعلم شيئا عما حدث لماه برى ، وهل هى حية أم توفيت ، فلما وصلت الى الطليعـة رأت الجنود فى حزن وقـد خرج خورشيد شاه مع الطليعة ، فلما رأى ضياء قادمة ذهب نحوها وقال لها « من أنت ؟ ومن أين ؟ » وحين رأته ضياء أدت التحية وأجابته « جاريتك ضياء » ٠ وعندئذ سألها خورشيد شاه عن أخبارها وأين سمك والثعلب فأجابته ضياء « أيها الملك، انهم ــ بسعدك واقبالك ــ فى خير وهما قادمان ومعهما الزنجى آكل لحوم البشر وغدير بنت الغورى ، ونحتاج الآن الى مهد محلى بالجواهر وخلعة فاخرة وجوارى وعبيد ليكونوا فى خدمتها » ٠ فبكى خورشيد شاه فسألته ضياء « لماذا هذا البكاء ؟ » أجابها « انه على ماه برى التى لبت نداء ربها » فبكت ضياء أيضا وانتحبت كثيرا ثم قالت « أيها الملك ، لما كانت ماه برى قد لقيت ربها ، فان الله رزقك بفتاة أجمل منها وأحلى مائة مرة ، وحتى تراها فاننى لا أسـتطيع وصفها ، كما أن الوقت لا يسمح بالكلام بـل يجب الاسراع فى اعـداد المهد واسـتقبال الزنجى » ٠

كان هرمز يقف أمام الملك الذى قال له « اذهب مع ضـياء الى لالا صالح وقل له أن يرسل مهدا مزينا بالجواهر مع خمسين جارية وعبد وقل له أيضا أن يحضر خلعة فاخرة وحصانا أصيلا للزنجى مع خمسين عبدا لأننى سأبقى هنا الى أن يأتى سمك » ٠ وذهبت ضياء مع لالا صالح فوجداه جالسا يبكى على ماه برى ، فأبلغاه برسالة الملك وعندئذ قام وأعد ما أمر به الملك ثم ذهبا الى هامان الوزير وأعدا العبيد والجوارى وعادت ضياء وهرمز ولالا ومعهم المهد المطعم بالجواهر ، والجوارى والعبيد الى خورشيد شاه ، فأمر الملك أن يرافقهم مائتا فارس من فرسان الطليعة ٠

كان من ارادة الله أنه حينما توقف سمك وكان قد أرسـل ضـياء لتأتى بما طلب ظل ومن معه نحو ساعة عندما ذهبت غدير الى ناحية بعيدة لقضاء الحاجة ، وحينما وصلت ضياء ومعها المهد المرصع والخلعة والجوارى والعبيد ، ووصل الفرسان أيضا وألبسوا الخلعة للزنجى وأركبوه الحصان واصطف العبيد حوله بحث سمك عن غدير ليجلسها فى المهـد فقالت مربيتها أنها ذهبت لقضاء الحاجة ٠ فقال سمك لضياء « ابحثى عنها » ٠ فاخذت ضـياء تتجول حولهم فلم تر اثرا لغدير ، وقالت لسمك « أيها

البطل ، لم أجدهـا فوقف سمك وقال « ابحثوا عنها جميعـا » ، ما هذا الكلام ؟ لقد كانت الفتاة أمامنا الآن » • فتفرق الفرسان فى كل ناحية ولم يعثروا لها على أثر ، ففقد سمك صوابه وقال « كيف حدث هذا ؟ ماذا أقول لخورشيد شاه ؟ أى انسان ماكر فعـل هذا ؟ وا حسرتـاه ، ماذا أقول للملك ؟ •

كان سمك يتحدث مع الزنجى عن كل احتمال ، وتحير الجميع من أمر غدير الى أن قال الثعلب « يا سمك ، يجب علينا أن نذهب من هنا والا فماذا نستطيع أن نفعل ؟ وعندئذ ساروا والحزن يسيطر عليهم الى أن طلع النهار وكانوا قد وصلوا الى معسكر خورشيد شاه الذى كان قد جاء الى مجلسـه وجلس على عرشه وقال له هامان الوزير « لا يجب أن نجلس بل علينا أن نحارب » •

بينما كانا فى حديثهما هذا دخل سمك وقد أمسك يد الزنجى فى يده وأدى التحية فوقف خورشيد شاه واحتضنه وسأله عن أحواله كما احتضن الزنجى أيضا وأكرمه وأجلسهما أمامه بينما وقف جميع الأبطال الا الزنجى وهامان الوزير اللذان كانا أمام الملك • وكان سمك يجلس فى ضيق بينما كان الملك يسأله عن أحواله ، وسمك يحدثه عما سلف من أعماله الى اللحظة التى قال فيها أن غدير اختفت فبهت الملك وقال « هل أخذها الشيطان ؟ والا فأين تكون قد ذهبت ؟ فقال هامان الوزير « أيها الملك ، يجب أن نرعى الزنجى رعاية خاصة » فخلع عليه الملك مرة ثانية كما منحه مكانا مناسبا لاقامته وبضعة خيول وكل ما يلزم مما لم يره الغورى نفسه •

أدى الزنجى التحية فسأله الملك « ما اسمك ؟ » فأجابه ؟ أيها الملك العظيم ، لقد أطلق على الغورى اسم الزنجى آكل لحوم البشر » • فقال الملك « لقد أطلقت عليك اسم فتاح ، لأن فتح باب سجن الغورى تم على يديك ، مع أن ما كنت أنتظره لم يصل ، فلعل الله أراد هذا • ولكن بعد أن تنتهى الحرب سأجعلك بطل الجيش وسأهبك أية ولاية تختارها ثم قام الملك وذهب الى خيمته ثم طلب الزنجى والمربيـة والخادم وأكرمهم وسـألهم عن أحـوال غدير ، فـذكروا له من جمالها وحسـنها الكثير مما أدهشه ، ثم طلب سمك العيار وقال له « يا أخى ، لقد كانت نعـم الفتاة ، ولكن ما الفائدة وقد فقدناها » • فقال له سمك العيار « باقبال الملك ، سوف أبذل جهدى لكى أستعيدها » • فأوكل خورشيد شاه اليه أمر المربية وخادم غدير •

## موت واختطاف وضياع اموال

نعود للحديث عن الغورى فيقول مؤلف الاخبار أنه حينما طلع النهار استدعى الغورى أولاده وقال لهم اذهبوا واحضروا الثعلب من عند الزنجى لأعاقبه وأرسله الى أرمنشاه فذهب ثلاثتهم الى مكان الزنجى فرأوا الباب وقد انتزع ، فعادوا الى أبيهم وصاحوا قائلين ؟ يا أبانا ، ان الزنجى غير موجود وقد انتزع البـاب » وحين سمع الغورى هذا اتجه كالمجنون الى السجن فرأى بابه محطما وقال له أولاده لم نر الزنجى ورأينـا شاهان ميتا » فصاح صيحة من أعماقه وخر منهارا ثم قال يا أبنائى ، هذا يوم محنة أولا لأننى كنت أخفى عنكم أختـكم فى هذا السجن فأخذوهـا . وثانيا لأن رجلا مثل ابن أخى شاهان سقط ميتا ولا أعلم كيف وقعت هذه الأحداث ، ولكن ما حدث هو أن أرمنشاه أرسل لى شخصا يخبرنى أن سمك فى سجنى ، وعلى هذا فان سمك هو الذى قام بهذه الأعمال » .

قال أولاد الغورى « يا أبانا ، قلت لنا أن اختنا ماتت بينما أقمت هذا المكان من أجل أختنا وكنت تخفيها عنا » فقال الغورى « نعم ، كنت أحتفظ بها فى هذا المكان وقد جعلت عليـــه الزنجى لحراسـته وحتى لا يعرف أحـد هذا السر ، والآن فاننى على يقين من أن سمك فعل هذا واختطف أختكم ولم أكن أصدق ما قاله أرمنشاه فى رسالته من أن سمك وشاهان فى سجنى ، وكان ظنى أنه لا يستطيع أحد الوصول اليـه ، ولا أعلـم كيف غير الزنجى واسـتماله الى جانبـه فماذا أفعـــل الآن ؟ وا حسرتاه على شاهان الذى ضاع هباء لقد كان من الخير أننى لم أقتله » . وترك الغورى أبناءه عند شاهان ليدفنوه وعاد هو الى مكانه وجلس حزينا مغموما .

استدعى الغورى خاصته وقال « لقد فكرت فى الأمر ، فاذا كانت قد حدثت بيننا وبين خورشيد شاه جفوة فيجب الآن رفعها وازالتها » . ثم قال لأبنـائه « يجب عليـكم أنتم الثـلاثة الذهاب الى خورشيد شاه وتطلبوا أختكم منه فنحن لم نسىء الى خورشيد شاه ، وحفظنا الأمانة وفديناه بأرواحنا ، واذا كنا قد آذينا بعض رجاله فقد كان ذلك لخيانتهم وسوء عملهم ، ويجب أن نعتذر عن هذا الخطأ لعلنا نصل الى نتيجة » .

قال أولاده « يا أبانا ، لا يمكن الذهاب دون هدية أو نثار » . فأمر الغورى بخمسين ضرة من الذهب وخمسين ثوبا من الملابس ومائة حصان بالآتها وجهازها وأمر أبنـاءه حبيبوفاتك ومضـارع أن يذهبوا وفى

معيتهم بعض الخاصة من الخدم . فساروا حاملين هذه الأموال الى خورشيد شاه ، ولكن من قضاء الله أن طريقهم كان يمر بجانب معسكر أرمنشاه فقالوا لا يحسن أن نذهب دون اذن الملك أرمنشاه والا قالوا أننا عصيناه فلنخبره بمهمتنا » .

اتجه أبناء الغورى الى مجلس أرمنشاه ، فلما اقتربوا أخبروا أرمنشاه أن أبناء الغورى قد أتوا فقال أرمنشاه « أدخلوهم » . فذهب الحجاب وأدخلوهم الى المجلس فأدوا التحية وكان أرمنشاه على عرشه وابنه قزل ملك قائم على رأسه (١) ، والوزير شهران جالساً أمامه فسألهم أرمنشاه « لماذا جاء أبناء الغورى ؟ فأدوا التحية وذكروا له ما حدث من موضوع السجن وأخذ أختهم الى هروب الزنجى آكل لحوم البشر » .

قال قزل ملك حينما سمع قصة غدير « كل هذا من عنادكم فكيف تكون لكم أخت ولا نعلم عنها شيئا ؟ فأدى الثلاثة التحية وقالوا « أيها الأمير ، لقد كان أبونا يخفيها ويقول لنا انها ماتت حتى لا يزوجها لابن أخيه شاهان . وقد جاء سمك وخطفها ومات شاهان فى ذلك السجن ولا نعلم كيف حدث هذا » .

بينما كانوا فى حديثهم هذا وصل كيكان الجاسوس وأدى التحية وقال « أيها الملك العظيم ، لقد رأيت الزنجى آكل لحوم البشر الذى كان فى وادى الغورى واقفا أمام خورشيد شاه ومعه خادم وامرأة يقولون أنها مربية بنت الغورى ، ولكن الفتاة لم تكن معهم ، ويزعمون أنها فقدت أثناء الطريق ، وقد عاد سمك للبحث عنها » .

كانوا يتحدثون فى هذا حينما دخل دبور قاهر الشياطين مجلس أرمنشاه وأدى التحية وجلس فى مكانه وقال « أيها الملك ، من أين هذه الهدية ؟ فذكر الملك أرمنشاه تلك القصة . فقال دبور « هل سيأخذون هذه الأموال الى خورشيد شاه ؟ فأجاب أولاد الغورى « نعم ، سنحملها اليه لعله يعيد الينا أختنا » فقال دبور « اتركوا الأموال عندنا واذهبوا لأن خورشيد شاه رجل ذو فتوة وسيعيد اليكم أختكم طالما ستطلبونها منه كما سيعيد اليكم عميكم » .

---

(١) اصطلاح بمعني انه كان واقفا خلفه .

يقول مؤلف القصة وجامعها ان لهيب كان يقف هناك وسمع ما جرى فسبق ابناء الغورى الى خورشيد شاه وقال له « ان ابناء الغورى قادمون يحملون رسالة ، وذكر لخورشيد شاه مضمونها • وحينما وصل أبناء الغورى أمر خورشيد شــاه بانزالهم في مكان لائق • فلما انقضت تلك الليلة وطلع الصباح أمر خورشيد شاه بتزيين المجلس كما كانت عادتهم، وصــعد خورشيد شــاه والفغفور وهامان الوزير الى العرش ، ووقف الأبطال في اماكنهم واصطف الغلمان ووقف النقباء على البــاب وكانت الشمس قد ارتفعت في السماء •

أمر خورشيد شاه شخصا بالذهاب واحضار أبناء الغورى • وحين حضروا تعجبوا من هذه الهيبة وتلك العظمة الملكية لأنهم لم يشــاهدوا مثلها من قبل ، وحين دخلوا أدوا التحية فأمر الملك باجلاسهم ، وفجأة دخــل الزنجي آكل لحوم البشر من باب المجلس وفى أثره هذا العــدد الكبير من عبيده ، وكانوا قد وضعوا كرسيا ذهبيا فجلس عليه ورآه أبناء الغورى على هذا النحو من العظمة فقالوا كيف يخدم أبانا وهو لم ير منه رداء سليما أبدا وهو الآن فى عباءة من الأطلس وحزام من الذهب وعمامة مرصعة وعبيد على هذا النحو • ولما جلس الزنجي ورأى أبناء الغورى لم يعرهم أى اهتمام أو التفات •

فى الحال أحضروا الشربات فشربوا ، ومدوا الموائد ووضعوا أمام الزنجي من كل أصناف الطعام أكثر مما يوضع أمام خمسين رجلا ، وقد دهشوا من طريقة تناوله للطعام ، فلما انتهوا من طعامهم غسلوا أيديهم وأقاموا مجلس الطرب وقدم السقاة الشراب لأن هامان الوزير كان قد قال لخورشيد شاه ان الملوك لا يقيمون العزاء كثيرا ولهذا فقد تناول خورشيد شاه الشراب وأخذ المطربون فى الغناء •

التفت خورشيد شاه الى أولاد الغورى وقال لهم « يا أحرار الرجال ، لماذا جئتم وما معكم من رسائل ؟ فأدى حبيب التحية أمام العرش وقال « أيها الملك العظيم ، الغورى يبعث اليك بالسلام ويقول اننا أهل الجبال منذ كنا لم يلحق بأحد سوء من جانبنا ، كما لم يلحقنا أذى من أحد ، وتتحدث الدنيا عن حمايتنا للمستجير بنا وعن فتوتنا • أما أتباع خورشيد شاه الذين جاءوا الينا فقد دافعنا عنهم بأرواحنا وخرجنا عن طاعة أرمنشاه ولم نسـلمهم له لأن حمايـة المستجير من أهم مبادئنـا • وهذه الجماعة الموجودة هنا كانت فى وادينا ويعرفون كيف وقفنا بجانبهم وفى النهاية أخذ سمك منا ثلاثين حملا من الذهب والجواهر بحجة أنه سيحضر لنا

العلف والزاد حتى يمكننا الاستمرار فى الوقوف بجانبهم ، ولكنه حين أراد الاعتداء على أموالنا ودمائنا وخرج علينا أمسكناه كلص سارق ، ومع انه ليس من أهلنـا الا أننا بذلنـا له ما فى وسعنا وقد نجاه الله ثم جاء مرة أخرى متخفيا وأخذ أختا لنا • والآن فاننا نريد أن نستعيد الفتاة معتمدين على فتوة الملك ورجولته » •

حين سمع خورشيد شاه هذا قال « ايها الرجل الحر ، اننا نعرف رسالة الغورى الينا ، ولكن الله يعلم وكل من فى المعسكر ان الفتاة لم تصل الينا ، وأنتم صادقون أن سمك ذهب وأخذها ، ولكنها فقدت أثناء الطريق • ومع أنكم لم تذكروا شـيئا عن شقيقى أبيـكم وهما عنـدى وسأعيدهما لكم ـ وقسما بالله ـ لو كانت الفتاة عندى لرددتها لكم حتى يتحقق ما قاله دبور لكم » • وفى الحال أرسل شخصـنا لاحضار الجبالى وجهاد وخلع عليهما وسلمهما لهم وقال « يا أحرار الرجال ، لقد ذاعت فتوة الغورى فى الدنيا ، وأنتم أبناؤه تدعون الفتوة ، فلماذا تخونون الأمانة ؟ لأن حفظ الأمانة أفضل من الفتوة ، وقمة الفتوة هى الأمانة » • قالوا « أيها الملك ، ما هذا ؟ •

قال خورشيد شاه « لماذا لم تحضروا ما أرسله الغورى الى ؟ هل أرسله لى أم الى أرمنشاه ؟ » فأدوا التحية وقالوا « أيها الملك ، لقد أخذها منا دبور قاهر الشياطين ولم نستطيع أن نشتبك معه ، ونعلم أنه أخذ نصف الهدية ونصفها الآخر لأرمنشاه » •

قال لهم خورشيد شاه « لقد علمت أنه قال لكم اتركوا الأموال واذهبوا لأن خورشيد شاه ذو فتوة والآن قد قمت بما تمليه على فتوتى وأعدت لكم شقيقى أبيكم ، والفتاة ليست عندى والا لكنت رددتها لكم » • ثم التفت الى هرمز وقال له « قـم واذهب مع أحرار الرجـال هؤلاء الى أرمنشاه وقل له ان خورشيد شاه يقول لكم أنكم أخذتـم خمسين ألف دينار وخمسين طاقة من الملابس ومائة حصان بعدتها وآلتها أرسلها الى الغورى يجب عليكم أن تعيدوها الينا والا فبالله العادل سوف آخذ ألف دينار مقابل كل دينار أخذتموه بحد سيفى » •

أدى هرمز التحية وقال السمع والطاعـة وسار معهم الى مجلس أرمنشاه ، فلما دخلوا عليه قال أرمنشاه « يا هرمز ، فى أى أمر جئت ؟ » فأجابه هرمز « أحمل رسـالة من خورشيد شاه اليـك والى دبور قـاهر الشياطين » • فأمر أرمنشاه باحضار دبور ثم قال هرمز « أيها الملك ،

أنا رسول والرسل أمنــاء على رســالتهم ولا يخونونها وينقلون الطيب والخبيث ولا يخفون شيئا » . قال أرمنشاه « هو هذا ، يجب ذكر الرسالة كما هى » . فقال هرمز « يقول خورشيد شاه لقد أخذتم خمسين ألف دينار وخمسين طاقة من الملابس ومائة جواد بعدتها وجهازها كان الغورى قد أرسلها لى فيجب عليــكم اعادتها الينــا والا فاننى ــ بالله الخالق ــ سأسترد ألف دينار مقابل كل دينار بحد سيفى » .

كان أرمنشاه مطرقا رأسه بينما قال دبور « أنا أخذتها ولن أعيدها حتى أرى كيف سيستردها بحد السيف » . فقال هرمز « أيها البطل ، لا تتحدث عن ضربة سيف تلك اليد التى مازال أثر الدماء من طعنة حربتها على جبهتك » .

جن جنون دبور وأخذ حربة من يد أحد الجنود الواقفين لكى يطعن بها هرمز فقال له هرمز « اطعن ولا تخف فان ورائى من يثأر لدمى ويطعن الرماح سيدمرك ويدمر جيشك » . فقام شهران الوزير ومنع دبور قائلا « أيها البطل ، لا تفعل حتى لا تلوث سمعتنا ، ما هذه الصرعة التى أقدمت عليها ؟ انه رسول ولا يجب التعدى على الرسل ، وعلى الرسول أن يؤدى رسالته ويستمع الى الرد عليها ، والآن فأجبه بكل ما تريد قوله » .

قال هرمز « أيها الوزير دعه يطعن لأنه مغرور بقوته وبطولته ولم ير الرجال » . فقال شهران الوزير « يا هرمز ، أسكت أنت أيضا » .

بعد أن أسكت هامان الاثنين قال دبور « يا هرمز ، اذهب وقــل لخورشيد شاه ليس عندنا أى شىء ، واذا كان عندنا فلن نعطيه لك حتى تأخذه بضرب السيف » . فنهض هرمز عائدا الى معسكر خورشيد شاه وعندئذ قال دبور « أيها الملك ، مر بدق طبول الحرب » . فقال له أرمنشاه « أيها البطل ، الوقت متأخر ، والجيش لا علم له وحينما نصل الى ميدان القتال سنضطر للعودة فلنذهب صباح الغد وقالا لنقباء الجيش أبلغوا الجند أننا غدا سنقاتل » فأخذ النقبــاء يدورون على الجنود ليخبروهــم بالقتال بينما جلس أرمنشاه والأبطال يتناولون الشراب .

عاد هرمز الى خورشيد شاه ، ومع أن الليل كان قد أقبل الا أنه أدى الرسالة كما سمعها ، فأثنى خورشيد شاه عليه وقال له « لا بأس » ثم أنشغلوا أيضا بتناول الشراب حتى هجم جيش الصباح على جنود الليل وأزاحوهم وطلع النهار فأمر أرمنشاه بدق طبول الحرب واتجه الجيش الى ميدان القتــال .

حينما سمع خورشيد شاه دقات طبول الحرب أمر بخروج الجيش الى ميدان القتال ، وتقدم نبلاء الجيشين واخذوا فى تسويه الصفوف فى الميمنة والميسرة والقلب ولجناح ، وفجأة خرج من جيش أرمنشاه أحد اتباع دبور وانطلق بحصانه في الميدان وكان يحمل سلاح القتال وكان اسمه سرادق واخذ ساعة يجول ثم طلب رجلا للبراز فخرج من جيش خورشيد شاه فارس شجاع ووقف أمام سرادق وصاح فيه صيحة مرعبة ، ثم تشابكا بالرماح وبذلا جهدا كبيرا الى أن تمكن سرادق من طعن خصمه طعنه خرجت من ظهره . ودخل الى الميدان فارس آخر فقتل أيضا وهكذا حتى قتل سرادق خمسة فرسان من جيش خورشيد شاه ، فاندفع هرمز بحصانه وفى وسط الغبار الذى أثاره طعن سرادق بحربته طعنة لم يكن فى حاجة لغيرها .

كان لسرادق أخ اسمه غاطان اندفع بحصانه الى الميدان وجاء الى جثة أخيه فرآه ملقى فى التراب فبكى عليه ثم تقدم الى هرمز وصاح فيه وقال « أيها الدنىء ، لقد قتلت رجلا كان وجوده أفضل من مائة ألف مثلك » ولم يكد يتم كلامه حتى ألقمه هرمز حربة فى فمه خرجت من قفاه . ودخل فارس آخر فقتله هرمز أيضا وهكذا حتى قتل سبعة رجال .

من قضنا الله أن بطلا اسمه غراف وهو من أقارب دبور انطلق بحصانه الى الميدان حتى جاء أمام هرمز ، وكان فتاح الزنجى يقف أمام خورشيد شاه فانطلق بحصانه الى الميدان ليذهب الى هرمز ثم تذكر أنه يجب أن يستأذن ، فعاد ثانية وأدى التحية لخورشيد شاه وقال له « أيها الملك ، ان لى رغبة فى القتال » . فقال له الملك « أنت أدرى » .

انطلق فتاح بحصانه الذى كان قد وهبه له خورشيد شاه ، وكان حصانا قويا سريعا وكان فتاح يرتدى سلاح القتال ، وحين رأى هرمز فتاح الزنجى عاد الى جيش خورشيد شاه لأنه أدرك أن فتاح دخل الميدان باذن خورشيد شاه . وأخذ فتاح يستعرض قوته ثم قال « فليدخل كل من يأمل فى الموت » . وكان من قضاء الله أن حبيب ابن الغورى كان يقف أمام أرمنشاه فقال « سأذهب لعلنى أستطيع أن أوقعه فى شراكنا لان أى بطل فى الدنيا لن يستطيع أن يثبت أمامه لدقائق » . فقال له أرمنشاه « اذهب » . فانطلق حبيب بجواده الى الميدان حتى وقف أمام الزنجى فلما رآه الزنجى عرفه وقال له « يا ابن الغورى ، لماذا جئت ؟ عد من حيث أتيت » . فقال له حبيب « أيها الزنجى ، لم تحافظ على حق خبزنا وملحنا ، فماذا فعل أبى لك ؟ لقد اشتراك لكى تفعل به هذا ؟

ولكننى اعلم أنك لم تفعله ولكنهم حرفوك » فقال له الزنجى « يا ابن الغورى ، مع أننى زنجى الا أن خورشيد شاه أطلق على اسم فتاح فعد واذهب من هنا لأننى لن أقاتلك عرفانا بحق الخبز والملح لأبيك الغورى ». فعاد حبيب الى أرمنشاه وذكر له ما حدث ، بينما دخل غراف وجاء امام فتاح لكى يجربه فى القتال حينما تقدم اليه فتاح ورفعه عن سرج حصانه ومزقه اربا اربا وأخذ فى التهامه . وحين رأى أرمنشاه هذا قال « يا أبناء الغورى ، ان أباكم كان يربى ابن الشيطان » .

كان أرمنشاه يقول هذا بينما كان الزنجى يصيح طالبا رجلا للنزال ، وكان كل من يدخل الميدان يلقى حتفه على يدى فتاح حتى قتل أربعين رجلا ولم يجرؤ أحد بعد ذلك على دخول الميدان ، فنزل الزنجى من على حصانه واختار بعض الأجساد من بين القتلى حملها معه وعاد الى جيش خورشيد شاه ، فخاف الجميع منه . وحينما رأى جند أرمنشاه ما فعله الزنجى أصيبوا جميعا بالرعب والفزع .

عاد دبور وتوجه الى ساحة القتال لأنه حين رأى الزنجى يعود ، توجه هو الى ميدان القتال ، فعاد الزنجى ليجرب القتال مع دبور ، وحينما دخل دبور نظر خورشيد شاه الى حصانه وقال « وا حسرتاه ، لقد حصلت على هذا الحصان الفريد واستردوه بالحيلة والمكر » .

كان خورشيد شاه يتحسر على ذلك الحصان وفجأة وصل سمك أمامه وقال « أيها الملك لقد ذهبت الى كل مكان ظننت أن غدير ربما تكون فيه ولم أعثر عليها ولا أعلم ما التدبير » فأجابه خورشيد شاه « لعلها تظهر فكل ما هو مكتوب لنا سيصل الينا ، ويلزمنا حصان دبور هذا الذى ذهب الثعلب لاحضاره ولم يتمكن ، وقد حصلت عليه بالشجاعة ولكنهم أخذوه بالحيل ثم ذكر له ما حدث . فقال له سمك « ماذا تعطينى لو أحضرت لك الحصان قبل أن ينزل الليل ؟ فقال خورشيد شاه « ماذا أعطيك ؟ أليس مالى هو مالك ؟ فضحك سمك وقال « اعطنى السوار الذى فى معصمك » . فأخرج خورشيد شاه السوار من يده وأعطاه له . فتقدم سمك وأخذه ووضعه فى يد الزنجى . وحين رآه فتاح وكان آية فى الجمال قال لنفسه « ان هذا السوار يعادل فداء مائة مثلى » .

بهذه الفرحة انطلق فتاح بفرسه الى ساحة القتال حتى جاء أمام دبور ، ومع أنه كان بطلا وشجاعا الا أن أرمنشاه قال « قد لا يكون دبور ندا للزنجى فدقوا طبول الراحة » . فعاد دبور وبقى الزنجى فى مكانه

واحد يصيح « ايها الرجل ، أين نذهب ؟ ارجع حتى نجرب بعضنا وأخذ الزنجى يتكلم فى هذا المعنى فلما لم يستجب له دبور عاد هو الآخر الى خورشيد شاه وادى التحية وقال « ايها الملك ، لماذا دقت طبول الراحة ؟ هل سيكون القتال على هذا النحو ؟ فأجابه خورشيد شاه « يا فتاح ، ان الوقت تأخر ولهذا عاد دبور » .

حينما عاد خورشيد شاه الى مجلسه توجه سمك بشجاعة الى معسكر دبور وأخذ يتجول أمام مجلسه حتى جاء دبور وترجل عن صهوة جواده فأخذه سائسه وأخذ يسير به ليجفف عرقه وكان سمك واقفا ينظر ويراقب ما يجرى الى أن قال أحد الرجال لزميله « يا فلان ، تجول بحصان البطل » . فأجابه الرجل الآخر « بل تجول أنت به » . فتقدم سمك وقال « اعطه لى لكى أسير به » . ثم أخذ عنان الحصان وركبه وانطلق ، فأدرك هؤلاء الرجال أنه اختطف حصان دبور فصاحوا وركب بعض الفرسان وانطلقوا فى أثره ولكن أى حصان يمكنه اللحاق بحصان دبور ؟ الى أن وصل سمك الى معسكر خورشيد شاه .

من قضاء الله أن فتاح الزنجى كان يقف مع جماعة من الفرسان عند أطراف المعسكر فصاح سمك « يا فتاح ، اعترض هؤلاء فقد أحضرت الحصان » . فزأر الزنجى وتقدم الى الذين كانوا يلاحقون سمك ، وحين رأوه فروا منهزمين بينما قاد سمك الحصان الى مجلس خورشيد شاه الذى فرح حين رآه وقام واحتضن رأس سمك . وكان الثعلب واقفا فقال خورشيد شاه « مثل هذا الحصان يجب احضاره فى وضح النهار » . فقال الثعلب « أيها الملك ، أنا أستاذ بالاسم ، ولكن أستاذ الدنيا وعيار العالم هو سمك . ومثل هذه الأعمال سهلة بالنسبة له ، ولكن كل هذا باقبال الملك وسعده خاصة وقد لقبته بأخيك » . فأمر خورشيد شاه بتقييد الحصان جيدا والحفاظ عليه أمام باب المجلس .

فى الجانب الآخر فانه حينما عاد المنهزمون الى معسكر آرمنشاه ذاع فى المعسكر أن حصان دبور اختطف ، ومع هذا لم يجرؤ أحد على اخبار دبور أن حصانه اختطف ولكن قزل ملك علم بهذا ونضايق وتوجه الى مجلس دبور ، وحين وصل كان دبور غافلا فلما دخل عليه قزل ملك تنبه وقام وادى التحية فقال له قزل ملك « ايها البطل ، لقد جاء سمك وأخذ حصانك » . فقال دبور « كيف أخذه فى وضح النهار ؟ ثم استدعى سائسه وسأله عما حدث . فذكر له الحقيقة وعندئذ ثار وقتل خمسين من حراسه وأراد قتل سائسه أيضا فقال له « أيها البطل ، ما ذنبى أنا ؟

دعنى حتى أستعيد لك حصانك كما إستعدته من قبل » • فتركه دبور وطمانه وأكرمه • وكان هذا الرجل هو سائسه الخاص فلما خرج من عند دبور وركب تلك الحجر (١) وفي ظلام الليـل اتجه الى معسكر خورشيد شاه •

في الجانب الآخر فان سمك حينما أخذ الحصان رخش الى خورشيد شاه الذى فرح بما قـام به قـال له سمك « أيها الملك ، ان قلبى معلق بغدير ، وقد تجولت في المعسكرين ولم أرهـا ولهذا سأذهب للمدينـة لأبحث عنها ، وان عثرت عليها كان خيرا والا فانني سأذهب للوديـان الاثنى عشر ، واذا لم تكن هناك فكرت في شيء آخر » • وكانت ضيـاء واقفة أمام سمك فقالت « أيها البطل ، سـآتى معك حتى أرى أقـاربى وأصدقائى وأرى ماذا فعلوا بقصرى وأعرف أحوال اخوتى وماذا يفعلون الآن » • فقال سمك « لا بأس » •

أثناء توجههما الى معسكر أرمنشاه وصل الى سمعهما فجأة صوت وقع أقدام حصان فأنصتا جيدا ليعرفا من ذا الذى يأتى متلصصا تحت جنح الظلام ، وكان ذلك الشخص هو السائس العجوز وكان يفكر فى أين يجد رخش حصان دبور ، وأين يمكن أن يكونوا قد ربطوه وكيف سيذهب به ثانية الى دبور • وكان يقول لنفسه لو أن دبوز قتلنى لكان أفضل من أن يقتلنى هؤلاء الناس • وأدرك سمك ما جاء من أجله هذا الرجل فقال اضياء « هذا الرجل جاء ليسرق رخش فابقى الى أن أنظر من هو » • قال هذا وتقدم نحو السائس وقال ؟ من القادم ؟ فأجاب العجوز » رجل من الرعاة ضاع منى حصان ويقولون انه جاء الى هذا المعسكر ، فجئت أنظر هل هو موجود هنا أم لا ، وأفكر في كيف أدخل هذا المعسكر وممن أسأل لأننى أعلم أن الملك سـيعاقبنى » • فسأله سمك « وممن أنت ؟ » قال العجوز « من رجال أرمنشاه » فقال له سمك « حصـان من تلك الخيل التى تتحدث عنها جاء بين خيلنا فتعال لأريه لك » •

قال سمك هذا وأمسك بعنان فرس الرجل وسار به إلى أن اقترب من رخش الذى صهل بقوة ورمح (٢) وحاول أن يحطم سلاسله التى تقيده فلم يتمكن ، وصهلت الحجر أيضا وقفزت من مكانها وألقت العجوز من

---

(١) الحجر هي الفرس الأنثى والجمع أحجار وحجور •

(٢) رمح الفرس اذا ضرب بيديه ورجليه •

على ظهرها فسقط وانكسر عنقه ومات ، وذهبت الأنثى ووقفت بجوار الحصان رخش . فذهب سمك الى سائس خورشيد شاه وقال له قيد هذه الحجر ، ثم ذهب الى مجلس خورشيد شاه وقال له « أيها الملك ــ باقبالك وسعدك ــ أحضروا بأنفسهم تلك الفرس التي اجتذبوا بها رخش ذلك اليوم في الميدان وقيدها عبيدك جيدا الى جوار الحصان رخش » ففرح خورشيد شاه وقال كيف حدث هذا ؟ . فذكر له سمك تفاصيل ما رآه وما فعله .

عاد سمك وتوجه الى المدينة مع ضياء ، فلما وصلا اتجها الى بيت الأخوين القصابين فوجداه خرابا بينما كانت أمهما جالسة في ركن مهدم تبكي وتنوح ، فتقدم اليها سمك وضياء وسلما وسألاها عن أحوالها فبكت وقالت « يا أحرار الناس ، لقد خربوا هذا القصر على هذا النحو وأخذوا ابني وسبوا الجواري ، واحتجزوا ولداي في السجن . كل هذه المصائب التي هبطت علينا ...... (٣) وكانت تبكي وهي تتكلم .

حين سمع سمك هذا ، انتفض وقال « أأكون حيا وأصدقائي في السجن ؟ هل ضاعت نخوتي وفتوتي ؟ ثم قال « يا ضياء ، هل تعرفين أين يوجد السجن ؟ فأجابت ضياء « نعم » فقال ان الوقت متأخر فمساء الغد نذهب الى هناك » .

تخفى الاثنان حتى انقضى النهار وأقبل الليل بظلماته فنهض سمك وضياء وتوجها الى السجن فشاهدا حارسه نائما عند الباب وقد وضع سيفه ودرعه تحت رأسه ، والحارس الآخر نائم في ركن آخر ، فأمسكا أحدهما وقتلاه وتقدما الى الباب ودقاه فقال حارس الباب « من القادم في هذا الوقت ؟ فأجابه سمك « لقد أحضرنا سجينا فافتح البـاب لنسلمه لك » . ولم يكد الحارس يفتح الباب حتى قفز سمك وضياء وأمسكاه وقالا « أين الأخوان القصـابان ؟ فقال الحارس « في تلك الحجرة » . فقتل سمك وضياء حارس الباب وذهبا للحجرة التي كان قد أشار اليها فشاهدا بعض الرجال جالسين وبينهم الأخوان القصابان وهم مقيدون ، وكانوا جميعا من رفاق سمك ومريديه الذين أحبوه دون أن يروه .

احتضن سمك جميع الموجودين وأخرجهم مع الأخوين القصابين وقال لهم « اذهبوا الى معسكر خورشيد شاه واذكروا له ما حدث لكم ، فلدى عمل هنا في المدينة » . فساروا متوجهين الى معسكر خورشيد شاه .

---

(٣) ساقط في الأصل الفارسي .

قال سمك لضياء « يجب علينا أن نبحث عن غدير » فقالت له ضياء « وأين نذهب ؟ فضحك سمك وقال « يا أختي ، ان قلبي يحدثني أن نذهب الى بدرية وسنجدها هناك » . فقالت ضياء « أيها البطل ، ماذا تقول ؟ شخص فقد في الصحراء فماذا يفعل في قصر بدرية ؟ فأجابها سمك « أنت لا تعرفين لأن وراء هذا سرا ، فالجواهر يجب البحث عنها في مناجمها فكثير من الأعمال لا يعرف الجانب الخفي منها » .

قالا هذا وتوجها الى قصر بدرية وقذف سمك وهقه وأحكمه في أحد أركان السطح وصعدا لأنهما كانا يعرفان أين تقيم بدرية ، وسارا حتى وصلا الى باب تلك الحجرة فشاهدا بدرية في هذا الوقت من الليل وهي تكتب رسالة ويقف أمامها خادم . فقال سمك « يا ضياء ، إن قلبي يحدثني أن هذه الرسالة الى خورشيد شاه » . فقالت ضياء « يا أخي ، ما هذا الكلام الذي تقوله ؟ فأجابها سمك « يا أختي ، ان كل عمل يحدثني به قلبي وأقوله يتحقق فانظري ان كان ما قلته صحيحا أم لا ؟

وقف الاثنان حتى انتهت بدرية من كتابة رسالتها وسلمتها للخادم وقالت له « احملها الى خورشيد شاه ، ولا تسلمها لأحد غيره » . فأخذ الخادم الرسالة وخرج من الحجرة لكي يذهب ولكن سمك وضع يده على صدر الرجل وقال له « لا يوجد اذن باللقاء » . ففزع الخادم وسقط مغشيا عليه . فقالت بدرية « انظروا ماذا أصابه » فجاءت امرأة ورأت الخادم ممدا على الأرض فنثرت بعض الماء على وجهه حتى أفاق وأخذته الأميرة بدرية وسألته « أيها الخادم ماذا أصابك ؟ فأجابها « وضع رجل يده على صدري وقال لا يوجد اذن باللقاء » . ثم صرخ الخادم . فقالت بدرية « من أنت ؟ ادخل عدوا كنت أم صديقا » .

دخل سمك وضياء وأديا التحية ، فوقفت بدرية واحتضنتهما وأجلستهما أمامها وقالت أيها البطل ، كيف كان تعبك معي ولماذا جئت وكيف تذكرتنا ؟ فأجابها سمك « قولي لنا لمن كنت تكتبين هذه الرسالة حتى أقول لك لماذا جئت ؟ » .

قالت بدرية « كتبتها الى خورشيد شاه لأن حبه ظل في قلبي ، فانت حين اخذتني اليه ووقعت عيناي عليه أسلمت قلبي اليه ، وقد سبق وكتبت له رسالة وقد ظنت ماه برى أنه ربما آرادني فألقت تلك الرسالة

وقالت ان الملك أقسم لى أننى مادمت حية فلن يقترب من اخرى فى حلال او حرام الى أن لقيت ماه برى ربها فعادت الى الرغبة فى خورشيد شاه ولهذا كتبت له الرسالة عساه يتزوجنى وأرسل اليه مفاتيح ثلثمائة كنز من كنوز أبى ، وهذا ما حدث » ٠

وقفت ضياء وانحنت على قدم سمك وقبلتها وقالت « اسعدك الله ، لك علم بكل سر » ٠ فسألت بدرية « ما هذا ؟ فذكرت لها ضياء ما دار بينها وبين سمك ، فتعجبت بدرية وأثنت عليه وقالت » لماذا جاء البطل ؟ فأجابها سمك « أيتها الملكة ، اننى أظن فيك ظنا ، اذ أننى جئت للبحث عن غدير » ثم ذكر لها قصتها ، فضحكت بدرية وقالت « أيها البطل ، لقد فقدت غدير فى الصحراء وجئت تبحث عنها عندى ؟

حين سمع سمك هذا التفت الى ضياء فقالت بدرية « ماذا تعنى هذه الاشارة ؟ فقال سمك « لقد فهمت أن غدير عندك والا فما أدراك أنها فقدت فى الصحراء ؟

قالت بدرية « اننى أعيش على أمل أن أكون لخورشيد شاه ، وعلى ما سمعته عن حسن غدير وجمالها فانك ان أخذتها اليه فلن يتزوجنى » ٠ فأجابها سمك « أيتها الملكة ، ان غدير عندك وسأدبر أمركما معا » ٠ فقالت بدرية « يا سمك ، عاهدنى على أن تزوجنى لخورشيد شاه حتى أدلك على طريق غدير لأن الله هيأ هذا الأمر لصالحى وحتى أحقق حلمى أولا » ٠ فسكت سمك برهة ثم قال « لقد ذكرت أحوال غدير لخورشيد شاه ، فماذا أفعل ؟ فقالت ضياء « اقسم على أن آخذ أنا بدرية الى الملك » ٠

أقسم سمك على أن يعطى بدرية أولا لخورشيد شاه ثم سألها « والآن أين غدير ؟ فقالت بدرية « قل لى كيف عرفت أنها عندى ولماذا قصدتنى ؟ فأجابها سمك « هكذا حدثنى قلبى » ٠ فقالت له بدرية « فى تلك الليلة التى كنت فيها مع الزنجى وغدير والمربية ولالا وضياء تستريحون فى ذلك المكان ، كنت قد أعطيت أختا لى اسمها قيماز رسالة لتحملها الى خورشيد شاه ، وحين وصلت ورأتكم أصابها الخوف والرعب فتوقفت فى ركن ترى ما تصنعون وحين قامت غدير لقضاء الحاجة بمفردها رأتها قيماز فصاحت فيها فخافت غدير وقامت أختى قيماز بامساكها وعادت الى تحملها معها ٠ وحين رأيت غدير صحت فيها فخافت وذكرت لى كل شىء عن نفسها وسلمتها الى اختى قيماز لتحافظ عليها لأننى أدركت أنك ستبحث عنها ، وهى الآن فى قصر قيماز » ٠

بهت سمك حين سمع هذه الروايه واخذ يناجى ربه بقلبه قائلا « يارب ، افعل ما أنت أهل له لأنك الفعال لما تريد ، والا فكيف كان يمكن لألف مثلى الوصول الى هذه الحقيقة ؟ يا قادر يا خالق انت تعلم كل شيء وتفتح كل الأبواب الموصدة » . وبعد ان انتهى من مناجاته لربه التفت الى ضياء وقال لها ؟ خذى هذه الرسالة وأوصليها الى خورشيد شاه وسأبقى هنا وأطلب حضور غدير وأنظر فيما يجب عمله » .

أخذت ضياء رسالة بدرية وخرجت وكانت أبواب المدينة مفتوحة والناس يذهبون للمعسكر أو يرجعون منه ، فلما وصلت الى خورشيد وسلمته الرسالة وذكرت له ما حدث قال « يا أختى هل هذا وقت للزواج ؟ اننى لا أحبذه الآن » . فخرجت ضياء من عند خورشيد شاه وأخذت تعيد على مسامع الثعلب وهما واقفان على باب المجلس أن بدرية تهوى خورشيد شاه وكتبت له رسالة حتى يتقدم لخطبتها .

من قضاء الله أن كيكان الجاسوس كان واقفا فسمع ما دار بينهما وعاد الى أرمنشاه وقل له « ان لك عدوا أخطر يقيم فى بيتك هى ابنتك التى كتبت رسالة لخورشيد شاه لكى يتزوجها » . فثار قزل ملك وقال « سأذهب لأقضى على بدرية » . فأمسكه البطل دبور وقال « أيها الأمير ، احذر أن تلطخ اسمك بالعار ، لقد طلبت أختك الزواج ولا عيب فى هذا ، وهذا أمر البنات اذا لم يزوجوهن مبكرا بحثن هن عن الأزواج . وقد اختارت أختك خورشيد شاه زوجا لها ولم تخطىء فى هذا ، فان قتلتها ذمك الناس ولاموك وذكروا اسم بدرية بالسوء وسيقولون ماذا ارتكبت من اثم حتى قتلها أخوها ؟ فابق لنتشاور فى الأمر فان كان لابد من قتلها قتلتها سرا ثم أشع أنها ماتت » .

بهذا أجلس دبور الأمير قزل ملك ، وكان أرمنشاه والآخرون فى ضيق من هذا الأمر فقال شهران الوزير « يجب أن نحضر قيماز شقيقة بدرية ونعلم منها الحقيقة فهى تعرف خير بدرية وشرها » . فاستحسن أرمنشاه وقزل ملك رأيه هذا وفى الحال أرسلوا عبدا لكى يبحث عن قيماز ويستدعيها للمجلس .

فى الجانب الآخر فانه حين ذهبت ضياء من عند بدرية ، قام سمك وذهب الى قيماز وذكر لها ما دار بينه وبين بدرية فقالت له قيماز « ان لى مع بدرية علامة فاذهب وأت بهذه العلامة » فلما عاد الى بدرية قالت له اذهب وقل لها انها تريدك وحين سمعت قيماز هذا قامت وذهبت الى بدرية

وأدت التحية فأعطتها بدرية طاقما من ملابسها وقالت لها يا أختى اذهبى وزينى غدير واحضريها الى « فعادت قيماز الى قصرها لكى تزين غدير وتحضرها ٠

حدث أنه فى أول مرة ذهب فيها سمك الى قيماز وقال لها ان بدرية تريد ذهاب غدير اليها أن غدير سمعت هذا الحوار فوقع فى قلبها الخوف من بدرية وأنها ربما طلبتها لترسلها الى أخيها قزل ملك وبهذا تقع فى محنة قد لا تنجو منها ولهذا قالت غدير لنفسها « ليس هناك أفضل من الهرب » ٠ وحين ذهبت قيماز الى بدرية قامت غدير وأخذت ابريق ماء وصعدت الى السطح كأنها تريد أن تقضى حاجتها ، ثم تركت الأبريق وأمسكت بحافة السطح وقفزت الى سطح الجيران ومنه تسللت الى الشارع ٠ وكان الصباح قد اقترب ولم تكن تدرى أين تذهب فقالت لنفسها « ليس من صالحى البقاء بالقرب من قصر قيماز » وكانت هناك حارة دخلت فيها وسارت الى أن أتت باب قصر فدقته فقالوا « من بالباب ؟ أجابت « أنا » ٠ ففتحوا الباب فى الحال وكان بيت امرأة عجوز قالت لها غدير « يا أماه ، قبل أن أقول لك من أنا ، قولى لى من أنت ؟ وما اسمك ؟ ومن هو زوجك ؟ وكم لك من الأبناء ؟ قولى الصدق » ٠

قالت العجوز « ليس لى زوج ولا أبناء ٠ واسمى شمامة الدلالة ٠ وأعمل كدلالة وليس لى أحد قط سوى ابن متبنى » ٠ فقالت لها غدير « وأين ابنك المتبنى هذا ؟ أجابتها « انه يشرب فى الحانة » فقالت غدير « يا أمى ، كيف تحمين المستجير وكيف تحفظين الأمانة ؟ فأجابتها شمامة « اننى أفدى المستجير بى بروحى وقلبى ولا أتخلى عنه أبدا » ٠ فقالت لها غدير « اقسمى » ٠ فأقسمت شمامة بالله العادل الخالق أن تحفظ سر غدير ( فذكرت لها غدير قصتها ) (١) ٠ فقالت لها شمامة « أيتها الملكة ، لا تشغلى بالك فسوف أخفيك فى مكان لا يعلمه أحد الى أن يحين الوقت » ٠ وكان من ارادة الله أن بيت شمامة كان له مطمورة أخذت غدير اليها ثم وضعت أمامها الخبز والماء والطعام فأقامت بها غدير ٠

فى الجانب الآخر فان قيماز عندما رجعت من عند بدرية مع الملابس والحلى بحثت عن غدير فلم تجدها فسألت المربية « أين ذهبت ؟ فأجابتها « صعدت الى السطح » فصعدت قيماز ولم تجد غدير فعادت الى بدرية

---

(١) هذه الجملة ليست فى الأصل فاضفناها حسب ما يقتضى النص ٠

وذكرت لها هذا . فقالت لها بدرية « لعلك اخفيتها » فقالت قيماز « لو كنت قد أخفيتها لاحضرتها اليك بنفسى فقالت بدرية « اسألى عنها الجيران لعلها هربت خوفا على نفسها » .

عادت قيماز الى قصرها حين وصل رسول الملك وقال لها « ان الملك يريدك » . فقامت قيماز وذهبت مع ذلك الرجل الى أرمنشاه وأدت التحية فسألها شهران « يا قيماز ، لقد استدعاك الملك لأنهم أخبرونا أن بدرية تهوى خورشيد شاه وكتبت له رسالة وأنت على دراية بهذه الحكاية فأخبرينا كيف كانت من البداية الى النهاية » .

أجابت قيماز « لا أعلم ولا أعرف شيئا عن هذا » . فقال شهران « يا قيماز ، لا تنكرى لأنه لا يخفى عنا شىء ، وسوف يلومك الملك ولابد أن سر هذا الأمر سينكشف فلا تحزنى قلب الملك ولا تجلبى على نفسك سوء السمعة » . فردت عليه قيماز « لما كنت لا أعرف شيئا عن هذا فماذا أقول من هراء ؟

أمر قزل ملك بضربها بالعصى لأنها لن تتكلم دون ضرب ، فجاء الجلاد وشدوا قيماز بالفلقة وأخذ فى ضربها حتى صارت لا تطيق وطلبت الأمان ففكوها من الفلقة وأخذت تتكلم عن بدرية من أول أمرها الى كتابة الرسالة وارسالها معها الى خورشيد شاه ووصول سمك وغدير والزنجى الى ذلك المكان ، وكيف ضلت غدير منهم عند خروجها لقضاء الحاجة وامساكها وأخذها الى بدرية ثم حملها الى قيماز للحفاظ عليها وطلب بدرية لها اليوم واختفائها . روته قيماز دون مواربة ولكنها لم تذكر شيئا عن سمك لأنها لم تره عند بدرية .

## انج سعد فقد هلك سعيد

حين سمع أرمنشاه هذا قال لشهران الوزير « قم وأذهب الى بدرية فى المدينة وقل لها أننا مشغولون هنا فى الحرب وأنت وحدك فى المدينة ولا نأمن عليك لأن رجلا جاء وأخبرنا أن سمك العيار فى المدينة واقتحم السجن بالأمس وحمل منه الأخين القصابين ورفاقه ، ولما ذكروا هذا للملك رأى أنه يجب عليك أن تذهبى مع الوزير شهران الى قلعة المدينة عند مستحفظها . وحين تأخذها الى القلعة اقتلها لأننى لا أستطيع أن أرسل قزل ملك لهذا العمل » .

كان لهيب واقفا فسمع هذا الحوار ، وأسرع بالعودة الى خورشيد شاه وذكر له ما سمعه فقالت ضياء « أيها الملك ، سوف اذهب للمدينة لأبلغ اخى سمك بهذا حتى يتدبر الامر واكون معه لأنه ليس بالأمر الهين البسيط » قالت هذا وتوجهت الى مدينة منغوليا مرة أخرى .

فى الجانب الآخر وصل شهران الوزير أيضا الى المدينة وذهب الى قصره ومن هنــاك أرسل خادما الى بدريــة يقول لها « ان الملك يأمر بأن تذهبى فورا الى قلعة المدينة لأنه يبدو أن سمك فى المدينة وأنا لا آمن عليك منه . وقد أرسلنى أبوك لهذا الغرض لكى اصطحبك الى القلعة ، فأعدى نفسك لهذا » .

حين وصل الخادم وأبلغ بدرية بهذا الأمر بهتت وقالت لنفسها « ليس هذا دليل خير أن يأخذنى الى قلعة المدينة لأن كل من ذهب الى هذه القلعة لم يعد منها أبدا » ولكنها قالت للخادم « السمع والطاعة ، فسأجهز نفسى » . وعاد الخادم الى شهران الوزير .

ذكرت بدرية هذه الرسالة لسمك الذى تعجب منها ثم قال « ان كان الامر هكذا ، فيجب علينا الرحيل » . فسألته بدرية « وأين ستذهب ؟ وأين أجــدك ؟ فأجابها سمك « لا يجب أن تعــرفى أين أكون لأننى الذى سأبحث عنك » . فقالت له بدرية « انه النهار الآن فانتظر حتى يحــل الظلام » فقال لها سمك « احضرى لى ملابس نسائية لأن بقائى هنا ليس خيرا وسأذهب لأقوم ببعض الأعمال » . فأحضرت له بدرية ملابس نسائية وعباءة ارتداها سمك وخرج من القصر وسار فى طريقه الى أن أتى قصر الأخوين القصابين وجلس أمام أمهما العجوز وأخذ يتحدث معها فى كل أمر وشــأن .

فى الجانب الآخر فانه حين أقبل الليل قالت بدرية لنفسها « يجب أن أدبر أمر هروبى والا فانهم سوف يقتلوننى ، وقالت للجوارى « تعالين نذهب للحمام » فلما اقتربت منه قالت للجوارى « اسبقننى للحمام لأن لى صديقة سأدعوها ثم ألحق بكن » قالت هذا وتركت الجوارى واقفات فى انتظار عودتها ، وكان هناك زقاق سارت بدرية فيه ثم دخلت فى زقاق آخر حيث رأت بيتا مهجورا دخلت فيه وتركت جواريها واقفات ينتظرن عودتها .

بعد نحو ساعة قالوا ان بدرية قد هربت لأنها غير موجودة . وفي الحال وصل الخبر الى شهران الوزير أن بدرية قد اختفت من القصر . فقال شهران « وكيف حدث هذا ؟ ابحثوا عنها » . فطافوا في كل انحاء القصر فلم يعثروا لها على أثر فأخبروا الوزير الذى عاد أثناء الليل الى أرمنشاه وقال له « أيها الملك ، لقد ذهبت الى المدينة وأبلغت الرسالة الى بدرية فقالت أمر الملك مطاع وحتى أجهز نفسى لنذهب فى الغد وحين أقبل الليل وحل الظلام قالوا ان بدرية غير موجودة فبحثنا عنها فلم نعثر لها على أثر » فتضايق أرمنشاه من هذا الأمر .

كان سمك العيار يجلس أمام أم الاخين القصابين بين حطام منزلهما بينما اختفت ضياء فى قصر جلستان في المدينة واختبأت بدرية فى ذلك البيت المهجور . وسنتكلم عما حدث لهما .

أما غدير فيقول المؤلف أنها كانت فى بيت شمامة الدلالة فقالت لنفسها « لا يمكن أن أبقى هنا » وبعد يومين كتبت رسالة الى خورشيد شاه ذكرت فيها أحوالها وأنها موجودة فى بيت شمامة الدلالة وأنها تميل اليه وتريده لأن نجاتها على أيدى رجاله وقالت « لقد أوعزوا لى أننى سأرزق منك بغلام سيتولى ملك الدنيا ، فأدركنى الآن وأرسل من تثق فيه لكى يحملنى اليك وليكن ذلك الرجل المدعو سمك الذى أخرجنى من ذلك السجن المنيع » .

أغلقت غدير تلك الرسالة وأعطتها لشمامة وقالت لها « سلمى هذه الرسالة لابنك المتبنى وابعثيه الى خورشيد شاه » . فأعطته شمامة الرسالة وقالت له « يا بنى ، أوصل هذه الرسالة الى خورشيد شاه » . فأخذها ولما خرج من المدينة رأى بعض الفرسان متجهين الى معسكرهم ولكنهم قالوا له عمدا « نحن ذاهبون الى معسكر خورشيد شاه فالى أى معسكر أنت ذاهب ؟ قال « أنا ذاهب الى معسكرهم الى خورشيد شاه » . فسأله الفرسان « وماذا لديك من عمل عند خورشيد شاه ؟ أجابهم « معى رسالة » . فلم يقولوا له شيئا وحملوه معهم الى أن أتوا به أمام أرمنشاه وأدوا التحية وقالوا « أيها الملك ، أتينا برجل يحمل رسالة » . فقال له أرمنشاه « هات الرسالة لأرى ما بها » . فقال الفتى « ليس معى شيء ، بل اننى كنت أختبرهم لأنهم حين خرجوا من المدينة قالوا اننا من رجال خورشيد شاه فقلت لهم وأنا أيضا من رجال خورشيد شاه فما هذه الرسالة التى يزعمون ؟ قال الملك « ابحثوا عن الرسالة » ففتشوه وعثروا

على الرسالة وسلموها لملك الذى قراها وعرف أن غدير فى بيت شمامة الدلالة وفرح قزل ملك وقال « يا أبى ، لما كانت غدير التى فقدت فى الصحراء قد ظهرت فى مدينتنا فأنا أعرف ان بدرية أيضا قد اختفت فى أحد البيوت ، ولهذا سأذهب للمدينة » ٠

## الشيطان والملاك

قال قزل ملك هذا وتوجه للمدينة ، وكان أثناء الطريق يقول لنفسه « ان لدى رغبة شديدة فى رؤية غدير التى يتحدثون عن جمالها » الى أن وصل الى المدينة فقال طلامة والى المدينة لا يجب علينا الذهاب الى بيت شمامة والا فانها حين ترانا ستقوم باخفاء غدير ، فماذا نصنع معها ؟ هل نذهب الى منزلها اذا كنا لن نجد غدير ؟ من الافضل أن نرسل رجلا الى بيتها ونحضرها » فقال قزل ملك « هكذا يجب أن نفعل » ٠

قالا هذا وذهبا كلاهما الى بيت طلامة وفى الحال أرسلوا رجلا أمينا الى شمامة يقول لها ان البطل طلامة يريد بعض الأثواب ٠ فلما جاءها الرجل قامت وحملت بعض الملابس وخرجت من بيتها وتوجهت الى قصر طلامة وآنذاك خرج قزل ملك الذى كان مختبئا وقال لها « يا شمامة هل تركنا لك المدينة لكى تفعلى بها كل ما تشائين وتميلين الى خورشيد شاه ؟ قومى واحضرى غدير المختبئة فى بيتك ٠ فقالت شمامة « ليس لى علم بما تقول وبيتى أمامك ، اذهب وابحث عما تريد » ٠

أرسل قزل ملك بعض الخدم الى البيت وكان من بينهم خادم ذكى ماكر ذهب الى الجوارى وقال لهن « أين غدير لأن شمامة تريدها لترسلها الى الملك ؟ » فظنت احدى الجوارى أنه صادق فى كلامه ، فقادته الى تلك المطمورة وفتحت بابها وأخرجوا غدير من مخبئها وقالوا لها سنأخذك الى خورشيد شاه ٠ ولكن غدير شكت فى كلامهم وقالت لنفسها « ليس هذا دليل خير » الى أن أخذوها الى قزل ملك فى قصر طلامة وحين وقعت عيناها على قزل ملك ظنته الشيطان وارتعش جسدها ، ولم تكن غدير قد رأت قزل ملك من قبل ولا عرفت خورشيد شاه ولكنها أحست بقلبها مدى عداونيته وشراسته فقالت لنفسها « بالله العادل ليس هذا الفتى خورشيد شاه ولو كان هو لأحسست بشىء من الحب القلبى ويقينى أنه قزل ملك لأن خورشيد شاه لا يستطيع المجىء الى المدينة أو الجلوس فى استرخاء وجرأة هكذا » ٠

كانت تفكر فى هذا حين قال لها قزل ملك « يا غدير ، اسمى قزل ملك ، ابن أرمنشاه لقد أعادك الله الى يدى بعد تلك المدة التى أخفاك فيها أبوك وعثر عليك سمك ثم فقدك فى الصحراء وأخيرا ظهرت فى مدينتى ، والآن كونى زوجة لى لكى أهب لك الاثنى عشر واديا وحينما تصيرين زوجة لى فهذا أفضل من ذلك الغريب ، فمن يكون خورشيد شاه بالنسبة لنا ؟

كان قزل ملك يتحدث فى هذا المعنى وهو ينظر الى جمال غدير وبهائها ، ويتطلع الى وجهها وشعرها وطولها وقدها وحلاوتها وملاحتها ولم يكن ينظر الى قلبها ، وانما كان يرى فيها فتاة لم تقع عيناه على مثلها وجمالها ، وهى تقف أمامه كغصن بان يميل ويميس الى ان أجلسها أمامه وتطلع الى جبهتها العريضة وعينيها الكحيلتين وحاجبيها الشبيهين بالقوس وأنفها الذى يشبه حافة الدرهم وخديها الورديين وفمها الدقيق وشفتيها الرقيقتين وأسنانها اللؤلؤية وضفيرتيها الطويلتين كأنهما وهقين وصدرها العريض وخصرها النحيل وهى كلها من قمة رأسها الى أخمص قدميها حلاوة ونضارة وطراوة من النعمة التى عاشتها وكأن الشمس لم ترها .

رأى سروا ولكن من شعاع القمر

ملأت البيت نورا وتلألأت كالدرر

حسناء وجنتاها البدر والمشترى

وفاقتهما بعيون للقلوب تسحر

غديرتاها تنسابان على لجين معطر

ذؤابتاها كأنهما المسك والعنبر

شفتاها كياقوت وقد حلى شهدا

وفم ينم عن صفين من لؤلؤ مبلور

قد جمع الحسن فى قدها وقوامها

والعذوبة كلها فى حديثها المسكر

كان قزل ملك يتكلم بكل كلام حلو ورقة ، وكانت غدير تسمع ذلك الكلام وتقول لنفسها لو جادلته فلن يكون خيرا لى ولكن يجب أن أهدئه بالكلام لأننى على ثقة من أن سمك العيار يمكنه أن ينقذنى وذلك حينما يعلم أين أنا فسيبحث عنى ولن يتركنى فى أيديهم وكانت تفكر فى هذا ثم قالت « أيها الأمير ، أنت تعلم أن الغورى قد أعطانى لابن أخيه شاهان ، وحين انتقل عمى الى الآخرة استردنى أبى منه ووضعنى

فى السجن لكى لا يزوجنى لأحد . والآن وقد أظهرنى الله لك ، فلعله يربطنى بك بعد أن خلصنى من كل هذه المصائب وجعلنى فى يديك . ثم ان لى أبا واخوة كما أنه لا يوجد صهر أفضل منك حيث لن يتقدم لخطبتى أحد ، ولن أحتاج لخورشيد شاه . لقد أخرجنى من السجن رجل معدم وقال لى أنه سيأخذنى الى خورشيد شاه لكى أكون زوجة له . واذا كان لابد من أن أتزوج فهذا واجب عليك خاصة وأنت ملكنا فمن يكون خورشيد شاه بالنسبة لنا ؟ بل هو عدونا . فاحتفظ بى فى قصرك وارسل شخصا الى أبى واطلبنى منه لأننى فى رعايتك » .

تعجب قزل ملك من كلامها لأنها كانت تتحدث بحلاوة وعذوبة وقال طلامة « أيها الأمير ، انها تقول الحق والصدق » ففرح قزل ملك وظن أنه سيفوز بها ويشرب من ينبوع حلاوتها ، فتركها لخدم القصر وعاد الى أبيه أرمنشاه وذكر له ما حدث وكان حبيب ومصارع وفاتك والجبالى وجهاد يجلسون أمام أرمنشاه فقال لهم قزل ملك « لقد ظهرت غدير بعد أن فقدت فى الصحراء وهى مقيمة فى بيتى فاعطوها زوجة لى » . فأدى الغوريون التحية وقالوا « أيها الأمير ، أنت تعرف الغورى ، ومادام على قيد الحياة فليس لنا حكم على ابنته . فابعث رجلا واطلب الغورى ليأتى لأنه لن يجد صهرا أفضل منك » .

فى الحال أمر أرمنشاه بكتابة رسالة للغورى جاء بها « أننا استعدنا غدير وهى ليست فى يدى خورشيد شاه بل فى منزلى أنا قزل ملك ويجب عليك المجىء بسرعة لأمر هام لن يتم دون حضورك » ثم سلم الرسالة الى فارس وأرسله الى الغورى . وحينما قرأ الغورى الرسالة وعرف مضمونها استولى عليه الفرح وركب فى الحال وتوجه الى معسكر أرمنشاه ، فوصله بعد أربعة أيام وأدى التحية ودعا وأثنى ، فلاطفه أرمنشاه وأكرمه وأجلسه أمامه ثم ذكر له موضوع غدير وطلبها لابنه قزل ملك ، وحين سمع الغورى هذا أدى التحية وقال « أنا عبد للملك ، وابنتى جارية للأمير ، ولكن يجب أن أصل لابنتى وأرى ان كانت ترضى أم لا لأن لها أربع سنوات منذ سجنتها لم أكلمها كلاما لينا طيبا » .

قال شهران الوزير « هذا صحيح ، يجب أن نأخذه الى الفتاة لأن بين الأب والابن كلام خاص . ولكن يجب أن نرسل معه رجلا من المعتمدين الثقاة » . فأرسل أرمنشاه بعض رجاله الذين يعتمد عليهم مع الغورى . فلما اقتربوا من المدينة شاع فيها أن الغورى قادم لكى يزوج ابنته لقزل ملك . وكان سمك فى المدينة يتجول فيها كل ليلة للبحث عن

غدير . فلما وصل الغورى ومن معه للمدينة كانت أم القصابين خارج بيتها فسمعت بهذا وجاءت الى سمك وذكرته له ، فقال لها سمك « يا أمي ، يلزمني قبعة وعباءة وسيف بحمائله تشترينها لى » وأعطاها بعض الدنانير .

ذهبت المرأة فى الحال واشترت العباءة والقبعة والحمائل وعادت بها الى سمك الذى وضع على وجهه دواء ودلكه حتى تغير لونه ، ثم جعل شعره على هيئة النقباء ووضع العباءة ولبس القبعة وعلق السيف بالحمائل وربط وسطه كالحجاب وذهب لاستقبال الغورى . وفي وسط هذا الجمع الغفير من الأعداء دخل واندس فى موكب الغورى وسار معه الى أن وصلوا الى باب قصر قزل ملك .

تقدم سمك وأمسك ذراع الغورى الى أن نزل عن ظهر حصانه لأن الغورى كان شيخا كبيرا ووضع الغورى يده على كتف سمك . وكان رجال أرمنشاه يظنونه الحاجب الخاص للغورى بينما كان الغورى يعتقد أنه من رجال أرمنشاه الى أن وصل أمام العرش الذى كان فى القصر الخاص وخرجت غدير من حجرتها وسلمت فرد عليها أبوها الغورى برد حسن ولاطفها وكان سمك يقف خلف الغورى ، وحين سأل الغورى غدير كان المتمسون من رجال أرمنشاه ينصتون لردها وما سوف تقول لأن الغورى قال لها « يا ابنتى ، ماذا تقولين ؟ هل أزوجك للأمير قزل ملك ؟ وهنا أشار اليها سمك الذى كان يقف خلف أبيها اشارة معناها « لا » . ولاحظت غدير اشارته ونظرت اليه لتعرف من ذلك الذى يقف خلف أبيها بجرأة هكذا .

حين لاحظت غدير اشارة سمك قالت لنفسها « لابد أن يكون وراء هذا الرجل شيء ما ولكنني لا أعرف من هذا الشاب ولماذا يشير الى هكذا فقالت « يا أبى تعال الى حجرتى حتى نتكلم ونرى ما يجب عمله . فقام الغورى وأمسك سمك يده وأدخله خلف ستار حجرتها وأجلسه وأشار الى غدير أنه سمك . ففرحت غدير وأثنت عليه وتعجبت منه وقالت فى نفسها « ما أشد جرأة هذا الرجل وشجاعته ، انظروا كيف تنكر على هذه الصورة » . الى أن قال الغورى « يا ابنتى ، ان قزل ملك صهر حسن ، وهو أمير ولا يوجد صهر أعظم ولا أفضل منه » فاستغرقت غدير فى التفكير وقالت لنفسها « ماذا أفعل حتى أؤجل هذا الموضوع » ؟

كانت غدير تفكر فى كل احتمال حتى جاءتها حيلة فقالت « يا أبى ، أنت تعلم جيدا أننى قضيت أربعة أعوام فى جب ذلك السجن ، وقد ذبل

قلبي من الحزن واصبحت لا أدرى من أمرى شيئا ، فان عقدت لى على قزل ملك فلن يصبر خاصة وهو شاب وقد رآني وســوف يأتي الى المدينة للزفاف ، وسيؤلمنى هذا كثيرا ولا أعلم ما قد يحدث لأنني لن أستطيع أن أرعاه وأسـعده بسبب انقباض قلبي مما سيغضبه مني . فمرهم يحضرون لى المطربين والمغنين ليعزفوا لى ويغنوا حتى ينشرح قلبي ويسعد ويعتدل طبعي وآنذاك نعقد العقد حتى أستطيع أن أقوم بما يجب على » .

تعجب سمك من ردها وأثنى عليها فى نفسه وقال لقد دبرت حيلة جيدة . وقال لها أبوها « هذا أمر سليم » . ثم قام فأمسك ســمك ساعده وأركبه على جواده وأمسك ركابه حتى أوصله الى باب المدينة ثم سلك طريقا جانبيا وعاد الى بيت أم القصابين فرأى ضياء جالسة هناك ، فسأل كل صاحبه عن أحواله الى أن قال سمك « يا ضياء ، لقد دبرت أمر غدير وسنتمكن من أخذها خلال شهر » فأثنت ضياء عليه .

حين عاد الغورى الى أرمنشاه وذكـر له ما حدث ، وأن غدير تريد الترفيه لبعض الوقت أمر قزل ملك خازنه أن يذهب فى الحال الى المدينة مع بعض العبيد لكى يأمر عادان الوالى أن يزين المدينة ويفتح هو الخزينة ويعطيه كل ما يريد ويرسـل جميع المطربين الى غدير لكى يفرحـوها ويسعدوها . فذهب الخازن والعبيد الى المدينة وأبلغوا عادان بأوامر الملك وانشغل الجميع بهذا وزينوا المدينة واجتمع المغنون فى المجلس وأخذوا فى ترديد الأغانى وقدم الخازن كل ما احتاجوا اليه ، وامتلأت المدينة بالزينة وعمها الفرح والسرور . وكانت غدير فى القصر بينما ذاع الخبر فى المدينة وأرسلت زوجات الأمراء والعظماء الهـدايا الى غدير لتحيتها وتهنئتها . وكانت غدير تسأل عن كل جارية ولمن هى وتكرمها . وبلغ هذا الى سمك فقال لضياء « قومى لنذهب الى غدير » . فقالت ضـياء « وكيف نذهب » ؟ .

قال ســمك العيار لأم القصابين « اشترى لنـا من الســوق بعض .... (١) والسكر النبات ووضعها سمك على طبقين وطلب طاقمين من ملابس النساء لبسها هو وضياء ثم لبس جرموقا ووضع عباءة على رأسه وأخذا الطبقين وسارا الى أن وصلا الى باب قصر الملك ، وكان الناس يأتون ويذهبون ، فدخل سمك وضياء القصر وسارا حتى وصلا الى غدير فأديا التحية ووضعا الطبقين وسألتهما غدير كالعادة عمن يكونان فقال سمك بالاشارة أنه سمك العيار ، فقالت لهما غدير خذا أنتمـا الطبقين وادخلا تلك الحجرة وبقيا نحو ساعة الى أن قامت غدير وذهبت اليهما

---

(١) ساقط فى الأصل .

وسالتهما عن أحوالهما وقالت « أيها البطل ، ماذا أفعل لأنه لايمكن القيام بأفضل من هذا ، ويجب علينا الخروج من هنا بسرعة » . فوضع سمك يده في وسطه وأخرج بعض المنوم وأعطاه لغدير وقال لها ضعي هذا الدواء في خمر الجوارى كي يشربنه هن والخدم والمطربون ويفقـــدوا وعيهم. وآنذاك سوف آخذك من هنا » فأبقتهما غدير في تلك الغـــرفة وأخذت الدواء ووضعته في خمر الجوارى ، وبعد نحو ساعة كان الجميع قد فقدوا وعيهم كما كان الليل قد أقبل وحل الظلام .

أمر سمك غدير أن تضع عباءة على رأسها ليذهبوا من القصر ولكن غدير قالت « لايجب ترك شمامة المربية مقيدة لأن قزل ملك يريد قتلها ولن أتركها » فذهب سمك اليها وفك قيودها وخرجوا من الحجرة بينما كان المطربون في المجلس يغنون ويعزفون وضجتهم تملأ المكان فأمرت غدير أن يسكت المطربون ساعة حتى تنام وتستريح .

قالت غدير هذا وخرجت من القصر وسمك وضياء وشمامة في اثرها حتي وصلوا الى أول زقاق ونظروا فاذا عادان الوالى ومعه نحو خمسين فارسا قادما في طريقه الى قصره ، وكان الفرسان ينظرون نحو الزقاق فخافت غدير وشمامة فقال لهما سمك « لا تخافا ولا تفكرا في شيء لأنني سأتولى أمرهم » قال هذا وتقدم اليهم وأخذ شمعة من يد أحدهم وقال بصوت ناعم كالنساء « لقد انطفأ شـــمعنا وأخـــذوه ليشعلوه ، وهؤلاء العظيمات لايستطعن السير في الظـــلام » فســـألوه « من أنت ومن هن ؟ قال سمك « أنا حاجبة غدير وأنا ذاهبة اليها وكان معنا شمع ولكنه انطفأ وذهب خادم لاشعاله » . فذكر الفرسان هذا لعادان وأنها حاجبة غدير وهي ذهبة اليها فقال عادان « فليذهب بعضـــكم معهن ليوصلوهن الى القصر » فقالت غدير « وماذا أفعل ؟ فأجابها سمك » نذهب الى القصر ومساء الغد ندبر حيلة أخرى » . فعاد أربعتهم الى القصر وبقوا فيـــه وكانت الأصوات والضوضاء التي يحدثها المطربون والمغنون شاغلا لمن في القصر عن السؤال عن غدير .

بقى سمك وضياء وشمامة في القصر حتى حل الظلام وجاءت غدير الى سمك وقالت له « كيف سنذهب الآن » ؟ فقالت ضياء « لدى فكرة وبغيرها لايمكن الذهاب » فقال لها سمك « تكلمى » قالت ضياء « في هذا المكان مطمورة لايعلم عنها أحد شيئا سوى بدرية وأمها بدور التي قتلت ، ولكنني عرفتها حينما كنت أجيء اليهما مع أمي وكنت صغيرة وقامت أم بدرية

وذهبت لأمر ما فذهبت فى أثرها وهى لاتعلم وفتحت باب تلك المطمورة فرأيتها ثم عدت . وقد تذكرتها الآن » .

ضحك سمك وقال « يا ضياء ، لقد أخرجت بدرية وأمها بدور من تلك المطمورة وحملتهما الى خورشيد شاه وكنت قد نسيتها ومن الخير أنك تذكرتها » . ثم أخذوا غدير وأنزلوها فى تلك المطمورة ووضعوا أمامها شموعا وطعاما ، ثم ارتدى ثلاثتهم عباءات نسائية وخرجوا من القصر ، وكان الناس مازالوا يجيئون ويذهبون ، وساروا فى طريقهم قاصدين بيت القصابين وفى طريقهم خرجت عليهم امرأة من أحد الأركان وهى فى غاية الاضطراب فنظر سمك اليها ليعرف من تكون واذا بها بدرية بنت أرمنشاه ففرح بلقائها .

كان ما حدث لبدرية بعد أن هربت من الجوارى ودخلت ذلك البيت وقالوا لها من أنت ، ولم تكشف عن حقيقتها وقالت انها هربت من أخيها لأنه أراد قتلها بناء على كلام غير صحيح عن سلوكها وطلبت منهم قبولها فى حمايتهم ، فأبقاها أهل ذلك البيت وهم لا يعلمون من تكون الى أن جاءت تلك الليلة وأخذت تفكر وقالت « لماذا أبقى هنا ؟ فلأنهض وأذهب الى بيت الشقيقين القصابين لعلنى أجد سمك هناك والا فانه سيأتى للبحث عنى » . ولما فكرت هذا التفكير خرجت من ذلك البيت ووفقها الله فى لقائهم فلما عرفها سمك ورحب بها اتجه أربعتهم الى بيت القصابين وأخذوا يتحدثون فيما وقع لكل منهم الى أن قال سمك « أيتها الملكة ، يجب عليك الذهاب الى المعسكر عند الوزير هامان وتذكرى له أحوالك وتبقى هناك لأن لدى عمل هنا وهو البحث عن غدير ، ثم أعود لانجز لك موضوعك » فسألته بدرية » وكيف أذهب ؟ قال سمك « فى ملابس الرجال وعلى هيئتهم لأن الفرسان يجيئون ويذهبون من المدينة » فقالت بدرية « أحتاج الى حصان وجبة وعمامة » . فقالت ضياء « سأعدها لك » . ثم قامت وذهبت الى بيت المربية جلستان التى كان يتوافر لديها كل شىء ، فأخذت منها جبة وعمامة وحزاما وكل ما يلزم الفرسان ثم عادت الى بيت القصابين ووضعت ما أحضرته أمام بدرية .

قامت بدرية وارتدت الجبة ووضعت العمامة على رأسها وركبت الحصان وتوجهت الى باب المدينة مع طلوع النهار ، ثم واصلت سيرها الى أن وصلت الى خيمة هامان الوزير فى معسكر خورشيد شاه . وحين رأته — ولم يكن قد ذهب الى مجلس خورشيد شاه بعد — أدت التحية فسألها هامان « من أنت ومن أين جئت ؟ فأجابته بدرية » عندى كلام أقوله سرا » .

ثم تقدمت وأسرت اليه في أذنه أحوالها وأنها بدرية وقالت « جئت اليك لكي تزوجني لخورشيد شاه » فقال لها هامان الوزير « يا ابنتي ، مع أنني بالنسبة له أكثر من أب ، ولكن سمك أخ له ، وهو يعمل وفق ما يقوله له لأن الملك يرى صالحه في هذا ، لأن سمك رجل ذو طالع قوي عالي الهمة ، وهذا عمل سمك أن يزوجك لخورشيد شاه ، فابقي عندي الى أن يجيء سمك وينجز لك ما وعدك به » . فبقيت بدرية في خيمة هامان الوزير .

## وطارت رءوس الأبطال لانقاذ فتاة

في الجانب الآخر فانه عندما أضاء النهار بحثت الجواري في القصر عن غدير فلم يعثرن عليها ، فأذاعوا أن غدير غير موجودة ، فاضطرب أمر المطربين وعمت الفوضى والضوضاء قصر الملك وأخذوا يبحثون في كل مكان عن غدير فلم يعثروا على دليل يؤدي اليها ، فأرسلوا شخصا الى أرمنشاه يخبره باختفائها منذ ليلة أمس . فتضايق أرمنشاه وقزل ملك والغوري وشهران الوزير والجبالي وجهاد وأبناء الغوري من هذا الأمر .

قال شهران الوزير « أيها الملك ، أعرف أنهم لم يغادروا المدينة بعد ، فابعث قوة من الجيش ليحاصروها فاذا خرج أحد منها أمسكوه . وأرسل الى عادان الوالي ليبحث عنهم وقل لهم أن يبحثوا في الأحيـــاء والقصور والبيوت عن غدير » . فأرسل أرمنشاه الفين من الفرسان لكي يحيطوا بالمدينة ويراقبوا الخروج منها ، وأمر عادان أن يجد في البحث آناء الليل وأطراف النهار في كل ركن في المدينة » .

حينما أرسل أرمنشاه الفرسان لهذا الغرض كان لهيب الجاسوس هناك فعاد وأخبر خورشيد شاه بما رآه وسمعه وأن غدير قد اختفت في المدينة وأن الملك أرمنشاه أرسل جيشا يحيط بالمدينة لمراقبتها . فقال خورشيد شاه ان سمك هو الذي فعل هذا ، وهذا من أعماله الماهرة ثم التفت الى هرمز وجواد لكي يذهبا على رأس ألفين من الفرسان ويمنعوا جيش أرمنشاه من حصار المدينة . فأدى فتاح الزنجي التحية وقال « أيها الملك العظيم ، أنا أقوم بهذه المهمة » ثم قام وقاد ألفين من الفرسان وما كاد يصل حتى هجم على جيش أرمنشاه وقتل كثيرا منهـــم وانهزم الباقون وعادوا الى أرمنشاه وذكروا له ما حدث . فاضطرب قزل ملك وثار وأراد أن يذهب بجيشه لقتال الزنجي فقال له دبور « أيها الأمير ، ليس هذا في صالحك » منعه من الخروج للقتال » .

حين هزم الزنجي جيش أرمنشاه وأبعدهم عن المدينة ، جمع فتاح الزنجي نحو مائة من القتلى ووضعهم على الدواب وعاد الى معسكره ، وكان خورشيد شاه قد خرج للنزهة وأخذ يتجول حول المعسكر فرأى تلك الأحمال من الأجساد وسأل فتاح « ما هذا » ؟ فأجابه فتاح « أيها الملك ، انه لحم ، أحضرته لى » . فقال خورشيد شاه « يعجبنى فيك كل شىء الا هذا اللحم وأكل البشر لأننى حين أراه يستولى الرعب على قلبى ، فان استطعت فاكراما لى لأتأكل لحوم البشر » فرد عليه الزنجي قائلا « أيها الملك ، لكى أبث الرعب فى النفوس فاننى سأمسك بواحد منهم وامزقه قطعا بأسنانى ثم ألقيه » . فأثنى عليه خورشيد شاه وخلع عليه ما كان يلبسه ثم عاد الى مجلسه .

فى الجانب الآخر فان عادان والى المدينة كان يتجول حولها ويبحث فى الأحياء والقصور وينادى فى كل مكان الى أن حل الليل ورأى سمك أن الدنيا قد أظلمت وحان وقت الخروج للعمل فقال لضياء « قومى لنذهب لكى نحضر غدير من مخبئها » . ولبس كل منهما سلاحه وخرجا وسارا فى طريقهما حتى وصلا قرب قصر الملك حيث كانت تختبىء غدير فشاهدا عادان جالسا مع خمسين رجلا لحراسة القصر . فقالت ضياء « يا سمك ، ان عادان هذا بلاء لنا وعقبة أمامنا فأذن لى بالقضاء عليه » . فقال لها سمك « لك هذا » . فوضعت ضياء يدها فى وسطها لأنها كانت دائما تحتفظ ببعض السهام التى كانت ماهرة فى اطلاقها ولا يدانيها فى ذلك أحد ثم وضعت السهم فى القوس وصوبت تصويبا جيدا نحو عيدان ، ومع أن المكان الذى كانت تقف فيه كان يبعد نحو مائة خطوة عن عادان الا أنها حين أطلقت سهمها أصاب فم عادان وخرج من قفاه ولم يدر أحد ماذا حل بعادان الذى سقط ميتا . وحين فحصوه وجدوا الدماء تنزف من فمه فقالوا « كيف يحدث هذا ؟ والتفت الرجال جميعا حوله وتركوا حماية القصر .

تقدمت ضياء وسمك الذى قال لها « اقذفى الوهق » . فقذفتـــه ضياء على السطح وتعلقت به جيدا وصعدت الى سطح القصر ونسيت الوهق فى مكانه وذهبت الى ذلك المكان الذى كانت غدير تختبىء فيـــه ورفعت الآجر الذى يخفى سلم المطمورة ونزلت على السلم فرأت غدير واصطحبتها الى السطح . وكان سمك حين رأى أن ضياء قد نسيت الوهق معلقا فى مكانه قال لنفسه « ان ضياء لم تكتمل بعد . هل يترك أحد الوهق معلقا فى مكانه ويذهب خاصة فى مثل هذا المكان ثم سحب الوهق واختبأ فى أحد الأركان حيث كان خدم عادان قد التفوا حوله ثم حملوه

الى داخل القصر بينما بقيت جماعة منهم لحراسة الباب · وبعد فترة ذهب أحد هؤلاء الرجال الى حيث كان يختبىء سمك العيار وجلس لقضاء الحاجة ، فهجم عليه سمك وأطبق بكلتا يديه على حلقه حتى انقطعت أنفاسه ثم نزع ملابسه ولبسها ثم لبس سلاحه أيضا وذهب الى تلك الجماعة بجرأة وأخذ يطوف معهم حول القصر حينما جاءت ضياء ومعها غدير الى السطح وذهبت الى حيث كان يوجد الوهق فلم تجده فقالت لنفسها « لقد أخذه سمك ، ولقد أخطأت حيث نسيته معلقا ثم نظرت الى أسفل فرأت الفرسان والمشاة يتجولون حول القصر فقالت » ماذا أفعل الآن ؟ أجابتها غدير « سأحتال عليهم » · ثم صاحت من فوق السطح قائلة « تجمعوا عند باب القصر لأنهم يريدون الحديث معكم من داخل القصر » · ولم تقل من هي · فتجمع الحراس جميعا على باب القصر وأنصتوا لما سوف يقال · وقد فهم سمك هذه الحيلة فذهب الى ركن السطح وقذف الوهق فأنزلت ضياء غدير أولا ثم نزلت بعدها وسحبت الوهق · فقال لها سمك « يا ضياء ، لماذا تركت الوهق معلقا ؟ لو كان قد رآه شخص آخر غيري لانتهى أمرنا الى مالا تحمد عقباه فقالت ضياء « لقد كان خطأ مني ولكنها العجلة التي جعلتني أتركه » ثم سار ثلاثتهم في طريقهم الى بيت القصابين ·

في الناحية الأخرى ، قالت شمامة لنفسها « لعلهم يأخذون غدير من قصر الملك ويحملونها الى المعسكر ويتركونني ، فلأذهب في أثرهم وأكون معهم حيثما ذهبوا » · فكرت في هذا وخرجت من القصر لكي تذهب في أثر سمك ، فلما شاهدتهم قرب القصر عرفتهم وتقدمت اليهم فقال لها سمك « لماذا خرجت ؟ فأجابته شمامة « جئت في أثركم » · فلما ساروا بعض الوقت قالت شمامة « ان بيت القصابين بعيد ، ولكن لي صديق ان شئتم ذهبنا الى قصره لأن الطريق اليه قريب » · فقال لها سمك « ان كان يحافظ على الأمانة ذهبنا اليه » · فقالت شمامة « انه أكثر مما يمكن وصفه » ·

قالت شمامة هذا وتقدمتهم وكان هناك زقاق دخلت فيه ودقت باب قصر فنزل رجل وفتح الباب ، فلما رأى شمامة رحب بها وكان أخا متبنى لها واسمه غريب وكان يعمل طباخا كما كان رجلا معروفا وقصابا جيداً ــ ودخل سمك وضياء وغدير خلف شمامة فسألها غريب « يا أختي ، من هؤلاء ؟ فأجابته شمامة » يا أخي كيف أنت والفتوة وحماية المستجير ؟ قال غريب « يا أختي هل تجربينني الآن ؟ قالت شمامة » سألتك حتى اطمئن هؤلاء الناس وأطلب منك أن تقسم على الا تغمز ولا تحتال وأن

تحافظ على الأمانة حتى يستريح قلب هؤلاء ويهدأ ثم أذكر لك أحوالهم » ٠ فاقسم غريب كما اشترطت عليه أخته شمامة ٠ وعندئذ قالت « يا أخي ، هذا الرجل هو عيار الزمان ، اسمه سمك العيار ، وهذه ضياء بنت كانون القائد وهذه غدير وأنا شمامة » ٠ فقام غريب وخر على قدمي سمك وأخذ يعتذر اليه ثم أعد لهم مكانا لائقا قدر استطاعته وبقوا الى أن طلع النهار وأضاء ٠

ذاع في جيش أرمنشاه أن عاذان قتل بالأمس وقد أرسلوا رجلا الى المعسكر ليخبر أرمنشاه بهذا وحينما سمع أرمنشاه هذا الخبر تضايق وحزن وقال « وما العمل ؟ ماذا نفعل مع سمك الحقير هذا لأن كل هذه الأعمال من تدبيره » ٠ قال شهران الوزير « أيها الملك ، يمكن أن نقوم بما هو أفضل من هذا » ٠ وكان لأرمنشاه خادم اسمه شعشام عينه قائدا لشرطة منغوليا على رأس أربعة آلاف فارس ٠ وقبل أن يصل أرسل مناديا ينادى فى المدينة أن تيقظوا واحرسوا الأبواب الثمانية عشر لمدينة منغوليا » ٠ وحينما وصل الى المدينة أخذ يتجول بنفسه مع جماعة من رجاله كما أرسل جماعة أخرى تتجول حولها من الخارج ولم يسمحوا لأحد بدخول المدينة أو الخروج منها الا بموافقة شعشام شخصيا ٠ كما أرسل مناديا فى المدينة حتى يتيقظ رؤساء كل حى ومحلة ، واختار على الأبواب حفظة لايتركون أحدا يخرج أو يدخل الا بتصريح بخط شعشام وخاتمه حتى ولو كان الملك نفسه ٠

ذاع هذا فى المدينة وأخذ الناس يرددون أن هذه الفتنة أثارها سمك العيار فيجب البحث عنه والامساك به حتى تهدأ هذه الفتنة التى كانت حتى ذلك الوقت بسبب ماه برى ولكنها صارت منذ الآن من أجل غدير ٠

من قضاء الله أن غريب كان على باب دكان فسمع كل هذه الأخبار وعاد الى سمك وأخبره بها فقالت ضياء « أيها البطل » ليس من صالحنا البقاء فى هذه المدينة لأننا لن نتغلب عليهم ، ويجب أن نعمل الحيلة ونخرج لأنهم أخذوا علينا طريقنا من أمامنا ومن خلفنا » ٠ فقام سمك فى الحال وكتب رسالة الى خورشيد شاه وذكر له كل أحواله وكيف أنهم قطعوا عليهم كل الطرق فيجب ارسال جيش كبير لكى يطرد هذا الجيش الذى يحيط بالمدينة لعلهم يستطيعون الخروج » ٠ فلما أتم الرسالة سلمها الى غريب وقال له « أوصلها الى خورشيد شاه ٠ فقام غريب ولف الرسالة بالشمع وربطها على ساعده ثم ذهب الى شعشام وأدى التحية وقال « أيها البطل ، أنت تعرف الأوضاع وأنني يجب أن أسلم

لكل أمير راتبه من اللحوم ، والخراف موجودة خارج المدينة والأبواب مغلقة ولا يدعون أحدا يدخل أو يخرج ، فتفضل باعطائى اذنا لكى اذهب وأجهز اللحوم المطلوبة » • فأعطاه شحشبام الاذن بالخروج لاحضار الخراف • حمل غريب الاذن وتوجه الى أحد الأبواب وأعطاه لحفظته فسمحوا له بالخروج ، فلما ابتعد غير اتجاهه وسار الى أن وصل الى معسكر خورشيد شاه وكان هرمز على الطليعة وحين رآه سأله « من أنت ، والى أين أنت ذاهب ؟ فأجابه غريب « أنا رسول من سمك » • فأمر هرمز أن يصحبوه الى خورشيد شاه • وحين وقف أمامه أدى التحية وسلم الرسالة فقرأها خورشيد شاه وعلم ما بها ثم أمر عبهر البطل وجواد أن يذهبا على رأس ألفين من الفرسان المختارين ليبعدوا الجيش الذى يحيط بالمدينة لكى يتمكن سمك من الخروج منها • فأدى فتاح الزنجى التحية وقال « هذه الخدمة يجب أن أقوم أنا بها » •

## واحترقت مدينة الصين

بينما كانوا فى هذا الحديث تصاعد صوت صراخ وعويل من أطراف المعسكر حتى خيف أن يضطرب المعسكر كله ، فقال خورشيد شاه « انظروا ماذا هناك » فتقدم سمور البطل ورأى نحو مائتى رجل وقد شقوا ملابسهم وحثوا التراب على رؤوسهم ، وكان يتقدمهم شيخ عجوز كان معتمد الملك فغفور حتى أن كل ما كان يملكه الملك كان تحت يده وأمره ، فعرفه البطل سمور وذهب اليه وقال له « ماذا أصابكم » ؟ فقال له الشيخ « خذنا الى الملك » • فأخذه سمور الى الملك وحين رآه الفغفور قام من مكانه وقال « ماذا حدث حتى جئت هكذا » ؟ فأجابه الشيخ « ان خشعاف ابن دبور قاهر الشياطين جاء على رأس ثلاثين ألف فارس الى مدينة الصين وأضرم فيها النيران وقتل كل الرجال والنساء وأخذ كل الكنوز والعبيد والجوارى ولم يؤمن أحدا على حياته • وهو الآن يمر بالقرب من هذا الوادى وقد جئت على عجل لكى أخبر الملك قبل أن يذهبوا » • وكان الثعلب الفيلم واقفا فقال « أيها الملك ، اننى أعرف طريقا يمكن أن نقطعه عليهم وهو قريب » • فقال خورشيد شاه « يا فتاح هذه المهمة العظيمة لك • لقد ظننت أننا نجونا من الغم ولكن ظهرت لنا الآن محنة عظيمة » قال هذا وأرسل فتاح على رأس عشرة آلاف فارس لاعتراض جيش خشعاف بن دبور » •

من قضاء الله أن كيكان الجاسوس كان واقفا واستمع الى كل هذا ، كما رأى غريب وقد أتى برسالة سمك فعاد مسرعا الى أرمنشاه وقال « أيها الملك العظيم ، كل أعدائنا من أهلنا ، ان غريب الطباخ حمل رسالة من غدير الى خورشيد شاه قالت له فيها أن يبعد جيشنا عن أبواب المدينة لكي يخرجوا منها ويذهبوا الى خورشيد شاه · والخبر الثانى هو أن خشعاف بن دبور قاهر الشياطين ذهب على رأس ثلاثين ألف فارس وأضرم النار فى مدينة الصين وقتل كل الرجال والنساء وحمل كل ما كان بها من كنوز وعبيد وجوارى ولم يؤمن أحدا على روحه وهو الآن يمر فى طريقه الى جبل الذهب ، وقد جاء رجل الى خورشيد شاه وأخبره بهذا فأرسل خورشيد شاه الزنجي على رأس عشرة آلاف فارس » ·

حين سمع قزل ملك هذا وقف ثم خرج متوجها الى المدينة مع طلامة على رأس ألفين من الفرسان للبحث عن غدير وسمك والآخرين · ومن قضاء الله أن غريب كان قد حمل الرد على رسالة سمك وسار عائدا فالتقى بقزل ملك فى الطريق · فتقدم اليه غريب وأدى التحية فسأله قزل ملك « من أين أنت قادم » ؟ فرد غريب « كنت أبحث عن أغنام » · فقال له قزل ملك « ماذا كان فى الرسالة التى حملتها الى خورشيد شاه وما هو الرد الذى تحمله » ؟ فقال غريب « عن أى رسالة تتحدث » ؟ فقال قزل ملك « فتشوه » · ففتشه الجند ووجدوا الرسالة وأعطوها لقزل ملك الذى قرأها وكان خورشيد شاه قد كتب الى سمك قائلا « اننى سأرسل الجيش وأجتهد فى الخروج من المدينة مع غدير وضياء لأننا نواجه مشكلة أخرى » ·

حين علم قزل ملك بكل هذا قال لجنوده « اضربوا عنقه » · فقطعوا رقبة غريب فى الحال ثم توجهوا الى المدينة التى ذاع فيها أنهم قتلوا غريب القصاب وأن قزل ملك وصل اليها · وكان لغريب تابع ذهب الى القصر وأخبر سمك بما سمعه وأن غريب قد قتل فقال سمك « قوموا فانهم سيأتون الآن للبحث عنا هنا » · وقام سمك وغدير وضياء وشمامة بلبس عباءات نسائية وخرجوا من قصر غريب وابتعدوا عنه وفى نفس الوقت وصل رجال قزل ملك واقتحموا قصر غريب وأخذوا يبحثون فيه فلم يجدوا أحدا · فسألوا أهل البيت « أين ذهب سمك وغدير وضياء والآخرون ؟ فقالوا لهم لقد خرجوا الآن يرتدون ملابس نسائية · وفى الحال أمسكوا خادم غريب وزوجته وابنته وأخذوهم الى قزل ملك الذى أمر بضرب رقابهم فقتلوهم الثلاثة ثم طافوا برأس غريب فى المدينة وهم ينادون هذا جزاء من يعصى سيده ويجعل للعدو مكانا فى بيته » فوقع الرعب فى قلوب أهل المدينة ·

في الناحية الأخرى كان سمك وضياء وغدير وشمامة يتجولون في المدينة ولا يجرؤون على دخول بيت أحد حتى وصلوا الى حمام ، فتقدم سمك وسأل صاحبته « هل الحمام خال ؟ ، فقالت المرأة « نعم خال » . فأدخل سمك غدير وضياء وشمامة في الحمـــام وجلس هو على الباب بينما كانت هذه الضجة قائمة في المدينة ، فقالت صاحبة الحمام « أيتها الفتاة ، لماذا لا تدخلين الحمام لتستحمي » ؟ فأجابها سمك « انني أنتظر بعض الناس الذين سيأتون الى هنا » . فلما مضت نحو ساعة ولم يأت أحد قالت صاحبة الحمام « يجب أن أذهب لأخدمهن فقال لها سمك « اذهبي » . وحين دخلت المرأة الحمام عرفت شمامة وقالت لنفسها « كل هذه الفتنة والاضطراب في المدينة من أجل هؤلاء ، ولا أشك في أن هذه الفتاة هي غدير لأنها ذات جمال وبهاء » . فكرت في هذا وخرجت من عندهن .

نظر سمك اليها فلاحظ اضطرابها فقال لنفسه « لا أشك في أن هذه المرأة قد وقفت على شيء ولعلها عرفتهم » وأخذ يراقبهـــا وفجأة وصل زوجها فقال لها « لماذا خرجت من الحمام ؟ » فاقتربت المرأة منه وقالت له « اهدأ لأن غدير في الحمام ومعها شمامة ، فاذهب واخبر قزل ملك بهذا » . وحين سمع سمك هذا قال « أيتها المرأة ، اعطني ماء لأشرب » . فلما أتت له بكوز ماء ضرب الكوز بيده ثم أمسك المرأة من حلقها وضغط عليه حتى ماتت فقال له الحمامي « أيتها المرأة ، لماذا تضربين زوجتي ؟ ولم يكد يتم كلامه حتى كان سمك قد لكمه فوق رقبته فأوقعه أرضا ثم أمسك حلقه هو الآخر حتى مات ثم صاح داخل الحمـــام قائلا « لماذا تبقون ؟ اخرجوا » فخرجن ثلاثتهن وشاهدن القتيلين ثم قلن « ماذا نفعل الآن ؟ فقال لهن سمك » يجب عليكن البقاء هنا حتى أخرج وأنظر هل يمكنني العثور على طريق للخروج من المدينة أم لا ؟

قال هذا وألبس شمامة ملابس امرأة الحمامي ثم ألقى الجثتين في بئر الحمام وقال لشمامة « اجلسي هنا في طرقة الحمام وقولي لكل من يأتي أن الحمام لايعمل » . ثم لبس سمك ملابس الحمامي وحمل زنبيلا وأمسك في يده مكنسة كأنه كناس وأخذ يدور في المدينة ويبحث عن طريق غير مطروق ، بينما كان العسس يدورون في المدينة بحثا عن غدير وسمك وضياء وشمامة .

حينما لم يعثر قزل ملك على غدير في بيت غريب عاد في الحال الى معسكره بينما كان سمك يدور في المدينة حتى جـــاء أحد أبوابها

فسمع ضجة خارجها ورأى كثيرا من الناس فوق السور فصعد سمك وأخذ يسير في وسط الناس وكان كل منهم يضربه أو يدفعه قائلا له « اذهب بزنبيلك هذا بعيدا » . فكان يقول لهم « أريد أن أشـــاهد ما يحدث مثلكم » . وكان سبب هذه الضجة أن جيش خورشيد شاه كان قد وصل خارج المدينة وأخذ في قتال جيش أرمنشاه .

في تلك اللحظة التي نظر فيها سمك كان جواد هو الذي يقاتل في الميدان ورآه سمك وقد قتل نحو خمسين رجلا ، فأثنى عليه ، ثم أخذ يدور مع السور حتى وصل الى أحد الأركان فرأى برجا تجري من تحته قناة ماء ، فعرف هذا المكان وعاد مسرعا الى الحمام وأغلق بابه ثم ذكر لهن ما رآه وأن جيش خورشيد شاه يحيط بالمدينة ويقاتل جيش أرمنشاه ، وتحدثوا معا في هذا الأمر وبقوا الى أن أقبل الليل وحل الظلام فقال لهن « سمك » سأذهب لكي أتبين الطريق فابقوا هنا » . فقالت له ضياء « أيها البطل ، سآتي معك لأنني أعرف كل شوارع هذه المدينة » .

خرجا معا وسارا الى أن وصلا الى أول السوق فلمحا شعشام واقفا يوزع رجاله كل جماعة منهم الى ناحية . فقال سمك لضياء « يا ضياء هذا وقت سهامك » فقالت له ضياء « سمعا وطاعة » . ثم أخرجت سهما من جعبة سهامها وأطلقته صوب شعشام فألقته قتيلا ، وحين رأى جنده هذا قال كل منهم للآخر « أنت الذي فعلت هذا » . فيقول له زميله « بل أنت الذي فعلته » حتى انفعلوا جميعا واســـتلوا سيوفهم وأخذوا يقتتلون فيما بينهم حتى طلع النهار عليهم وهم في قتال . وذهب أحدهم الى أرمنشاه وأخبره بما حدث فجلس حزينا .

عاد سمك وضياء الى الحمام ، فلما طلع النهار قال سمك « لا تفتحوا باب الحمام اليوم حتى أذهب وأنظر ما الذي يمكن عمله » . وحمـــل زنبيله وخرج فرأى الناس يحملون القتلى فنزع سمك بعض ملابس القتلى ووضعها في زنبيله ، وبعد نحو ساعة عاد الى الحمام وقال لهن « لقد فكرت في الحيلة التي يمكن بها اخراجكن من هذه المدينة » ثم ألبس شمامة واحدة من هذه الملابس والأخرى لغدير ، ثم بلل واحـــدة كانت ملوثة بالدماء ومسح بها على ملابسهما ووجهيهما لتلويثهما بالدم ، وحينما حل الظلام نزع باب الحمام فأدركت ضياء ما سيفعله ولكنها لم تتكلم الى أن قال سمك لغدير وشمامة « يجب عليكما أن تنـــاما على هذا البـــاب وتتظاهرا بالموت حتى أخرج مع أختي ضياء بحجة دفن القتلى » . قال هذا وأنام غدير وشمامة على الباب وربطهما وقال لضياء « ارفعي من ناحية

لأرفع من الناحية الأخرى واصرخي الى أن نخرج من هذه المدينة » • فقالت ضياء « ان البكاء لايواتيني الآن فافعل ما تراه » فوقف سمك في المقدمة ووقفت ضياء في المؤخرة ثم رفعا الباب على رأسيهما وأخذ سمك في الصراخ والنواح حتى أن كل من كان يسمعه كان يشاطره البكاء • وهكذا سارا الى أن وصلا الى السور حيث كانا قد رصـــدا المكان وحدداه ففكا غدير وشمامة ثم نزل سمك بالوهق وأنزلت ضياء الفتاتين ثم نزلت في أثرهما وساروا جميعا الى أن وصلوا الى الخندق (١) فقال سمك « يا غدير ، هل تسبحين أم لا ؟ فقالت غدير « أول فن تعلمته من اخوتي كانت السباحة » وكان سمك يلبس سروالا من الجلد فخلعه وأعطاه لها فلبسته ثم قالت شمامة « أنا لا أعرف السباحة فقالت ضياء « سأحملها أنا » ثم تقدمهن سمك بينما حملت ضياء شمامة على يدها الى أن عبروا الخندق وصعدوا على حافته الأخرى •

ساروا في طريقهم الى معسكر خورشيد شاه الى أن التقوا بالطليعة وكان عى رأسها غراب الغرابي فتقدم اليهم وصاح فيهم قائلا « من أين أنتم ؟ فأجابه سمك « أصدقاء » ثم تقدم وأدى التحية فنزل غراب عن حصانه واحتضن سمك وقبله وقال « أيها البطل ، من هؤلاء ؟ فأجابه سمك « يا أخي ، انها غدير أحضرتها معي » • فقال غراب « في وسط هذه الضجة والحركة التي يثيرها الجيش حول المدينة والأبواب المغلقة ، كيف استطعت أن تحضر الفتاة ؟فأجابه سمك « انها ليست أكثر من فتاة واحدة ، فخذ لهن خيولا ليركبن ويأتين على مهل ريثما أحمل أنا البشرى الى خورشيد شاه •

قال سمك هذا وتوجه للمعسكر فلما اقترب رأى خورشيد شـــاه يركب الحصان رخش ويتنزه مع جماعة من الأبطال وفجأة تقدم اليه سمك وأدى التحية • فاحتضنه خورشيد شـــاه وقال « يا أخي ، من أين أنت قادم » ؟ فأجابه سمك « أيها الملك ، البشرى فقد أحضرت غدير » ففـــرح خورشيد شاه وقال « أين هي » فرد عليه سمك « انها في أثري مع ضياء بصحبة غراب الغرابي » • فانطلق خورشيد شاه بحصانه ولم يكد يبتعد قليلا حتى كانوا قد وصلوا ، فلما التقوا أشـــارت ضياء الى غدير أنه خورشيد شاه ، فنظرت غدير اليه فوقع في قلبها مائة ألف حب له وقالت لنفسها « ان قدرة الله حقه ، انني لم أكن أعرف قزل ملك أو خورشيد شاه فلما وقع نظر قزل ملك علي ، امتلأ قلبي بكل الكراهية له وخيل الى أنني

---

(١) الخندق قناة واسعة حول سور المدينة كانت تملأ بالماء كمانع لصد الغزاة •

أرى شيطانا . فلما رأيت خورشيد شاه وقع في قلبي كل الحب له وهكذا كان تقدير الله » .

نادت غدير على سمك وقالت له « لا تأخذني هكذا الى خورشيد شاه لأن هيأتي غير مناسبة فقال سمك لخورشيد شاه « أيها الملك ، ان غدير تخجل من لقائكم وهي على هذه الحال » . فقال خورشيد شاه « خذها الى خيمة هامان الوزير » . فأخذوها الى خيمة هامان الوزير وحين رأتها بدرية ثارت وغارت وقالت لنفسها « حين يراها خورشيد شـــاه فلن يريدني أو يحبني والحل هو أن أقضي عليها بالسم حتى لا تصــل الى بغيتها ويخطبني خورشيد شاه وحدي » .

فكرت بدرية في هذا ولكنها لم تكن تحمل معها سما لأنها تركته في المدينــــة .

في تلك الأثناء أرسل خورشيد شاه شخصا لاستدعاء الجيش الذي كان حول مدينة منغوليا وليخبرهم أن الشخص الذى أرسلناكم من أجله وصل الينا . فعاد الجيش وحين وصل هذا الخبر الى أرمنشاه بهت هو وابنه قزل ملك ، وكان الغورى يجلس أمامهما فقــال له أرمنشــــاه ، « يا غورى ، عليك الآن أن تقوم بهذا العمل وهو استعادة ابنتك » . فقال الغورى « أيها الملك ، انني لا أحبذ قتاله وأنا أعرف أنه فتى ذو شهامة ومروءة ، وأنا لم أسيء اليه في شيء ، والوسيلة هي أن أذهب اليه بنفسي وأطلب منه ابنتي لعله يعيدها الى » . فقال له أرمنشاه « اذهب واجتهد في أن تستعيد الفتاة لأن هذا يعد هزيمة نكراء بالنسبة لنا » .

قال الغورى « أيها الملك ، لا أستطيع الذهاب اليه دون هدية ، وأنت تعلم وفرة أموالي ولكنها في الوادى وأنا لا أملك شيئا هنا وقد سبق أن أرسلت خمسين قطعة من الملابس وخمسين صرة من الذهب مع أبنائي اليــه ولكنكم احتجزتموها . فاعطني اياها كدين كي آخذها معي الى خورشيد شاه وأسلم لوكلاء الملك غيرها عندما أعود للوادى » . فأمر أرمنشاه باعادتها كلها اليه مع ما كان دبور قد أخذه منها . وسار الغورى مع أولاده الثــلاثة وأخويه ومائة فارس وخـــادم متجهين الى معســـكر خورشيد شاه حتى اقتربوا منه .

كان هرمز وسمور على طليعة خورشيد شاه فتقدما اليهم وسألاهم « من أنتم ومن أين » ؟ فتقدم الجبالى وقال لهما انه الغورى ذاهب للقاء خورشيد شاه . فعاد هرمز الى مجلس خورشيد شاه وأدى التحية وقال

« أيها الملك ، جاء الغورى ويريد لقاءك فبماذا تأمر ؟ فأمر خورشيد شاه بخروج الأبطال لاستقباله والترحيب به واصطحبوه بكل الاحترام الى المجلس .

حينما رأى الغورى هذا الاستقبال أعجبه وشاهد المجلس وقد زينوه ووقف الخدم والعبيد والأعيان والنقباء كل منهم فى مكانه فاستحسنه ، وقال سمك « أيها الملك ، أنت لم تر الغورى ، انه رجل ذكى فيلسوف ، فدعنى أرد على كل ما سيقوله لك ، وسوف أرد عليه كما يجب » .

بينما كانوا فى هذا الحديث وصل الخبر الى غدير أن الغورى قادم لملاقاة خورشيد شاه فأرسلت من يستدعى لها سمك العيار ، فلما ذهب اليها وأدى التحية أجلسته أمامها وقالت له « أيها البطـل ، أنت تعرف أحوال الغورى وكرهه لى . ومع أن قلبه من خارجه شهد فهو من الداخل سم وذلك بسبب شيء لم أفعله ، وسجننى أربع سنوات كما رأيت بسبب الرسالة التى أرسلتها الى شاهان » . فقال لها سمك « اطمئنى فلن يسلمك خورشيد شاه لأحد أبدا » .

## مصاهرة الأعداء

قال لها سمك هذا وعاد الى المجلس ، وكانوا قد أدخلوا الغورى وحين دخل حيا وانحنى وقدم الثناء . فوضعوا له كرسيا مذهبا فجلس عليه ووقف خلفه اخوته وأبناؤه ، وفى الحال أحضر السقاة ماء الورد فشربوا ، ثم مدوا الموائد فأكلوا ، فلما انتهوا من طعامهم غسلوا أيديهم ثم أقاموا مجلس طرب فجاء المطربون وأخذوا فى الغناء بينما كان السقاة يقدمون الشراب وعندئذ أدى الغورى التحية وانحنى وأثنى ثم عرض تلك الأموال التى أحضرها وقال أيها الملك العظيم ، أعلم أنك تعرف أحوالى وأوضاعى وكيف كنت وما زلت فى الفتوة وحماية المستجير ، وكيف حافظت على رجالك عندما التجأوا الى ، ولكن حينما خانونى وأمسكت سمك وهو يسرق فاننى لم أسيء اليه . وتعلم أن ما فعلته ليس فيه ما يعيبنى أو يسيء الى والآن هل يمكنك بما لك من فتوة وشهامة أن تعيد الى ابنتى حتى أعود وأنشغل بأمورى على ألا أقاتلك أو أكون مع أرمنشاه ؟ » .

طأطأ خورشيد شاه رأسه بينما وقف سمك وقال « أيهـا البطل الغورى ، كل ما قلته صحيح فنحن الذين أخطأنا ولكن سبب إقدامنا على

السرقة كان ابنتك ، وأعرف أنك لايمكن أن تزوجها الآن أو تجعلها لدى أخيك الجبالى أو لدى أولادك والا فقل لى أين تريد أن تأخذها ؟ فان كنت تريد تزويجها فليس هناك صهر لك أفضل من خورشيد شاه لأن ملك الصين حين زوجه ابنته كان لأنه لم يجد لها زوجا أفضل منه ولكنها ودعت الدنيا أثناء الولادة ، ولأن خورشيد شاه يريد ابنتك فقل لنا لماذا لا تقبله أو لماذا لايعجبك ؟

كان الغورى مطرقا رأسه بينما كان سمك يتكلم فلما انتهى من كلامه رفع رأسه وقال « ليس من عادتنا أن نترك البنت عند الأخ • أما خورشيد شاه فهو صاحب تاج ونحن أهل جبال ، فكيف يمكننا أن نتعايش معه ونخدمه ؟ وما تمليه الفتوة هو أن يعيدنا الى بلادنا » • قال له سمك « هذه حجة واهية وكلامك لا يتفق مع منطقنا فافعل ما فيه فائدتك » •

عندئذ قال الجبالى وجهاد لأخيهما « أيها البطل ، لن تجد صهرا أفضل من خورشيد شاه ، فان أرادته الفتاة فقدمها له لأنه ملك » • وقال أولاد الغورى « يا أبانا لايوجد صهر أفضل من خورشيد شاه » •

حين سمع الغورى كلام أولاده وأخويه قال « أريد أن أسمع رأى ابنتى » • فقال له سمك « يا غورى ، أعرف ما ترمى اليه ، ولكنه لن يجوز على ، فهات يدك فى يدى لأضعها فى يد خورشيد شاه ونعقد العقد وبعد ذلك اذهب الى ابنتك » • ثم تقدم سمك وأوقف الغورى وذهب معه الى خورشيد شاه ووضع يده فى يده وقال لهامان الوزير « اعقد عقد غدير كما يجب » • فعقد هامان الوزير عقد بنت الغورى على خورشيد شاه •

حينما زوج هامان الوزير غدير الى خورشيد شاه وقبل زواجها نثر كل الحاضرين النثار الذى لم يكن له حد • ثم قام الغورى وقال « أريد الذهاب الى ابنتى » • فتقدم سمك واصطحبه اليها وأجلسه ، فتقدمت غدير وقبلت رأس أبيها وجلست أمامه فقال لها الغورى « يا ابنتى ، هل أزوجك لخورشيد شاه أم لا ؟ هل أنت راضيه ؟ فأجابته غدير بقولها « يا أبى ، ان البنت نفسها لا يجب أن تولد من أمها وتأتى الى الدنيا ، ولكنها طالما ولدت فالزوج هو الأولى بها والأفضل لها والا فالموت • ولكن ان أردت أن تزوجنى فلن تجد أفضل من خورشيد شاه ، وأنت تعرف ما بعد هذا » • فقال الغورى لنفسه « انظر كيف يخترن الأزواج ، فحينما عرضت عليها الزواج من قزل ملك بعد أربع سنوات من الحبس والتقييد قالت

أحتاج الى شهر من الترويح بالموسيقى والغناء لاسترد عافيتى ونفسى ، ولم تمض عليها عشرة أيام حتى تحسنت ولم تتعلل بأى عذر » • وعندئذ وقف الغورى وقال « يا ابنتى ، باركك الله فقد زوجتك لخورشيد شاه ».

عاد الغورى الى خورشيد شاه وأدى التحية وجلس وفجأة تصاعدت ضجة فى المعسكر فقال خورشيد شاه « انظروا ماذا حدث » ؟ وما سبب هذه الضجة » ؟ واذا بجماعة من المنهزمين تدخل المجلس وكانوا من رجال الجيش فسألهم خورشيد شاه « ماذا أصابكم ، وأين فتاح » ؟ قالوا « أيها الملك حين ذهبنا واعترضنا طريق خشعاف بن دبور قاهر الشياطين فان البطل فتاح - للحقيقة - فعل بذلك الجيش ما فعل ، اذ قتلناهم جميعا وحصلنا على غنائم وأموال كثيرة وبعد ذلك كنا نائمين فى روضة غافلين ، وكان جيشنا كله ثملا من الخمر واذا بدبور يهجم علينا فجأة وقتل منا الكثير وخلص ابنـــه خشعاف من الأسر وأسر الزنجى » • فتضـــايق خورشيد شاه كثيرا من هذه الحادثة •

أدى سمك التحية وقال « أيها الملك العظيم ، لا تتضايق واستمر فى الفرح والسرور فاننى سأذهب وآتيك بدبور قاهر الشياطين وابنه خشعاف وفتاح الزنجى » • ففرح الملك وأثنى عليه الأبطال بينما تعجب الغورى من هذا وقال لنفسه « كيف يمكن أن يحدث هذا » ؟

قام سمك وربط جبته ووضع عمامه على رأسه وارتدى سلاحه ثم قال لضياء « انهضى لنذهب » فجهزت ضياء نفسها أيضا ثم انطلقا فى طريقهما حتى وصلا الى معسكر دبور ونظر سمك فرآه مع ابنه خشعاف وقد وضعا غلا فى رقبة فتاح الزنجى • وتقـدم ســـمك الى دبور وأدى التحية فقال له دبور « ماذا هنـــاك » ؟ فأجابه سمك « أيها البطل ، ان الملك أرسلنى على وجه السرعة لأقول لك احذر لأن جاسوسا أخبرنا أن جيش خورشيد شاه سيقوم بهجوم ليلى هذه الليلة وذلك لأنهم علموا أنك غير موجود فى المعسكر » •

حين سمع دبور هذا قال لجنده « تعالوا أنتم على مهل ريثما أسبقكم لأنظر ماذا يحدث » • ثم قال لسمك « من أى طريق أذهب » ؟ فقال له سمك « من هذا الطريق الذى جئنا منه » • قال هذا وتقدمهـــم ، فلما ابتعدوا عن الجند قالت ضياء لدبور « أيها البطل ، اعطنى الزنجى لأسحبه حتى لايتعبك » • فسلم دبور الزنجى لضياء وكان مسرعا بحصانه فقالت ضياء « أيها الزنجى ، هل تستطيع أن تمسك دبور وتقيده اذا قطعت

أغلالك » ؟ فأجابها فتاح « أقدر عليه ، ولكن قل لى من أنت ؟ فلم تجبه ضياء وقامت بقطع قيوده وفك أغلاله من رقبته • ومن فرحه ذهب الزنجى وأمسك دبور من تلابيبه وأنزله من على حصانه وقيده ، وبينما كان فتاح يقوم بهذا كانت ضياء وسمك قد قيدا خشعاف أيضا • فقال دبور « ما هذه الحيلة ومن أنت » ؟ فأجابه سمك « أنا سمك ، فهل أحضرت الزنجى من عند الغورى لكى تأخذه ؟ الآن جئت لأسترده وأقيدك » • فسأله دبور ومن ذلك الفارس الآخر ؟ فأجابه « انها ضياء ، وهى تفوقنى وأكثر منى فتوة » • فصمت دبور بينما أخذ الزنجى يثنى على سمك ووضع الغل فى عنقى دبور وابنه وركبوا عائدين الى معسكر خورشيد شاه •

حين أشرق الصباح ، وحان وقت جلوس الملك على عرشه دخل سمك الى المجلس ومعه الزنجى ممسكا بغل دبور وأدوا التحية ففرح خورشيد شاه حين رآهم وأثنى جميع الأبطال على سمك وقام الغورى واحتضن سمك العيار وقال له « أعتقد أنه لا يوجد فى المشرق أو المغرب رجل بعياريتك » •

فى الجانب الآخر عاد جيش أرمنشاه ووقفوا على باب مجلسه فطلب الملك البطل دبور ، فقال له الجند « أيها الملك ، لقد ذهبنا وحققنا نصرا عظيما واستولينا على أموال وافرة وأسرنا الزنجى آكل لحوم البشر ، وبينما كنا نستريح فى المكان الفلانى وصل رجلان وقالا ان الملك يقول ان جيش خورشيد شاه سيقوم بهجوم ليلى فتعال بسرعة • فسبقنا البطل دبور وابنه والرجلان اللذين أرسلتهما » • فقال لهم أرمنشاه « لا علم لى بهذا » • ونظر فاذا بسميح الجاسوس فى المجلس فقال له « اسرع بالذهاب واعرف لنا ما الأمر وكيف حدث هذا » • فخرج سميح وسار فى طريقه حتى وصل الى معسكر خورشيد شاه •

فى تلك الساعة التى أحضروا فيها دبور وابنه خشعاف الى المجلس قال خورشيد شاه اضربوا عنقيهما » • فقال له هامان الوزير « أيها الملك ، احذر فانهما ليسا مجهولين » • فاتركهما حتى أختبرهما ولعلهما يدخلان فى طاعتنا » • ثم قال « أيها البطل دبور ، هل يمكن أن تعتذر عما فعلت وتتعهد وتقسم على أن تتحد معنا حتى يجعل الملك حزمتك تعلو على السحاب ؟ وثانيا فانك تعلم أن خورشيد شاه لم يسىء الى أحد فى هذه الولاية فان رجع الى حلب فان الصين ومنغوليا ستخلوان لك وتصبح أنت بطل العالم ، ولقد سمعت أحوال الزنجى آكل لحوم البشر كيف كان وكيف صار الآن ، وأعرفك أنه عندما كان يعمل لدى الغورى لم ير نفسه يوما

فى آية ملابس ، وصار الآن بطل جيش خورشيد شاه • وكما دخل الغورى فى طاعتنا وارتبطت الأسرتان بالمصاهرة وتوحـــدنا فادخـل فى حلفنا أنت أيضـــا » •

قال دبور « الحديث معى الآن لا فائدة منه ، فان دخلت فى حلفكم كان عارا كبيرا ، وقد ذاعت رجولتى وبطولتى فى العـــالم ، ولو فعلت ما طلبتموه قال الناس انه عن خوف ولو حدث هذا قبل أن تصلنى رسالة أرمنشاه يطلب العون وكانت الرسالة منكم لأتيت لخدمتكم ، ولكن قتلى أفضل لى من الدخول فى طاعتكم الآن » • فغضب خورشيد شاه وقال خذوهما من هنا ثم قال لفتاح تحفظ عليهما فأخذهما الزنجى وقيدهما واحتجزهما فى خيمته وعاد الى المجلس •

فى الجانب الآخر عاد ســـميح الجاسوس الى أرمنشـــاه وأخبره بما سمعه أو رآه ، وأن دبور قد أخذ أسيرا والغورى صار لخورشيد شاه صهرا ونديما وأنه زوجه ابنته غديرا فسأله أرمنشاه « هل عرفت كيف أسروا البطل دبور ؟ فأجابه سميح « أيها الملك ، ذهبت ضياء وسمك وأخذا الزنجى من أيديهما ثم أسروهما وأخذوهما الى خورشيد شاه « فقال أرمنشاه وقزل ملك « كيف يحدث هذا » ؟

حينما سمع الأبطال بهذه الحادثة انتابهم الحزن والضيق وقال أرمنشاه « وا أسفاه لقد ضاعت مملكتى وملكى فماذا أفعل ؟ فقال شهران الوزير » أيها الملك ، لدى تدبير اذ أن لدبور أخ أكبر منه اسمه غفاف له فى البطولة والشجاعة ما لدى دبور أضعاف أضعاف وله ابن اسمه غرامد ، وحينما توفى أبوهما وقعت بينه وبين دبور خصومة بسبب الميراث وغضب أخوه وذهب الى قلعة نيشان على حافة صحراء الخورجان • وسمعت أن دبور أرسل رجلا عدة مرات ليحضره وبتصالحا ولكن غفاف ركب رأسه ولم يحضر • وأنا على يقين أنه حينما يسمع أوضاع أخيه فانه سيأتى مسرعا وهو الذى يستطيع أن يرد على خورشيد شاه • ولكن يجب أن نكتب له رسالة نخبره بما حدث حتى اذا حضر تم على يديه ما نريده واذا لم يأت يجب علينا أن نترك وطننا وأموالنا ونذهب الى أى مكان فى الدنيا لأنه لايوجد لنا ملجأ آخر نأوى اليه » •

قال أرمنشاه « اكتب رسالة على أحسن وجه » • فكتب الرسالة وفى أولها ذكر اسم الله ثم قال « هذه الرسالة منى أنا ــ أرمنشاه ملك ولاية منغوليا ــ الى بطل العالم غفاف صاحب التاج الذهبى ، فلتعلم أنه

ظهر لنا عدو من ولاية الصين ومع أنه ليس أصلا من الصين بل من ولاية حلب ولكنه مع حماه ملك الصين وقد أصابنـــا بكثير من المذلة والهزائم واستولى على ولايتنا وهو يحاصرنا ويلتف حولنا فى الوديان الاثنى عشر التفاف الخاتم حول الأصبع بعد أن حطمنا وحطـم جيشنا ، واســمه خورشيد شاه • ولما كنا لم نقدر عليه فقد استدعينا بطل زمانه دبور قاهر الشياطين لكى يساعدنا ويكف شره عنا • وقد وصل الأمر الى أنهم أسروا دبور وابنه وهما الآن فى سجنهم ، ويجب أن تأتى بأسرع ما يمكن من أجل أخيك لأن أرواحنا بلغت الحلقوم ، كما أنه لا يجب أن يلحق بهما مكروه • وقد أعلمنا البطل بما حدث » •

أكمل الرسالة وختمها ووضعها أمام أرمنشاه الذى نظر الى أبطال جيشه وقال من منكم يحمل هذه الرسالة ؟ فقام عيلاق الذى كان بطل وادى غضبان وقال « أيها الملك ، أنا أحمل هذه الرسالة » • فأعطاها له أرمنشاه وأرسل معه خمسين فارسا •

فى الجانب الآخر فان دبور وابنه وضعا فى القيود • وبينما كان خورشيد شاه يتناول الشراب وقف وشرب نخب سمك العيار للعمل الذى قام به وكان ينال بن سنجانى واقفا فقال « أيها الملك العظيم ، أنت ملك بينما سمك شخص مجهول فأى داع لشرب نخبه ، بل يجب شرب نخب الملك فغفور » • فغضب خورشيد وقال له « أيها الحقير ، أين يوجد فى العالم مثيل لسمك فى الرجولة والعيارة والرأى والعقـــل والمعـرفة والتمييز ؟ ثم أمر بضرب عنق ينال • فأدى سمك التحية وقال « ايهـــا الملك العظيم ، ان ينال صادق فيما يقول ، فأنت ملك وابن ملك ، وأنا رجل مجهول ومسكين وعندك مثلى مائة ألف عبد وابن عبد ، لقد قال ينال هذا لأنه بطل وقد أدى لنا أعمالا جليلة فاكرمه واخلع عليـه حتى لاتجـــرح قلبه » • فأمر خورشيد شاه بخلعة لينال • بينما حمل ينال الحقد كله فى قلبه على سمك وفكر فى قتله ثم انشغلوا فى تناول الشراب •

## الغيرة القاتلة

كانت الماشطات يقمن بتزيين غدير للزفاف على خورشيد شاه بينما كانت بدرية تدبر لقتلها فطلبت سمك وقالت له « أيها البطل ، يجب عليك الذهاب للمدينة لأن لى بها ثلاثة صناديق أحدها به جواهر والثانى به ملابس والثالث به تحف ذهبية وكثير من المسك والعنبر والكافور ، وهى

موجودة في مطمورة تحت الأرض « فقال لها سمك » أيتها الملكة ، أي داع للذهب والجواهر ؟ ان في خزانة الملك كل ما تريدين » • ولكن بدرية كانت تريد السم الموجود في أحد الصناديق حتى تهلك به غدير • فقالت « أيها البطل سمك ، أتخاف من الذهاب الى المدينة ؟ فبهت سمك وظن أنها تطعنه في شجاعته فقال « أيتها الملكة ، سأذهب وأحضرها لك » •

خرج سمك من عند بدرية وذهب الى ضياء وأخبرها بما دار بينه وبين بدرية فقالت له « سأذهب معك أيضا » • وسار الاثنان حتى وصلا الى باب المدينة وقذفا الوهق وصعدا وكان الظلام حالكا ، فلما دخلا المدينة توجها الى قصر بدرية وعندما وصلا الى منتصف السوق شاهدا طلامة البطل مع جماعة من الرجال الذين كانوا يحرسون المدينة فقالت ضياء « هل أقضي عليه ؟ فقال لها سمك » ليس هذا وقته لأنه سيحدث ضجة في المدينة مما قد يوقعنا في مشاكل لا حاجة لنا بها ، كما أنهم ينتظروننا للايقاع بنا » •

اختبأ سمك وضياء لأن الصباح كان قد اقترب ، فلما حل ليل اليوم الثاني وتحول النور الى ظلام ذهبا الى قصر بدرية وكان خاليا فقذفا الوهق وصعدا الى السطح ثم ذهبا للمكان الذى حددته بدرية فشاهدا الصناديق الثلاثة وقال سمك « يا ضياء ، احملي صندوقين وسأحمل أنا الصندوق الثالث » • فقالت له ضياء « احمل أنت صندوقين حتى أحمل أنا الثالث » • فقال لها سمك « يا ضياء ، أنت تريدين أن تكوني الأولى في كل عمل أما في الحمل فأكون أنا الأول » • فقالت ضياء « نعم ، ان الرجال أكثر تحملا » وعندئذ حمل سمك صندوقين ، وحملت ضياء الصندوق الثالث وصعدا الى السطح ونزلت ضياء وأنزل لها سمك الصناديق الثلاثة بالوهق ثم نزل وحملا الصناديق الى سور المدينة وأنزلوها في الناحية الأخرى بالوهق أيضا ثم نزلا من على السور وحملا الصناديق وتوجها للمعسكر •

حين أشرق الصباح تصاعدت دقات طبول الحرب خلفهم فقالت ضياء « من هؤلاء الذين أتوا ؟ فأجابها سمك « أعرف أنه جيش جاء لمساعدة أرمنشاه » • قالا هذا ودخلا معسكرهما وذهبا الى بدرية ووضعا أمامها الصناديق الثلاثة فأثنت عليهما وقالت لقد ظننت أنكما لن تستطيعا القيام بهذا العمل أبدا » • وعاد سمك وضياء الى خورشيد شاه فسألهما « أين كنتما ؟ فذكرا له ما حدث ثم انشغلوا في تناول الشراب وقالوا الليلة سوف يزف خورشيد شاه •

فتحت بدرية الصناديق وأخرجت قطعتين من الملابس الملكية وتاجا محلى بالجواهر وسوارين وبعض السم الذى كانت تريده وأخفته فى الشمع ووضعته خلف أذنها وقالت لنفسها « هذه هى الليلة الأولى وسوف أقضى على غدير حتى لا تزف الى الملك وأتخلص من آلام قلبى هذه » وكان الحسد والغيرة قد أعمياها وصداها عن سواء السبيل • وقامت ووضعت هاتين العباءتين على يدى احدى جواريها وحملت هى التاج والسوارين وذهبت الى غدير وأدت لها التحية ووضعت أمامها هذه الهدايا وقالت لها « أيتها الملكة ، ومع أنها لا تليق بمقامك لكنها ما أمكننى تدبيرها هنا • ولى رجاء هو هل من الممكن أن تجعلينى وصـــيفة لك لأننى أعلم أن الملك لن يتزوجنى » •

احتضنتها غدير وقالت لها « احذرى أن تقولى هذا فأنت أميرة أما أنا ففتاة جبلية وعندك عشرة آلاف جارية مثلى ولن أقبـل هذا الأمر حتى تتزوجى الملك أولا وأكون أنا خادمة لك » • فقالت لها بدرية « يا غدير ، يجب أن تفعلى كما طلبت منك » • فقالت غدير « آتونى بسمك » • فذهب لالا.واستدعى سمك العيار وحين جاء أدى التحية فقالت له ما دار بينهما فقال سمك « سأذهب وأتحدث مع الملك وأجعله يتزوج بدرية أولا » •

ذهب سمك الى خورشيد شاه وذكـر له ما دار بـين بدرية وغدير فقال له خورشيد شاه « يا أخى العزيز ، ان قلبى لا يريد بدرية » • فقال له سمك « أيها الملك ، احذر من هذا القول لأن الفتـــاة قدمت لنا الكثير وذلك من أجلك أنت ، ولهذا لايجب تركها كما أن الملوك لهم زوجات متعددات ومنهم والدك الذى سمعت منك أن له أربع عشرة زوجة وأربعين جارية يعاشر من يريد منهن • وقصدى أن تكون مثل أبيك ، فتزوج بدرية واجعل لها ليلة كل أسبوع » فقال له خورشيد شاه « افعل ما شئت » •

أخذ سمك يد خورشيد شاه وذهب به الى بدرية وغدير وقال لهما « يا فتيات ، أحضرت العريس » • ثم أمسك يد خورشيد شاه ووضعها فى يد بدرية وهكذا زوجهما وقبل الملك هذا الزواج ثم قال له سمك « أيها الملك ، ليلة من هذه ؟ فقالت بدرية « ليلة غدير » • وقالت غدير « ليلة بدرية والا قتلت نفسى » عندئذ أخذت الماشطات فى تزيين بدرية بينما أخذ خورشيد شاه وسمك والأبطال يتناولون الأقداح ويشربون الراح وسنعود للحديث عنهم •

نعود للحديث عن عيلاق ورسالة أرمنشاه الى غفاف ذى التاج الذهبى فى غابة نيشان اذ أن عيلاق حينما حمل الرسالة وذهب بها الى الغابة

رأها كبيرة ، ذات مياه جارية وفى وسطها قلعة عظيمة حصينة وتحيط بها مزارع نضيرة ، وكان يجلس مع غفاف نحو مائة ألف فارس ، فلما اقترب منهم رأوا فيه وفى رجاله جماعة من الفرسان الأغراب فقال غفاف « انظروا من هؤلاء فسألوهم فقال عيلاق « أريد البطل لأننا رسل اليه » • فعادوا وأخبروا غفاف أنهم رسل فقال « أحضروهم » فأتوا بعيلاق اليه وكان غفاف قد جعل مجلسه على ربوة فى وسط تلك المراعى النضرة •

تقدم عيلاق وأدى التحية فأجلسوه كما كانت عادتهم • وفى الحال أمر فأحضروا ماء الورد فشربوا ثم مدوا الموائد فأكلوا فلما فرغوا من طعامهم غسلوا أيديهم وأقاموا مجلس طرب ، وأخذ المطربون يعزفون ويغنون ، وعندئذ أخرج عيلاق الرسالة وسلمها الى غفاف ففتحها ورآها ثم أعطاها لوزيره ليقرأها ويذكر له ما جاء بها فلما وصل الى قصة خورشيد شاه وأنه صهر الفغفور هز رأسه ، وحينما وصل الى أنهم أخذوا أخاك دبور مع ابنه خشعاف أسيرين ثار وألقى الرسالة وصاح قائلا « أى بطل استطاع الامساك بأخي دبور ؟ فقال له عيلاق « أيها البطل ، انهم لم يأسروه فى ميدان القتال بل ان سمك العيار أمسكه بالمكر والحيلة فسأله غفاف » وأى نوع من الرجال هذا السمك من ناحية قده وطوله وقوته ؟ فأجابه عيلاق « أيها البطل ، انه حقير حتى أنه لو وضع أحدنا يده عليه لسقط » • فأخذ غفاف ينتفض من الغيظ وقال لابنه غرامد « مر الجيش لكى يستعد فى أسرع وقت » ثم جهز عشرة آلاف رجل بكل ما يلزمهم وساروا فى طريقهم • وكانوا هم الذين سمع سمك وضياء صوت طبولهم الحربية خلفهم بينما كانا عائدين بالصناديق الثلاثة لبدرية •

فرح أرمنشاه وركب هو والأبطال وقزل ملك وشهران الوزير لاستقبال غفاف ، وحينما رأى غفاف مظلة الملك نزل من على حصانه وسار الى أن وصل الى أرمنشاه وقزل ملك وشهران الوزير وأدى التحية وقبل ركاب الملك ، فاحتضنه أرمنشاه وأمره أن يركب الى أن وصلوا الى المجلس فبكى غفاف لعدم وجود أخيه • ثم سألهم عن أحوالهم وأوضاعهم ، فشرح له أرمنشاه أحوالهم كلها ، وكيف أسروا دبور وابنه فقال غفاف « وما العمل الآن » ؟ فقال أرمنشاه « أيها البطل ، يجب أن نبعث اليهم رسولا ونطلبهما منهم ، وحين يعلمون أنك جئت فربما أعادوهما والا أعددنا للحرب » • فقال غفاف « لعلهم يعيدونهما » •

من قضاء الله أنه كان لغفاف بطل اسمه سراق قال له « اذهب الى خورشيد شاه ولا تسلم ولا تحيى وقل له ان غفاف يقول ارسل لى أخى

دبور وابنه خشعاف على وجه السرعة لأنك لم تأسره بالشجاعة والرجولة ، والا فانني بالله العادل سوف آتى ولا أبقى عليك ولا على فتاح آكل لحوم البشر أو ذلك الشخص الذى تباهى به وهو سمك أو الآخرين ، وأعد أيضا أموال دبور التى كانت مع خشعاف وأخذتها ،وأبلغه أن يأتى هو أيضا للخدمة ولا يظن أننا كالآخرين » •

قال شهران الوزير لنفسه « هذا الرجيل (١) ربما كان مجنونا حتى يبعث بمثل هذا الكلام الى ملك بهذا القدر والمكانة » • وحين سمع سراق هذا سار فى طريقه حتى وصل الى أطراف معسكر خورشيد شاه وكان هرمز على الطليعة فى ذلك المكان فتقدم الى سراق وسأله « من أنت ومن أين تأتى ؟ أجابه من عند غفاف ذى التاج الذهبى شقيق دبور قاهر الشياطين فعاد هرمز وذهب الى خورشيد شاه وأدى التحية وقال « أيها الملك ، جاء رسول من عند غفاف ذى التاج الذهبى شقيق دبور » • فقال خورشيد شاه « أحضروه » • فذهب هرمز وأمسك يد سراق وأدخله المجلس •

نظر سراق ورأى تلك العظمة الملكية والبهاء وخورشيد شاه جالسا على العرش والتاج على رأسه ، بينما كان ملك الصين الفغفور وهامان الوزير يجلسان عن يمينه والغورى مع سمك على يساره خلف العرش ، والأبطال على كراسيهم ، والحجاب والعبيد يصطفون أمامه ، ملأت الهيبة قلبه فأدى التحية ووقف حتى قال له هامان الوزير « اجلس » • فرد عليه سراق « ليس لدى اذن بالجلوس » فقال هامان « لقد جاء كثير من رسل الملوك والأبطال الذين هم أعظم من بطلك فرأينا منهم ما تجب رؤيته » • فقال سراق « أيها الشيخ ، ليس لدى اذن » • فقال له خورشيد شاه « تكلم ولا تجلس أبدا ، لماذا جئت وما الرسالة التى تحملها ؟ تكلم » •

قال سراق « بطل الدنيا غفاف ذو التاج الذهبى يقول يجب أن تعيد دبور أخى مع ابنه وتلك الأموال التى استولى عليها جيشك فى أسرع وقت لأنكم لم تأسروه بالرجولة والشجاعة والا جئت ولن أترك أنت ولا جيشك حتى لا تظن أننى مثل الآخرين » •

حين سمع خورشيد شاه هذا قال « ان غفاف مجنون لأنه لا يعرفنى ولا يعرف جيشى ، فعندى فيه نساء يمكنهن الذهاب واحضاره مسحوبا من رجليه حتى يضعه أمام عرشى • ومع كل هذا اذا كنتم تريدون

---

(١١) الرجيل تصغير رجل تصغير تحقير واستهزاء •

الشجاعة فاننى أعيده اليكم ثم نأخذه بشجاعتنا ونسترده ببطولتنا حتى يعلم غفاف أننا لسنا من هؤلاء الذين يمـــكن أن نعير غفاف أو دبور أى اهتمــــام » ٠

عاد سراق وذهب الى غفاف وذكر له كل هذه العظمة الملكيـــة ورد خورشيد شاه على تهديده فقال غفاف « يجب أن نحــارب » ٠ فقـــال له أرمنشاه « أنت أدرى » ٠ فقال غفاف « يجب أن نستعرض الجيش حتى نختار الأبطال » ٠ فأمر أرمنشاه باحضار العارضين (١) ووقف أرمنشاه وشهران الوزير وغفاف وابنه غرامد والأعيان وخاصة العبيد حتى يمر الأمراء والأبطال أمام منصة العرض ٠

كان أول من مر هو سراق الذى ذهب كرسول الى خورشيد شاه ومعه سبعة آلاف فارس مجهزين وبعده مر بقران البطل ومعه أربعة آلاف فارس وتبعه أمراء الوديان الاثنى عشر مثل غوش ونيوش وكيا مروة والخوزى وعيلاق وأمير وسنجان وهولان وخورنج وأسيد ومعهم ثلاثون ألف فارس ٠ ولما كان أبطال صحراء الخورجان بلا قائد فقد اختاروا واحدا منهم ليكون قائدا لهم حتى لايعين عليهم قائد غريب ٠ وكان أكثر الأبطال بطولة واسمه سلمون ٠ وفى أثرهم عليان وكوبان وذنب الأفعى وغيرهم يتبعهم عشرة آلاف فارس ٠ وفى النهاية جاء غفاف شقيق دبور وهو يبكى وينوح على أخيه ، وكان جند غفاف عشرين ألف فارس وقد استغرق هذا العرض ثلاثة أيام واختاروا من كل هؤلاء ثمانين ألف فارس ، وكان أبطالهم ممن خاضوا المعارك وقد سر غفاف من هذا وأعجبه ٠

## جزاء سيئة سيئة مثلها

فى هذا الجانب كان أرمنشاه مشغولا باستعراض الجيش ، وفى ذلك الجانب كان خورشيد شاه مشغولا بتناول كئوس الراح مع الأبطـــال والندامى حتى أقبل الليل فتوجه الى خيمة الحريم وكان سمك معه ، وحين رأى خورشيد شاه غدير جالسة وقد تزينت بالحلى والجواهر كأنها حورية هبطت من السماء لتعرض جمالها الفتان على الدنيا ، أسرت روحه وقلبه بهذا البهاء والطلعة النوراء ، وفى الحقيقة اجتمع فيها كل جمال الدنيا وصارت فتنة الزمان وآيته فقامت بألف دلال وحنان مثل ألف غصن بان وتقدمت الى خورشيد شاه وأدت التحية ، فبهت خورشيد شاه فلو أنك

---

(١) العارض هو الذى لديه بيانات كاملة عن الجيش وعند استعراض الجيش يقوم العارض بذكر هذه البيانات للملك ٠

نظرت الى طولها فتنك ، ولو نظرت الى وجهها وشعرها سحرك ، ولو استمعت الى حديثها أخذك ولم تدر ماذا تقول . ولم يستطع خورشيد شاه أن يتكلم ولم يدر كيف معها يتصرف ، واستولت عليه الحيرة والشغف وكان واقعا تحت تأثر الشراب والسكر ، فتقدم واحتواها بين ذراعيه فقالت غدير « أيها الملك القدير ، هذه الليلة عرسك على بدرية ، فهى أميرة وأنا من الرعية » . فنظر خورشيد شاه الى بدرية ، ومع أنها كانت ذات حسن وجمال ، غير أنها كانت لا تغرى على الوصال ، ومع أنها كانت ذات رقة ملكية ، الا أنها لم تكن على ما كانت عليه غدير الجبلية التى كانت أرق وأحلى وفى العين أملح وأبهى ، وكان سببا الهيا أن بدرية لم يكن لديها ما يجذب نحوها خورشيد شاه ولهذا لم تبد فى عينيه جميلة فقال فى صوت خفيض « يا أخى سمك ، اننى أريد غدير » فقال له سمك ، أيها الملك ، حذار فعليك أن تسعد بدرية الليلة لأن غدير لك أيضا » .

قال خورشيد شاه « يا أخى سمك ، اذا كانت الليلة ستكون من نصيب بدرية فتعال نشرب معا » . ثم أمروا فأحضروا الشراب وجلس سمك وخورشيد شاه يفرغان الكئوس ثم قال سمك « احضروا الطعام حتى نأكل لأن الملك يشرب » . وكذلك دخلت غدير وبدرية ولالا صلاح الى داخل الخيمة وأخذتا تتناولان الطعام الى أن أخذت غدير لقمة ووضعتها فى فم بدرية التى انتهزت الفرصة ــ وكانت غافلة عن أن الخادم يقف خلفهما يراقبهما ــ ودست يدها خلف أذنها وأخرجت السم ووضعته فى لقمة وأرادت أن تضعها فى فم غدير التى شكرتها ، وحينما رأى لالا صلاح هذا قفز وأخذ اللقمة من يد بدرية مما جعلهما تقفزان من مكانهما وقالت له بدرية « ماذا حدث ؟ فأجابها لالا » أسعدك الله يا ابنة الملك ، هل يفعل أحد هذا ؟ « تتظاهرين بالصداقة ثم تريدين القضاء على حياة غدير ، لماذا ؟ لا تقولى انها ليست طيبة » فصاحت فيه بدرية قائلة « يا ابن الحرام ، ماذا فعلت أنا ؟ ما هذا الذى تقوله ؟ » .

وصل صياحهما الى سمع خورشيد شاه وسمك فقاما كلاهما وأسرعا اليهم فقال سمك « يا بدرية ماذا فعلت ؟ فأجابته « لم أفعل شيئا » . فقال لالا « وضعت شيئا فى هذه اللقمة » . فقال سمك « احضروا كلبا » . فلما أحضروه أعطوه اللقمة فأكلها ومات أمامهم . فقال لها سمك « أرأيت ماذا كنت ستفعلين ؟ هل طاوعك قلبك على قتل فتاة كهذه ؟ وغضب خورشيد شاه وقال « اقتلوها أو اطردوها من هنا لتذهب حيث تشاء « وخرج مع سمك » .

أما بدرية فانها من خجلها ولأن عملها لم يأت وفق مرادها فقد تناولت خنجرا وطعنته في بطنها وقتلت نفسها ، وصرخت الجوارى وذهب لالا وأخبر خورشيد شاه ان بدرية انتحرت فأمر بجرها من رجليها والقائها خارج الخيمة ، فقال له سمك « أيها الملك ، الحذر فهى ابنة ملك ولان يبقى هذا سرا ، والواجب وضعها فى تابوت ودفنها » فعاد خورشيد شاه وأمر باحضار تابوت وضعوا فيه بدرية ثم دفنوها بحيث لم يعلم أحـــد قط بما حدث • ثم قال سمك « أيها الملك ، لقد تحقق أملك الآن ، احتل بغدير » • فتوجه خورشيد شاه الى خيمة غدير ولامسها وفض خاتم أنوثتها وذاق رحيق وصالها ، وبأمر الله فانه فى نفس هذه الليلة وضعت الدرة الملكية في درج جواهر غدير ولم يعلم بهذا أحد سوى الله •

شاءت ارادة الله أنه حينما ذهب سمك وخرشيد شاه الى خيمة غدير أن ذهب الأبطال أيضا كل الى خيمته ، وذهب فتاح الزنجى أيضـــا الى خيمته ورافقه ينال حتى دخلا ثم جلس فتاح لتناول الشراب ، وجلس معه ينال ينادمه ويسامره وبعد مدة قال له « أيها البطل ، أرأيت الاهانة التى وجهها لى الملك اليوم من أجل سمك ؟ فقال فتاح « يا ينال ، كل ما فعله كان حسنا لأن سمك العيار فى الرجولة والبطولة مشهور فى الدنيـــا ، والأعمال التى قام بها لم يقم بمثلها أحد ولا يستطيع أحد القيام بها خاصة ايقاعه لشخص مثلى ، كما أن للملك أن يفعل ما يشاء ، فلو شرب نخب سمك أو حارس الكلاب فليس لك عليه أمر أو سلطان واذا كان الملك قد أهانك بالكلام فان سمك خلع عليك وأكرمك • فدع هذا الكلام فقد مضى ما مضى » •

حين قال فتاح هذا ، انشغلا فى تناول الشراب حتى سكر فتاح ونام ونظر ينال فرأى دبور قاهر الشياطين وابنه خشعاف مقيدين وقد القيا أمام باب الخيمة فقال لنفسه « ان كنت ســـأفعل شيئا فهذا وقتـه » • ثم تظاهر بالسكر ونام وتفرق الخدم •

حين خلت الخيمة قام ينال وذهب الى دبور وقال له « أيها البطل ، اذا حللت وثاقك فماذا تفعل لى » ؟ فقال له دبور « اذا فعلت هذا جعلت مكانتك تطاول الأفلاك ، وأهبك ما لاحد له من الأموال » • فقال له ينال « يلزمنى دليل على هذا » • فقال دبور « فى ساعدى عشر حبات من الجواهر اخرجها واربطها فى ذراعك » • ففكها ينال من ســـاعد دبور ثم قال له « أيها البطل ، ماذا أفعل بهذه القيود الحديدية » ؟ فقال له دبور « أمام العرش يوجد مقراض ومبرد وضعهما سمك هناك فانظر هل ما زالت هناك

أم لا فان كانت هناك فاحضرها فذهب ينال وأحضرها وحطم قيودهما • فقال له دبور « أيها الرجل الحر ، ما هو اسمك » ؟ فقال له « ينال رفيق سمك العيار » • فقال دبور « يا ينال ، حاول أن تخلص حصانى رخش وتفك القيود من يديه ورجليه وسيأتى وحده الى » • فقال ينال « سأفعل » • وقال خشعاف هل أقتل الزنجي ؟ فقال دبور « لا ، لأنهم لم يقتلونا ثم أننا مازلنا فى معسكرهم ولا ندرى كيف سينتهى هذا الأمر ونستطيع الذهاب من هنا » •

قالا هذا وانطلقا في طريقهما حتى وصلا الى معسكرهما ، فلما كانا على أطرافه كانت هناك جماعة من رجاله صاحوا فرحين حين رأوه وذاع فى الجيش أن دبور وابنه قد عادا ، فذهب اليه أرمنشاه وقزل ملك وغفاف وغرامد وشهران الوزير مع الأبطال وجلسوا يشربون اعرابا فذهب اليه أرمنشاه وقزل ملك وغفاف وغرامد وشهران الوزير مع الأبطال وجلسوا يشربون اعرابا عن فرحهم ، وتصالح الأخان واعتذر كل منهما للآخر •

## سمك فى دور ساحر

من قضاء الله أن لهيب الجاسوس كان فى معسكر أرمنشاه فرأى هذه السعادة والفرح فتوجه الى باب المجلس ورأى دبور وابنه يشربان أمام أرمنشاه فقال لنفسه « كيف حدث هذا ؟ وعاد الى معسكره وكان خورشيد شاه لم يخرج من خيمته ، ولكن الملك فغفور وهامان الوزير كانا حاضرين فدخل لهيب وذكر لهما ما رآه • فقال له الفغفور « ماذا تقول ؟ فى نفس اللحظة التى دخل فيها خورشيد شاه المجلس ، فذكروا له ما قاله لهيب الذى أدى التحية وقال « أيها الملك العظيم ، لقد رأيت ذلك بعينى ؟ فسأله خورشيد شاه » وماذا رأيت ؟ أجابه لهيب « دبور وابنه أمام أرمنشاه وكانوا يشربون » •

نظر خورشيد شاه فلم ير فتاح الزنجي فقال « استدعوه » فذهب أحد الحجاب وأيقظه حيث كان لايزال نائما وقال له ان الملك يريدك • فقام وذهب الى خورشيد شاه وأدى التحية فسأله خورشيد شاه « أيها الزنجى ، أين أخذت دبور وابنه ؟ فأجاب الزنجى « أيها الملك ، فى خيمتى » فقال له خورشيد شاه « يا فتاح ، أنت غافل لأنهما الآن فى مجلس أرمنشاه يتناولون الشراب » • فقال الزنجي « لقد سكرت ولا علم لى

بما حدث » وكان سمك واقفا فقال لنفسه « ربما فعلها الجبليون أو أن أحدا جاء وقام بهذا العمل بجرأة وشجاعة » ثم قال لخورشيد شاه « أيها الأمير ، لقد أتقنوا التدبير ، ولا أعلم من من الأبطال فعل هذا وأيا كان الأمر فقد كان ماهرا » فقال خورشيد شاه « يجب علينا أن نعرف من الذى قام بهذا العمل » فقال سمك « ويجب أن نعرفه من دبور نفسه ، ويجب أن يذهب اليه شخص ويسأله من الذى خلصه من القيود ٠

سأله خورشيد شاه « ماذا تقول ؟ كيف يسأله شخص عن هذا ؟ ومن الذى عنده القدرة على هذا العمل ؟ فقال سمك « الأبطال الحاضرون ربما ذهب أحدهم » ٠ ولم يتقدم أحد ليقول أذهب أنا ٠ عندئذ قال سمك « يها الملك ، سأذهب أنا وأعرف من دبور من الذى خلصه من القيود » ٠ فتعجب الملك والأبطال من قوله هذا ثم قال له خورشيد شاه « يا أخى كيف ستذهب » ؟ قال سمك « سأذهب وأعرف منه الحقيقة » ٠ قال هذا وخرج من عند الملك وطلب جبة وعمامة لبسهما وحمل زجاجة زيت وضعها فى الجبة ثم مسح وجهه بدواء جعله يتحول الى حبوب ثم امتطى حصانا وعن طريق منغوليا اتجه الى معسكر أرمنشاه ٠

سار سمك مسرعا الى أن اقترب من مجلس دبور فرأى الخدم يقفون أمامه فسألهم « أين مجلس دبور ؟ فأجابوه » هو هذا ؟ قال « فليذهب أحدكم ويخبره ان رجلا يقف فى الخارج ويقول ان لى كلاما معه » فقال دبور أدخلوه « فأدخلوا سمك الى المجلس فأدى التحية وأثنى على دبور الذى أجلسه وقال له من أنت ومن أين جئت وماذا تريد ؟

قال سمك « يها البطل ، أنا رجل ساحر جئت لكى أزيل مملكة خورشيد شاه ، فأنا أنظر فى الطالع وأرى أن الاقبال والرفعة تصاحبك وستكون الدنيا طوع أمرك ، وقد لحقتك بعض المتاعب هذا الاسبوع ولكنها مرت سهلة » فقال له دبور « صدقت ، لأننى كنت فى الأسر ، فانهض الآن لنذهب الى أرمنشاه ونقول له هذا الكلام » ٠ فقال له سمك « لا أذهب اليه لأنه لا طالع له ولن يكون ، وانجاز هذا الأمر سيكون على يديك والسعد مقبل عليك ولكن أحتاج لم يذكر لى اسم أم خورشيد شاه واسم أبيه ، فان عرفتهما فاننى سأقوم بهذا العمل فى المدينة » ٠ فقال دبور « سأرسل شخصا يسأل عن اسميهما لأنه موضع ثقة فى جيشهم » ٠

استدعى دبور كيكان الجاسوس وقال له أسرع بالذهاب الى معسكر خورشيد شاه واذهب الى ينال وقل له بعلامة اخراجك لى وابنى من القيد

وكنت تريد قتل الزنجى ولم أدعك تفعل هذا يجب عليك معـرفة اسم أم خورشيد شاه واسم أبيه ، وان سألك لماذا تسأل عن اسميهما فلا تقل له شيئا » فانطلق الجاسوس فى طريقه بينما قال سمك لنفسه « عثرت على أول الخيط ولأبقى لأرى ما سيحدث » ٠

فى الجانب الآخر فان ينال ذهب وفك قيد اناث الخيل كما فك قيد الحصـــان رخش التى انطلقت كالريح نحو معسكر أرمنشاه ووقفت أمام خيمة دبور وكان سمك جالسا أمامه حين عاد اليه حصـــانه فقام دبـــور واحتضن رأس الحصان وقبله وفرح به كثيرا وأثنى على ينال بينما كان سمك جالسا فقال « أيها البطل ، أرأيت أن الســـعادة مقبلة عليك » ٠ بينما كان سمك فى داخله يلعن ينال الذى أطلق عنان هذه الخيل ، وكل هذا لأن الملك كان قد قال له ذلك الكلام فى المجلس من أجلى ٠ والآن يجب أن أنتظر حتى يعود كيكان ويقول ما يجب أن نعمل » ٠

حينما ذهب كيكان الى ينال ســـأله عن أحوال دبور فذكرها له كيكان ثم سأله عن اسم أم خورشيد شاه وأبيه فقال ينال لا أعرف اسم أمه أما اسم أبيه فهو مرزبان شاه ولأن سمك غير موجود اليوم فى المجلس فاذهب وأبلغ اسم أبيه الى أن يأتى سمك وأعرف منه اسم أمه ٠

عاد كيكان الى دبور وكان سمك جالسا أمامه فذكر له ما دار بينه وبين ينال وسأله دبور « يا كيكان ، هل رأيت ينال » ؟ فأجابه « رأيته وهو يقول انه لا يعرف اسم أمه أما اسم أبيه فهو مرزبان شاه وقال سوف أعرف من سمك وأبلغكم » ٠ فقال سمك لنفسه « ان ينال لا يعلم أين أنا »٠ ثم قال لدبور لو أن كيكان ذهب واستفسر عن اسم أمه فاننى أستطيع أن أنجز هذا العمل فى أسبوع » ٠ فقال كيكان « سأذهب وأعرف منه اسم أم خورشيد شاه » ثم توجه عائدا الى المعسكر ٠

## تعويذة للحصـــان

بعد نحو ساعة قال سمك « أيها البطل ، لو أننى رضت حصانك هذا الذى لم يستطع أحد غيرك أنت وسائسك ركوبه فماذا تعطينى لأننى أرى أنك تحبه كثيرا ؟ فقام دبور واحتضن الحصان ثم قال لسمك « لو فعلت هذا لأعطيتك كل ما تتمنى » ٠

قام سمك وذهب الى الحصان ثم قال « أيها البطل ، مرهم أن يسرجوا الحصان حتى أقرأ عليه التعويذة وهو بسرجه » . فأمر دبور بوضع السرج عليه وألجموه له « وعندئذ مد سـمك يده تحت عباءته وأخرج زجاجة الزيت ودلك بها الحصان حتى جعل جسـمه كله مدهونا بالزيت ثم أمسك عنانه ودار به عدة دورات حتى هدأ ثم قال « أيها البطل ، يجب أن أركبه حتى أكمل ترويضه » . فقال دبور اركبه « فركبه سمك وسار به قليلا ثم أطلق له العنان وضربه بخيزرانة على كفله فانطلق الحصـان واتجه به سمك الى معسكر خورشيد شاه .

قال دبور « يا ابن الحرام ، الى أين تأخذ الحصان ؟ فأجابه سمك أنا ذاهب لأعرف اسم أم خورشيد شاه » . فأمر دبور فرسانه كي يلحقوا به ويمسكوه ولكن أين يمكنهم اللحاق به ؟ فلما اقترب من معسـكره كانت طلائع الصباح واقفة وكان عليها هرمز الذى عرف سمك وسأله « من أنت ؟ فأجابه سمك « جئت لأعرف اسم أم خورشيد شـاه وأعدت الحصان كما عرفت اسـم من قام بهذا العمـل ـ وبسعد واقبـال خورشيد شاه ـ عدت سالما » .

من قضاء الله أن سمك لمح كيكان وهو يسير فقال له « يا كيكان ، ماذا فعلت ؟ فنظر كيكان فرأى حصان دبـور وعليه ذلك الرجل الذى قال انه ساحر ، ومع أنه سبق أن رآه الا أنه لم يعرفه . وقال له سمك « لقد جئت لأقابل ينال وأعرف منه اسم أم خورشيد شاه كمـا يجب ، فاركب أنت أيضا » . فأدرك كيكان أنها حيلة ولكنه لم يستطع الهروب وأردفه سمك خلفه وحمله معه الى خورشيد شاه ونزل ودخل عليه وأدى التحية وقال « أيها الملك ، عدونا من بيتنا ، ذلك الشخص الذى فك قيود الحصان هو الذى أطلق سراح دبور وابنه » .

أمر خورشيد شاه بتقييد الحصان والتفت سمك الى كيكان وقال له « يا كيكان ، هل تعرفنى ؟ ومن قضاء الله أن ينال كان واقفا عندما قال سـمك » يا كيكان هل تعرفنى ؟ أنا الذى خلصتك من يدى الغورى وحتى يعرف هؤلاء الأبطال الموجودين هنا أننى صادق فيما أقول وان كنت تريد أن تنقذ روحك فقل الصدق ، من الذى فك قيود دبور وابنه خشعاف ومن الذى أطلق سراح هذا الحصان والى من أرسلك دبور ؟ ولأى عمل وبأى دليل جئت من عند دبور ؟ وحين رجعت الى دبور ماذا قلت له ؟

أخذ كيكان يتكلم وأعاد ذكر ما حدث أمام خورشيد شاه والفغفور وهامان الوزير والأبطال ، وكان ينال واقفا فقال « أيها الملك ، لا علم لى

بهذا ولم أر كيكان الا هذه الساعة » • فقال له كيكان « يا ينال ، لقد جئت اليك وقلت لك ان دبور يقول لك بدليل أنك أطلقت سراحى من القيود وقلت لك فك قيود حصانى فقلت كيف أفعل هذا فقلت لك فك اناث الخيل ثم فك قيد رخش لأنه سيعود الى وحده وقل لى اسم أم خورشيد شاه واسم أبيه فقلت أن أباه هو مرزبان شـــاه ولا أعرف اسم أمه وسأسأل سمك ثم أرجعتنى الى دبور » •

قال ينال « لو جاء دبور وقال هذا فيكون صحيحا » • فقال سمك « أيها الملك مر بوضعهما في القيود » ثم قال « قيدوا ينال فقط حتى يأتى كيكان معى لنحضر دبور قاهر الشياطين ليذكر لنـــا كيف حدثت هذه الأحداث • فقال خورشيد شاه « يا أخى ، يجب تقييدهما معا » فأمر سمك بتقييد كيكان وسلموا ينـــال الى مقدمى الجيش لكى يحترزوا عليــه • فتعجب خورشيد شاه والأبطال من هذا الأمر وأخذوا في تناول الشراب الى أن حان وقت ذهاب سمك فترك ينال فى يدى لهيب •

## اجتمـــاع الحاقدين

شاءت ارادة الله أنه حينما أخذ لهيب ينال وأجلسه أمامه قال له ينال « يا أخى ، أرأيت ما فعله سـمك معى ؟ لقد ألقى بى فى التهلكة ، انه جزاء ما فعلت له من خـــير فى قلعـــة الفلكى وغيره من الأماكن ، وما قدمته له حتى اليوم فيكون جزائى أن يضعنى فى هذا البلاء ؟ هل هذا فى رأيك صواب ؟ فقال لهيب « يا أخى ، لا تشغل بالك فاننى لن أتركك مقيدا » اذ أن لهيب أيضا كان مغيظا غاضا على سمك لأنه لم يصـــل الى حبيبته سكينة الساقية وأن سمك لم يهتم به الى أن خطف الأحمر الكافر سكينة وقتلها ، وكان هذا سبب غيظه وحنقه ، ولكنه لم يكن يستطيع عمل شىء فقال لنفسه « لما كان عملى مع سمك لم يعد على بفائدة مع كثرة الخدمات التى قدمتها له فلا يجب أن تضيع روح هذا الشاب هباء ، فان كان قد ارتكب خطأ أو لم يرتكب فلأخلصه من قيوده ليذهب حيث يشاء ، وأعرف أن سمك لن يقتلنى » فكر فى هذا ثم فك القيد من يدى ينال ورجليه •

حينما رأى ينال نفسه طليقا مد يده فى ساعده وأخرج تلك الحبات العشر من الجواهر التى كان دبور قد أعطاها له وقدمها للهيب وقال له « والآن أكمل عملك وأخرجنى من هذا المعسكر » فلما رأى لهيب الجواهر فرح وقال لنفسه ان قيمتها تزيد على خمسين ألف دينار فقال « يا ينال ،

اصبر حتى يخيم الظلام وأخرجك » وكان ســـمك حتى ذلك الوقت فى المعســكر ٠

عندما أقبل الليل قام لهيب لكى يأخذ الخيل لتشرب وقال لينال « تعال واركب أحد الخيول » ٠ وركب كل منهما حصانا الى أن وصلا الى عين ماء يستقون منها فقال ينال لنفسه ان لهيبا أخذ تلك الجواهر « ثم قفز من على حصانه وأمسك لهيب وقتله واسترد جواهره ثم انطلق نحو معسكر دبور وكان الصباح قد أوشك فقال للحجاب « أخبروا البطـــل أن ينال بالباب » فقال لهم دبور « أدخلوه » فعاد الحاجب وأمسك يد ينال وأدخله على دبور فأدى ينال التحية وقام دبور واحتضنه وسأله عن أحواله فذكر له ينال الأحداث الماضية ثم قال له « أيها البطل ما هذا الذى فعلتـه ؟ لقد وضعتنى فى يدى خورشيد شاه وسمك الا أن الله نجانى فقال له دبور « لم أكن أعرف انه سمك اذ جاءنى وقال لى أنا ساحر وسأعمل تعويذة أهلك بها خورشيد شاه وكان يحتال على ٠ وفى النهاية أخذ حصانى الذى كنت قد أعدته لى » ٠

قال ينال « أيها البطل ، احترس لأن سمك تعهد بالمجىء الى هنا لكى يأخذك الى خورشيد شاه لكى تذكر لهم حقيقة أننى الذى خلصتك من القيود » فقال له دبور « وكيف يمكنه أن يأخذنى ؟ فأجابه ينــــال « أيها البطل ، أنت لا تعرفه فقد أخذ عدة أبطال ، فمثلا كيف أخذ رجلا كالأحمر الكافر من وادى الجبل الأسود من وسط آلاف من الجند ؟ وعليك أن تأمر الآن بحفر آبار كثيرة حول مجلسك وتغطيتها جيدا بالأغصــان الصغيرة والأعشاب حتى اذا جاء سمك فربما سقط فى احداها فنمسكه ونتخلص منــه » ٠ فقال له دبور « لقد أحسنت التدبير ثم أمر بحفر الآبار » ٠

من تقدير الله أنه حينما أشرق الصباح ولاح ، وجلس خورشيد شاه على عرشه وارتاح ، وجاء الأبطال لتحيته كعادتهم ، واذا بدقات طبول الحرب تتصاعد من خلف ظهورهم ، فقال الملك انظروا من يكونون ؟ فركب هرمز وجماعة من جنده ، وانطلق تجاه الصوت من فوره ، وما كاد يبتعد نحو فرسخ أو أكثر حتى رأى غبارا يتصاعد قادما فى وجهه ، وظهر من وسط الغبار علمان أحدهما عليه رسم فهد والآخر رسم تنين ، وكان تحت العلمين شابان حينما شاهدا هرمز أنزلا العلمين ، وكان معهما عشرون علما آخر ، ووقفوا فى أماكنهم ونظر هرمز الى شعارهم وهيئتهم فرأى شعار وهيئة أهل حلب ، فقال لنفسه يبدو أنهم من جيشنا من مدينة حلب « وقال لجنده انتظروا هنا ريثما أري من هم » ٠

قال هرمز هذا وتقدم اليهم ، فلما اقترب منهــم نزل عن حصانه ورحب بهم وحياهم وقال « لهم » أيها الأبطال « من أنتم ومن أين قدمتم والى أين تذهبون ؟ فأجابه الشابان « قبل أن نخبرك بهذا قل لنا من أنت ؟ فقال لهم هرمز « أنا من رجال خورشيد شاه بن مرزبان شاه » • فترجلا كلاهما عن حصانيهما واحتضنوا بعضهم بعضا وقالوا « نحن عبيد خورشيد شاه ومن رجال مرزبان شاه ، أرسلنا ملك الدنيا ، فما هى أحوال الأمير ؟ فقال هرمز « انه فى سلام » ثم قال لهما « ما أسميكما لأننى لم أقابلكما فى حلب ؟ فقال أحد الشابين « نحن لسنا من أهل حلب ، بل من بلاد الديلم ، ولكننا عبيد مرزبان شاه أرسلنا مددا لابنه ، واسمى جبل الديلم وهذا أخى اسمه شمسان ومعنا كثير من جند حلب » •

حينما سمع هرمز هذا ، عاد الى خورشيد شاه وأخبره بهذا ، فركب فى الحال ومعه الملك فغفور وهامان الوزير وعدد من الأبطــال وذهبوا للقائهم ، فلما اقتربوا منهم رأى جبل الديلم مظلة الملك فترجــل عن حصانه وترجل الجميع اقتداء به وأدوا التحيــة فاحتضنهما الملك وهو راكب حصانه وأمرهم بالركوب ثم اتجه الى مجلسه وكان أول ما سأل عنه خورشيد شاه هو عن أبيه فقال جبل الديلم وشمسان والآخرون « انه ــ بسعدك واقبالك ــ فى سلامة وصحة تامة » •

حين قالوا هذا أحضروا ماء الورد فشربوا ثم مدوا الموائــد فأكلوا ولما انتهوا من طعامهم غسلوا أيديهم ثم أقاموا مجلس طرب وداروا عليهم بكئوس بنت العنب ، وقام جبل الديلم وشمسان ووضعا رسالة أخذها خورشيد شاه هو عن أبيه فقال جبل الديلم وشمسان والآخرون « انه ــ قراءتها وكان فى أول الرسالة اسم الله ثم قال •

« بنى ، لماذا تركت وطنك ومالك لتبحث عن ولاية أخرى لن تكون لك ؟ ان حلب ليست أقل من الصين ومنغوليا • وان كنت قد ذهبت من أجل ماه برى فقد نلت ما تمنيت كما علمنا فلا تبتعد ولا تبق فى الغربة أكثر من هذا لأن أمك أسلمت الروح لبعدك عنها ، كما أن أختك لا تكف عن البكاء ليل نهار ، وصار أبوك شيخا ضعيفا ، وأخشى من وصول الأجل قبل أن أراك ــ جزاك الله ــ لما لحق بنا من حزن وغم لايمكن وصفه على فراق فرخ روز وقتله • وقد ذكر لنا هامان الوزير هذه الأحداث لأن كل أمر يقع يرسل من يخبرنا به ويروى لنا أحوالكم » •

حين سمع خورشيد شاه رسالة أبيه صاح وأخذ فى البكاء وقال « أيها الأبطال افتونى فى أمري ، فلقد أخذت على عاتقى انجاز هذا الأمر

فان تركته وعدت ذاع جبنى وخوفى فى أرجاء الدنيا بأسرها ، وان لم أتركه فان الحزن على أمى وأبى وأختى وأصدقائى يؤلمنى وينغص على حياتى » فقال جبل الديلم « أيها الأمير ، اذا تأخرت فان أباك سيضطر للمجىء الى هنا ، ثم أنك تطلب الاستيلاء على مدينة بينما دمرت خمسون مدينة لأن الولايات التى مررنا بها فى طريقنا لم نربها مدينة عامرة حتى مدينة الصين عاصمة الفغفور دمرت ولا يسكنها آدمى لدرجة أننا لم نستطع أن نحصل منها على علف للدواب ليوم واحد » • وحينما سمع خورشيد شاه هذا قال « أيها الملك ، قم أنت وعد الى ولايتك وأجلس على عرش ملكك واعمل على نشر العدل والحق وأعد العمران للولاية » • فقال الفغفور « سأنظر فى هذا وسأرسل معتمدا فى البداية » قالوا هذا وجلسوا يشربون •

شاءت ارادة الله أن يذهب جاسوس ويخبر دبور أن جيشا ضخما وصل من حلب وأن خورشيد شاه جالس معهم يحتسى الشراب • فقال له ينال « أيها البطل ، انه وقت العمل ، فنهجم عليهم ليلا بينما هم يشربون ويسكرون وأنا على يقين أننا سنحصل على نصر عظيم » • فأدى خشعاف التحية وقال « أنا أذهب لأداء هذه المهمة » ثم توجه مع عشرين ألف فارس الى معسكر خورشيد شاه واستطاع أن يمر من الطليعة ثم جاء من مؤخرة المعسكر ، فلما انقضى ثلثا الليل دقوا طبول الحرب ، وكان جيش خورشيد شاه كله ثملا أما خورشيد شاه وغدير والأبطال فكانوا يغطون فى النوم •وأعمل خشعاف وجنوه السيف فى جيش خورشيد شاه فأخذ الجند يقفزون من أماكنهم سكارى حيارى وركب بعضهم الخيل دون سروج بينما ركب بعضهم الآخر وظهورهم نحو رأس الحصان ، وكانوا لايفرقون بين صديق أو عدو ، وأخذوا يضربون بعضهم بعضا ، ووقع الأبطال فى بعضهم وفجأة تمكن جبل الديلم من ضرب خشعاف بسيفه ضربة جزله نصفين ذاع بين الجند أن خشعاف قتل ، وحين عرف جنده بمقتله ولوا الأدبار ولاحقهم جنود خورشيد شاه يقتلون منهم من تصل اليه أيديهم حتى أضاء النهار فرجعوا ولم يكن هناك طريق من كثرة القتلى •

جلس خورشيد شاه على عرشه ودخل الأبطال ليكونوا فى خدمته وقد أصابتهم جميعا الجروح فطلب خورشيد شاه فتاح الزنجى فقالوا له انه مازال نائما فقال لهم « أحضروه » فذهب شخص وأتى به • فقال له الملك « يا فتاح ، لماذا تشرب كل هذا الشراب حتى لا تعى ما يحدث حولك ؟ ثم ذكروا ما حدث فى البيتوتة ، وبحثوا عن سمك فلم يجدوه لأنه كان قد

ذهب أثناء الليل وقال خورشيد شاه « انه ذهب لأمر ما » ثم عرضوا الجيش فوجدوا القتلى خمسة آلاف قتيل ٠

في الجانب الآخر عاد جيش أرمنشاه منهزما ، وحملوا خبره الى دبور وأن ابنه خشعاف قتل فأخذ دبور فى الصياح والبكاء والنواح ، ووصل خبر قتل ابن دبور الى أرمنشاه فذهب الى دبور وأخذ قزل ملك وشهران الوزير والأبطال يعزونه في ابنه ، وجاء عارضو الجيش وقالوا لقد قتل تسعة آلاف من الجنود ٠ فحزن أرمنشاه وقال ليس من الخير الدخول في حرب شاملة معهم » ولكن دبور قال « يجب علينا قتالهم حتى أقتص لدم ابنى » فقال له أرمنشاه « أيها البطل ليس فى ساحة القتال مكان من كثرة القتلى » ٠ قالوا هذا واعتزم الجانبان على القتال وأخذوا في دفن القتلى ٠

من تقدير الله أنه حينما قال خورشيد شاه أن سمك ذهب لأمر ما فان الثعلب الفيلم قال « يجب الذهاب للبحث عن سمك » ٠ فقالت له ضياء « سآتى معك » ٠ وقالت ورد « سآتى معك » ولهذا قرر الثلاثة الذهاب للبحث عن سمك ولكن الثعلب قال لا نستطيع نحن الثلاثة الذهاب معا » فقالت ضياء « أنت أعلم » ٠ فقام الثعلب ولبس ثيابا قديمة ووضع عمامة قديمة أيضا ومسح لحيته بدواء فصارت كلها بيضاء وسار في طريقه ٠ وقالت ضياء « انني أعرف حيلتى ، اذ أنني سأتنكر على هيئة مطربة » ٠ وقالت ورد « وأنا سأحمل لك عدتك » ٠ فزينت ضياء نفسها واختارت عودا وأعطته لورد وسارتا فى أثر الثعلب ٠

حينما وصلوا الى أطراف معسكر أرمنشاه رأوا كثيرا من الناس يجيئون ويذهبون وهم يحملون القتلى ، وكان قزل ملك قد خرج للمشاهدة وقد حمل على ساعده صقرا ، وكانت ضياء تسير بجرأة فرآها قزل ملك وتوجه اليها وسألها » من أنت ؟ قالت ضياء لنفسها « هذا قزل ملك فماذا أقول له الآن ؟ ثم واتتها حيلة اذ أنها كانت قد سمعت بمقتل خشعاف فقالت لقزل ملك « أيها الفتى ، لقد كنت مطربة خشعاف وكان قد أحضرنى الى أطراف المعسكر وتركنى وذهب هو للقتال بينما نمت أنا ، وقد استيقظت الآن ولا أعرف أحوال خشعاف وماذا فعل ٠ وأنا ذاهبة الآن الى المعسكر » ٠ فقال قزل ملك لنفسه « لو أننى قلت انه قتل فستأخذ فى الصراخ والولولة ولن تأنس لى ، ولما كان خشعاف قد قتل فلآخذها الى خيمتى وأتولى رعايتها لأنها مطربة فى غاية الجمال » ٠ ثم قال لأحد حجابه « خذها الى الخيمة حتى أذهب واستدعى خشعاف » ٠ وقالت ضياء

لنفسها من الخير أنني لقيت قزل ملك في طريقي » • واصطحبها الحاجب الى الخيمة وأجلسها وبعد نحو ساعة جاء قزل ملك ودخل الخيمة وانشغل بتناول الشراب ثم قال لضياء « اسمعيني بعض غنائك » • فأخذت ضياء العود وأخذت في الغناء بينما كان قزل ملك يشرب •

## سمك في غيابة الجب ثانية

في الجانب الآخر فان سمك وصل الى المعسكر وأخذ يتجول في كل جانب الى أن وصل الى معسكر دبور وكان لايدرى شـيئا عن المصائد المحفورة له ، وفجأة وقع في احداها فصرخ قائلا « آه ، لقد مكروا وأمسكوني بالحيلة فماذا أفعل الآن ؟ وكيف أســـتطيع الخروج من البئر ؟ ثم قال لنفسه « لا مفر من البقاء الى أن يشاء الله » • وكان قاع البئر متسعا فجلس فيه •

شاءت ارادة الله أنه في تلك الليلة التي قام فيها جيش دبـور بالبيتوتة ولحقت به الهزيمة فانهم جميعا كانوا في مأتم حزنا على خشعاف ، وكان دبور قد نسي الآبار في غمرة حزنه وغمه على ابنه ، كما لم يتذكرها أحد آخر • وكان ساقي دبور يتجول مصادفة فرأى تلك البئر مفتوحة وقال لنفسه « انهم لم يغطوا هذه البئر » ثم تناول حجرا وألقاه فيها وكان سمك في قاع البئر يفكر في حيلة ، فلما سقط الحجر قال « من ؟ قطع الله يدك فانك لو ألقيت حجرا آخر فانني سأشعل النار في هذا المعسكر » فلما سمع الساقي هذا استولى عليه الخوف وابتعد وذهب الى المجلس •

حينما جلس قزل ملك للشراب وكانت ضياء أمامه أرسل شخصا استدعى دبور البطل ، وكان الساقي واقفا أمام دبور عندما وصل الشخص الذي أرسله قزل ملك وأدى التحية وقال « ان الأمير يطلب البطل وليتحمل مشقة الحضور ويأتي الينا لأننا جاءتنا مطربة جديدة » • فقام دبور واتجه الى خيمة قزل ملك وقال للساقي احضر قارورة شراب خاص لأنه لا يجوز الافراط في الشراب أمام الملك ، ولكن يجوز في حضـور من هم أقل مكانة « وذهب دبور وحمل الساقي قارورة شراب وتوجه الى هناك وتذكر تلك البئر فاعترته رعشة الى أن وصل الى قزل ملك ودبور ووضع أمامهما قارورة الشراب وكانت يده ترتعش ، فلما رآه دبور على هذه الحال قال له « ماذا بك ؟ فذكر له الساقي تلك البئر والقاءه الحجر والكلام الذي سمعه من قاع البئر فتعجب قزل ملك وقال لدبور « قم لنذهب الى تلك البئر

ولننظر هل يقول الساقي الحقيقة أم لا » . وأمر باقامة خيمة فوق تلك البئر وذهب الجميع الى هناك وأخذوا فى تناول الشراب .

جاء دبور على حافة تلك البئر ، وكان قد نسى موضوع سمك ، وألقى حجرا فيها فقال سـمك « قطعت يداك اذا ألقيت حجرا آخـر » فتعجب دبور وقال « أيها المخلوق الموجود فى قاع البئر ، ان كنت تعلم شيئا فقل لنا هل تبقى دولتنا أو دولة خورشيد شاه ؟ فرد سمك قائلا « ستبقى دولة خورشيد شاه لأنه ملك عادل » . فتعجب دبور وذهب الى قزل ملك وقال له « ان صوتا ينبعث من قاع البئر يقول هذا الكلام » . فقال قزل ملك « سأذهب لأرى بنفسى ، وقام ووقف على حافة البئر وأخذ يتكلم ولكنه لم يسمع ردا » .

كان سمك قد قال لنفسه « لو تجاوزت الحد لانقلب الى الضد » . وكان قد وسع قاع البئر بحيث اذا ألقى أحد حجرا آخر لا يسقط فوق رأسه . وحينما لم يسمع قزل ملك أى رد قام هو ودبور وعادا الى الخيمة وجلسا يتناولان الشراب . وقالت ضياء لورد « ليس فى قاع البئر أحد غير سمك ، وقد دبر هذه الحيلة فماذا نفعل الآن ؟ نحتاج الى قليل من المخدر أليس معك شىء منه ؟ كما نحتاج الى حبل » . فقالت ورد ليس معى شىء منها .

بينما كانتا فى حديثهما هذا وصل الى سمعهما فجأة صوت الثعلب الفيلم ذلك أن صوت غناء ضياء كان قد وصل الى أذنيه فجاء على باب تلك الخيمة ورأى ضياء فوقف وأخذ فى الدعاء ، وكان هناك كثير من الناس قد تجمعوا على حافة تلك البئر بسبب ذلك الصوت الذى كان قد سمع من قاعها ، ورأى الثعلب ذلك الازدحام حول البئر فصاح فى الناس « لم هذه الضوضاء ؟ ابتعدوا » وتقدمت ضياء قليلا نحو الثعلب فأدرك أنها قادمة اليه فذهب لاستقبالهـا حتى اقترب منهـا فقالت له « أيها الأستاذ ، ان سمك فى هذه البئر ، فماذا نفعل ؟ نحتاج الى قليل المخدر ، أليس معك شىء منه ؟ فأجاب الثعلب معى » . وأعطاها عشر مثقال فعادت ضـياء الى مكانها وقالت لدبور « أيها البطل ، لماذا هذه الضجة التى يثيرها الناس فى هذه الخيمة ؟ فصاح فيهم دبور وأخرجهم جميعا ثم خرج بعدهم وأبعدهم ، وحين عاد دبور كانت ضياء قد وضعت المخدر فى الشراب الذى شرب منه قزل ملك أولا فنام وحمله العبيد وأخذوه الى فراشه واستمر دبور يشرب نحو ساعة حتى سكر ونام وحمله خدمه أيضا .

قال العبيد لضياء « قومى لنذهب عند الأمير واجلسى ودلكى قدميه » ، فقالت ضياء « اننى لم أعتد على هذا ، وفى كل مكان أشرب فيه لا أتركه ما لم أسكر » . وبعد دورين أو ثلاثة وقع العبيد فاقدى الوعى فقامت ضياء وخرجت من الخيمة وكان الثعلب الفيلم يراقبها من بعيد وعاد اليها وذهب ثلاثتهم الى حافة البئر وصاح الثعلب فى البئر قائلا « يا بنى ، يا عيار الزمان ، أين أنت ؟ أين أنت ؟ فسمع سمك صوت الثعلب فقال » أنا هنا أيها الأستاذ اسحبنى بسرعة لأننى فقدت قواى من الجوع » . فأنزل الثعلب طرف الوهق وسحبه . فقال سمك « أريد شيئا آكله » فقال له الثعلب « أطلب هذا من ضياء لأنها المغنية الخاصة لقزل ملك وكذلك البطل دبور » .

وضع الثعلب أمام سمك ما كان معه من خبز وطعام فأخذ يأكل وقالت ضياء « أيها البطل ماذا نفعل لأن ورد بلا وعى فى الخيمة » . فقال سمك « فلنذهب للخيمة ونوقظها ونذهب لأننا ما زلنا فى أول الليل » . وعاد ثلاثتهم الى خيمة دبور .

نظر ينال فرأى الخيمة خالية ورأى سمك وضياء والثعلب يحاولون اجلاس ورد ووضعوا شيئا فى فمها وهى تتقيأ ، فقال ينال لنفسه فلأنتظر وأرى ماذا يدبرون فليس هناك أفضل من هذا ، ثم أصيح حتى يحضر الجنود ويمسكوهم » . فكر فى هذا ثم صاح « أيها الجند والعبيد والحجاب ، ان سمك والثعلب وضياء وورد أربعتهم هنا فأمسكوهم » . وحين سمع الجنود هذا هبوا من أماكنهم ليمسكوهم .

حين سمع سمك هذا قال « يا أستاذ ، ليس هذا وقت التتلمذ على الأستاذ أو اطاعة الأبناء للآباء ، فلا يمكن أن نضيع أرواحنا من أجل شخص » . قال هذا واستل خنجره وخرج من الخيمة ونظر فوجد ينال واقفا وهو يصيح « امسكوا سمك والثعلب » . فقال سمك « انظروا الى ابن الحرام هذا الذى خان العهد والأمانة ، والآن يجب ايقافه عند حده وتقدم اليه وطعنه بخنجره فقتله وأحاط الناس بسمك فأعمل خنجره فيهم يقتل من يقف فى وجهه ، فارتفع الصياح فى المعسكر ، وكان الثعلب الفيلم وضياء وورد فى الخيمة وليس معهم سلاح فتقدم اليهم العبيد وأمسكوهم فصرخ سمك حزنا عليهم وكان الجيش قد اضطرب وهاج .

## وضاقت عليهم الأرض

من قضاء الله أن طليعة جيش خورشيد شاه في تلك الليلة كانت تحت قيادة هرمز وجبل الديلم وأخوه وأبناء الغورى وعشرين ألف فارس. وحين وصلت الى أسماعهم أصوات الصراخ والضجة قالوا لعل بعض رجالنا قاموا بهجوم أو قاموا ببيتوته • وصاحوا بالاستعداد ثم انطلقوا الى ناحية الأصوات ودخلوا معسكر أرمنشاه وأعملوا فيهم السيوف • ووقف أرمنشاه فقال له شهران الوزير « أيها الملك ، ما العمل ؟ ان الجنود يفرون من أماكنهم ويقتلون بعضهم البعض الآخر وغفاف شقيق دبور وابنه غرامد يحارب أحدهما الآخر والبطل دبور مع قزل ملك بلاوعى ، والجند فى قتال واقتتال وكان سمك بينهم يقتل من يقترب منه فلما خارت قواه ألقى بنفسه فى تلك البئر التى كان قد سقط فيها من قبل وترك الجيشين فى قتال الى أن حلت الهزيمة بجيش أرمنشاه •

ثم أضاف شهران الوزير « أيها الملك ، لقد أفنى الجيش ولا مكان للبقاء » فقال أرمنشاه « وأين نذهب ونجد ملجأ يحمينا ؟ أجابه شهران « أيها الملك ، يجب علينا الذهاب الى جبل المشرق عند الملك زلزال ، فهو ملك وبطل ذو أمانة وله جيش كبير ومدينة عامرة وحصينة » فقال أرمنشاه « حسنا قلت ، كنت نفسى قد نسيته » • قالا هذا وأمر الملك أن يضعوا قزل ملك ودبور كل منهما فى مهد ثم انطلقوا الى جبل المشرق •

ظل الجيشان يتقاتلان حتى طلع النهار ، فلما ارتفع النهار لم يكن قد بقى من جيش أرمنشاه أحد ، وسيطر الفرح على جيش خورشيد شاه وأخذوا فى السلب والنهب بينما ذهب خورشيد شاه وجلس على عرشه بعد هذا النصر •

فى الجانب الآخر ظل سمك فى البئر فلما طلع النهار ولم يعد يسمع صوت أحد أخرج خنجره وأخذ فى حفر درجات على جانب البئر حتى صعد الى حافته ونظر فرأى المعسكر قاعا صفصفا فاتجه الى معسكر خورشيد شاه والخنجر فى يده ، فلما وصل الى أطراف المعسكر كان جبل الديلم واقفا وقد علق الطبر فى عنقه بينما كان أخوه شمسان يقف أمامه ، فلما نظر جبل الديلم رأى رجلا شاهرا خنجره وهو يتجه اليهما ، فانطلق جبل الديلم بحصانه ليضربه بطبره ولكن هرمز قال له « أيها البطل ، احذر فانه عيار الدنيا ، واذا لم تكن تعرفه فهذا سمك » فنزل جبل الديلم عن حصانه وتقدم اليه على قدميه واحتضنه وهكذا ساراً معا الى المجلس حتى وقفا أمام خورشيد شاه وأديا التحية •

وقف خورشيد شاه واحتضن سمك وسأله عن أحواله ، فذكر سمك ما حدث له وسأله خورشيد شاه « أين الثعلب الفيلم وضياء وورد » فقال سمك « لا أعلم ، ابحثوا عنهم » فأخذ الكثيرون يبحثون عنهم فلم يجدوا لهم أثرا • فقال سمك « وا أسفاه ، لقد أسروهم » واستولى عليه الحزن كما تأسف خورشيد شاه وحزن •

في الجانب الآخر وصل الخبر الى مدينة منغوليا أن أرمنشاه فر منهزما ، فاستدعى طلامة البطل الذى كان أرمنشاه قد أرسله للحفاظ على المدينة كل أعيان المدينة وكانوا نحو أربعة آلاف رجل معروف وقال لهم « ان أرمنشاه فر منهزما ، وليس من صالحنا أن نعادى خورشيد شاه ، ولما كان الملك قد ذهب ولم يثبت أبطال أمثال غفاف وغرامد وديبور فاننا لن نتمكن من مقاومتهم ويجب علينا الذهاب لتقديم التحية والخدمة له ، فافتونى فى أمرنا هذا » • قال الجميع « نحن نرضى عن كل ما يفعله البطل فنحن الرعية ، والرعية لا شأن لها بالملك » فقال طلامة « يجب أن نفتح أبواب المدينة ونذهب لتحية خورشيد شاه » •

## خورشيد شاه فى قصر أرمنشاه

قال طلامة هذا ثم أمر بفتح أبواب مدينة منغوليا الثمانية عشر ، ثم توجه طلامه وكل من كان بالمدينة من الجند سيرا على الأقدام الى معسكر خورشيد شاه طالبين الأمان ، بينما اجتمعت النساء والأطفال فوق أسطح المنازل للصراخ من الضيق الذى كانت تعيشه المدينة وتعانى منه • وحينما وصل طلامة مع جند المدينة والأعيان الى أطراف معسكر خورشيد شاه ، ذهب بعض الرجال وأبلغوه بقدومهم فقال خورشيد شاه « أحضروهم جميعا » فدخل طلامة مع بعض أتباعه المجلس وأدوا التحية ، فقام خورشيد شاه واحتضن طلامة كما احتضن الشيوخ الذين كانوا برفقته واحدا واحدا ولاطف الشباب ورحب بهم ثم سأل عن أحوال المدينة فقال الشيوخ « أيها الملك ، أدرك صرخات الفقراء لأنه لا يمكن الحصول على مكيال من القمح حتى بدينار فى المدينة وذلك من كثرة الظلم والجور الذى ارتكبوه فيها » فقال لهم خورشيد شاه اطمئنوا ، فقد أسقطت عنكم خراج ملك منغوليا لسبع سنين ، ولا مصادرة لأحد أو مطالبة بدين » فدعا له الخاص والعام ثم قال له الملك فغفور « أيها الملك ، يجب علينا الذهاب للمدينة لاعطائها الأمان » فقال خورشيد شاه « فلنذهب » • قالا هذا واتجهوا للمدينة حيث نزل خورشيد شاه فى قصر أرمنشاه ، بينما أخذ كل أهل المدينة من نساء ورجال يثنون عليه ويشكرونه •

أمر خورشيد شاه أن ينادوا فى المدينة بالعدل والحق وأنه لا ظلم بعد اليوم ولا شأن لأى أحد بغيره من الناس ، وقد استمر هذا النداء فى المدينة والولاية اسبوعا ، ومن كثرة الغلال التى أحضروها من كل مكان صار كل مكيالين من القمح بدانق (١) • وجاء معتمدو أرمنشاه وأحضروا مفاتيح خزائنه ، فأمر خورشيد شاه يفتح بابها واخراج أموال كثيرة منها ثم أمر مناديا ينادى فى المدينة أن كل من أخذ منه ولو دانق بلا حق فى يوم من الأيام فليأت ويسترده فجاء الناس وكان كل من يذكر أى مبلغ يرده له خورشيد شاه ، كما كان يكرم الفقراء ويجامل العظماء ويأمر باعطاء الخلع ويهب الذهب ، ولما قام بهذا بضعة أيام قال الناس لم تكن مدينة منغوليا فى مثل هذه السعادة أبدا لأن خورشيد شاه ملك عادل ، كما أمر باعمار المدينة •

فى الجانب الآخر فانه حينما وصل أرمنشاه الى جبل المشرق وكانوا قد حملوا خبر قدومه قبل وصوله ، خرج الملك زلزال لاستقباله وحين التقيا وأخذا يتبادلان السؤال عن الأحوال كان دبور وقزل ملك قد أفاقا من تأثير السكر والمنوم الذى كانت ضيباء قد وضعته لهما ، فأخذا يعضان أيديهما بأسنانهما من الغيظ حتى نزلوا وأقاموا لهم خيامهم وسرادقهم • وحين انقضى ذلك اليوم أمر أرمنشاه فى اليوم التالى باحضار الثعلب الفيلم وضيباء وورد وضرب أعناقهم على باب مجلسه • فقال له شهران الوزير « أيها الملك ، احذر فانه أستاذ سمك ، ولو أمرت بقتلهم فان الموت سيأتينا ولا تظن أننا سنكون فى منأى من يدى سمك ، فطالما كان سمك حيا فلا يمكن أن نأمن جانبه • فمر بتقييدهم وليبقوا حتى نرى ما ستصير اليه أحوالهم • فقال زلزال « أيها الملك ، عندى سجن فى غاية الاستحكام وسجان ثقة اسمه قائم وهو أستاذ فى كل عمل » • ثم أرسل رجلا استدعى قائم السجان وقال له تحفظ عليهم جيدا لأن سمك سيأتى فى اثرهم الى حتفه • فأخذهم قائم الى السجن وقيدهم وكان زلزال يعد ما يلزم لأرمنشاه ، فلما انتهى منه التفت الى أرمنشاه وقال « كيف حدث ذلك لكم ؟ فشرح له أرمنشاه ما حدث من أوله الى آخره فقال زلزال « أيها الملك ، لا تقلق فاننى سأرد عليهم وفى الحال أمر بكتابة رسالة الى خورشيد شاه ذكر فى أولها اسم الله ثم قال :

« هذه رسالة منى أنا زلزال ، ملك جبل المشرق ، اليك يا خورشيد شاه بن مرزبان شاه لقد علمنا أحوالك ولماذا جئت من ولاية حلب ،

---

(١) الدانق سدس درهم والجمع دوانق ودوانيق وسمى أبو جعفر المنصور بالدوانيقى لتشدده فى محاسبة عماله •

وما فعلته الى هذه الساعة قد مضى ، وأنت الآن بيننا غريب وليس بيننا وبينك حقد أو عداء ، وكل ما وقع من الفغفور وكان هو الموجه والمرشد والا فما شأنك وهذه الولاية ؟ والآن يجب عليك أن تحافظ على حرمتك ولا تحسبن أننا مثل الآخرين ، وحين تصل اليك هذه الرسالة فعليك فى الحال أن تحمل رأس الفغفور وترسله حتى يزول ما بيننا من حقد وعداء ، وحافظ على مكانك فانني قادم اليك فى جيش جرار ولن أدعك أو أدع الفغفور • فان لم ترسل رأسه فانني سآتى وأحضر رأسك أيضا وأعلقه على باب مدينة جبل المشرق حتى يعتبر الأخرون ويتعظوا » •

لما أتم الرسالة ختمها وأرسل شخصا استدعى قائم وقال له أوصل هذه الرسالة الى منغوليا ، وكانت المسافة من منغوليا الى جبل المشرق مائة فرسخ (١) وقال له زلزال « يجب الاسراع » • فأخذ قائم الرسالة وانطلق فى طريقه الى أن اقترب من منغوليا وتصادف أن جبل الديلم مع يسار وقاور وشاه وعدة فرسان كانوا عند باب المدينة للتنزه حينما وصل قائم ، فتقدم اليه جبل الديلم وسأله « من أنت ؟ » فأجابه قائم « معى رسالة من الملك زلزال الى خورشيد شاه لكى يسلمنى رأس الفغفور وأحمله معى الى جبل المشرق » فسبه جبل الديلم وأهانه وقال له « أيها الحقير السفيه ، لو لم تكن تحمل هذه الرسالة لقتلتك لأنه كيف تجرؤ على قول مثل هذا الكلام ؟ » وتجمع أهل المدينة وكل منهم يقول له شيئا من السباب ثم يقفنه (٢) • واصطحبوه على هذا النحو من الاحتقار الى باب قصر خورشيد شاه ، وكان قائم قد انهار مما حدث له عندما وصل سمك ورأى ذلك الشاب يضرب على هذا النحو فصاح فى الناس وأبعدهم عنه واحتضنه وسأله عن أحواله ثم خلع جبته وعمامته وألبسهما له وأمسك يده وأدخله الى خورشيد شاه وقال له « أيها الملك ، هذا الشاب أحضر لك رسالة » • فأمره خورشيد شاه بتقديم الرسالة • وقد تعجب قائم حين رأى تلك العظمة والهيبة الملكية لأنه لم يسبق له رؤية شىء مثلها ، فأخرج الرسالة وسلمها •

أخذ خورشيد شاه الرسالة وأعطاها لهامان الوزير الذى قرأها الى أن وصل الى قول « أنت غريب وأرسل رأس الفغفور والا جئت وأخذت رأسك وعلقته على باب جبل المشرق » احتد خورشيد شاه وأراد أن يقول شيئا فقال له سمك « أيها الملك ، لا تقل شيئا لا يليق بالملوك ومر بكتابة

---

(١) نحو ٦٢٥ كيلو مترا •

(٢) يقفنه اي يضربه علي قفاه •

رسالة قل له فيها ان كنت تريد رأس الفغفور فهذا جائز لأننى سأصل فى أثر هذه الرسالة وأقدم لك رأس الفغفور ورأسى حتى لا تتعب نفسك فى المجىء الينا » .

أراد هامان الوزير كتابة الرسالة ولكن سمك قال للرسول « ألا تعلم ما صار اليه أمر أولئك الأسرى ؟ فقال قائم « لقد أحضروا رجلا وامرأتين وقال أرمنشاه اقتلوهم ولكن شهران الوزير قال أيهـــا الملك ، احذر ولا تؤذهم ولم يدعه يقتلهم وهم مسجونون فى المدينة عندى لأن عاصمة الملك زلزال كلها تحت حكمى وأمرى ، وهم يسموننى قائم لهذا السبب » . وحين سمع سمك هذا بكى وقال « يا قائم ، ذلك الرجل هو أبى والمرأتان أختاى فهل يمكنك أن توصلنى اليهم حتى أراهم ؟ كان سمك يقول هذا وهو يبكى . فأجابه قائم « أيها الفتى ، اطمئن فان شئت أعدتهم اليك » .

دعا له سمك وأمر باحضار خلعة جميلة وألبسها لقائم ثم سلمه رد الرسالة التى جاء بها وصحبه سمك وذهبا وعندئذ قال خورشيد شاه « يجب أن نعد الجيش لكى نذهب أولا ونستولى على الوديان الاثنى عشر » فقال الغورى « دعهم لى وعندما يحين الوقت فسأسلمها لك اما بالطاعة لأنهم أناس سيئون وذووا عناد ولجاجة أو استميلهم باللين والمجاملة » . فقال له خورشيد شاه « أنت أعلم بهم » . ثم التفت الى الملك فغفور وقال له « يجب عليك الذهاب الى ولايتك وتنشغل بالاعمار والزراعة لكى نرحل نحن من هنا الى جبل المشرق » فقال الفغفور « عندما يذهب الأمير من هذه الناحية فسنذهب نحن من الناحية الأخرى » .

حين قالوا هذا عين خورشيد شاه الغورى نائبـــا عنه فى مدينـــة منغوليا وفوض له الولاية وقال له « كن ذا عدل وحق ، وتجنب الظلم فان كل ما سيسألنى الله عنه فاننى سأطلبه منك ، وتنبه جيدا فى رعاية الناس » كما جعل طلامة على شرطة ولاية منغوليا وقال له « لا تمل مع أحد ولا تحابى أحدا ولا تطلب الخراج من الناس لسبع سنين » . وحين رتب كل أمور الولاية أمر بخروج الجيش الى خارج المدينة وعرضه وأن يختار الأبطال من الجيش مثل جبل الديلم وهرمز وجواد والأحمر المرغزى ويسار وأمير الرازى وفتاح آكل لحوم البشر وشروان وغيرهم ، وكذلك الأبطال الذين قدموا مع جبل الديلم مثل سعيد وسمور ومثلهم من الأبطال مع خمسين من خيرة الفرسان وخلع عليهم جميعا وفصل أعلامهم وأبواقهم وخيولهم عن الجيش وأعطى للملك فغفور جيشا كبيرا وأرسله الى ولاية الصين . كما أعاد آذر وقيماز وقيارق وسمارق الى ولايتهم ثم اختار يوما خرج فيه من المدينة ووقف على أول الطريق حتى مر أمامه كل الجيش .

## الى جبل المشرق

كان جبل الديلم فى المقدمة على رأس خمسين ألف فارس ، فلما مر من أمام خورشيد شاه وخلفه كل الأبطال ، ومر الملك فغفور مع هامان الوزير والجبالى وجهاد وحبيب وفاتك ومصارع والآخرون الذين كانوا معهم ، تحرك خورشيد شاه بعدهم متوجها الى جبل المشرق ، فلما ساروا نحو ثلاثة أيام بلياليها قال خورشيد شاه « كم تبقى من الطريق ، وأين سيكون مكان القتال ؟ » فقال الجبالى وجهاد « أيها الملك العظيم ، لقد ذهبنا هناك كثيرا ، فعلى بعد خمسة فراسخ من مدينة جبل المشرق توجد مروج واسعة وكثير من عيون الماء يسمونهـا السبعون عينا » . فأمر خورشنيد شاه أن يتوجه الجيش الى هناك .

فى الجانب الآخر فان سمك وقائم توجها الى جبل المشرق ، وكان سمك يستميل قائم الى أن تمكن منه ، وذات مرة قال له « أيها البطل قائم ، لا يجب أن تذكر فى جبل المشرق أن أحدا جاء بصحبتك » فقال قائم « لماذا ؟ لقد جئت معى كى أعيد لك الأسرى » . فلما وصلا الى المدينة قال سمك لنفسه عندما أصل الى المدينة سوف أدبر أمرى لأننى الآن لأستطيع أن أعتمد على هذا الرجل » فكر فى هذا واختفى من قائم وسار وحده الى أن جاء الى مطعم وادعى المرض وأعطى صاحبه دينارين أو ثلاثة وقال له « يا أستاذ ، أنا رجل غريب مريض فهيىء لى مكانا فوق مطعمك الى أن أتحسن قليلا واشتر لى من هذه الدنانير ما أحتاجه من طعام وغيره » فقال له الطباخ « لا بأس ، اصعد فوق المطعم » .

حين صعد سمك قال « أيهـا الأستاذ ، لقد أديت لى جميلا فأتمه ولا تدع أحدا يصعد الى هنا لكى يأكل فى هذا المكان لأن رائحة الطعام تضايقنى » فقال الطباخ « لن أدع أحدا يصعد اليك » . فجلس سمك . وبينما كان قائم يسير التفت وراءه فلم ير سمك فقال لنفسه « لعله توقف لمشاهدة السوق وسيسأل عنى ويأتى الى قصرى « وذهب قائم الى زلزلى وأدى التحية فسأله زلزال عن أحواله فقال قائم « أيها الملك ، انهم قوم جهلة أقذار بلا حياء فقد التفوا حولى وفعلوا بى كذا وكيت ولكننى رأيت بينهم رجلا شهما عيارا حلو الحديث تقدم الى وأبدى نحوى كثيراً من الرجولة والشهامة وأنقذنى من أيديهم » .

بعد أن ذكر قائم هذا أخرج الرسالة ووضعها أمام زلزال وكان له وزير اسمه برامد أعطاه الرسالة فقرأها ثم أرسل شخصا استدعى أرمنشاه وقزل ملك وشهران الوزير ودبور البـــطل وبقية الأبطال وذكر لهم

ما حدث . ومن قضاء الله أن كيكان الجاسوس كان قد انتهز فرصة خروج خورشيد شاه وهرب وتوجه الى زلزال فوصل فى هذه الساعة ودخل وأدى التحية ففرح أرمنشاه حين رآه وقال له « قل لنا ما أخبارك » . فقال كيكان ان خورشيد شاه سيصل هذا الاسبوع ولكن سمك ليس فى المعسكر ولا أستبعد أن يكون قد جاء الى هذه المدينة حتى تعرفوا أخباره » .

قالوا هذا وبعد يومين كان الجميع فى المجلس يعدون الجيش حين تصاعدت دقات طبول الحرب خارج المدينة فقال أرمنشاه وزلزال والآخرون « أيها الملك لقد وصل الجيش » فقال زلزال « يجب علينا الذهاب لمشاهدته » وكانت مدينة جبل المشرق تقع على البحر ، فخرج الملك أرمنشاه وابنه قزل وشهران الوزير ودبور قاهر الشياطين وغفاف ذو التاج الذهبى وابنه غرامد وبعض خاصة زلزال لأن أرمنشاه لم يكن معه أحد من رجاله الذين كانوا قد تفرقوا منهزمين ، كما أن جيش الاثنى عشر واديا كان قد عاد الى ودیانه ، ورجع جيش جوزجان الى بلاده .

## قد أعذر من أنذر

حينما وصل زلزال والآخرون الى السور نظروا ناحية السبعين عينا فرأوها كغابة من الأعلام المرفوعة والفرسان المرصوصة وايوان دبور الذى كان يحمل على أربعين بغلا وهم يقيمونه لخورشيد شاه . وحينما وصل خورشيد شاه ونزل الجند واستراحوا عاد أرمنشاه وزلزال والآخرون وأخذوا يعدون للحرب وكيف يمكن أن تكون (١) ، وحين استقر خورشيد شاه استدعى أبطال الجيش وقال لهم « يجب علينا أن نرسل رسالة الى زلزال حتى لا يكون له عذر كما أوصانى أبى اذ قال ان ما يمكن حله مشافهة فلا داعى لحله مراسلة واذا أمكن حله مراسلة فلا داعى لحله بالحرب » ثم أمر هامان الوزير أن يكتب رسالة جاء بها :

« اعلم وتأكد أنه لا توجد بيننا وبينك أية حروب ، ومجيئنا الى هنا هو من أجل أرمنشاه ، فكما طلبت منى رأس الفغفور فاننى أطلب منك رأس أرمنشاه ، ولم أحضر الى هنا لكى أحاربك ولكن أرمنشاه فر منهزما أمامى ولجأ اليك واحتمى بك . والآن فان شئت ألا تلقى بنفسك فى

---

(١) كان هنا جملة ترجمتها « وفجاة وصل جيش أو منشاة تحت قيادة الغورى الذى اعاد تجميع خمسين ألف فارس بينما كان قد تفرق مائة ألف » لأنها تتعارض مع الواقع والأحداث فحذفناها .

التهلكة فلا تستمع الى قول قزل ملك وشهران الوزير ، وان كنت تريد الابقاء على روحك وألا ينهار ملكك ، فارسل الى أرمنشاه حتى أهبـك ولايتى الصين ومنغوليا وأعود وأذهب الى ولاية حلب لأننى لم أرغب فى هذه الولاية ولا أريد أن أستوطن فى هذا المكان ، فان لم تستجب لكلامى هذا فاستعد للحرب ولا تجلس كالجبناء خلف الأسوار • ولما كانت قد قلت فى رسالتك أننى سآتى الى منغوليا وآخذ رأس الفغفور ، فقد جئنا بأنفسنا الى قصرك حتى لا نسبب لك مشقة السفر » •

ختم هامان الوزيرالرسالة ووضعها أمام خورشيد شاه الذى قال لهرمز خذ هذه الرسالة واذهب الى زلزال وقل له ما يجب قوله ولا تخش شيئا واقبل ما يقولونه لك ثم عد حتى نتخذ ما يلزم « فأدى هرمز التحية وحمل الرسالة وتوجه مع خمسين عبدا الى المدينة فلما وقف أمام بابها سألوه من فوق سورها » من أنت وماذا تريد ؟ فأجابهم أحـد العبيد « أخبروا الملك أن رسولا من عند الملك خورشيد شاه يحمل له رسالة » فذهب أحدهم وأخبر البطل زلزال بما كان فقال « أدخلوهم » فذهب الحجاب وأدخلوا هرمز » •

كانوا قد زينوا مجلس زلزال بينما وقف القواد والحجاب والعبيد على باب المجلس ، فلما وصل هرمز تقدم حاجب وأمسك ذراعه وأنزله من على حصانه وصحبه الى المجلس فرأى ايوانا عاليا وكان طوله نحو مائة خطوة وقد وضع فى صدره عرش جلس عليه زلزال الذى كان فارع الجسم كأنه من آل عاد وثمود ، كما كان يجلس على ذلك العرش الملك أرمنشاه مع وزيره شهران وبرامد الوزير ودبور قاهر الشياطين أما قزل ملك فكان يقف خلف أبيه والأبطال يجلسون على كراسيهم • وفى الحال جاء السقاة وقدموا ماء الورد فشربوا ثم جاء قيم الطعام فمدوا الموائد ، ولما انتهوا من طعامهم أقاموا مجلس الطرب وقدموا الشراب فأشار زلزال الى شهران الوزير أن يسأل هرمز عما يحمل معه من رسالة أو قول •

وقف هرمز وقبل الرسالة ووضعها على حافة العرش فأخذها زلزال وسلمها لشهران الوزير الذى قرأها وعندئذ قال زلزال « كيف يمكنكم أن تقولوا هذا ؟ فالملك أرمنشاه أخى الأكبر وقد جاء الى بيته • ولما كان الأمر قد وصل الى هذا الحد فلنجاهد بالسيف ونرى ما سيحدث » • فقال هرمز « أيها الملك لا تقدم على هذا لأنك لا تدرك ما تقوله ، اذ أن هؤلاء القوم فروا من سيوفنا التى ما زالت مشهرة ، وما زال سمك على قيد الحياة وقد عجز أمامه كل رجال الدنيا » • فقال له دبور « يا هرمز ،

أسفا لكم ، اذ لو لم يكن هذا الرجل الذى يعيد اليكم كل شىء بالسرقة فماذا تكون سيوفكم بدونه ؟

أجابه هرمز « يا دبور ، لا تتحدث معنا عن السيوف ، فطعن سيوفنا هو ما جربتــه » فخجل دبور وعندئذ قال زلزال « ليس بيننا حــديث الا بالسيف » . ثم أمر فأعطوا لهرمز خلعة وأعادوه .

من قضاء الله أنه عندما وصل هرمز الى المدينة ذاع فيها أن رسولا جاء من عند خورشيد شاه ، ووصل هذا الخبر الى سمك الذى خرج وسار الى أن وصل الى باب قصر الملك زلزال ووقف الى أن خرج هرمز من عنده ونظر فرأى سمك وهو متجه اليه حتى وقف أمامه وقال له « لقد جئت لاخراج أسرانا » فواصل هرمز طريقه وذهب بينما عاد سمك حتى اذا كان فى وســـط السوق رأى قائم فقال لنفسه « فلأذهب اليه وأرى ما سيحدث » . ثم توجه الى قائم وسلم عليه فاحتضنه قائم وقال « أيها الفتى ، أين كنت اذ بحثت عنك كثيرا ؟ فأجابه سمك لقد ضللت الطريق وتخلفت عنك ولم أستطع أن أظهر لأى أحد حتى لا يشكوا فى أمرى » .

أخذ قائم يد سمك وقال له « أيها الرجل الحر ، احذر أن تنظر الى تلك النظرة التى رأيتنى عليها فى مدينة منغوليا ، اذ أن زلزال قد أمرنى بالذهــاب وحدى كى لا أتأخــر ، والا فنحن رجال نفدى الرجال بأرواحنا » . ثم اصطحبه الى قصره وأكرمه وأجلسه وبعد نحو ســاعة رأى سمك رجالا عيارين يأتون لتحية قائم ويعودون . وأخذ سمك يراقبهم فلم ير واحدا منهم سأل عمن يكون هذا الغريب الى أن خلى المكان فأمر قائم باحضار شىء من الطعام فأكلوا ، وكان هناك نحو عشرين رجلا من رجال قائم ، وبعد الطعام أخذوا فى تناول الشراب ، فلما دارت عليهم عدة مرات نهض قائم وفى يده كأس ووقف وقال « هذه الكأس تحية لهذا الرجل الذى ذاعت شهرته فى العالم بالفتوة واسمه سمك العيار » . قال هذا وشرب الكأس .

تعجب سمك من هذا وفرح وقال « أيها البطل ، أين رأيت سمك وكيف عرفته ؟ » فأجابه قائم « أيها الرجل الحر ، اننى لم أره ولكننى سمعت عن رجولته وعيارته وشهامته وما قام به من أعمال ، ومنذ مدة وأنا أشرب تحية له . والآن فقد جددت له التحية فى حضورك لتخبره بهذا عندما تصل اليه وأنا على يقين أنك رأيته وعايشته ورافقته » .

قال سمك « أيها الرجل الحر ، حسنا أننى عرفت أحوالك وأنك فتى فى كل أمورك ، واذا كتمت سرى أخبرتك بشىء » . فقال له قائم

« أيها الرجل الحر ، انهم يسموننى قائم لأننى كامل فى كل شىء وأكثر مما قد تتصور فى خيالك » • فقال له سمك « يا فتى الدنيا ، فلتعلم أننى سمك العيار » • وحين سمع قائم هذا خر على قدمى سمك واعتذر اليه كثيرا وأخذ يتودد اليه ويلاطفه ثم جلسا يتحدثان فى كل أمر وشأن الى أن قال قائم « أيها البطل سمك ، ابق هنا حتى أعود » ثم خرج من قصره • وبينما كان سمك جالسا سمع أنينا فقال لنفسه « لعله أستاذى الثعلب أو ضياء أو ورد ثم قام واتجه ناحية الباب الذى يأتى منه الأنين ونظر فرأى امرأة مقيدة وهى تئن • فسألها سمك » من أنت أيتها المرأة ؟ قالت « أنا زوجة قائم حينما ذهب كرسول قال لى لا تبرحى القصر حتى أعود وكان من الضرورى أن أذهب للحمام (١) ، وفى اليوم الذى ذهبت فيه عاد قائم وكنت وقتها فى الحمام فقيدنى على هذا الوضع المذل ، فبالله تشفع لى حتى يفك قيدى » فقال لها سمك « سأتشفع لك ، ولكن حين يعود ارفعى صوت أنينك حتى أسأله عن هذا ولا شك أنه سيخبرنى وآنذاك أتشفع لك حتى لا يعرف أننى جئت اليك من قبل » •

قال سمك هذا وعاد الى مكانه ، وبعد نحو ساعة عاد قائم وأدى التحية فقام سمك واحتضنه وسأله عن أحواله ثم أخذا فى تناول الشراب حين أخذت المرأة تئن بحيث وصل صوتها الى سمعهما فقال سمك « أيها البطل ، من الذى يئن ، لعله ليس من أسرانا ؟ فأجابه قائم « الأسرى ليسوا فى هذا القصر وهذا الأنين من أهل بيتى فقد أخطأت ولهذا قيدتها لاغاقبها » •

وقف سمك وقال « أيها البطل ، ان أهل بيتك لا تفعل ذنبا يستوجب العقاب ، وأعرف أنها خالفت أوامرك فاعف عنها من أجلى » فقال قائم « يا بطل الزمان ، عفوت عن ذنبها من أجلك ، ولكننى أقسمت ألا تبقى فى قصرى » • فقال له سمك « تخرج ثم تعود حتى يكون قسما صحيحا » • ففك قائم قيدها وقال لها « اخرجى من قصرى » فقامت باكية وخرجت من القصر •

كان يجاورهم رجل من أقارب قائم اسمه مشعل ذهبت زوجة قائم اليه فسألها « لماذا خرجت من القصر ؟ فذكرت له زوجة قائم ما حدث وكيف أن شابا غريبا جاء وطلب من قائم أن يصفح عنها » • فقال لها مشعل

---

(١) كانت الحمامات آنذاك عامة ولم يكن بالمنازل حمامات حتى عهد قريب •

« من يكون ذلك الرجل الغريب ؟ » ثم قام وصعد الى سطح بيته ومنه الى سطح قائم ·

كان سمك وقائم يتحدثان ، وكلما ذكر اسم سمك أدوا له التحية ، وكان مشعل قد سمع أن كيكان الجاسوس يقول ان سمك قد جاء الى المدينة ، ولهذا فان مشعل حين رآه قال يجب مراقبة أفعاله خاصة أن الملك يبحث عنه ثم عاد الى بيتـه وذهب الى زلزال وأدى التحية وقال « أيها الملك ، اعلم أن سمك جاء الى المدينة وهو موجود فى قصر قائم يتناول معه الشراب والحديث » ·

وقف أرمنشاه وشهران الوزير ودبور قاهر الشياطين وقزل ملك وقالوا « أيها الملك ، نذهب ونمسكه » · فقال لهم زلزال « احذروا من قولكم هذا لأن كل هذه المدينة تحت تصرف قائم ، وكل الجند من أتباعه ولا يجب الذهاب الى قصره كما تريدون اذ يوجد فى هذه المدينة أكثر من خمسة آلاف من أشجع الرجال من أتباعه كلهم مقاتلون يستطيع الواحد منهم أن يقاتل عشرة رجال ، ثم انهم أطلقوا عليه اسم قائم لأنه فى الشجاعة والرجولة والعيارة والقتال والذكاء يفوق خمسين رجلا مجتمعين ، فاذا قصدناه بسوء فانه سيضربنا فى مجلسنا هذا فى الحال ويثير علينا المدينة كلها وفى هذا ضررنا ، ونحن لا نستطيع الوقوف فى وجه العامة فلندعه حتى يأتى للخدمة ونجلسه ليشرب وحينما يستولى عليه السكر نقيده وبعد ذلك نذهب الى قصره ونمسك سمك العيار ، ولكن علينا أولا أن نعد للحرب لأن جيش العدو على أبواب المدينـة » · وبهذا أجلس أرمنشاه وأخذوا يعدون للحرب وكيف سيقاتلون ·

فى الجانب الآخر كان سمك مع قائم ولكن سمك طأطأ رأسه فلاحظ قائم هذا ، فقال « يا خورجان ، اذهب واحضر هؤلاء الأسرى الى البطل سمك حتى لا ينشغل قلبه عليهم » فقام خورجان وذهب الى السجن وأخرج الثعلب وضياء وورد من السجن وأتى بهم ، فلما دخلوا رأوا سمك فأدوا التحية فقام سمك واحتضنهم وقبلهم وسألهم عن أحوالهم فتعجبوا من أمره وكيف ألقى بنفسه فى ذلك القصر وجلس آمنا الى أن أجلسهم قائم وأخذوا يتناولون الشراب ·

حينما أقبل الليل قام مشعل وصعد الى سطح قصر قائم ونظر ماذا يفعلون ، وتصادف أن ضياء كانت قد صعدت الى السطح لقضاء الحاجة فرأت شخصا يسير على أطراف أصابعه ــ ولأنها دائما ما تفعل هذا ــ فقد عرفت ما يهدف اليه ذلك الشخص ، فقامت ضياء وذهبت الى السـطح

الذي جاء منه لتعرف كيف صعد ونظرت فرأت امرأة تقف بجانب الحائط فجاءتها ضياء من الجانب الآخر وأمسكتها وألقتها على الارض وقيدتها وكممت فمها ووقفت في مكانها وقالت فلأنظر لماذا جاء هذا الرجل على هذا السطح • وبعد نحو ساعة عاد مشعل وقال « يا امرأة ، لقد أخرجوا الأسرى وأحضروهم وقائم جالس مع سمك والثعلب الفيلم وورد » • فقالت له ضياء « انزل الآن حتى لا يراك » • فنزل مشعل فتحلقت ضياء وأسقطته وقيدته وحملتهما الاثنين الى السطح ثم أنزلتهما الى سمك وقائم والآخرين •

سألها قائم « من هذان ؟ فذكرت له ضياء ما حدث وأنهما كانا يراقباننا ونظر قائم فرأى زوجته مع مشعل فقال له « لماذا كنت قد جئت الى سطح قصرى ؟ وأنت أيتها المرأة لماذا ذهبت الى بيت مشعل ؟ ما هذا الذى تمت به ؟ هل جئتما لمراقبة قصرى ؟ هذا من سوء عملك » • فقالت زوجته « عندما خرجت من عندك ذهبت الى بيت مشعل لأننى لا أعرف أى بيت آخر ، كما أنه من أقاربك وجارك » • فقال قائم « أهكذا يفعلون معى ؟ أعرف أن ذهابك الى بيته حسن ، ولكن ما سبب الصعود الى السطح والمراقبة ؟ » •

قال قائم هذا وقام وطعن زوجته بخنجر فقضى عليها ثم التفت الى مشعل وقال « أيها الرجل ، لأى سبب تركت سطح بيتك وجئت الى سطح قصرى ؟ قل الصدق » • قال مشعل لقد جاءت هذه المرأة الى قصرى فسمحت لها بالاقامة من أجلك وحافظت عليها حتى لا تذهب الى مكان بعيد وينشغل قلبك عليها ، ثم اننى كنت قد صعدت الى السطح لقضاء الحاجة ولم أر زوجتك حين أمسكنى هذا الشخص » •

قال سمك « أيها البطل ، انه يكذب ، ويجب ضربه حتى يقول الحقيقة ولماذا صعد الى السطح » فقال قائم « اضربوه » • فقام سمك وقال هذا عملي ثم شد قائم في الفلقة وأخذ يضربه ، وحين وصل الى السابعة أو الثامنة طلب مشعل الأمان فأجلسوه وحكى واقعة ذهاب المرأة الى بيته كما حدثت ثم ذكر ذهابه الى زلزال واخباره عنهم ثم عودته ثانية ورؤيته احضار الأسرى الثلاثة » وعندئذ طعنه سمك بخنجر وقتله وقال « أنه غماز فتان ولا تجب رؤية وجوه الغمازين » ثم التفت الى قائم وقال « أيها البطل ، قم لنذهب حتى لا يسوء أمرنا ويمسكوننا » • فقال قائم « أيها البطل ، لا تشغل بالك لأن زلزال وجنده لا قدره لهم على اثارتى » وكيف يستطيعون حتى المرور من أمام باب قصرى ؟ ولقد أطلقوا على اسم

قائم لأننى أقوم بأى عمل أريده وأنا حر فى أى عمل . ثم ان لى خمسة آلاف مريد ان علموا أن زلزال مر من أمام قصرى خطأ قتلوه ، واذا اجتمع جيش الدنيا ضربوه بلا خوف . فليطمئن قلبك لأنه لا جرأة لهم على المرور من أمام قصرى » .

قال هذا ثم التفت الى خورجان وقال له « يا خورجان ، قم واصطحب هؤلاء الفتيان الى خورشيد شاه » . فقام خورجان وأخذهم معه فى الظلام الى قصره ثم دفع بابا فظهرت مطمورة أنزلهم فيها ثم ساروا فيها حتى خرجوا من حديقة كانت تقع على شاطىء البحر فقال لهم خورجان « أيها الفتيان ، هل تعرفون السباحة ؟ » فأجابوه « نعم ، نعرف السباحة جيدا » . ثم نزلوا جميعا فى الماء وسبحوا الى أن عبروا الى الشاطىء الآخر وخرجوا على أطراف معسكر خورشيد شاه ، وكان على طليعة الجيش جبل الديلم وهرمز فتقدما نحوهم وسألاهم « من أنتم حتى تأتون عن طريق الماء ؟ » فرد سمك بقوله « أنا عبد خورشيد شاه » وحين رآه جبل الديلم وهرمز فرحا واحتضناه وسار سمك الى أن وصل الى المعسكر ودخل مجلس خورشيد شاه .

وقف خورشيد شاه حين رأى سمك واحتضنه وسأله عن أحواله ، وجلس سمك وحدثه عن كل ما فعله وما قام به قائم من فتوة وشهامة وحسن محضر ، فأثنى عليه خورشيد شاه وأكرم خورجان ولاطفه وأمر له بخلعة جميلة كما أمر باعطائه خلعة أخرى لقائم وقال له « يا خورجان ، أوصل هذه الخلعة لقائم واعتذر له لأنك ستعود عن طريق الماء والا لأرسلت له أضعاف أضعافها مما يحار فيه فكر العقلاء ، وان شاء الله وأمكن اللقاء فاننى سأعتذر اليه وأقدم لك ما تستحقه من اكرام وتجليل » .

عاد خورجان فى الحال وعبر الماء وأخذ تلك الخلعة لقائم وذكر له أحوال خورشيد شاه وسمك ومنزلته لدى خورشيد شاه ، كما أخبره بتلك الوعود ففرح .

فى الجانب الآخر فانه حين طلع النهار أمر زلزال بخروج الجيش من المدينة والاستعداد للقتال ، وكان هناك عدد من الأبطال هم قواد الجيش مثل أجنح وأفق وأحجان وأجلح وعاصف وفرزند توجهوا الى باب المدينة وحينما خرج أرمنشاه مع الجيش أمر زلزال أن يطلب من قائم الخروج للقتال لأن الجيش خرج للحرب . فأمر قائم رجاله أن يلبسوا سلاحهم وكانوا خمسة آلاف مجهزين تجهيزا جيدا فخرجوا من المدينة

وأخذوا ـ كبقية الجيش ـ يتحدثون بعضهم الى بعضهم الآخر ، بينما أخذ الجيش ينظم صفوفه ٠

فى الجانب الآخر كان جيش خورشيد شاه قد نظم صفوفه ووقف سمك فى قلب الجيش مع نحو ألف رجل مجهزين بالسلاح وقد ركز نظره على قائم حينما انطلق جبل الديلم من جيش خورشيد شاه وهو يركب حصانا أخضر كأنه الريح ضخم الجسم مزين بعدة رومية وركاب من الذهب ، وقد ارتدى جبل الديلم درعا دقيق الزرد ، ووضع على رأسه خوذة عادية ولبس ساعدين وساقين وعلق فى ذراعه قوسا شـــاشية خوارزمية (١) وكل أسلحة الحرب الأخرى وأخذ يصول ويجول ثم وقف حتى انقشع الغبار ثم ذكر اسمه ونسبه وطلب رجلا للنزال ٠

انطلق رجل من جيش دبور كان اسمه عادان وكان يركب حصانا أبلق وقد زين نفسه بكثير من السلاح وتقدم نحو جبل الديلم وصاح فيه « ما كل هذا الهراء ؟ تعال لأرى ما لديك من شجاعة » ٠ قال هذا ونزع رمحه من مكانه واشتبك مع جبل الديلم وتبادلا الهجمات وفى النهاية ضربه جبل الديلم بطبره فقصف رمحه ، فألقى عادان كعب الرمح من يده واستل سيفه ، فاستل جبل الديلم سيفه أيضا وهوى به على يد عادان فاطارها فى الهواء وانهزم عادان راجعا الى معسكره فانطلق جبل الديلم بفرسه فى أثره وضربه بطبره على صدره فجزله نصفين ٠ فلما سقط هكذا على حصانه تصاعد البكاء من جيش دبور وارتفعت صيحات الفرح من جيش خورشيد شاه وعم السرور ٠

كان لعادان قريب اسمه خادم دخل الميدان واشتبك مع جبل الديلم الذى صرعه وجاء آخر فقتله وألحق به ثمانية آخرين وعندئذ جبن أبطال أرمنشاه عن دخول ميدان القتال ، وفجأة دخل أخ لدبور اسمه غفاف ذو التاج الذهبى وجرى بحصانه فى الميدان حتى وقف أمام جبل الديلم ٠ وكان غفاف رجلا طويل القامة طوله نحو اثنى عشر شبرا ، وكان جبل الديلم بالنسبة له حقيرا صغيرا ولهذا فقد استولى عليـه الخوف وقال لنفسه « من الأفضل أن أنسحب ولكننى سوف أشتهر بالجبن وسيقول الناس الى يوم الساعة ان جبل الديلم خاف من شخص وانسحب أمامه فى ميدان القتال ٠ وان اشتبكت معه فى قتال فلا شك أنى مقتول ، ولكن

---

(١) نسبة الى مدينة شاش فى خوارزم التى تســـمى الآن قره قلبق وهى جنوب بحر الاورال ٠

حسن السمعة أفضل لأنني يوم أموت لن أكون على مرأى هذا الحشد فى ميدان القتال » قال جبل الديلم هذا واشتبك مع غفاف فى قتال مرير وتطاعنا كثيرا بالرماح ولم يظفر أى منهما بالآخر فمدا أيديهما وتناولا سيفيهما ووضعا الدرق على رأسيهما وأخذا يتبادلان الضرب بالسيوف ، وكان خورشيد شاه خائفا على حياة جبل الديلم وكانت ضياء تقف أمام سمك فقالت « أيها البطل ، ان غفاف بطل عظيم وأخشى أن يصيب جبل الديلم ســـوء وتحل بجيشنا الهزيمة فأستأذنك برمى العدو بسهم من سهامى » ٠

قلنا مرارا أن ضياء لا نظير لها فى الرمى بالنشـــاب ، اذ كانت تستطيع أن تصيب الهدف على بعد خمسمائة خطوة ٠ فقال لها سمك ، لقد قلت خيرا » ٠ فمدت ضياء يدها الى كمها وأخرجت نشابا وضعته فى القوس فقال لها سمك « يا أختى كيف سترمين ؟ أخشى أن يحدث خطأ ويصيب السهم جبل الديلم » ٠ فأجابته ضياء « أيها البطل ، حينما يرفع جبل الديلم يده فوق رأسه ليضرب غفاف بسيفه فانني سأطلق النشاب من تحت ابط جبل الديلم فى غفاف فأثنى سمك عليها ثم أخذ ينظر فاذا بقائم فى الجانب الآخر يركز نظره على سمك ورجاله وحين رأى ضياء وقد شدت السهم فى قوسها قال ماذا يريد هذا الشخص أن يفعل ؟ وأخذ يفكر فى هذا وهو ينظر اليها ٠

كان جبل الديلم مشتبكا فى القتال مع غفاف ورفع يده بسـيفه ليضرب غفاف ورأت ضياء تحت ابطه خاليا فأطلقت سهما فمر من تحت ابط جبل الديلم واخترق صدر غفاف وخرج من الناحية الأخرى وفقد غفاف وعيه وسقط عن ظهر حصانه وفاضت روحه ٠ وحين رأى قائم اطلاق ضياء للنشاب أثنى عليها وقال « أسعدك الله أيتها الفتاة فأنت تفوقين رجال العالم ولقد كنت أظن أنه لا يوجد رام أفضل منى ولكننى لا أستطيع أن أرمى هكذا وربما تتلمذت على يديها فى يوم من الأيام » ٠

حين رأى البطل دبور أن أخاه قتل ، سقط عن ظهر حصانه فاقد الوعى وأخذ يصرخ فقال زلزال للجيش « اهجموا عليهم جميعا » ولكن أرمنشاه الذى كان قد رأى تفوق جيش خورشيد شاه قال « احذر فان الكثير من الجند سيقتلون وسيجرى الدم أنهارا ، فمرهم أن يدقوا طبول الراحة حتى نعود للمدينة ونقوم لغفاف بما يلزم ونهدىء دبور البطل » ٠ وعلى هذا دقوا طبول الراحة وعاد الجيشان الى موقعيهما ٠

كان سمك قد ألقى بنفسه فى جانب الأعداء وأخذ يسير بين المشاة الى أن وصل الى قائم وأدى التحية ووضع يده على ركاب حصانه فأخذ

قائم يحدثه عن اطلاق ضياء لذلك السهم ويثنى عليها فقال له سمك « نعم ، انها رامية لا نظير لها » . وكان شخص من جيش أرمنشاه قد دخل ساحة القتال لاحضار جثة غفاف كما كانت العادة ، وحين جاء زلزال الى المجلس جاء معه كل مشاته وأدوا التحية ثم جاء قائم وأدى التحية ووقف وحين جلس زلزال وأرمنشاه وشهران الوزير وصاعد وزير زلزال على العرش وقف قزل ملك فى خدمه أبيه ، بينما جلس دبور لتقبل العزاء فى أخيه ، وجاء سمك ووقف فى مواجهة شهران وقال زلزال للملك أرمنشاه « أيها الملك ، هل رأيت قائم وكم رجلا كانوا معه ؟ » فقال أرمنشاه « اننا لم نعرف شيئا . والآن يجب أن ندبر حيلة للايقاع بسمك » . فقال شهران الوزير « أيها الملك ، فليطمئن قلبك لأننى سأتولى أمر قائم فى كافة الأحوال وسوف ندعوه لوليمة ثم نقضى عليه بالسم وبعد ذلك نبحث عن سمك » .

من قضاء الله أن سمك كان واقفا يسمع ما يقوله شهران الوزير ، بينما كان قائم بعيدا عنه وبعد نحو ساعة أدى قائم التحية وعاد الى قصره فلحق به سمك وذكر له كل ما سمعه فقال خورجان « أيها البطل قائم ، مرنى كى أذهب وأحضر رأس شهران الوزير حتى لا يتهجم على الرجال بعد ذلك » ، ثم وقف فنظر سمك اليه وقال لنفسه « انه شجاع ولكنه ليس أهلا لهذا العمل لأن العمل بالليل شيء والقتال فى ساحة الحرب شيء آخر ، ولكن فلأدعه يذهب وأذهب فى أثره وأراقبه فى عمله بحيث لا يعلم قائم » فكر سمك فى هذا ولكن قائم قال له « يا خورجان ، اجلس حتى يحين وقت العمل وأقول لك ما يجب أن نفعله » . وأجلسه وانشغلوا بالشراب ، فلما طلع النهار دفنوا غفاف وأخذوا فى تقبل العزاء .

قال دبور « يجب علينا الخروج من المدينة والاقامة فى مواجهة الأعداء اذ لماذا نسجن أنفسنا داخل المدينة حتى يظن العدو أننا عاجزون ؟ فقال زلزال وأرمنشاه » فلنخرج . « ثم أمر زلزال باخراج المجلس من المدينة واقامته خارجها ، وخرج الجيش وفجأة تصاعدت فى مواجهتهم دقات طبول الحرب فقال أرمنشاه وزلزال « انظروا من هؤلاء فلعله مدد قادم لنا ، واذا برجل يدخل عليهم ويقول « أيها الملك ، ان جيشا من منغوليا قادم نحونا ولا أعلم من هم » . فقال زلزال « انظروا من من هم » وقال أرمنشاه لقزل ملك « يا روح أبيك ، أسرع بالذهاب لتعرف من هم » .

ركب قزل ملك واصطحب خمسين فارسا وانطلق فى طريقه فلما اقترب من الجيش القادم صاح فيهم « من أنتم ؟ وحينما رأوا قزل ملك فرحوا وأدوا التحية وقالوا « نحن عبيد أرمنشاه جئنا من الوديان الاثنى عشر » ونظر قزل ملك فعرفهم اذ كانوا الأبطال أمير وعيلاق ودخان والخوزى فاحتضنهم ولاطفهم وسألهم من أين أنتم قادمون ؟ قالوا « ان خورشيد شاه حين هزمنا ذهبنا الى الوديان الاثنى عشر ، فلما أعاد خورشيد شاه الملك فغفور الى الصين أخبرونا بهذا فركبنا وذهبنا وقطعنا الطريق على الفغفور وقتلنا الكثير من جنوده وأسرنا الفغفور نفسه » ٠

فرح قزل ملك وعاد الى أبيه وذكر له ما سمع منهم وقال له « لقد أدوا الواجب ولم يعصونا ثم خرجوا وأسروا فغفور الصين » ففرح أرمنشاه كما فرح معه زلزال وشهران الوزير وأرسلوا جيشا لاستقبالهم واحضارهم الى المجلس فلما حضروا أوقفوا الملك فغفور أمام أرمنشاه الذى قال له « يا فغفور ، كيف ترى نفسك الآن ؟ ان كل من يفعل الشر يرى الشر ، لقد أبقيت خورشيد شاه حتى قضى على أسرتى وأخرجنى من وطنى وملكى وأموالى وفقدت الزوجة والأبناء ، وضاعت الآباء والأجداد هباء وذلك كله بسببك ، ومع كل هذا فقلبى سعيد لأنه مع كل ما ضاع فاننى ما زلت حيا وأنت فى حال أسوأ منى ، فان أموالك ضاعت وابنتك ماتت وروحك الآن ستضيع ، لأنك قدمت السيئات فسترى جزاءك سيئات لأنك ملأت الدنيا فتنة وشرورا » ٠

قال الفغفور « ان الملوك لا يؤنبون ولا يلامون ، اقتلنى ولكن لا تطعننى بالكلام ٠ ولتكن السعادة قرين خورشيد شاه لأنه سيقتص لدمى » ٠

غضب قزل ملك وذهب الى الملك فغفور وركله فى رأسه فأسال الدم على وجهه فقال له الفغفور « أيها الأمير ، أتضرب المقيدين ؟ ان الضرب يكون فى ساحة القتال » فقال شهران الوزير « أيها الملك ، لدى فكرة أعتقد أنها طيبة ، ولكن نحتاج الى رسول نرسله الى خورشيد شاه ليخبره أن الملك فغفور فى أسرنا فان أراد أن نعيده اليه فليعد الينا مملكة منغوليا ويرفع ما بيننا من عداء لنعود كما كنا » ٠ وحين يسمع هذا فانه لا شك سيستعيد الملك فغفور » ٠

فقال له أرمنشاه « أحسنت الرأى ، ولكن يجب أن تذهب أنت فى هذه المهمة حتى تقول ما يجب أن يقال وتعود بالجواب » ٠

قام شهران الوزير في الحال وسار متوجها الى معسكر خورشيد شاه فلما وصل الى أطراف المعسكر سأله رجل من الطليعة « من أنت » ؟ فأجابه « أنا شهران الوزير أحمل رسالة الى خورشيد شاه » . فعاد جبل الديلم الى الملك وذكر له خبر مجيء شهران الوزير فقال له خورشيد شاه « أحضروه » . فذهب الحجاب وأحضروا شهران الوزير الى المجلس فلما وقف أمام العرش أدى التحية وانحنى ثم وقف ، فأشار خورشيد شاه أن يجلسوه ثم جاء السقاة بماء الورد فشربوا وبعده جاء قيمو الطعام فمدوا الموائد وأخذوا في تناول الطعام ودخل هامان الوزير وشهران في حديث وقال هامان « يا شهران ، أنت رجل عاقل فاضل ذو تجربة وقد بلغنا عنك كلام كثير لا أعلم لماذا ؟ فقال شهران « أيها الوزير ، كما ترعى أنت مصالح الامير وتبحث عنها فانني أيضا أرعى مصالح أرمنشاه وأعمل من أجلها ولو أنها لا تأتي وفق مرادنا » . وأخذوا يتحدثون بينما مجلس الطرب دائر والسقاة يطوفون عليهم بالشراب الى أن أعطى هامان الوزير الكأس الى شهران فقال له شهران « انني لن أشرب » فقال له هامان « يا شهران ، أنت رجل كبير وأنت القائم على خدمة مثل هؤلاء الملوك فما معنى عدم رغبتك في الشراب ؟ وان شربت أو لم تشرب فما الفائدة أو الضرر الذي يعود على الملك ؟ أو هل ستموت الرسالة التي تحملها ؟ وما لم تتكلم فلن تسمع الرد . ولا تكن مثل الجهلة الذين يقولون لن نشرب أبدا قبل أن نسمع الرسالة » فلم يرد شهران بشيء ولكنه أخذ يشرب الى أن قال خورشيد شاه « يا شهران ، قل ماذا تحمل من رسالة أو كتاب » فوقف شهران وأدى التحية وقال أيها الملك العظيم « اعلم وتأكد أن الملك أرمنشاه يقول أنه منذ مدة ولم يغمد سيف الحرب بيننا مع أنه لم يكن بيننا سبب للعداء أو البغضاء . كما أنه من ولاية حلب التي لا تقل خيرا وثراء عن هذه الولاية ثم أن كل هذه الحروب كانت بسبب فغفور الصين وقد أودت بحياة عدة آلاف من الخلق ، واعلم أن جيشا من جيوشنا كان قد تخلف قام بقطع الطريق على الملك فغفور وأسره وأتوا به الينا ، وان شئنا أعدناه لك الآن على أن ترفع يدك عن ولاية منغوليا وتزيل هذه العداوة من بيننا وان شئت العودة الى ولايتك فأنت أعلم بهذا منا ، وان رأيت ألبقاء في هذه الولاية فاننا سنعتز بك مثل أعيننا وان أردت مدينة الفغفور فأنت تعرفهـــا والأمر لك فانظر ماذا تريد » .

حين سمع خورشيد شاه هذا قال « يا شهران ، هل أخذتم الفغفور ؟ فأجابه « نعم » فتضايق الملك وأخذ ينتفض وقال « وا أسفاه ، كيف حدث هذا ؟ وكان هامان الوزير ينظر الى اليمين والى الشمال فلم ير سمك العيار فقال « يا شهران ، ان هذا الموضوع لا يحل في لحظة ولكنه يحتاج

للتفكير . ونحن فى حاجة الى أسبوع من الأمان حتى ننظر فيما يجب أن نفعله ، فالفغفور ليس رجلا صغيرا ولا مفر أمامنا ان أردناه أن نتنازل لكم عن ولاية منغوليا أو نرد عليكم بحد السيف ونسترجع الملك فغفور فهو أب لخورشيد شاه » .

كان هدف هامان الوزير من هذا الرد أن يجد سمك ويتحدث معه فيما يجب أن يفعله ، فلما قالوا هذا أعطوا لشهران الوزير خلعة وأعادوه . فلما رجع وذكر ما حدث الى أرمنشاه وزلزال والآخرين أمر أرمنشاه أن يحفروا بئرا تحت عرشه ويقيدوا الملك فغفور وينزلوه فى تلك البئر حتى ينقضى الأسبوع .

في الجانب الآخر فان شهران الوزير وخورشيد شاه بحثا عن سمك فلم يجداه فتحيرا ، ولكن ضياء قالت « أيها الملك ، ان سمك فى المدينة في قصر قائم وان أذنت لى ذهبت اليه وأخبرته » قالت هذا وتوجهت الى قصر قائم بالمدينة .

كان العيارون جالسين يشربون حينما وصلت ضياء وأدت التحية فقام سمك ووقف قائم أيضا فوقف الجميع واحتضنها قائم وأجلسها أمامه بينما وقف وفى يده كأس وشرب تحية أخوتها له وتقديرا لذلك السهم الذى كانت قد أطلقته على غفاف فى ميدان القتال فوقف جميع العيارين وأدوا لها التحية ونثروا عليها نثارا كثيرا . وبعد هذا سألها سمك عن أحوال خورشيد شاه وعن سبب مجيئها وقال أحس أن أمرا هاما قد دفعك للمجىء الى هنا فأخذت ضياء تتكلم وذكرت له ما تعرفه الى أن قالت ان شهران الوزير جاء وأبلغ الرسالة والرد الذى قاله له هامان الوزير ثم بحث خورشيد شاه عنه ومجيئها لاخباره بهذا .

## من منكم يأتينى بالفغفور ؟

حين سمع سمك هذا تضايق وتحير ماذا يفعل وبعد نحو ساعة وقف وقال « أيها الفتيان من منا يذهب ويخرج الملك فغفور من الأسر ؟ فلم يتقدم أحد . وعندئذ قال قائم « أيها البطل سمك ، اجلس حتى أجمع كل الرجال وانظر من منهم يقوم بهذا العمل ؟ فجلس سمك وأرسل قائم شخصا استدعى كل رفاقه وأصحابه وكان لقائم مجلس جعله فى وسط حديقة بجوار قصره يتسع لألفين أو ثلاثة آلاف رجل ، فجمع رجاله هناك

وكان من حضر نحو أربعة أو خمسة آلاف رجل يتلهفون على سماع ما سيقوله قاتم لهم ·

وقف سمك وقال « أيها الأبطال والعيارون والفتيان ، فى وسط بضعة آلاف من الرجال ، من منكم على استعداد للذهاب واخراج الملك فغفور من الأسر بحيث لا يصيبه أذى وبهذا يكتسب شهرة وسمعة » · فلم يتكلم أحد من بين هذه الآلاف بل أطرقوا رؤوسهم جميعا الى أن قال سمك مرة أخرى « أيها الاخوة ، أنا غريب بينكم ولا أستطيع أن أقول أننى أتعهد بالقيام بعمل يستطيع شخص منكم القيام به ، فمن يقوم بهذا العمل ؟ » ·

من وسط كل هؤلاء الرجال وقف رجل كانوا يسمونه الثور الأسود وكان عيارا يمتاز فى حفر الأنقاب حتى أنه لم يكن يدانيه أحد فى هذا المجال الا قاتم الذى كان أستاذه · قام الثور الأسود وقال « أنا أذهب وأحضر الملك فغفور حيا » · فنظر سمك الى قده وطوله وقال فى نفسه « انه ليس بالرجل المناسب لهذا العمل ، ولكننى لا أستطيع أن أقول شيئا حتى يذهب لأن كل هؤلاء الفتيان أثنوا عليه » · وخرج الثور الأسود متوجها الى معسكر أرمنشاه ثم وجد طريقه الى مجلسه فلما أقبل الليل جلس ينقب حتى أنه فى ليلة واحدة حفر ما لا يستطيع عشرة من الرجال حفره ·

كان الثور الأسود جادا فى هذا العمل ، وكان كل ساعة يملأ كيسا بالتراب ويخرجه ليفرغه وينظر الى النجوم ليحدد مسار النقب والى أى اتجاه يكون ·

أراد الحق تعالى أن زلزال كعادته كل ليلة كان يخرج ويدور حول المعسكر ليطمئن عليه وينظر حوله فلما وصل الى ذلك المكان رأى شخصا وقد علق كيسا فى رقبته ويفرغ ما فيه من تراب ، فسار بهدوء وحيطه الى أن أمسكه وسأله « من أنت وما هذا الذى تفعله ؟ وحين دقق النظر فيه عرف أنه الثور الأسود ، فأمسك به الى أن جاء الى المجلس أمام أرمنشاه وقال « أيها الملك ، لقد أمسكت بأحد رجال قاتم » فقال له أرمنشاه « أيها الرجل ، فى أى عمل جئت ؟ فأجابه الثور الأسود « جئت لآخذ الملك فغفور » · فقال له زلزال « أيها الحقير ، هل وصل الأمر بنا أنكم أصبحتم تفعلون ما تريدون ، وتأتون الآن لتخربوا تدبيرنا ؟ » فقال شهران الوزير « أيها الملك ، هذا العمل أمره به سمك ، فاضربوه ليقول الحقيقة ومن الذى دفعه لهذا ؟ » ·

أحضروا الجلاد وشدوا الثور الأسود فى الفلقة وضربوه حتى فقد وعيه وهم يقولون له « من أمر بهذا ؟ فكان يجيبهم فعلتـه بنفسى ولم يأمرنى به أحد » • فقال شهران الوزير « قيدوه » فقيدوه وسجنوه •

ذاع فى المدينة أنهم أمسكوا الثور الأسود ، ووصل الى قائم أنهم قيدوه وسجنوه فوقف خورجان وقال « أيها البطل ، سأذهب الى المجلس وأرى ماذا حدث » • قال هذا وانطلق مع خمسين رجلا الى أن جاء المجلس وأدى التحية لزلزال الذى نظر اليه وقال « يا خورجان ، هل الملك لكم ؟ أو أن الآمر وصل بكم الى أن تفعلوا ما تريدون ؟ اذا وضعنا شخصا فى السجن أخرجتموه والآن فان ملكهم الفغفور فى السجن ان شئتم جئتم وأطلقتم سراحه وخربتم عملنا وتدبيرنا ؟ ثم أمر خدمه بامساك خورجان ورجاله فتقدم الخدم والحجاب والقواد وأمسكوهم ثم أمر زلزال بقتلهم ، فلما انتهوا منهم أحضروا الثور الأسود وضربوا عنقه أيضا • وقال أرمنشاه هكذا يجب أن نفعل معهم حتى يقع فى قلوبهم الخوف والرعب لأنك ان لم تقدر على خدمك فكيف ستقدر على الآخرين ؟ » •

قال دبور سأذهب الآن الى المدينة لأمسك بقيتهم مع قائم وأهلكهم قال هذا وركب فى ألفين من الفرسان وتوجه للمدينة ، وكان الخبر قد وصل الى قائم أنهم قتلوا خورجان والثور الأسود مع الخمسين رجلا ، وأن دبور قادم مع ألفين من الفرسان ليمسكوك • فقال قائم « أيها الأبطال ، هبوا وخبئوا نساءكم وبناتكم ثم ارجعوا لنذهب الى خورشيد شاه لأننا لا نستطيع البقاء هنا » • فذهب كل رجل وأخفى ما كان لديه من زوجة أو بنت أو أخت ثم رجعوا الى حديقة قائم التى كان لها طريق الى البحر ودائما كانت السفن واقفة على شاطئه •

قال سمك « أيها البطل ، اذهب أنت الى خورشيد شاه لأننى سأبقى فى المدينة لأدبر أمر الملك فغفور » • فقال له قائم « ان كنت ستبقى فى المدينة فاختبىء فى المكان الفلانى حتى تهدأ هذه الضجة فى المدينة لأنه لا يوجد أحد يعرف الطريق الى ذلك المكان ، واذا احتجت الى شىء من الذهب فستجد ما تحتاجه اذ أننى أخفيته تحت الأرض هناك » •

قال قائم هذا وركبوا السفن وذهبوا بينما عاد سمك وضياء وذهبا الى ذلك المكان واختبآ أما قائم ورجاله فانهم حين نزلوا من السفن قال خورشيد شاه « انظروا من هؤلاء واحضروهم أمامى » فذهب اليهم هرمز مع حاجبين أو ثلاثة وسألوهم من أنتم ومن أين جئتم وماذا تريدون ؟ فتقدم قائم وقال « أنا عبد خورشـيد شـاه واسمى قائم وهؤلاء جميعا

أصدقائي ورفاقي وأعواني » وكان هرمز قد سمع من سمك عن قائم فنزل عن حصانه واحتضنه وقبله ثم أمسك يده واصطحبه الى مجلس خورشيد شاه حيث أدى هرمز التحية وقال « أيها الملك العظيم ، انه قائم ورفاقه وأعوانه جاءوا لخدمتكم » ٠

أمر خورشيد شاه بادخالهم ٠ فخرج هرمز وأمسك يد قائم وأدخله على خورشيد شاه فأدى التحية ٠ ونظر اليه خورشيد شاه فرآه رجلا فارعا عريض الصدر ضخم الذراعين فأعجبه ولهذا أكرمه وأجلسه أمامه وأخذ يسأله عن أحواله واستفسر منه عن سمك فقال قائم « أيها الملك توقف سمك فى المدينة لكى يتولى أمر الملك فغفور ومعه ضياء » ٠

حين جلس قائم تحدث عن مجىء ضياء وذكرها أسر الفغفور وما قام به سمك وطلبه من الفتيان من ينقذ الفغفور الى ذهاب الثور الأسـود لاحضاره والقبض عليه هو وخورجان وخمسين رجلا ثم قتلهم جميعا ثم عزم دبور على الامساك بهم وهروبهم عن طريق البحر ٠ فأمر الملك خورشيد شاه بخلعه فاخرة لقائم وخلعا أخرى لرجاله ، ثم عين لكل منهم مكانا حسب رتبته ومكانته وأوكل أمرهم الى الثعلب ٠

فى الناحية الأخرى ذهب دبور الى المدينة وتوجه الى قصر قائم فلم ير أحدا فبحث عن رجاله فلم يقف لهم على أثر ، فعاد الى معسكره وتوجه الى الملك فغفور وأخبره أنه لم ير أحدا ونبهه الى ضرورة الاحتراز على الفغفور خوفا من سمك ثم قال « والآن سلمه لى حتى آخذه الى خيمتى وأضعه فى القيود حتى اذا صار رجال الدنيا كلها سمكا ما استطاعوا آخذه » ٠ وعندئذ أخرجوا الملك فغفور من البئر وسلموه لدبور الذى حمله الى خيمته وكان بها عرش أجلسه عليه ثم أحضر الحدادين فوضعوا القيود فى رجلى الملك فغفور وأحكموا ربط سلسلة حديدية على العرش بحيث اذا أراد أحد فكها استغرق ذلك منه يومان على الأقل ٠

من تقدير الله أنه كان قد انقضى ثلاثة أيام على الموعد الذى حدده هامان الوزير وقد أوقفوا الحرب الى أن يردوا على اقتراحهم وهو هل يريدون الفغفور أم لا ٠

فى هذا الجانب ظل سمك وضياء يومين فى ذلك المخبأ ثم خرجا وقال سمك لضياء ان الأمور تتحسن بالذهب وقد دبرت أمره اذ أن قائم قد دلنى على مكان الذهب فلنتوجه الى هناك وأحمل منه ما يلزمنى » فقالت ضياء « خيرا ما قلت » ٠ ثم عادا الى ذلك المكان وحفرا فى الأرض فشاهدا

بعض الجرار المملوءة بالذهب فحمل سمك مقدارا منه وأعطى لضياء مقدارا آخر ثم ذهبا لأحد الخانات وقال لصاحبه « لقد كنا تاجرين ولكن هذا الجيش أغار علينا واستولى على كل أموالنا وكنا قد أخفينا بعض الذهب الذى احتفظنا به حتى نستطيع أن نمارس به حياتنا » . ونزلا فى ذلك الخان ثم خرج سمك وقال لضياء اذهبى بما تحملين من دنانير واشترى بعض الصناديق التى تنفع للحانة والمطبخ ، وان عثرت على العبيد فاشترى بعضهم من البيض وبعضهم من السود واشترى كل ما يلزم لنا » .

خرج سمك وذهب الى سوق الحلوى وطلب بعض الكعك والسكريات والحلوى ، كما اشترى بعض السكر النبات وغير ذلك كثير مما وصل الى نحو عشرين حملا جاء بها الى الخان ،وحتى يرى ما فعلته ضياء التى عادت هى الأخرى وقد اشترت أربعين صندوقا وأربعا وعشرين دابة وأربعة عبيد . فلما أعدوا بضاعتهم حملوا الصناديق على ظهور الدواب وساروا مع العبيد متوجهين الى المعسكر ، وكان سمك قد أعد بعض الأدوية فتقدم الى ضياء ومسح وجهها بأحدها فصار أسمر اللون ثم أتى بدواء آخر ودلك به لحيته ثم نثر عليها قليلا من دواء آخر فابيضت ثم جلسا بين الصناديق حتى وصلا الى أطراف معسكر أرمنشاه ، ومع أنهما كانا يعرفانه الا أنهما سألا أحد الأشخاص وحطا أحمالهما وأمسك سمك عصا فى يده كأنه يتوكأ عليها وحنى ظهره وسار حتى وصل الى المجلس ثم أخذ فى الصياح والبكاء فالتف حوله الناس يسألونه « أيها الشيخ ماذا أصابك ؟ » .

أجابهم سمك « أنا شيخ عجوز تاجر ، وكانت لى أموال كثيرة استولوا عليها ولقد جئت الآن حتى يساعدنى البطل دبور ويسترد أموالى » . فقال له الخدم « أيها الشيخ » ان دبور لن يجلس الآن فاذهب اليه فى خيمته وقل له ما تريد .

عاد سمك الى حيث كانت توجد صناديقه وملأ طبقا بالحلوى وزينه وأعطاه لأحد عبيده وأمسك عصاه وتقدم الى عرش دبور وأدى التحية وأطنب فى الدعاء ثم قدم طبق الحلوى فنظر اليه دبور بينما كان سمك يقول له « أيها البطل ، أنا تاجر وكنت قادما من ولاية الصين ومعى أموال وفيرة ولكن هاجمنى الجنود وأخذوا أموالى ، وأعرف أنهم جنودك وقد جئت الآن وأحضرت بضعة أحمال وليس فى هذا المعسكر من هو أكبر منك فاجعلنى تحت حمايتك حتى أبيع هذه البضائع ولا يضايقنى أحد ، واذا رأيت أحد الجنود الذين أخذوا أموالى فاننى سأمسك به طالما كنت ترعانى .

كان سمك يقول هذا وهو يرى الفغفور مقيدا على ذلك العرش . وعندئذ قال دبور « أيها الشيخ ، أقم حيثما شئت ، وتعال الى فى أى وقت تريد الحديث الى » . فدعا له سمك وعاد ثم أعد دكانا بالقرب من المجلس وأجلس ضياء خلف الميزان وكانت شابة كالقمر وقد نضج عودها ووقف سمك فى خدمتها .

فى الجانب الآخر كان خورشيد شاه ينتظر مجىء سمك فلم يجىء فقال لقائم « ابعث أحد رجالك يستدعيه » . فأرسل قائم بعض رجاله الذين دخلوا المدينة سرا وبحثوا عن سمك فلم يعثروا له على أثر فعادوا وقالوا « أيها الملك ، لم نعثر عليه » فقال الثعلب الفيلم دورد « أيها الملك ، سنذهب للبحث عن سمك فلعلنا نجده » قالا هذا وجعلا نفسيهما على هيئة الشحاذين وتوجها الى معسكر أرمنشاه حتى اقتربا من مجلس دبور فشاهدا ذلك الدكان مزينا فقال الثعلب لورد « فلنذهب اليه ونطلب منه شيئا » وذهبا الى الدكان وألقيا السلام وقالا « اعطنا شيئا نأكله » فعرفهما سمك ولكنهما لم يعرفاه وقال لنفسه « فلأنظر ما سيفعلانه » ثم قال لهما « اذهبا الى الأستاذ » فتوجها الى ضياء وقالا « اعطنا شيئا نأكله لأننا جوعى » فقالت ضياء « ان الأستاذ هو ذلك الشيخ » .

عرفت ورد ضياء من صوتها وكلامها فقالت بهدوء « أيها الثعلب ، هذا الشاب هو ضياء ، وهذا العجوز هو زوجى » فتعجب الثعلب وأبدت ورد علامة وأدت التحية لسمك فأكرمهما ووضع أمامهما بعض الكعك والحلوى ليأكلا . وكان كثير من الناس يأتون لمشاهدة ضياء ويشترون من تلك الحلوى بالثمن الذى تقوله .

بعد أن تعرف الثعلب على سمك وضياء قال له سمك « أيها الأستاذ ، اننى سأذهب لأنهم قرروا أن يحاربوا غدا لعلنى أستطيع أن أفعل شيئا » . وبقيا هناك حتى خيم الظلام ، وكان الجند يجيئون ويذهبون طوال الليل وهم يستعدون للقتال الى أن أضاء النهار فتصاعدت دقات طبول الحرب وتوجه الجيش الى ساحة القتال فانسل الثعلب وورد وسط هذه الضجة وذلك الازدحام بين الجند وعادا الى معسكر خورشيد شاه وذهبا لتحيته وذكرا له ما حدث لهما .

فى الجانب الآخر توجه خورشيد شاه وجيشه الى الميدان وأخذ النقباء من الجيشين يسبويان الصفوف فلما أتما عملهما نفخ فى أبواق

الحرب فانطلق قائم من صفوف جيش خورشيد شاه وأخذ يصول ويجول ويستعرض قوته وفنونه القتالية ثم طلب رجلا للنزال ، وحين رآه زلزال أخذ يعض يده بأسنانه غيظا وكمدا وقال « انظروا ابن الحرام هذا يرد جزاء احساننا اليه حيث احتضنناه بضع سنين ، فليذهب أحدكم الى ميدان القتال ويأسره ويأتى به » • فدخل الميدان فارس كان اسمه حلبون من جبل المشرق وتقدم الى قائم وأخذ فى لومه وتعنيفه فقال له قائم « يا حلبون ، ان كنت جئت للقتال فهات ما عندك ، وان كنت جئت للكلام فعد ليدخل غيرك لأننى لن أرد على كلامك فشجعان الرجال لا يتكلمون كثيرا » •

قال قائم هذا واشتبك معه فى قتال طويل الى أن طعنه قائم طعنة نجلاء فأرداه قتيلا ودخل غيره فألحقه به وهكذا حتى قتل عشرة رجال ولم يرعف (١) وكان زلزال يقف مع أرمنشاه وشهران الوزير وصاعد الوزير فقالوا « هذا الرجل فى الحقيقة قائم » • فأدى قزل ملك التحية وقال « سأدخل الميدان واشتبك معه فى القتال » • فأبقاه دبور وقال له « أيها الأمير ، ابق فى مكانك حتى أدخل ساحة القتال وأحضره اليك » • قال هذا وضرب جواده على مؤخرته وانطلق به الى الميدان حتى جاء أمام قائم الذى قال لنفسه « ماذا أكون بالنسبة له فى القتال ؟ ومع أن اسمى قائم لأننى أستطيع أن أقوم بكل عمل ولكن مع رجل مثلى وليس مع فيل أو تنين • واذا انسحبت لطخت اسمى بالعار ، وان اشتبكت معه فى قتال قتلت بلا شك والخير لى أن اشتبك معه فان قتلت بقى اسمى وذاعت شهرتى •

## طار دبور وترك الزنابير يقتلون

قال دبور هذا وتقدم بكبرياء وأمسك حزام قائم ولم يدعه يشتبك معه فى قتال بل رفعه بيده من على سرج حصانه وذهب به الى أرمنشاه وألقاه أمامه وقال لهم قيدوه حتى أعود من الميدان لأن لى شأنا معه • ثم عاد الى ساحة القتال وطلب رجلا للنزال فكان كل من يدخل اليه يصرعه حتى قتل عشرين رجلا ولم يعد أحد يجرؤ على الدخول لقتاله وعندئذ قبل فتاح الزنجى قدم فيل خورشيد شاه وقال « أيها الملك ، أريد دخول الميدان ولكن لى رجاء » فقال له خورشيد شاه « وماذا تطلب ؟ » قال فتاح « أيها الملك ، لا يوجد حصان يطيقنى وليأذن لى الملك بركوب رخش والدخول الى الميدان لأرد على دبور فغضب خورشيد شاه ولكن الوقت

---

(١) الرعاف نزيف الأنف وكان يحدث للمقاتلين من عنف القتال وشدته •

لم يكن مناسبا لكى يتكلم بشيء وقال لنفسه « اذا لم أعطه رخش انكسر قلبه » ولهذا أعطاه الحصان رخش فركبه فتاح كأنه جبل أسود أو فيل ضخم ودخل ساحة القتال وزأر وطلب رجلا للنزال . وكان دبور قد تعب وعاد من ساحة القتال فلم يجرؤ أحد على الدخول ، وكان فتاح يصيح ويقول « أين ذهب أبطالكم ؟ فليدخلوا ويروا طعن الرجال » .

لم يجرؤ أحد على القتال الى أن انطلق فجأة الى الميدان بطل كان اسمه عادون ، وجرى بحصانه فى ساحة القتال ثم صاح فى فتاح وقال له « أيها الزنجى الجوعان آكل الفئران الى متى تمدح نفسك وتستعرض قوتك ؟ فماذا يطلقون عليك وماذا يسمونك ؟ وهل يليق بك أن تساوى نفسك بأحد فى ميدان القتال ؟ أيها العاصى سيء الحظ هل وصل بك الحال الى أن تقف فى مواجهة جيش الملك زلزال وتصيح هكذا ؟ وكان ما زال يتكلم على هذا النحو حينما تقدم اليه فتاح وقفز عليه وأمسك رأسه وعنقه ورفعه عن سرج حصانه ثم رماه على الحصان فتحطما معا حتى أنهما لم تبد منهما أيه حركة .

ارتفع الصراخ والعويل من جيش زلزال ووقع الرعب فى قلوبهم من هذه القوة ، وكان لعادون أخ اسمه قاصورة فى غاية البطولة ، انطلق الى الميدان بحصانه وصاح فى فتاح ، وقال « أيها العاصى الأسود سيء الحظ ، قتلت بطلا الشعرة منه تعادل دنيا من أمثالك ولكن لا بأس فان له من يقتص لدمائه هات ما عندك » ولم يكد يتم كلامه حتى كان فتاح قد ضربه بطبره فجزله نصفين . ودخل غيره وغيره من الرجال وما يكاد الواحد منهم يضع قدمه فى ساحة القتال حتى يكون فتاح قد قتله بضربة واحدة الى أن قتل مائة وعشرين رجلا ثم قال لنفسه « لماذا أقف وألعب لعب صبيان » ثم هجم على ميمنة جيش زلزال وكان يمسك الرجل ويرميه على الآخر فيقتلهما ، وكان يضرب الضربة بالسيف فيقتل بها أربعة أو خمسة من الجنود وحين رأى الجنود هذه الجرأة والصلابة انهزموا أمام فتاح فلاحقهم كأنه أسد كاسر أو فيل سكران الى أن دخل زلزال ودبور المدينة وتبعهما من استطاع من الجنود بينما فر الباقون مبعثرين مشتتين وكان فتاح يتبعهم ويقتلهم .

تصادف أن الجماعة التى كانت قد أسرت قائم واحتفظت به معها كانوا قد أركبوه على حمار للاستهزاء به ويتجهون للمدينة حينما لحق بهم فتاح وأعمل فيهم السيف فقتل بعضهم وفر الآخرون ولم يبق منهم أحد ونظر فتاح فاذا بقائم أمامه فصاح قائلا « أيها البطل ادركنى فهذه فرصة قد تهيأت لى » ففرح فتاح ونزل عن حصانه رخش وفك قيود قائم وقال

له أسرع بالعودة بينما استمر فتاح في قتاله حتى قتل الكثيرين ثم رجع معسكره وذهب الى خورشيد شاه وقائم معه فأديا التحية وتصاعدت صيحات الفرح والسرور من جيش خورشيد شاه وبلغ السرور عنان السماء وتقدم فتاح وقبل الأرض أمام خورشيد شاه فرحب به وشرفه بخلعة فاخرة ، وأخذ الأبطال والجنود وغيرهم يثنون عليه • كما رحب خورشيد شاه بقائم وشرفه بخلعة وقال له « فليطمئن قلبك فان الأمور ستكون لصالحك » فقبل قائم الأرض وقال « أيها الملك ، ان ما يهمنى هو سلامتك لأن أمر الأسرى سهل وقد عادوا جميعا وهم فى سعادة » •

فى الجانب الآخر حينما دخل زلزال المدينة أمر رجاله فذهبوا الى قصر قائم ونهبوه وقتلوا كثيرا من الناس من أتباع قائم ممن كان يطلق عليهم « أصحاب العلم الأحمر » ووصل هذا الخبر الى بنتى القائم فهربتا وذهبتا الى بيت امرأة عجوز صديقة لأبيهم واختبأتا عندها ومع أن حمر العلم كانوا كثيرين ويستطيعون مواجهة غيرهم اذا اختلفوا معهم الا أنهم قالوا « من الخير لنا أن نختفى حتى نرى ما ستكون اليه الأمور » •

كان في تلك المدينة رجل من جيش زلزال اسمه عباد الشمس وكان رجلا بكل ما تحمله الكلمة من معنى ، وكانوا قد سلموا له البرج الواقع على يمين بوابة المدينة وكان صديقا صدوقا لقائم وذات يوم قال قائم لخورشيد شاه « أيها الملك ، قسما بتراب قدميك أننى لا أنام الليل حزنا على ابنتى ، وأريد أن تأذن لى لكى أذهب للمدينة وأحضرهما » فقال له خورشيد شاه « لا تذهب أنت وسأرسل أحدا غيرك » • فقال قائم « الأمر للملك » • وبينما كانا فى حديثهما هذا وقف الثعلب وقال « أيها الملك ، ابنى سمك ليس هنا وسأذهب بنفسى فوقفت ورد والعوام أيضا أحد أعوان قائم وقالا « أيها الملك ، اسمح لنا بالذهاب معه » فقال لهما خورشيد شاه « هذا أفضل » ولاطفهم جميعا وشجعهم وقال لهم قائم « عندما تذهبون تحت السور اصعدوا الى ذلك البرج الذى يتولاه عباد الشمس وقولوا له أن يكون مرشدكم الى كل مكان » • وخرج ثلاثتهم واتجهوا الى المدينة •

فى الجانب الآخر فانه عندما كان زلزال ودبور فى ميدان المعركة فان سمك ذهب الى دبور ذات يوم وقال « أيها البطل ، أحتاج الى توصية منك حتى أذهب الى المدينة وأفتح دكانا بها وأعمل به لعلنى أكسب بعض المال ، كما أرى زبائنى لعلنى أجد من بينهم من استولى على أموالى » • فقال له دبور « لا بأس » ثم كتب رسالة الى ولوال واكبار حاكما المدينة بجاه يهنسا • :

« اعلما أنتما ولوال واكبار أن حامل هذه الرسالة معتمدي وعليكما رعايته ولا تدعا أحدا في المدينة يقوم بعمل يعمله سواه حتى يصل الينا شكره على صنيعنا له ، وكل ما تقومان به نحوه كأنما قمتما به لي أنا دبور قاهر الشياطين » ثم ختم الرسالة وسلمها لسمك وقال له « أيها البطل ، يجب أن تسلمهما هذه الرسالة » . فقال له سمك « تفضل باعطائي خاتما حتى اذا حدث شيء يكون الخاتم معي فينفعني » . فأعطاه دبور خاتمـــا وأدى سمك التحية وعاد الى ضياء وأمر بتحميل بضاعتهما وتوجهـــا الى المدينة ودخلاها مع الجيش الذي عاد الى المدينة .

حين عاد دبور الى المدينة مع الجيش أحضر معه الملك فغفور مقيدا كما كان ثم أمر أن يحفروا بئرا تحت عرشه وأنزلوا الملك فيها .

في الجانب الآخر فانه عندما ذهب سمك الى المدينة كانت ضوضاء الجيش وحركته تعم المدينة فقال سمك « يا ضياء ، يجب علينا اليوم أن نذهب الى أحد الخانات » ثم توجها الى واحد منها وانزلا أحمالهما وبعد ذلك حمل الرسالة والخاتم وتوجه الى قصر ولوال واكبار حاكما المدينة فلما وقف بالباب رآهما جالسين وقد وقف كثير من الناس في خدمتهما فتقدم سمك وأدى التحية ثم قبل الرسالة ووضعها أمامهما وأظهر لهما الخاتم فقرأ الرسالة ثم قالا « السمع والطاعة » . اذهب وحيثما شئت فاجلس واذا فعل أي شخص شيئا أمام باب دكانك شنقناه . وسنبعث مناديا في المدينة ألا يعمل أحد فيما تعمل فيه أنت » .

قام سمك وأخذ يتجول في السوق حتى جاء الى أحد التقاطعات فرأى دكانا مزينا وفوقه حجرة مجهزة تجهيزا جيدا فذهب الى صاحب الدكان وقال له « أيها الأستاذ ، اترك هذا الدكان لأنني أحتاج اليه » فقال الرجل « هل أنت مجنون ؟ لماذا أترك لك دكاني ؟ فتقدم سمك اليه ولكمه على رقبته وأخرجه من دكانه ، فأمسك الرجل بسمك وتصاعد صياحهما والتف الناس حولهما وكل منهم يقول شيئا ، وفجأة وصل ولوال واكبار الى ذلك المكان فشاهدا ذلك الجمع من الناس فسألا « ماذا حدث ؟ ونظر ســـمك فرأى ولوال واكبار وذهب اليهما وقدم التحية وقال « أيها الحاكمان ، أريد هذا الدكان وهم لا يريدون وقد سبوني » . فقال ولوال واكبار لصاحب الدكان « اتركه وسلمه لهذا الرجل الحر » . وبعد أن قالا هذا بعثا مناديا ينادي بالمدينة ألا يقوم بالعمل الذي يقوم به هذا الرجل أحد سواه .

ترك ذلك الرجل دكانه لسمك وسلمه له ، فأحضر سمك بضاعته وهيأ الدكان ثم أجلس ضياء خلف الصندوق ووقف هو أمامها وأخذ يدير شئون الدكان • وفى اليوم التالى ملأ بعض الأطبـــاق بالحلوى والكعك وغيرها وحملها وذهب الى قصر ولوال واكبار ووضعها أمامهما وأدى التحية ودعا لهما • ولم يخطر على بالهما أن يقوم أحد بمثل هذه الحيلة ويغير هيئته على هذا النحو ، بل رأيا فيه رجلا عجوزا يتوكأ على عصا وقد انحنى ظهره • وبعد نحو ساعة قال ولوال واكبار لاعوانهما « فى أى وقت يأتى فيه هذا الرجل فلا تتوانوا عن مساعدته » فأدى سمك التحية والثناء وعاد الى دكانه •

من تقدير الله أن العوام والثعلب وضياء ساروا الى أن وصلوا الى أسفل سور المدينة عند ذلك البرج التابع لذوى العلم الأحمر ووقفوا وكان عباد الشمس فى البرج وحين رآهم أراد الصياح فقال له العوام « نحن أصدقاء » ثم ذكر له اسمه وقذف وهقه الذى التقطه عباد الشمس وأمسك طرفه وصعد الثلاثة اليه فسألهم عباد الشمس عن أحوالهم واستفسر منهم عن قائم فقال له العوام « انه فى أمان وسلام » ثم سأله العوام عما لديه من أخبار المدينة فقال عباد الشمس « ان الأخوين ولوال واكبار هما حاكما المدينة الآن بعد قائم وقد أمسكا كل من وجداه من حمر العلم وقتلوه • فلماذا جئت الآن ؟ قال العوام « لقد جئت مع هذين الحرين لنأخذ بنتى قائم • فهل تعرف أين هما ؟ فأجابه عباد الشمس « ابحثوا عنهما فى قصر القائم » •

بعد هذا الحديث توجه الثعلب وعوام وورد الى المدينة فلما كانوا فى وسط السوق قال العوام « أيها الأحرار يجب على كل منا أن يذهب فى طريق » • فقال الثعلب « نحن هنا غريبان ولا نعرف الطريق الى قصر قائم والا لذهبنا اليه وأخذنا ابنتى قائم » • فقالت ورد « أنـا أعـرف الطريق الى بيت قائم » فقال الثعلب « يا أخى ، ابق أنت هنا ريثما نذهب ونأتى بابنتى قائم فان لم نعثر عليهما عدنا اليك » وتصادف أن خمسة رجال من أصحاب العوام التقوا به فوقفوا معه بينما ذهب الثعلب وورد الى قصر قائم ودقا الباب فجاءهم صوت يقول « من بالباب ؟ قال الثعلب « يا أماه ، نحن قادمان من عند قائم » • ففتحت المرأة الباب ووجدت شخصين فأدخلتهما القصر • وعندئذ قال لها الثعلب « يا أماه ، أين ابنتا قائم ؟ فأجابت العجوز « لا أعرف » فأعاد الثعلب سؤالها قائلا « يا أماه ، لاتقلقى ولا يجب أن يتبادر الى ذهنك أننا نغدر بك ، فبالله العادل أننا قادمان من عند قائم لكى نأخذ اليه ابنتيه » • قالت العجوز « لا أعرف أين

هما ،واذا قتلتمانى فاننى لن أتكلم عن شئ لا أعرفه » • فأدرك الثعلب أن العجوز تخاف • وأعاد القسم مرة خرى وقال لها « أنا الثعلب أستاذ سمك العيار وهذه التى معى فتاة اسمها ورد وهى زوجة سمك » •

من ارادة الله أن العجوز كانت قد سمعت اسم سمك ، فلما تأكدت منهما نادت فى الحال قائلة « أيتها البنتان اخرجا » • ونظر الثعلب وورد واذا بالحائط ينشق وخرجت الفتاتان فحنى الثعلب رأسه وقال « يا فتاتان تنقبا لأننى سآخذكما الى أبيكما » • فوضعتا النقاب وقالت العجوز « يا ثعلب احترس فان الفتاتين أمانة فى عنقك » فأجابها الثعلب « قبلت تحمل الأمانة » • وكان اسم تلك العجوز قندومة وكانت جدة قائم لأبيه • وكانت احدى الفتاتين تسمى رزمين والأخرى رزما وقد جعلهما الثعلب تسيران أمامه وسار خلفهما الى أن وصلوا الي الآخرين •

من قضاء الله أن العوام كان يقف مع رفاقه حين وصل ولوال واكبار فجأة الى ذلك المكان مع جماعة من رجالهما فرأوهم وصاحوا فيهم ثم استلوا سيوفهم وهجموا عليهم فقاتل العوام وأصحابه دفاعا عن أنفسهم ، وتصادف أن جاء سمك فاختبأ فى الزقاق الذى دارت بجواره هذه المعركة والتى دفعت بنتى القائم الى الاختباء فى ذلك الزقاق أيضا وحين لمحتا سمك استولى عليهما الخوف ولكنه سألهما عمن تكونان فذكرتا له ما حدث لهما وعندئذ أمسك سمك يديهما وذهب بهما الى دكانه وكان قد وصل اليه الثعلب وورد وقال لهما سمك « أيها الرجلان الحران (١) ، اصعدا الى الطابق الثانى حتى أحضر لكما الحلوى وكل ما يلزمكما » •

قال لهما سمك هذا لأنه كان يوجد بالقرب منهما بعض عماله وأراد ألا يعرفوا شيئا عنهما كما صعد الثعلب وورد أيضا ثم لحق بهما سمك وسأل الثعلب وورد عن الأحوال ولماذا جاءا الى المدينة فذكر له الثعلب كل شئ وتحسر على بنتى القائم وقال يا سمك ، لا أعلم ما صارتا اليه وسأخجل من قائم « فقال له سمك « أيها الأستاذ ، اطمئن فقد عثرت عليهما » ثم نادى وقال « اخرجا » • فخرجت الفتاتان من البيت وعندئذ وقف الثعلب وإنحنى احتراما لسمك وقال له « أسعدك الله يا بطل الدنيا ويا عيار الزمان • كيف وقعتا فى يديك ؟ قال سمك « أيها الأستاذ ، كنت قد خرجت لأمر ما لعلنى أستطيع انجازه وأدبر أمر الفغفور فحدثت هذه الضجة والمعركة فرجعت وحينما وصلت الى الزقاق سمعت كلام شخصين فلما نظرت رأيت هاتين الفتاتين فأمسكت يديهما وجئت بهما » فأثنى عليه الثعلب • ثم أخذوا يتحدثون فى كل شأن وأمر •

---

(١) يبدو أن الفتاتين كانتا متنكرتين فى ملابس الرجال حتى لا يعرفهما أحد •

حينما طلع النهار كان وأوال واكبار ورجالهما قد قتلوا العوام وأصحابه الذين استطاعوا قتل الكثير من جنـد ولوال واكبار قبل أن يقتلوا • وبعد هذه المعركة ذهب الحاكمان الى زلزال وأرمنشاه وأخبراهما بما حدث • فتعجب شاهان الوزير من هذا وقال دبور « يجب أن نعـد للحرب » فأمر زلزال بصعود الجيش فوق سور المدينة واقامة الخيام والسرادقات • وكان السور من العرض بحيث يمكن لعشرين فارسا السير عليه جنبا الى جنب وجاء الملك الى مجلسه وقال الأبطال « أيها الملك ، اننا لايمكن أن نحارب من فوق سور المدينة ولهذا يجب على كل أمير أن يخرج يوما للقتال بالترتيب » • فأدى أمير ـ وهو بطل الوديان الاثنى عشر ـ التحية وقال « اليوم ستكون نوبتي » •

## قتـــال أهل الجبل

قال أمير هذا وتوجه الى باب المدينة في عشرة آلاف فارس وتصاعدت أصوات أبواق الحرب حين توجه جيش خورشيد شاه الى ميدان القتال وسووا صفوف الجيش ونظروا فاذا أمير قادم للقتال فقال الجبالى وجهاد « أيها الملك ، انه أمير من الوديان الاثنى عشر الجبلية فاسمح لأحدنا بالدخول الى ساحة القتال ليصول ويجول معه لأن قتال أهل الجبل لايعرفه الا الجبليون • وكان جبل الديلم واقفا فقال « أيها الملك ، دع لى هذه المعركة » فقال له خورشيد شاه « لقد تعهدت لك أن تكون المقدم فى كل عمل » فأدى جبل الديلم التحية وانطلق بحصانه وأخذ فترة يصول ويجول ثم طلب رجلا للنزال فانطلق أمير فى الميدان الى أن وقف فى مواجهة جبل الديلم وصاح فيه صيحة تخويف ثم تناول حربة جبل الديلم بحربته وتقاتلا كثيرا ولم يظفر أحدهما بالآخر • فألقيا الحراب واستلا سـيفيهما وأخذا يتبادلان الضرب على رأسيهما ومفرقيهما حتى تكسر السيفان فى يديهما ولم ينتصر أحدهما على الآخر ، فاستراحا ساعة ثم تركا مسافة بينهما ورمى كل منهما خصمه ببعض السهام ولم يصب أى منهما صاحبــه ، وعندئذ اشتعل أمير غضبا وقال « احضروا عمودى (١) فحمل اليه وكان يزن نحو ستين منا وعندئذ سحب جبل الديلم طبره من قربوص سرجه ورفعه فى يده ونظر أمير ولم يكن قد رأى هذا السـلاح من قبل فقال لجبل الديلم « أيها البطل ، ما هذا لأننى لم أر من قبل مثل هذا السلاح ؟ » فأجابه جبل الديلم « سأقول لك الآن ما هذا » واندفع أمير وهوى بعموده

---

(١) العمود يشبه الحربة ولكن له رأس كبير بدل السنان وكان يستخدم فى القتال

ليضرب به جبل الديلم الذى تلقف العمود بيد طبره وقال له انك لم تر هذا السلاح من قبل فاثبت لكى أريه لك » ٠

قال جبل الديلم هذا وتقدم مهاجما أمير ليضربه بالطبر فأسرع أمير بوضع الدرق فوق رأسه ولكن جبل الديلم ادار طبره بمهارة وضرب به كتف أمير فقطع ذراعه الأيمن فسقط أمير من على حصـــانه وحين أراد الوقوف ليهرب هاجمه جبل الديلم ثانية وضربه بالطبر فى وسط ظهره وأجهز عليه ثم قفز بحصانه فوق رأسه فارتفع الصراخ من جيش زلزال أرمنشاه ٠

قال شاهان « اذا قاتلناهم رجلا رجلا فلن نتمكن منهم فأدغروا عليه جميعا وأحيطوا به لعلنا نستطيع القضاء عليه لأن جبل الديلم هذا بلاء عظيم » ٠ فتحرك الجيش مرة واحدة وأحاطوا بجبل الديلم احاطة تامة وحينما رأى جيش خورشيد شاه هذا أسرع الجبالى وجهاد وحبيب ومصارع وفاتك وهرمز وشحشام وبقية الأبطال ووراءهم جيش جرار لنجدة جبل الديلم ووقع الجيشان أحدهما فى الآخر يقتتلان بضراوة الى أن وضـع النهار نقابه وأقبل الليل بظلامه وجرت سيول من دماء القتلى حتى أن الخيل كانت تسير على جثث القتلى التى غطت ساحة القتال ٠

حين رأى دبور قاهر الشياطين أن الأمر قد جاوز حده أمر من فوق السور بدق طبول التحاجز فافترق الجيشان أحدهما عن الآخر ووقف دبور عند باب المدينة ونظر فى الجيش وكان قد خرج عشرة آلاف فارس فاذا بثلاثة آلاف فقط يعودون أكثرهم مجرح أو منهار ، فتضايق أرمنشاه من هذا وحزن وقال « أى رجـال هؤلاء ؟ اذا حاربناهم مجتمعين ما قدرنا عليهم ، واذا حاربناهم منفردين كان القتلى منا أكثر منهم ولا أدرى ماذا نفعل بهم ؟ ثم انشغلوا بالشراب ٠

## دبور يبكى على ايوانه وحصانه

فى الجانب الآخر أحصى جيش خورشيد شاه قتلاه فكانوا ثلاثة آلاف وسبعمائة ٠ وفى اليوم التالى على المعركة واليوم الذى تلاة قام الجانبان بسحب قتلاهما ودفنها ٠ وكان زلزال وأرمنشاه والأبطال يقفون للمشاهدة والاشراف ٠ ونظر دبور الى ناحية جيش خورشيد شاه وبكى فسأله ولوال واكبار « لماذا هذا البكاء » ؟ فأجابهما دبور « أننى أنظر الى مجلسى وقد صار للأعداء ، ثم أن جزنى على حصانى رخش

يفوق كل شيء حيث يركبه الأعداء ويقاتلوننا من على ظهره » . فقالا له « أيها البطل ، فليطمئن قلبك لأننا سنذهب الليلة ونستعيد لك حصانك رخش » فأثنى دبور على ولوال واكبار ونزل من فوق السور وتوجه الى قصره ، وحينما وصل الى بابه قال لولوال واكبار « وفيا بما وعدتما » فأديا التحية وقالا « السمع والطاعة » ثم عادا الى قصرهما وأخذا يعدان للذهاب لاستعادة حصان دبور .

من قضاء الله أن سمك العيار أخذ بعض أطباق الحلوى وأعطاها لغلمانه ووقف أمامهم وعصاه في يده وحنى ظهره وسار الى أن جاء قصر ولوال واكبار ودخل عليهما وأدى التحية لهما ووضع أمامهما أطباق الحلوى وتناول قليلا منها (١) فسأله ولوال واكبار عن أحواله وأجلساه أمامهما في مكان قريب منهما وقالا له « أيها الرجل ، اننا لا نريد لك التعب » فأدى سمك التحية وقال « بسعدكما واقبالكما لا يوجد لدى أى تعب من أى شيء ، ولا تجرؤ الريح على المرور من أمام دكانى » قال هذا ووقف يريد العودة ولكنهما قالا له « أيها الأستاذ تذكرنا دائما بالدعاء لأننا أخذنا على عاتقنا أمرا عظيما » . فقال سمك « أيها البطلان ما هو هذا العمل » ؟ فأجاباه « لقد تعهدنا لدبور أن نذهب الليلة ونستعيد له حصانه رخش » فقال سمك « أيها البطلان ، إنه لأمر عظيم أخذتماه على عاتقكما ، واذا أطعتمانى فلا شأن لكما بهذا العمل لأننى أعرف أنهم قوم مكارون وأذكياء وقد يصيبكما السوء ، فأرسلا شخصا ومعه عشرة مساعدين ليقوموا بهذا العمل ويبقى لكما قدركما » . فقالا « ليس هذا العمل مما يقوم به التابعون والأعوان » . فرد سمك قائلا « لا تفعلا هذا ولا تعرضا نفسيكما للأذى فأنا لا أرى هذا فى صالحكما » .

قال سمك هذا وظل جالسا يهز رأسه كأنه فى حيرة ، فأعجب ولوال واكبار برأيه وأرسلا رجلا استدعى بعض رجالهما وذكرا لهم أنهما تعهدا باستعادة رخش حصان البطل دبور ويحتاجان لرجلين عيارين ليقوما بهذا العمل . وتصادف أن بطلين أحدهما اسمه أرقم والآخر اسمه أدهم كانا بين الرجال فأديا التحية وتعهدا بالذهاب واستعادة حصان دبور » .

أثنى ولوال واكبار عليهما ، وحين رأى سمك هذا وقف وأدى التحية ثم خرج ، ولما عاد الى الثعلب والآخرين قال « أيها الأستاذ ، تحتاج الى

---

(١) كانت هذه العادة لاثبات خلو الطعام أو الشراب من السموم .

شخص يأخذ ابنتي القائم الى المعسكر ويحضر عند عودته رأس هذين الرجلين اللذين أخذا على عاتقيهما استعادة رخش حصان البطل دبور قاهر الشياطين » فقال الثعلب « أيها البطل ، ماذا تقول ؟ ان نحو مائة ألف رجل يعسكرون على أبواب المدينة ، والحرس كثيرون ، فكيف يمكن القيام بهذا العمل ؟ فقال سمك « أيها الأستاذ ، سأذهب بنفسى واصطحب ابنتي قائم وأحضر رأسي هذين الرجلين معى عند عودتى » ٠

وقف الثعلب وقال « ان قمت بهذا العمل فاننى ســـأعلن امام خورشيد شاه تبعيتى لك وأعترف بأستاذيتك ، وأشرب نخب سعادتك ، وأكون تلميذا لك » ٠ فقال سمك « أيها الأستاذ ، لا تدع هذه الأفكار تجد سبيلا الى نفسك ، فلو عشت مائة عام فاننى تلميذك وتابعك ، ولو قمت بألف عمل أعظم من هذا فلأننى تلميذك المطيع الذى يستنير باسمك » ثم قال « أيها الأستاذ ، من أى طريق جئت » ؟ فقال الثعلب « فى البرج الفلانى رجل اسمه عباد الشمس وهو منا ومن أصحاب قائم ، وحينما تصل الى ذلك المكان فناده باسمه وهو الذى سيسمح لك بالعبور فقام سمك وأخرج ابنتى قائم وقال لهما أيتها الفتاتان سوف أحملكما الى أبيكما فهل تعرفان السباحة » فأجابتاه « نعم نعرفها » فعاد وسألهما « هل تستطيعان السير طويلا » ؟ قالتا « نعم » وعندئذ أحضر لهما حزامى انقاذ (١) وألبسهما لهما ، ولبس هو سلاحه وقال لضياء « تولى ادارة الدكان ، واذا سأل عنى أحد فقولى له أننى أعمل فى الطابق الثانى فوق الدكان » وقال للثعلب « يا أستاذ ، ابق مع ورد فى الطابق الثانى واستريحا حتى أعود » ٠

قال سمك هذا وجعل الفتاتين تسيران أمامه الى أن وصل الى أسفل برج عبـــاد الشمس وكان الليل حالكا فنادى عباد الشمس الذى قال « من ينادى » ؟ فأجابه سمك « صديق » فنزل عباد الشمس وفتح الباب ونظر فرأى ثلاثة أشخاص فسألهم « من أنتم » ؟ فأجابه سمك « تابع من رجال قائم » فأدخلهم عباد الشمس الى بيته وقال « واأسفاه ، لا أدرى أين سمك الذى يتحدثون عنه كل هذا الحديث وقد اضطرب أمر المدينه الى هذا الحد وشاعت فيها الفوضى ، كما أن العوام الذى كان قد جاء ليأخذ ابنتى قائم قتل على أيديهم واختفت ابنتا قائم وسمك غافل عن كل هذا أو أنه عاجز ، كما ذهب قائم واستراح عند خورشيد شـــاه ولا أعرف فيما يفكر » ٠

---

(١) أحزمة الانقاذ من القماش بها قطع كبيرة من الفلين يرتديها المسافرون والبحارة فى حالة تعرضهم للغرق ٠

حين سمع سمك هذا قال « أيها البطل ، أنا سمك » فانحنى عباد الشمس على قدمي سمك وقال « أيها البطل ، أين كنت وتركت الأمر يصل الى هذا الحد » ؟ فقال له سمك « لا تقلق فانني لم أغفل وهاتان هما ابنتا القائم أحملهما الى أبيهما • ولكن هل تعلم ان كان أرقم وأدهم اللذان سيذهبان الى معسكر خورشيد شاه لاستعادة رخش حصان دبور قد ذهبا أم لا ؟ فقال عباد الشمس « أنهما لم يذهبا بعد وقد جئت من هناك حيث ذهب رجل لاحضار المفتاح من قصر الملك ليفتحوا لهما باب المدينـــة » •

بعد أن سمع سمك هذا أنزل الفتاتين من فوق السور ثم أمسك بالوهق ونزل عليه بعد أن قال لعباد الشمس « انصت جيدا للطريق حتى تساعدني عندما أعود » ثم سار ثلاثتهم الى شاطئ البحر وأحكموا أحزمة الانقاذ وعبروا الماء ثم ساروا الى أطراف المعسكر فلما اقتربوا من الطليعة كان جبل الديلم يتولاها فتقدم أليهم وقال « من أنتم ؟ ومن أين تجيئون ؟ فتكلم سمك وذكر علامة فعرفه جبل الديلم ونزل من على حصانه واحتضن سمك وقال له « أيها البطل ، من هذين » ؟ فأجابه سمك « انهما ابنتا قائم » قال هذا وسار الى باب خيمة قائم الذي كان جالسا وقد أوقد الشـــموع وهو يتناول الشراب مع أصـحابه ، فأوقف سمك الفتاتين في ناحية وقال لهما سأذهب لأحضر أباكما لأسلمكما له لأنه لا يجوز أن تدخلا في وسط هؤلاء الناس •

دخل سمك خيمة قائم في جرأة حتى أن أتباعه تقدموا اليه وصاحوا فيه قائلين « الى أين أنت ذاهب » ؟ فقال سمك « قولوا للبطل قائم أن رجلا يريد أن يتحدث معه » فأحاطه الأتباع بينما ذهب واحد منهم وأخبر قائم الذى نهض فوجد أعوانه وخدمه قد أحاطوا برجل فقال لهم « أين هذا الشخص » ؟ فقدموا له سمك وقالوا له « هو هذا الشيخ » وحين رأى سمك قائم أدى له التحية ثم همس في أذنه قائلا « أنا سمك العيار واحترس حتى لا يعرف أحد أنني جئت الى هذا المعسكر ، وقد أحضرت لك ابنتيك لأسلمهما لك » ثم أمسك يد قائم وخرج معه الى حيث كانت الفتاتان وقال له « هاتان ابنتاك سلمتهما لك وأخليت مسئوليتي وأنت حر معهما الآن » •

قال سمك هذا بينما ركز قائم نظره على ابنتيه وحينما التفت الى سمك لم يعثر له على أثر كأن الأرض ابتلعته • فأمسك قائم يدي ابنتيه وأدخلهما الخيمة وأخذ يســألهما عن أحوالهما فذكرت الفتاتات أحوال سمك وفتوته وشهامته فتعجب قائم من أعماله وأثنى عليه •

## سمك ينقذ خورشيد شاه

حينما خرج سمك من خيمة قائم كان يقول لنفسه « أين يمكن أن أعثر على هذين الرجلين » ؟ ثم أجاب على تساؤله بقوله « الماء نجده عند النبع ، فلأذهب الى المجلس وانظر هناك » قال هذا وذهب الى المجلس فلم ير أثرا لأحد الى أن وصل الى الاصطبل الخاص ، وبعد برهة رأى هذين الرجلين قادمين الى أن اقتربا من الخيل وجاء أدهم وأخرج شيئا من حزامه ووضع بعض العلف فى كيس ثم أضاف اليه ذلك الشيء ثم قدمه لحصان أسود فلما أكل منه استكان الحصان فقال سمك لنفسه « ما هذا الذى أخرجه من وسطه وجعل الحصان هكذا ؟ ان كل شيء يتعلمه الانسان يكون أفضل له لأننى لا أعرف هذا الدواء ولم أسمع عنه ولكنه مفيد جدا » . وحين انتهى الرجلان من الحصان الأسود ارادا الذهاب الى رخش فلما اقتربا منه رفع رأسه ووجدهما غريبين فصهل صهلة وصلت الى كل مكان . وكان خورشيد شاه نائما عند غدير وحينما سمع صهيل الحصان قفز من فراشه واستل سيفه وخرج فى قميص من حرير وذهب للأصطبل ، فلما لمحه أدهم اختبأ فى ركن وقال لنفســــه « هذا ليس بالرجل الذى يضيع حياته هباء ، ولهذا يجب أن أبقى مختبئا فى هذا الركن حتى يهدأ الحصان » وظل أدهم فى مكانه ولكن رخش كان يرى الشخص الآخر أيضا فلم يهدأ وسلط عينيه عليه ورفع أذنيه . وكان خورشيد شاه يركز بصره على رخش وقال لنفسه « لابد أن شخصا يقف فى ركن من الأركان » ثم ذهب ووقف أمام رخش وكان سمك يقف بعيدا وينظر الى كليهما فقال لنفسه « فلأقتل هذا ثم أفكر فى الآخر » .

حين فكر سمك فى هذا تقدم فى هدوء من خلف أرقم وطعنه بخنجره فى ظهره طعنه خرجت من صدره فسقط ولم يتحرك ، كما لم يشعر أحد بهذا . ثم جلس سمك هناك حتى انقضت فترة من الوقت ولم ير خورشيد شاه أحدا وأراد العودة الى خيمته وعندئذ تبعه أدهم لكى يطعنه فلما إقترب منه رآه سمك وهو ممسك بخنجره فصاح قائلا « لا تطعن أيها الجبان قطعت يداك » فلما وصل هذا الصوت الى خورشيد شاه التفت خلفه فرأى شخصا شاهرا خنجره وكان يسير خلفه ليطعنه وكان السيف فى يد خورشيد شاه فضرب به يد أرقم التى طارت فى الهواء مع الخنجر بينما كان سمك قد وصل اليه فطعنه وأرداه قتيلا . وعلى هذه الحركة والضوضاء حضر الخدم مسرعين يحملون الشموع فرأوا خورشيد شاه واقفا وشخصا آخر يقف بعيدا عنه وفى يده خنجر ورجلا قتيلا فصاح فيه خورشيد شاه قائلا « من أنت » ؟ ذلك أن سمك كان قد صبغ لحيته وجعلها بيضاء ، وما كاد يقول أنا سمك العيار عبد خورشيد شاه حتى

ذهب اليه خورشـيد واحتضنه والفرح يغمره وقال له « أسـعدك الله يا أخي الحبيب ، وكان الله في عونك دائما كما أنك عوني في كل أمر ودرعي أمام كل بلاء ، ما هذه الحادثة ؟ ومن هذا الميت ؟ ومن أين جئت في هذا الوقت ؟ فأجابه سمك « أيها الملك ، لا وقت للحديث الآن لأن ورائي عمل هام ولكن تنبه فلا أنت رأيتني ولا أنا رأيتك ومساء الغد استمع الى لأروي لك ما حدث ، فان أراد الله فغدا مساء سوف أعود بالملك فغفور مع البطل دبور ، والآن مع السلامة » . قال هذا وقطع رأس أدهم ثم ذهب الى جثمان أرقم ففصل رأسه أيضا ثم قال لنفسه « ما ذلك الشيء الذي كان قد أخرجه من وسطه ووضعه في كيس العلف حتى جعل الحصان يستكين لعلني أتعلمه أيضا » . ثم مد يده في وسطه فرأى كيسا وأخرجه وفتحه فرأى فيه شيئا كبذور الكتان وحاول أن يعرف ما هو وفي أي شيء يستخدم الا أنه لم يستطع ، فحمل الكيس وعاد في طريقه ، وعبر خندق المدينة الى أن وصل الى برج عباد الشمس .

قذف سمك وهقه وصعد فرأى عباد الشمس جالسا ، وحين رأى هذين الرأسين قال له « أيها البطل ، رأسا من هذان ؟ فأجابه سمك « انهما رأسا هذين الرجلين اللذين ذهبا لاحضار الحصان » فقال له عباد الشمس « أعانك الله ورعاك » ثم نزل سمك من البرج وذهب الى قصر ولوال واكبار وعلق الرأسين على بابه وبعد ذلك عاد الى الثعلب وضياء وورد ففرحوا حين رأوه وسألوه عن أحواله فذكرها لهم سمك فدعـــوا له .

حينما انقضى الليل وطلع النهار وخرج ولوال واكبار شاهدا الرأسين معلقين على باب القصر ، ولما دققا النظر وجدا أن أحدهما رأس أدهم والآخر رأس أرقم فقالا من الخير أننا لم نذهب ويجب أن نخبر زلزال بهذا . وحينما أخبراه سألهما « وكيف وقعت هذه الحادثة » ؟ فذكر له ولوال واكبار قصة حصان دبور وأنهما كانا قد ذهبا لاستعادته . فقال لهما زلزال « ما هذا الكلام ؟ قتلوهما في معسكرهم ثم أحضروا رأسيهما الى المدينة ؟ كيف يمكن أن يحدث هذا ؟ لعلهم نزلوا من السماء أو أنهم قتلوهما في المدينة قبل أن يذهبا » فقال ولوال واكبار « أيها الملك ، لقد ذهبا أمس . ثم أن المفتاح كان في قصر الملك وجاء رجل وأخذه وخرج هذان الرجلان من الباب » . فأرسل زلزال رجلا أحضر حارس باب المدينة وســـأله « هل خرج أرقم وأدهم أمس أم لا ؟ قال الحارس « نعم خرجا » .

بينما كانوا في حديثهم هذا وصل كيكان الجاسوس الذي كان مسموحا له بالمجيء والذهاب في أي وقت يشـاء وكان يقول كل شيء

ويستمع الى أى شيء فقال له زلزال « من أين أنت قادم » ؟ فأجاب « أيها الملك ، لقد بحثت فى المعسكر كله عن سمك فلم أعثر عليه فى أى مكان ، وأمس رأيت رجلين مقتولين على مقربة من خيمة خورشيد شاه » . فقال زلزال « لقد كانا أرقم وأدهم » وأخذ يتحسر عليهما .

## الصراع بين أصحاب العلم الأحمر وأصحاب الأسود

أدى ولوال واكبار التحية وقالا « أيها الملك ، اليوم نوبة الحرب وسوف نخرج العلم الأسود » . فأجابهما زلزال « أنتما أعلم بما تفعلان » فقالا أيها الملك ، بشرط أن نقتل أى أحد من أصحاب العلم الأحمر حيثما وجدناه » فقال شهران الوزير « ليس من الخير اهدار دماء الناس ، وأعرف أن نصف المدينة من حمر الأعلام ولهذا ستقوم ثورة فى المدينة وليس هذا وقتها أو أن نهلك ناسها . فقد كانوا لنا مددا وعونا ، كما أنكم ان فعلتم هذا فان كل من كان له ولو نقاش ذات يوم مع شخص ما فانهم سيقتلون بعضهم البعض بهذه الحجة والذريعة وسيقع عليكم اللوم » .

قالوا هذا وخرج ولوال واكبار من عند الملك وهما فى سعادة وسرور لأن سود الأعلام سيخرجون للقتال ، وكان الناس فى سلاحهم فتوجهوا الى قصر ولوال واكبار بينما أخذ حمر الأعلام فى البكاء والنحيب مع أنهم كانوا مختفين .

أراد الله سبحانه وتعالى أن رجلا عيارا فتيا كان اسمه محارب ، وكان من حمر العلم حينما سمع هذا الكلام قال لنفسه « واأسفاه لو جاءنا مدد لما تركناهم يخرجون علمهم حتى لا يتم عملهم » ثم تذكر أن اثنين من رفاقه فى المدينة ويعرف مكانهما وكان أحدهما اسمه لعلان والآخر اسمه الحداد . فأرسل محارب شخصا ليحضرهما فقالا له كيف يمكننا المجيء فى وضح النهار وفى المدينة هذه الضجة والاضطراب ؟ فرد عليهما محارب أن ليس هناك فرصة أنسب من هذه للتضحية حيث ستكون النهاية هى الشهرة وذيوع الصيت وعقلاء الدنيا لم يأخذوا من الدنيا الا طيب الذكر ، وهناك أربعة أشياء تبقى على الدهر أولها السخاء وثانيها العفة وثالثها الصدق ورابعها معرفة قدر كل شخص » .

بينما كانوا فى هذا الحديث جاء لعلان والحداد الى محارب فشاهداه يبكي فقالا « أيها البطل ، لماذا هذا البكاء » ؟ قال « ان ولوال

واكبار سيخرجان بالعلم الأسود فكيف يمكنني رؤيته ، وأي داع لاخراج العلم الأسود بدلا من العلم الأحمر ولهذا فسوف أذهب الآن وأضحي بروحي لعلني أستطيع تمزيق العلم الأسود » • فقال لعلان والحداد « أيها البطل ، ما مناسبة هذا الكلام ؟ مدينة كهذه في قمة الاضطراب وكل هؤلاء الجند الذين لا يوجد واحد منهم من أتباعنا والأكثرية من أصحاب العلم الأسود ، فكيف يمكن أن نشتبك معهم في قتال ؟ دعهم هذه المرة يحتقون هدفهم وعندما يحين الوقت نمزق علمهم تمزيقا » •

قال محارب « سأضحي بروحي لأنني لا أستطيع رؤية العلم الأسود فأما حققت أملي واما لقيت حتفي فاتخلص مما في قلبي من ألم وحسرة » فقالا له « نحن من تابعيك نفعل ما تقوله لنا وسنصاحبك لأن أرواحنا ليست أعز لدينا من روحك » فأثنى عليهما محارب ولبسوا سلاحهم وحملوا خناجرهم وخرجوا من المنزل وقالوا لبعضهم « نحتاج الى مكان فسيح » وقال محارب انني أعلم الى أي مدى أقوم بهذا العمل ولكن عليكما حماية ظهري فقالا « السمع والطاعة » •

سار محارب أمامهما حتى وصلوا الى دكان سمك الذي كان في مركز تقاطع السوق وكان مكانا متسعا ، ووقف ثلاثتهم وكانت الضجة والضوضاء تملأ المدينة ، وكانت نسوة المدينة على أسطح منازلهن ومعهن أطباق بها نثار لينثرنه على العلم ، وكان حاملوا العلم قد طافوا بنصف المدينة وجاء الدور على المنطقة التى أمام دكان سمك حيث كان خاصة رجال السوق هناك وفجأة تصاعدت أصوات ووصل فرسان ومروا من أمامهم ثم تصاعدت دقات الطبول التى كانت مصاحبة للعلم الأسود وحوله كثير من الناس ، فلما مروا اندفع محارب خلفهم وطعن حامل العلم بخنجره فصرعه ثم أمسك العلم ومزقه •

كان سمك ينظر اليه ويثني عليه ، بينما التف حولهم الرجال وحاصروهم فأعمل محارب الطعن فيهم بخنجره ، فكان يقتل من على يمينه ومن على يساره ، ثم رأى زقاقا فاندفع فيه ، وذاع في المدينة خبر تمزيق العلم الأسود فاتجه كل الناس الى هناك ، ولما كان محارب قد حقق ما كان يصبو اليه وكان لعلان والحداد يحميان ظهره فقال لهما « يا أخواي انظرا ان كان هناك أى باب مفتوح في هذا الزقاق وسأحمي أنا أول الزقاق وحافظا أنتما على نفسيكما • وكان محارب واقفا على أول الزقاق وهو يقاتل والناس في عجب من مهارته وجرأته وخفته في الحركة والقتال الى أن جاء لعلان والحداد الى وسط الزقاق فشاهدا بابا مفتوحا وامرأة

جالسة تبكي وحين رأت هؤلاء الفتيان قالت « يا أحرار الرجال ، ادخلوا هذا البيت لأن ما فعلتموه لا يستطيع أحد غيركم فى هذه الدنيا أن يقوم به » فقالوا « يا أماه ، احرسى هذا الباب » وصعد محارب ولعلان والحداد الى السطح وذهبوا ولم يجرؤ أحد على تتبعهم خوفا منهم ، بينما قال محارب لرفيقيه « يجب علينا أن نهرب » ٠

أخذ ثلاثتهم يقفزون من سطح الى سطح وقد أثخنتهم الجروح وأرهقهم القتال حتى وصلوا الى السور فشاهدوا أربع نساء يبكين وحين رأينهم دعون لهم فقال لهن محارب « يا أخواتى ، من أى قوم أنتن حتى تبكين ؟ فأجابته أحداهن « أنا زوجة العوام الذى قتلوه منذ ليلتين أو ثلاث ٠ وهاته النسوة من أقاربى » فقال محارب « نحتاج الى مكان نختبىء فيه والا ذهبنا الى مكان آخر » فقالت المرأة « عندنا مكان » وأدخلتهم البيت ثم نزلت وفتحت باب مطمورة أنزلتهم فيها وضمدت جراحهم وآتتهم بطعام وضعته أمامهم فأكلوا وخلدوا للراحة فى تلك المطمورة تحت الأرض ٠

فى الجانب الآخر ، رأى ولوال واكبار أن كثيرا من الناس قتلوا والعلم الأسود مزق تمزيقا وقد أخذ الجيش العلم وحاول أن يخيطه فلم يصلح للمخيط فحزنوا بينما أخذ الكثر من الأعداء والأصدقاء يثنون على محارب والمهارة التى أبداها أثناء المعركة ٠

أثنى سمك والثعلب عليهم وقالا لقد أحسنوا القتال كما أجادوا الفرار ثم قال سمك « أيها الأستاذ ، أرأيت ذلك الذى كان فى المقدمة وكيف كان يستخدم الخنجر » ؟ وقالت ضياء « ذلك الذى كان يضرب بالخنجر ويحمى نفسه كان أفضل » وقالت ورد « أحسن شىء أنهم قاموا بهذا العمل ونجوا بأنفسهم من وسط كل هؤلاء الناس ولم يستطع أحد أن يمسكهم » ٠ فقال الثعلب « أحسن شىء أن هؤلاء الناس عندما تنبهوا كان الرجال الثلاثة قد مزقوا العلم الى قطع ، ولم أر فى حياتى مثل هذه الشجاعة والجرأة والأقدام ، وأن يقوم رجل بمفرده وسط عدة آلاف من الرجال بهذه الأعمال » ٠

كان كل منهم يبدى رأيه فيهم ويمدحهم الى أن وصل الخبر الى زلزال فانتابه الحزن وقال « كيف يمكن أن يحدث هذا ؟ كم كان عدد هؤلاء الرجال الذين قاموا بهذا العمل ؟ أجابوه « كانوا ثلاثة رجال » ٠ فقال زلزال « كل هذه المعركة قام بها ثلاثة ؟ ألم يكن ولوال واكبار مع الرجال ؟ ثم أى أناس كانوا ؟ أجابوه « أيها الملك ، كانوا لعلان وحداد

ومحارب القصاب هم الذين قاموا بهذه المعركة ، وقتلوا من قتلوا وفى النهاية هربوا » فتعجب الأبطال وقال زلزال « انهم لم يغادروا المدينة بعد فابحثوا عنهم ولن نحارب اليوم لأن الوقت تأخر ولا يمكن أعداد الجيش للقتال » ٠

حين انتهوا من هذا الحديث كان ولوال واكبار قد عادا الى قصرهما والحزن غالب عليهما وقالا لنفسيهما « ما هذا الذى فعلناه » ؟ عدة آلاف ولم نستطيع أن نواجه ثلاثة الى أن تمكنوا من تمزيق العلم وأساءوا الى سمعتنا ، والآن ماذا نفعل ؟ فقال اكبار « أنهم لم يغادروا المدينة وغدا نختار الرجال لنبحث عنهم فى كل البيوت الى أن نتمكن من القبض عليهم لأنه كيف نمسكهم خارج المدينة ان كانوا غادروها ، وعلينا أن نعمل على حماية أنفسنا فلعلنا نمسك أحدهم » ٠

فى الجانب الآخر كان لعلان والحداد ومحارب فى بيت العوام الى أن حل الظلام فقال محارب « أيها الاخوان ، علينا أن نذهب الى قصرنا ونبذل جهدنا لنحضر علمنا الأحمر لأنهم ربما دفعهم حقدهم للذهاب الى هناك وتمزيقه » فقال لعلان والحداد « حسن ما قلت » ثم خرجوا من بيت العوام لاحضار علمهم الأحمر لعلهم يستطيعون حمله ومغادرة المدينة ٠

يقول مؤلف الأخبار ان سمك قال للثعلب وورد وضياء « علينا أن نذهب الليلة ونحضر رأسى ولوال واكبار لأنهما عدوان خطران لنا وبعد ذلك نتفرغ لموضوع دبور والفغفور لأنه مضى علينا وقت طويل ونحن نهدبر لهذا الأمر » وقال الثعلب « أيها الأستاذ ، هل رأيت ما أبداه أولئك الفتيان اليوم من أقدام وشجاعة وهو ما لا يستطيع أى شخص آخر أن يفعل مثله فى الشجاعة والاقدام » ٠ كانا يقولان هذا وهما يسيران الى أن وصلا الى أول ذلك الزقاق ، فقال سمك « أيها الأستاذ ، ذهب هؤلاء الفتيان فى هذا الزقاق ليتنى أراهم أو أصل الى خدمتهم ، وأنا لا أعرف فى أى بيت دخلوا لكى أذهب للبحث عنهم » وبينما كانا فى حديثهما هذا خرج محارب ولعلان والحداد من ذلك الزقاق فشاهدا شخصين يقفان على أوله فقال محارب لرفيقيه « انتظرا هنا حتى أرى من يكونان ؟ من الأصدقاء أم من الأعداء ؟ وحين تقدم نحوهما ودقق النظر رأى رجلين غريبين فعاد وقال لرفيقيه أنهما رجلان غريبان جاءا من جيش خورشيد شاه » ٠

عاد محارب اليهما وصاح فيهما فصاح فيه سمك وتقدم اليه فقال لهما محارب « أيها الرجلان ، من أنتما ؟ معرفة أم أغراب ؟ ولا يجب أن

يكون الأمر شيئا آخر لانكما تبدوان غريبين » فقال له سمك « من أنتم ؟ فقال محارب القصاب « أنا من أتباع قائم واسمى محارب القصاب » وحين سمع سمك اسمه أدرك أن هؤلاء الرجال هم الثلاثة الذين قاموا بذلك العمل البطولى » فقال لهم « أيها الأبطال ، أنا خادمكم ، اسمى سمك العيار » فتقدم محارب ولعلان والحداد وعرفوه بأنفسهم ثم خروا على قدميه وقالوا « أيها البطل ، لماذا أنت هنا ولأى سبب جئت ؟ أجابهم سمك « جئت لأمر ما ، أما أنتم فلكم الثناء على ما قمتم به اليوم ، ولكن لماذا خرجتم الآن ؟ قال محارب لقد أحسسنا بخوف ونحن ذاهبون لعلنا نستطيع اخراج علمنا الأحمر ونوصله الى قائم » فسألهم سمك « وأين يوجد هذا العلم لأننى لم أره فى قصر قائم أو حديقته » فقالوا « انه فى قصر الصاحب صديقه وموضع ثقته » . فقال لهم سمك « سـآتى معـكم » .

سار خمستهم الى قصر الصاحب وقال لهم سمك « احرسوا المكان » . ثم تقدم واختار مكانا مناسبا وقذف الوهق ثم صعد الى السطح وصعد خلفه محارب فسأله سمك « أين يوجد العلم » ؟ فأجابه محارب « انه فى الحديقة » فذهبا الى هناك فشاهدا العلم مرفوعا فقال سمك « يا محارب ، ادع صاحبيك الى داخل الحديقة » فسر محارب من هذا ودعا صاحبيه الى داخل الحديقة وأنزلوا ذلك العلم وكان يزن مع ساريته أكثر من مائة وخمسين منا وعندئذ قال سمك « لا يجب أن نحمل هذه السارية » ثم فك العلم وجعله على كتفى محارب أما السارية فقد حملها الثغلب من طرف ولعلان من الطرف الآخر وتقدم سمك ومحارب أمامهما الى ان وصلوا الى أول الزقاق فرأوا شخصا واقفا فلما نظروا جيدا شاهدوا فى يده رأسا مقطوعا فقال لهم سمك اتركا هذه السارية الآن حتى نعرف من يكون ذلك الشخص .

## نهاية جاسوس .... وكل جاسوس

تقدم محارب وصاح فى ذلك الشخص ، كما صاح فيه ذلك الشخص أيضا فوصل صوته الى سمك فقال لمحارب تمهل لأن الرجل صديق وتقدم سمك فرأى ضياء على ذلك النحو فقال لها « يا أختاه ، لماذا خرجت الآن ورأس من هذا » ؟ فقالت ضياء « أيها البطل ، حينما خرجت تملكتنى الرغبة أيضا فخرجت خلفكما وحين وصلت الى هذا المكان رأيت شخصين وسمعتهما يتجاذبان أطراف الحديث فأنصت لهما وقال ذلك الرجل « ان سمك لا يمكن العثور عليه وقد أمر زلزال واكبان أن نبحث عن

محـــارب والآخرين وفي أى بيت يختبئون وعليك أن تبحث في جميع القصور والبيوت لتعثر عليهم ونرسل للملك لكي يبعث رجاله ويأسروهم » وأخذت استمع اليهما حتى أتما حديثهما فلما نظرت اليه وجدته كيكان الجاسوس وامرأته فقتلت كيكان لأنه عدونا اللدود وأرادت زوجته الفرار فألحقتها به وهذا رأس كيكان الجاسوس وزوجته ملقاة هناك » .

قال لها سمك « عودى الى مكانك وقومى بعملك الآن » فسألته ضياء « أيها البطل ، ما هذا الذى معكم ومن هؤلاء ؟ أجابهـا ســـمك « يا أختى ، هذا هو محارب القصاب والحداد ولعلان الذين قاموا بكل تلك الأعمال أمس وهذا العلم لقائم سوف نحمله للمعسكر لأنه علمهم الأحمر » فعادت ضياء الى الدكان . وقال سمك لمحارب القصاب « لنترك هذه السارية ونحمل العلم الى المعسكر حيث سنجد سارية هناك » فقال محارب « أيها البطل ، ليس الهدف هو تلك الخشبة ، ولكنهم منذ صنعوا العلم وهو مرفوع على هذه السارية الخشبية وقد صنعوهما معا ولا مفر من أن تكون السارية مع العلم » . فقال سمك « فلنحملها اذن » .

قال هذا وحملوا السارية وذهب سمك الى برج عباد الشمس ودق الباب فجاء عباد الشمس وفتح الباب ونظر فرأى سمك وأدى التحية وسأل « ما هذا » ؟ فقال سمك « العلم الأحمر » ففرح عباد الشمس ودعا لسمك الذى قال « يا محارب » أحمل أنت ولعلان والحداد العلم الى معسكر خورشيد شاه حتى أعود للمدينة لأنى تركت عملا هاما هناك » فأجابه محارب « أيها البطل ، لقد تم هذا العمل بسعدك واقبالك ولهذا يجب عليك المجيء معنا وحمل العلم الى المعسكر لأن منزلة هذا العـلم راسخة عظيمة » فقال سمك « سآتى معكم » ثم قال للثعلب « أيها الأستاذ ، عد الى ضياء وارعيا الدكان حتى لا يعلم أحد عن أمرنا شيئا وسأعود اليكم سريعا » .

حين قال سمك هذا عاد الثعلب بينما أنزلوا هم العلم وساريته ثم حملوهما الى أن وصلوا الى أطراف المعسكر وكان هرمز على الطليعة فصـــاح فيهم أن من أنتم ؟ فتقدم ســـمك وأدى التحية وحـين رآه هرمز ترجل عن حصانه واحتضنه وسأله عن أحواله وعمن معه وعن تلك السارية التى يحملونها فقال سمك « انهم أبطال أصحبهم الى خورشيد شاه ، وهذا هو العلم الأحمر » فأركبهم هرمز وتوجهوا الى المجلس وكان قد أخبر عن قدومهم ، فخرج خورشيد شاه من عند غدير وحين رأوا الملك أدوا له التحية واحتضن خورشيد شاه سمك العيار وقبله وسأله عن أحواله فقال سمك « أيها الملك ، باقبالك وسعدك أحضرت العلم

الأحمر وهؤلاء الأحرار هم الأبطال الثلاثة فارعهم لأنه لا وقت للكلام لكى أقص عليك ما أبدوه من شجاعة وما أظهروه من بطولة ، ولا تدعهم يتركون خدمتك لأننى هم وهم كأنهم سمك ·

كان قائم يتحدث كل يوم عن العلم الأحمر فتشوق خورشيد شاه لمشاهدته ولهذا قال لهم فى الحال اذهبوا واحضروا قائم « فأدى محارب التحية وقال « أيها الملك ، احذر أن تخبرهم بالليل لأن رجالنا كثر ، واذا سمعوا هذا الخبر فان المعسكر سيعمه الاضطراب وفى هذا ما يفسد عمل سمك ، فارفع هذا العلم على باب مجلسك حتى اذا حضر رجالنا فى الصباح فرحوا بأنفسهم » وعندئذ أدى سمك التحية وقال « أسعد الله الملك اذ سأعود الآن للمدينة » ·

عاد سمك ولما وصل أسفل برج عباد الشمس وجده جالسا فى انتظاره فانزل اليه الوهق فتسلق سمك عليه ثم نزل من البرج وتوجه الى دكانه وحينما وصل الى ضياء وكان النهار قد أضاء بحث عن الثعلب فلم يجده فسأل ضياء عنه فقالت انه كان معك ولم يرجع فقال سمك « واأسفاه لقد تحقق ما كنت أخشاه فبعد أن طلبت منه الرجوع اليك ندمت لأننى أحسست أن شيئا سيحدث له ، وقد حدث ، فما العمل الآن ؟ لم أكد أتخلص من هم حتى وقعت فى هم آخر · لقد كنت أخشى أن يقع فى أيديهم » فقالت ضياء « وما العمل ، ابق حتى يرتفع النهار وتتضح الأمور أمسكوه أم قتلوه » ·

قالا هذا والحزن يسيطر عليهما حتى أطلت ملكة النور بوجهها من وراء الأفق ، وتحول الظلام الى ضياء ، وخرج كل شخص ليبحث عن رزقه ، فذاع فى المدينة أن رجلا وامرأة قد قتلا وذهب ولوال واكبار لمشاهدتهما فوجداهما كيكان الجاسوس وامرأته ، وكانا قد خرجا من عندهما ليلة أمس ورجع ولوال واكبار وذهبا الى المجلس حيث كان الملك زلزال والآخرون قد حضروا فأديا التحية ثم قالا « أيها الملك ، بالأمس قتل كيكان الجاسوس وامرأته ، ونعلم ان الذى قام بهذا العمل هم حمر العلم فأذن لنا أن نخرج العلم الأحمر من قصر الصاحب ونمزقه ، فطالما أن علمنا قد مزق فلنمزق علمهم أيضا » ·

قال الملك زلزال « لا يجوز أن نقدم على هذا العمل لأنهم صنعوا هذين العلمين من زمن الاسكندر ، فان كان أحد العلمين قد انتهى فليبق الآخر موجودا لأنه ذكرى للملوك ، ويقولون أنهم عندما يضعون أساس

مدينة الاسكندرية (١) أمروا بصنع هذين العلمين وجعلوا علما لكل مجموعة كانت تمتلك نصف المدينة ولما أتموا البناء بقى هذا التقسيم حتى وقتنا هذا » • وحين انتهى زلزال من هذا الكلام أمر أصـــحابه الذهاب واحضار ذلك العلم قبل أن يذهب أحد ويمزقه وقال لهم عندما تخرجون العلم الأحمر من قصر الصاحب أحضروه الى قصرى » • فذهب بعض الرجال الى قصر الصاحب ليحملوا العلم الأحمر من هناك الى قصر زلزال ولما بحثوا عنه لم يعثروا عليه فعادوا الى الملك زلزال وأخبروه أنهم لم يجدوه فقال له ولوال واكبار « أيها الملك ، أطلبه من الصاحب » • فأمر زلزال رجاله أن يأتوا بالصاحب ، فلما حضر أدى التحية وسأله زلزال عن العلم الأحمر فقال له الصاحب « لا أعلم » وكانوا يعرفون أنهم عندما أخذوا العلم الأسود بالأمس كان العلم الأحمر فى مكانه فأمر زلزال بالقبض على الصاحب لفقده للعلم وتواطئه مع الآخرين • فقال الصاحب « أيها الملك ، اننى لم أتواطأ معهم أو أصادقهم وأنا لا أفرق بين العلم الأسود والعلم الأحمر فهما عندى سواء وكان موضوعا فى قصر أبى منذ القدم وكان مازال موضوعا ، فان كان قد اختفى فلا أعرف شيئا عنه اذ كان بالأمس واختفى اليوم وهذا أمر عجيب » •

قال زلزال « قيدوا ابن الحرام هذا لأنه أخفى العلم » فلما قيدوه قال زلزال « قل الصدق ، أين العلم » ؟ فأجابه الصاحب « أيها الملك لا أعلم شيئا عنه ولكن علمى وسعدى هو وجودكم وأنا خادمكم » فقال زلزال « انه يكذب ، احملوه واشنقوه » • فحملوا الصـــاحب البرىء وشنقوه •

أمر الملك زلزال بعد ذلك فأقاموا مجلسه فوق سور المدينة وتوجه الجميع الى هناك وكان سمك يرى هذا فقال « يا ضياء ، سوف أنقل الدكان وأقيمه فوق السور » وقام وذهب الى السور وصعد فوقه وأقام دكـــانه •

فى الجانب الآخر فانه عندما عاد سمك من عند خورشيد شاه وأمر الملك فرفعوا العلم الأحمر على باب مجلســه وحين أضـــاء النهار ذهب خورشيد شاه وجلس على عرشه وتوجه قائم مع بعض أتباعه الى المجلس رأوا العلم الأحمر مرفوعا بينما وقف تحته محارب القصـــاب ولعلان والحداد ، ففرحوا وسعدوا ودخل محارب والآخرون لتحية خورشيد شاه

---

(١) أسست زمن الاسكندر وتسمى الاسكندرية القصوى ثم سميت فى العصر الاسلامى خوقند وسماها الروس لينين اباد وهى الآن فى جمهورية تاجيكستان •

وخدمته فسألهم قائم « هل أنتم الذين أحضرتم هذا العلم » ؟ فأجاب محارب « أيها البطل ، لقد كنا مرافقين للعلم ، ولكن الذى أحضره هو بطل العالم سمك العيار » فأثنى عليه قائم وإقاموا الأفراح بهذه المناسبة وأعربوا عن سعادتهم بعلمهم ٠

فى الجانب الآخر فان زلزال وأرمنشاه والآخرون كانوا قد جاءوا الى سطح السور فقال ولوال واكبار « أيها الملك ، أردنا بالأمس الخروج من المدينة ولكن وقعت تلك الأحداث الأليمة ، فنستأذن للخروج اليوم لأن النوبة علينا فى محاربة القوم » فقال لهم زلزال « أنتما أعلم بهذا » ٠ فخرج ولوال واكبار والخورى أحد أمراء الوديان الاثنى عشر على رأس جنودهم وصعد زلزال وأرمنشـــــاه ودبور وقزل ملك وشهران الوزير وبرامد الوزيد وبقية الأبطال على حافة السور وأخذوا ينظرون نحو ساحة القتال عندما دقت طبول الحرب ونفخت أبواق القتال ٠

فى الجانب الآخر أمر خورشيد شاه فخرج الجيش وتوجه الى ساحة المعركة ، فلما سووا الصـــفوف فى الجيشين ووقف القادة فى المقدمة جعلوا الرماة خلفهم وجعلوا حملة الرماح فى ظهر الرماة ، حمل قائم ومحارب القصاب وأصحابهما العلم الأحمر وجاءوا به الى الميدان ووقفوا على ميهنة الجيش فرأى زلزال والآخرون العلم الأحمر فتعجبوا وقال بعضهم للبعض الآخر « كيف أخذوه ؟ أما ولوال واكبار فانهما حين شاهداه بهتا وقال كل منهما لنفسه « كيف يمكن أن يحدث هذا ؟ بالأمس كان هذا العلم بالمدينة ، واليوم يرفعونه فى ميدان القتال ، وأسفاه على الصاحب الذى شنقوه دون جريرة فلم يكن لديه أى خبر عمن أخذ العلم بالحيلة » ٠ وبينما كانا فى هذا الحديث مع النفس خرج من تحت العلم فتى ماهر شاطر كان يلبس دروع المشاة وساقاه ملفوفان بساقين ، ووضع خوذة على رأسه ، وعلق فى ذراعه قوســـا وعلى ظهره جعبة السهام ، وجعل فوق هذا كله درقا ، كما أغمد خنجرا فى وسطه وعلى هذا النحو دخل ساحة القتال ونادى قائلا « الى كل من يعرفنى ومن لا يعرفنى فأنا محارب القصاب ، عبد خورشيد شاه ، ومن أحباء سمك العيار ، وأنا الذى قاتلت فى وسط المدينة على النحو الذى تعلمونه جميعا ، فليدخل من هو أشجعكم حتى نرى الشجاعة » ٠

حين رآه زلزال وسمع ما قال ، وكان قد رآه من قبل فى شجاعته بلا أمثال ، قال فليذهب أحدكم الى ميدان القتال ويسأله هذا السؤال وهو كيف أحضرت هذا العلم ، فهو رجل فتى يقول الصدق ولا يكذب » فدخل رجل الى الميدان وقال « أيها الرجل الحر ، لم أدخل للقتال ولكن

الملك زلزال يقول لك « ان كنت رجـــلا فاصـــدقنا القول هل أنت الذى أخرجت هذا العلم من المدينة أو أن أحدا غيرك أخرجه ؟ فقال محارب « وهل يستطيع شخص أن يقوم بهذا العمل الا مقدم الشجعان وقمة العيارين سمك العيار ؟ ولكننى كنت معه » • فرجع ذلك الرجل وأعاد ذكر ما قاله له محارب فتعجب زلزال وأرمنشاه والآخرون من هذا العمل وقالوا علم كهذا لا يستطيع عدد من الرجال حمله فى وضح النهار كيف استطاع سمك حمله فى ظلمة الليل ؟ لعل سمك هذا ساحر • وبينما كانوا يتحدثون فى هذا قال شهران الوزير « أنتم لا تعرفون سمك وأى نوع من الرجال هو ، لقد يسر الله له الأمور حتى أنه فعل فى مدينتى الصين ومنغوليا كثيرا من الأعمال ولم يره أحد ، والأعجب أنه يقوم بهذه الأعمال وهو غير ظاهر » •

كانوا فى هذا الحوار بينما كان محارب فى الميدان يطلب رجلا للنزال ، وكان محارب فى رمى السهام بلا نظير وكان دائما يتنافس مع قائم لأن قائم كان ماهرا فى رمى السهام ، فدخل رجل من جيش زلزال لكى يقاتل محارب ولم يكد يدخل الميدان حتى أرسل له محارب رسولا يمنعه حتى لا يتقدم أكثر من هذا ، اذ أصابه السهم فقتله حيث كان ، فتعجب الجيشان من هذا وتوجه آخر للميدان فرماه محارب بسهم فقتله وهكذا كان كل من يتقدم لا يدعه محارب يخطو خطوة نحوه قبل أن يرميه بسهم يقتله حيث هو الى أن قتل سبعة عشر رجلا من جيشى ولوال واكبار ولم يتمكن واحد منهم من الاقتراب منه بينما كان محارب يصيح ويطلب رجلا للنزال فانطلق الخورى وهو أمير من الوديان الاثنى عشر بحصانه الى الميدان وكان حصانه أبيض اللون عليه درع من حافره حتى رأسه ، وعندئذ قال الجبالى وجهاد لخورشيد شاه « أيها الملك ، استدع محارب لأنه كامل القوة والشـــجاعة ويعرف أساليب رمى السهام جيدا ومن المؤسف أن يضيع رجل كمحارب خاصة والخورى راكب ومحارب على قدميه » •

بينما كانوا فى هذا الحديث أطلق محارب سهما لاستقبال الخورى فصده ، فرماه بسهم ثان فصده أيضا ثم أتبعه بثالث فتلقاه الخورى بدرعه وقال له « أيها الرجل الحر ، الق سلاح الجبناء من يدك وكن كشجعان الرجال وقاتلنى بالسيف لأننى لا أهتم بالسهام » فقال محارب لنفسه « انه لا يمكن قتله بالحيلة لأنه فى قمة الشجاعة كما أنه راكب حصانا وأنا على قدمى » ثم استل خنجره فضحك الخورى وقال لنفسه انه يظن أنه يقاتل فى مركز السوق كما فعل بالأمس ، ثم استل سيفه وهجم على محارب وهوى بسيفه ليضربه ولكن محارب تراجع واحتمى

بدرعه ثم اندفع تحت بطن الحصان وطعنه فى بطنه فمزقه وسقط الحصان ومن قضاء الله أن رجل الخورى ظلت تحت كتف الحصان فتقدم محارب وطعن الخورى فى صدره طعنة خرجت من ظهره ٠

حين قتل الخورى تصاعدت أصوات الحزن من جيشه وصاح ولوال واكبار فى الجيش أن احملوا عليه حملة رجل واحد ، فتحرك الجيش من مكانه وأحاط بمحارب القصاب لكى يدوسوه بسنابك الخيل ثم يهجموا على جيش خورشيد شاه بعد ذلك ولكن قائم وجنده أسرعوا الى الميدان ولحق بهم أبطال جيش خورشيد شاه وهجموا على جيش ولوال واكبار واختلط الفرسان والمشاة وجرت سيول من الدماء وقتل من الجند ما يفوق العد والحصر حين دقوا طبول التحاجز من فوق سور المدينة والا لما تمكن واحد من جيش زلزال من العودة للمدينة ٠

حين تحاجز الجيشان وابتعد أحدهما عن الآخر عاد ما تبقى من جيش زلزال مثخنا بالجراح أو مرهقا من الجرى والفرار فحزن زلزال وأرمنشاه والآخرون وتوجهوا الى قصورهم ٠ أما ولوال واكبار فقد عادا الى قصرهما وقالا « لن نحارب لمدة يومين ، وقد أسرنا الثعلب الفيلم أستاذ سمك فلنأخذه الى الملك زلزال حتى يخفف هذا من حزنه » ٠

## كيف وقع الثعلب أسيرا

أما كيف أسر الثعلب الفيلم فانه حين ترك سمك ومحارب والآخرين لكى يعود الى ضياء فان ولوال واكبار كانا مختبئين فى مركز السوق وحين شاهدا الثعلب أمسكاه وسألاه من أنت فأجابهما الثعلب « أنا رجل غريب » فنظرا اليه فوجدا معه خنجرا ووهقا ، فقالا له « أيها الحقير ، ألست أنت سمك ؟ كيف أمكننا أن نوقع بك ؟ قل الحقيقة من أنت والا عاقبناك وفى النهاية ستقول من أنت » فقال الثعلب لنفسه « ان لم أذكر اسمى عاقبونى وفى النهاية يجب أن أعترف ، ولو ذكرت اسمى فاننى أعلم أنهم لن يعاقبونى ولابد سيأخذوننى الى أرمنشاه ولو قتلنى فذلك افضل من العقاب » فلما فكر فى هذا قال « أنا الثعلب أستاذ سمك جئت للبحث عنه لأنه لم يظهر منذ عدة أيام » ٠

حين سمع ولوال واكبـــار اسم الثعلب وقع الرعب فى قلبيهما فاصطحباه الى قصرهما وقيداه وأخفيا أمره الى تلك الساعة التى فكرا فيها ذلك التفكير وأخذاه الى قصر الملك زلزال ٠ وفى اليوم التالى أخذوه

الى أرمنشاه وأدوا التحية وقالوا « أيها الملك ، لقد أمسكنا أستاذ سمك وها هو قد أحضرناه والواجب قتله لأن له مثل هذا التلميذ ، أو أن نتحفظ عليه ونختار رجلا ليراقبه حتى يتضح من هو فعلا فلعل سمك يقع فى الشرك » ٠

أمر أرمنشاه ـ من الحزن والغضب اللذان كانا يسيطران عليه ـ أن يقتلوا الثعلب فقال شهران الوزير « أيها الملك ، احذر أن تقدم على هذا العمل لأنه أستاذ سمك ، ولأننا لم نقتل أحدا من رجاله فانه يقوم بهذه الأعمال ، فان قتلنا أستاذه فانه لن يترك أحدنا على قيد الحياة ، وأنت تعلم أننى أقول الصدق لأن سمك ليس من هؤلاء الرجال الذين يمكن أن يغفل عنا ولا يمكن الحفاظ على أنفسنا منه ، ومن الممكن أن يكون الآن واقفا أمامنا فقيدوا الثعلب وتحفظوا عليه وقالوا انه شرك جيد لاصطياد سمك ولعل الطير يقع فى المصيدة ولننظر ما ستسفر عنه الأحداث لأن كل هذه الفتنة والاضطراب سببها قتل فرخ روز أخو خورشيد شاه وتلك العجلة والتسرع الذى حدث فى قتله ولولا هذا الدم لكانت الدنيا قد استراحت وهدأت وأنا أعرف طريق الخير وأنت تعرف الباقى ، فقيدوه ولننتظر ما ستسفر عنه الأيام » فقال الجميع « صدقت » ٠ ووضعوا القيود فى يدى الثعلب وأرسلوه الى سجن قائم » ٠

من قضاء الله أن طريقهم كان يمر على دكان سمك العيار الذى رأى تلك الضجة ولمح رجلا مقيدا فسأل « ما هذا » ؟ فقال أحدهم « لقد أمسكنا الثعلب أستاذ سمك وكان أرمنشاه قد أمر بقتله ولكن شهران الوزير لم يدعه يقتله خوفا من سمك وهم الآن يسوقونه الى السجن » فتضايق سمك وحزن ولكنه قال لنفسه « طالما أن الثعلب ظهر فهو خير ومع كل هذا فان شهران الوزير لم يقصر فى مساعدتنا ٠ ولما كان الثعلب فى السجن فيجب أن نبحث عن وسيلة لاخراجه » ٠ فقالت ضياء « أيها البطل ، سأذهب الآن وأخرج الملك فغفور ، ثم نخرج الثعلب لأنهم لا يجرؤون على عمل شىء معه » ثم عادت وقالت « سأذهب وأخرجه من سجنه وأحضره هو والفغفور » فقال لها سمك « أنت تعرفين نفسك » فقامت ضياء ولبست سلاحها ٠

## انقاذ ضياء والثعلب والفغفور

فى ذلك اليوم الذى أخذوا فيه الثعلب الى السجن ومع بداية المساء وكان الناس ما يزالون فى جيئة وذهاب قال سمك لنفسه « لأقم وأذهب

وأراقب ضياء وماذا ستفعل » . ثم لبس سلاحه وحمل خنجره ووهقه وكل ما يلزمه في عمله وتعقب ضياء وهو يراقبها من بعيد الى أن وصلت الى باب السجن وكانت جماعة من حراسه يجلسون أمام بابه بينما يذهب بعضهم الى الداخل ثم يخرج لكي يطمئنوا على وجود أستاذ سمك فاندست ضياء بينهم عندما كانوا يغلقون باب السجن ورآها سمك وقال لنفسه « حسنا ما فعلت ، واحد في السجن والثانية ألقت بنفسها في السجن ، وحتى الآن كنت حزينا على الثعلب ومن الآن سأحزن على الاثنين ، واذا أمسكوها انكشفت كل أمورنا » وظل واقفا يترقب حتى رأى ضوءا يظهر في مواجهته ونظر سمك فاذا ولوال واكبار ومعهما بعض أطباق الحلوى يحملانها الى قصر الملك مع بضعة أثواب وعدد من صرر الذهب وقد وضعت كل واحدة على يدى رجل من خدمهم الذين كانوا يحرسون السجن وكانوا قد ذهبوا الى قصرهما ليكونوا في خدمتهما بعد أن أغلقوا باب السجن .

وقف سمك أمام باب السجن ونادى فردت عليه ضياء من وراء الباب فقال لها سمك « أيتها البطلة ! ألم أقل لك ألا تذهبى فلم تطيعى أمرى حتى حبست نفسك داخل السجن » ؟ فقالت ضياء « أيها البطل ، أننى واقفة خلف الباب شاهرة خنجرى وسوف أقتل كل من يدخل حتى أتمكن من الخروج من هنا » فقال لها سمك « ربما كانت ادارتك لدكان الحلوى قد أصابتك بالجنون ؟ هذا العمل الذى تذكرينه ليس من أعمال العيارين اذ يمكنك قتل واحد أو اثنين أو حتى عشرة ، وفى النهاية سيمسكونك ، ما هذا الرأى الذى أرتأيته ؟ انظرى ان كان يوجد في سقف السجن أية فتحة أو طاقة ؟ فردت عليه ضياء « يوجد باب صغير » فدار سمك حول السجن حتى وجد مكانا مناسبا وقذف الوهق وأحكم تعليقه ثم صعد عليه وسحبه وأنزله عبر ذلك الباب فصعدت ضياء والثعلب ثم نزلوا على الوهق خارج السجن .

بعد أن نزل ثلاثتهم قال لهما سمك « عودا الى مكانكما فى الدكان لأننى سأذهب لعمل إذ أن ولوال واكبار قد حملا بعض الهدايا الى قصر الملك ولعل دبور يكون هناك وتنفرج أمورنا » فعادت ضياء والثعلب الى الدكان وذهب سمك الى القصر فلما اقترب من الباب رأى تجمهرا كبيرا ويقف كثير من الخدم وسياس الخيل فوقف سمك فى وسطهم وبعد نحو ساعة أخذ من كانوا فى القصر يخرجون ويذهبون . وكانت بعض الأطباق التى حملها ولوال واكبار عند الملك مخصصة للبطل دبور ولهذا خرج فراش ونادى « من من الذين يقفون هنا من خدم دبور » ؟ وكان شخصان أو ثلاثة من خدم دبور يقفون هناك فتقدموا وقالوا نحن من

خدمه ، وتقدم سمك معهم وحمل طبقا من تلك الأطباق وتوجه الى قصر دبور ولما وصل الى المجلس وضع ذلك الطبق أمام دبور وعاد واختبأ خلف الباب الى أن نام دبور وأغلقوا باب القصر وذهب كل من فى القصر من الخدم الى فراشه لينام ٠

ظل سمك فى ذلك المكان الى وقت السحر وعندما أراد الخروج وصل رجل من عند زلزال وقال لدبور « فليتحمل البطل مشقة الحضور الى مجلس الملك لكى نعد للحرب » فنهض دبور وذهب ٠ فتقدم سمك الى عرش دبور ورأى تحت العرش بئرا فوقف على حافتها وألقى السلام ، وحين سمع الفغفور صوت الســـلام دبت الفرحة فى قلبه وقال « من أنت » ؟ فأجابه « أنا عبدك سمك العيار » فأثنى الفغفور عليه ثم قال له « أيها البطل ، فى أى ساعة نحن الآن » ؟ فأجابه سمك « لقد ارتفع صياح الديوك والصبح يتنفس » فقال الفغفور « سيأتى الموكل بى الآن ويراك » فقال سمك « أيها الملك ، وهل هذا وقت للطعام ؟ فقال الفغفور « هناك خادم يأتى ليعطينى الماء لقضاء الحاجة وحينما انتهى منها يحضر شيئا لوجبة الطعام » ٠

قال سمك « فليطمئن قلبك لأن الله سيوفقنا ، فهل يوجد موكل عليك الآن » ؟ فقال الفغفور « لا يوجد غير هذا الخادم واسمه مثقال وهو أستاذ قصر دبور ولولاه لما وجدت من يطمئننى ويريحنى والا لكنت قد جننت فى هذه البئر » ٠ فسأله سمك « أيها الملك ، ألم تتحدث معه فى شئ » ؟ فأجابه الفغفور « لا لأنه لم يكن هناك أحد منا ولم نكن نستطيع أن نفعل شيئا » فقال له سمك « أيها الملك ، سأختبئ تحت العرش وحين يأتى مثقال تحدث معه حتى أسمع ماذا يقول » فقال له الفغفور « سأفعل هذا » واختبأ سمك تحت العرش وبعد نحو ساعة حضر مثقال يحمل الشراب والطعـــام ووقف عند حافة البئر ، وكانت هذه البئر محفورة بحيث يبقى الفغفور واقفا على قدميه ، ولهذا كان فى الليل يسند ساقه على جانب البئر وينام واقفا بينما كانت قدماه مقيدتين مع احدى يديه ٠ فلما جاء هذا الخادم وكان هو الذى يضع له اللقمة فى فمه حتى يأكل كما كان هو الذى يسقيه على هذا النحو أيضا واذا أراد الفغفور قضاء الحاجة ناوله الخادم طشتا فاذا قضى حاجته أعاده للخادم لكى يفرغه وعلى هذا النحو كان سجن الملك فغفور ٠

---

(١) أستاذ دار الخليفة كان يتولى شئون دار الخليفة ونفقاتها وأمور أسرة الخليفة ←

من قضاء الله أنه حينما جاء مثقال وسلم على الفغفور الذى رد على سلامه ورحب به وقال له « يا مثقال ، اننى حزين من أجلك فأنت تتحمل كل هذه المشاق من أجلى ، فلو خلصتنى من هذا السجن لرفعت منزلتك فى الصين ومنغوليا » فقال مثقال « أيها الملك ، اننى منذ وقت طويل وأنا آمل أن أنقذك من هذا السجن ولكننى لا أعرف وسيلة لهذا وكيف يجب أن أعمل ؟ ثم اننى وحدى ولا يمكن أن أقوم بعمل كهذا بمفردى » فقال له الفغفور « ان كنت صادقا فأقسم حتى أحضر لك معينا » فأجابه مثقال « أيها الملك ، اننى لست فى حاجة للقسم لأنه لا يوجد من يطالبنى بما قلت ، فأنا الذى عرضت القيام بهذا من جانبى ، وأنا لست أسيرا فى يديك بل انت الذى فى يدى ولكننى لكى أجلب رضاك سوف أقسم » • ثم أقسم مثقال على ما قال وحين أقسم قال الملك فغفور « يا سمك ، أخرج » فقال مثقال « أيها الملك هل تسخر منى ؟ أو أن السجن أصابك بالجنون أو أن العقل جافاك ؟ انه قصر البطل دبور والحراس كثيرون والهواء لا يجرؤ على الدخول الى هذا المكان فكيف يدخل سمك ؟ وآنذاك خرج سمك من مخبئه •

حين رآه مثقال أدى التحية وسأله عن أحواله وقال له « سعدت أيها البطل فالعيارة أسلمت قيادها لك » • قل لى كيف نخرج الملك من هنا وكيف نفك قيوده لأن النهار قد أضاء والمدينة فى اضطراب وهياج ؟ فأجابه سمك « فليطمئن قلبك فلا خوف على الاطلاق » ثم أمسكا ذراعى الملك فغفور وأخرجاه من تلك البئر ثم أخرج سمك مقراضا ومبردا من وسطه وقص قيوده وفكها ثم قال « يا لالا ، يجب علينا أن نذهب الى بيتك لأن أحدا لن يشك فيك لأننا لا يمكن أن نخرج فى هذه الساعة من القصر » فقال مثقال « لا بأس » ثم اصطحبهما الى حجرته وأجلسهما وقال لنفسه « لقد قمت بعمل فدائى ، فان صح فبها والا قتلونى • وأنا لست أفضل من الآخرين حيث يقتل كل يوم كثير منهم ، وفى النهاية سيخلد اسمى ويذكر بالخير » •

من قضاء الله أنهم حين ذهبوا كان دبور قد عاد من عند الملك زلزال وجلس على عرشه ونظر فرأى السلاسل وقد قطعت فاشتعل غضبا وثار وقال « ما هذا ؟ ولما بحث لم يجد الفغفور فصاح وجاء مثقال وهو يحمل الطعام والماء كأنه قادم كالعادة للملك فغفور وكان سمك هو الذى أوحى اليه بهذا التدبير ، وحين رآه دبور قال « يا مثقال ، لقد أخذوا الفغفور ، وقد ذهبت من هنا منذ قليل وكان الفغفور موجودا فأين ذهب ؟ فأخذ مثقال يتحسر ويتأسف ثم ذهب الى البئر وأخذ يعبر عن ضيقه وحزنه لأنه لم يجد الفغفور وقال « واأسفاه كيف أخذوه فى وضح

النهار » ؟ ثم استدعى الحراس والبوابين وسألهم فقالوا « أيها البطل، لم نرا أحدا » فتضايق دبور وقام وذهب الى زلزال وأرمنشاه وقال أننا نواجه حربا أكبر في داخل المدينة » ثم ذكر لهما ما حدث من اختفاء الفغفور ، فذهل أرمنشاه وزلزال وقزل ملك وشهران الوزير وبرامد الوزير وكل الأبطال من هذا العمل وتعجبوا وعمهم الحزن من وقوع هذا الحدث وتصاعدت آهاتهم وفجأة وصل رجل قادم من السجن وقال « لقد أخذوا الثعلب » فقال الملك زلزال وأرمنشاه « أين يمكن أن نذكر هذا أو نتحدث عنه حيث أخذ سجينان من سجنهما على هذا النحو في مدينة كهذا • ولو سمع أحد في الدنيا عن هذا فماذا يقول عنا ؟ وكان ولوال واكبار قد جاءا فاحتد الملك زلزال وصاح فيهما قائلا « أية قيادة وأية محافظة على المدينة تقومان بها ؟ ألا يمكن الاحتفاظ بأسير في المدينة ؟ أسلم لكما سجينا في منتصف الليل وفي الصباح يكونوا قد استردوه » . فأدى ولوال واكبار التحية وقالا « أيها الملك ، لا يمكن التحفظ على أحد كما كان الملك فغفور متحفظا عليه اذ كان مقيدا بالسلاسل تحت عرش البطل دبور ومع هذا أخذوه • ان أحدا في هذه المدينة لا يمكن أن يتغلب على هذا الرجل سمك العيار » •

أرسل الملك زلزال شخصا استدعى بطلين كانا حاكمين على حيين من أحياء المدينة وكان أحدهما اسمه صرصر والآخر زياد ، فلما جاءا أديا التحية فقال لهما الملك زلزال « تعلمان كيف أننا عاجزون أمام هؤلاء القوم ، وأن الملك فغفور كان مقيدا بالسلاسل في قصر البطل دبور ومع هذا أخذوه وكنا قد تركنا الثعلب الفيلم في أيدى حاكمي المدينة فأخذوه أيضا بالأمس • وهذان العملان قاموا بهما أمس ، وأعرف أنهم لم يغادروا المدينة بعد ، وعليكما أن تشمرا عن ساعديكما وتكشفا عن هذا السر في هدوء لأنه واجبكما وعملكما وأنتما أدرى به » •

أدى صرصر وزيادة التحية وخلع عليهما الملك زلزال خلعا فاخرة وعندما أرادا الخروج دخل رجل قادم من على باب المدينة وقال « أيها الملك ، ترتفع صيحات السرور خارج المدينة في معسكر خورشيد شاه ويدقون طبول الفرح ولا أعرف ماذا حدث » فقال الأبطال « أيها الملك ، ربما وصل النيهم مدد من الجند وبينما كانوا في هذا وصل جاسوس وقال « لم أسمع أية أخبار منهم » •

أما الحقيقة لهذه الأفراح فقد كانت قد انقضت تسعة أشهر على زفاف غدير وخورشيد شاه وكانت بذور السعادة قد أينعت في أرض المراد ، فأنبتت شجرة سرو باسقة حين ظهر المولود ووضعت غدير طفلا فأحضروا له أربعين مرضعة فلما رضع من واحدة منهن وكان اسمها مسك اختاروها مرضعة له ، ثم لفوه في القماط وأناموه بجوار أبيه خورشيد شاه فلما نظر اليه الملك غمرته محبته وقال له هامان الوزير والأبطال « أيها الملك العظيم ، اختر اسما لهذا الابن المبارك » ففكر خورشيد شاه ثم تذكر أخاه ووضع اسمه على ابنه تخليدا لذكراه لأنه كان عزيزا عليه أثيرا لديه ، وبهذا أحيا اسم أخيه وجدد ذكره ولهذا عم الفرح فى المعسكر كله وغمره السرور ، وكما هى عادة الملوك نفخوا فى الأبواق ودقوا الطبول التى وصلت أصواتها الى المدينة •

حين ذاع هذا الخبر فى المدينة وأن خورشيد شاه رزق ولدا قال صرصر وزياد العيار « أيها الملك ، حين تأكد أن سمك العيار والملك فغفور لم يغادرا المدينة وأنهما مازالا بها فاننا نحتاج للذهاب الى ذلك القصر الذى كان به الفغفور لنعاين المكان لعلنا نعثر على دليل » فقال الملك زلزال « اذهبا مع البطل دبور » فتوجه صرصر وزياد ودبور وولوال واكبار مع نحو مائتى رجل الى قصر دبور وكان مثقال الخادم يتقدمهم وأخذوا يبحثون فى كل مكان ، ولم يظهر أى أثر أو خبر عنهما فودعهما ولوال واكبار ودبور ورجعوا الى قصرهم وبقوا ليعدوا ما يلزم للبحث عن سمك • ثم ذهب ولوال واكبار كل منهما الى ناحية من المدينة ليعلم أحوالها ويحافظ عليها بينما كان سمك (١) يجلس فى قصر الملك مع الفغفور (٢) وسنذكر أحوالهما فيما بعد ان شاء الله •

يقول راوى القصة أنه حينما ذهب دبور وصرصر والمائتا رجل للبحث عن سمك فى قصر دبور ولم يروا أى أثر له ظلوا حيارى عاجزين ، وكان ولوال واكبار قد جاءا أيضا ليروا ما يحدث الى أن قال صرصر وزياد الى ولوال واكبار أن الملك أمرهما بالمحافظة على المدينة وأن يعثرا على سمك العيار والآن هل تذهبان أنتما أم نذهب نحن ؟ فقال ولوال واكبار اذهبا أنتما لأن الملك مركما ولم يأمرنا ولو ذهبنا نحن وقمنا بشىء فانكما ستتضايقان ، ولو ذهبنا معا وتمكنتما من عمل شىء وقلنا أننا جميعا

---

(١) ورد اسمه هنا « نور الملك » وهو ما سيطلقه عليه خورشيد شاه فيما بعد •

(٢) فى الأصل الثعلب وهو خطأ والصواب هو ما أثبتناه •

فعلناه ، وقعت بيننا الخصـــومة واضطربت أحوال المدينة وليس هذا مطلوبا . فاذهبا أنتما الليلة وغدا مساء نذهب نحن. فقال صرصر وزياد « أحسنتما الرى » والحقيقة أن ولوال واكبار كانا يتذرعان بهذا الكلام لأنهما كانا يخافان من سمك العيار فتعللا بهذا الكلام حتى لا يذهبا واتفقوا على هذا وبقيا لم يخرجا .

فى الجانب الآخر كان سمك العيار يجلس مع الفغفور فى حجرة مثقال الخادم الى أن حل الظلام فخرج سمك من عند مثقال وقال لعلنى أعثر على طريق لكى آخذ الملك فغفور ثم التفت الى مثقال وقال « يا لالا ، سأترك الملك فغفور عندك كأمانة حتى أعود » فقال لالا مثقال « ألف روح عزيزة كروحى فداء للملك فغفور ولك يا سمك العيار » ثم خرج سمك من حجرة منقال وسار حتى وصل الى وسط المجلس وأخذ يبحث عن مخرج لكى يخرج وفجأة رأى نوراً أمامه فتحير ولم يكن يستطيع العودة أو التقدم فلما نظر حوله وجد غرفة فى ممر القصر فوضع يده على الباب فانفتح ودخل تلك الغرفة وأغلق الباب خلفه واختبأ الى أن مر دبور وتوجه الى مجلسه وبقى هناك .

يقول راوى القصة أنه حينما ذهبت ضـــياء والثعلب الفيلم الى الدكان وظلا ليلة أو ليلتين قال الثعلب الى ضياء « يا أختى ، يجب علينا أن نذهب الى باب قصر دبور ونراقبه لعل الأمور تنفرج ونصل الى سمك والملك فغفور » فقالت ضياء « نعم الرأى ارتأيت » ثم خرجا وسارا الى أن اقتربا من قصر دبور فشاهدا دبور يتناول الشراب فى مجلسه .

فى ذلك الجانب كان صرصر وزياد عندما عادا الى قصرهما قد استدعيا ولوال واكبار مرة أخرى وقالا « أيها البطلان ، يجب علينا أن نبذل جهدنا لكشف هذا الأمر لأنه أمر خطير أن يســـيطر سمك على المدينة ويفعل فيها ما يشاء ، وقد ضاق الملك زلزال بأعماله فلعلنا نصل الى بصيص من الأمل ونعثر على سمك ونحن نحمى ظهور بعضنا البعض ونسلم سمك للملك حتى يرضى عنا » فقال ولوال واكبار « أيها البطلان ، اذا جئنا واتضحت الأمور فسوف تقع بيننا وبينكما منافسة فاذهبا أنتما الليلة » فلم يعجب هذا الرد صرصر وزياد لأنهما قالا لهما ان الملـــك اختاركما أنتما لهذا الأمر » ولم يقل صرصر وزياد شيئا وخرجا وسارا الى أن اقتربا من قصر دبور وكان الثعلب وضياء واقفين فرآهما صرصر وزياد وقالا وجدنا بغيتنا وقال صرصر كل واحد منا يمسك واحدا فاذا أمسكنا أحدهما فان الأمور ستتضح وتقدم صرصر وصاح فى ضياء واستل خنجره ليطعنها ولأن ضياء أستاذه فى عملها فانها حين رأته شاهرا خنجره ليطعنها تلقفت يده فهجم عليها زياد من خلفها ليطعنها أيضا فما كان من

الثعلب الا أن لحق به وطعنه وصرعه ، كما صرعت ضياء صرصر أيضا وأجهزت عليه ثم فصلا رأسيهما وذهبا الى المكان الذى كان رأسا أرقم وأدهم قد علقا فيه فعلقا الرأسين •

قالت ضياء « أيها الأستاذ ، لم أر قط عملا يتم بهذه السـهـوله » ثم عادا الى قصر دبور وأخذا يدوران حوله وهما يراقبانه •

كان سمك العيار فى احدى غرف قصر دبور الى أن حل الليل وسكر دبور ونام وتفرق خدمه ، فخرج سمك من تلك الغرفة وذهب الى حجره مثقال وقال للملك فغفور « آن وقت خروجنا ثم أمسك يد الفغفور وصعد مع مثقال الخادم الى سطح ثم قال له انظر ان كان هناك أحد أسفل القصر؟ فقال مثقال « أخاف أن أنظر من فوق » •

ذهب سمك الى حافة السطح ونظر فرأى شخصين واقفين فقال « وا أسفاه لعلهما من الأعداء » • ولكن ضياء من أسفل القصر عرفت سمك وفى الحال أشارت بالعلامة المتفق عليها بينهم فأدرك سمك أنها ضياء والثعلب فقال لمثقال « لا تحزن » ثم ربط الوهق فى وسط الملك فغفور أنزله من فوق القصر الى الشارع وكانت ضياء والثعلب جاهزين ففكاه من الوهق وأديا له التحية فقال لهما الملك « أى داع للتحية هنا فأنا الذى يجب أن أحييكما وقال سمك لمثقال « يا لالا ، هل تريد المجىء معنا » ؟ فأجابه مثقال « ليس من الخير أن أذهب معكم حتى لا ينكشف السر ولهذا سأبقى هنا حتى أبلغك بكل ما يحدث هنا » فاحتضن سمك رأسه وقبله ثم نزل من على سطح القصر وذهب أربعتهم الى الدكان وأخذت ضياء تقص على سمك أحداث قتل صرصر وزياد حتى انقضى الليل •

حين أضـاء النهار وخرج الخلق يكافحون لرزقهم ووصل بعضهم الى حيث كان رأسا صرصر وزياد معلقين فعمت المدينة الضجة والهياج ، وحين علم ولوال واكبار لم يظنا أنهما صرصر وزياد وعندما ذهبا الى هناك وشاهدا الرأسين تأكدا منهما وقالا « لقد نجونا بأنفسنا والا لكان هذا ما حدث لنا أسعدك الله يا أستاذ الدنيا انك تقوم بأعمال رائعة » ثم ذهب ولوال واكبار الى زلزال وأديا التحية وأخبراه بهذا الحادث وحين سمع هذا كاد يجن وأخذ فى الصياح والصراخ وقال « كيف يمكن أن يحدث هذا ؟ ليس فى هذه المدينة شخص يستطيع أن يتولى هذا العمل سرا ، فكل من أوكل اليه هذه المهمة لا يدعونه يومين ، هذا بلاء عظيم حل بالمدينة » •

بينما كانوا في هذا الحديث دخل دبور قاهر الشياطين من باب المجلس فرأى زلزال جالسا مع الآخرين والحزن يسيطر عليهم فسألهم « ماذا حدث ؟ فذكروا له تلك الأحداث فصاح من أعماقه وأخذ يعض ظهر يده بأسنانه من الغيظ وجلس الملك حزينا والأبطال مهمومين ٠

## ياتوك بـــكل ســـاحر عظيم

قال شهران الوزير « أيها الملك ، لقد تجاوز الأمر حده وعندى رأى » فسأله الملك زلزال « وما هو ؟ اذا كان فيه صلاح أمرنا لأننا لسنا أندادا لهم في أى شيء لا فى الحرب ولا فى المكر ، لا فى الحيلة ولا فى الوسيلة ، وليس فى الدنيا مدينة كمدينتنا فقد دخلناها وأغلقنا أبوابها على أنفسنا وجعلنا عليها الحراس ومع هذا فأحيانا يقتلون الناس وحينا يسرقونهم أحياء ، واستولوا على علم بكل هذا الثقل فى ليلة واحدة ولم يحس بهم أحد أو يشـــعر ، ومع كل هذا فاننى أشكرهم أنهم لم يقتلونا والا لكنا الآن مع الموتى ٠ فان كان لك رأى أو عندك تدبير يريحنا فقـــله » ٠

قال الوزير شهران « اكتب رسالة الى جزيرة النار الى صيحانة الساحرة أخبرها بهذه الأحداث حتى تجيء وترد على أفعالهم وأعمالهم لأننا لم نعد نطيقهم أو نقدر عليهم وقد قتل أغلب الأبطال ولا يعرف الرد على أعمالهم الا السحرة » ٠

فرح أرمنشاه وقال لقد نسينا تماما صيحانة الساحرة ٠ وكانت صيحانة هذه امرأة تعمل فى السحر ولم يكن لها نظير فى المشرق أو المغرب ، وكان كل السحرة أتباع لها وكان أرمنشاه والفغفور وملوك عدد من الممالك يرسلون لها الخراج وقالوا عنها انها تعلمت السحر على أيدى من من عتاة السحرة وقال أرمنشاه « يا شهران لماذا لم تقل هذا من قبل ولم تذكره الا الآن بعد أن بلغت أرواحنا الحلقوم » ؟ فأجابه شهران « أيها الملك ، لم أكن أعلم أن الحاجة ستدفعنا لهذا » وعندئذ قال الملك « اكتب الرسالة واذكر كل ما تعرفه فى عبارة جميلة وأبعث اليها بتحياتنا الوافرة مما يدفعها عند قراءة الرســـالة الى المجىء فى الحال » فقال شهران الوزير « الأمر والطاعة » ٠

أمر شهران الوزير باحضار الدواة والقلم ثم كتب رسالة ذكر فيها الأحداث منذ قدوم خورشيد شاه الى الصين حتى تلك اللحظة التى

كتب فيها الرسالة • ومما قاله أيضا « اننا عاجزون في يدى هذا الشخص بمفرده وهو على حال لا يمكن وصفها كما لا يوجد في العالم شخص في علمه أو في ذكائه ومهارته وحسن تدبيره ، وهذا الشخص اسمه سمك العيار ولكن احذرى ، فلا يغرك اسمه وتقولى ماذا يمكن أن يفعله هذا المسمى سمك ؟ انه لا نظير له في العالم كله في فنه ودلجه بالليل وعيارته ، وأنا لم أذكر واحدا من مائة ألف عمل قام به لكثرة ما قام ويقوم به •• فادركينا لأن الأمر يتعلق بأرواحنـــا الآن في مدينة جبل المشرق • ولما كنا من قبل في سلام فاننا لم نشأ أن نسبب لك الازعاج أو نحملك أى تعب أما وقد صرنا جميعا تحت رحمة سمك هذا فيجب عليك أن تحافظى علينا ولن يكون الحديث الا مشافهة فمهما كتبت فلن أعبر عن الواقع » •

حين أتم الرسالة وختمها قال دبور « أيها الملك ، ان الســحرة يأخذون الخراج ولما كنت تطلب حضورها فلا يحسن أن يكون هذا دون هدية ويجب علينا أن نرسل خلعا للجميع خاصة وهى امرأة ، والمرأة رعناء بطبعها » • فقال أرمنشاه « انني لا أملك خزائن هنا ولا يجوز أن أحمل الملك زلزال أكثر من هذا » • وعندئذ أمر زلزال باستدعاء الخزنة وحين جاءوا أمرهم باعداد مائة صرة من الذهب وخمسين ثوبا من أفخر قماش ومائة غلام مع عدد من الخيول ثم قال نحتاج لرجل فصيح اللسان عالم بالأمور ليذهب في هذه المهمة فقال زلزال « فليذهب اكبار لأنه عالم عارف بكل الأمور » ثم أرسل شخصا استدعى اكبار وشاوره في هذا الأمر ثم قال له عليك أن تذهب في هذه المهمة » • فأجاب اكبار « السمع والطاعة » ثم التفت الى شهران الوزير وقال له « اختر ساعة لكى نخرج فيها لهذه المهمة » •

أخذ شهران الوزير اسطرلابه وخرج الى الشمس وأخذ الارتفاع ونظر في الخروج فوجد الكواكب السبعة مضطربة ، وعاد الى الملك وقال له « ان الخروج مضطرب » فرد أرمنشاه « لا مفر من خروج الرسـول وعليك أن تذهب بحيث لا يعلم أحد بهذه الأخبار » فذهب اكبار وأمر مناديا ينادى في المدينة « الويل لكل شخص سيقبض عليه الليلة في شوارع المدينة وقد أمر الملك بشنقه » وبعد أن أذاع هذا التحذير ذهب الى قصره وقال لنسائه « سوف أذهب غدا لأحضر صيحانة الساحرة » كما عاد دبور الى قصره وذكر هذا الخبر أمام جواريه فسمعه مثقال الذى ذهب في الحال وأخبر سمك وقال له ان اكبار سيذهب الى جزيرة النار لكى يحضر صيحانة الساحرة « فدعا له سمك وشكره وقال له عد وأخبرنى بكل ما تعلم » •

بعد أن ذهب مثقال التفت سمك الى الثعلب وضياء وقال « يجب علينا أن نرسل أحدا لكى يأخذ اكبار وتلك الأموال والغلمان الى خورشيد شاه لأنه من المؤسف أن تذهب هذه الأموال الى مكان آخر » فقال الثعلب أيها البطل ، شخص بمفرده يستطيع القيام بهذا العمل ؟ انه لا يمكن القيام به الا لجيش كثير العدد ليقطعوا عليهم الطريق » فقام سمك وقال « أيها الأستاذ ، ليس هناك أسهل من هذا العمل » فأثنى عليه الملك فغفور . ثم اختار سمك بعض أطباق الحلوى وأعطاها لغلمانه وذهب الى اكبار وأدى التحية ووضع الأطباق فقال له اكبار « أيها الشيخ ، لقد نسيتنا » فأدى سمك التحية مرة أخرى وقال « أيها البطل ، لقد كنت مشغولا فى ادارة الدكان ، كما أن البطل مشغول فى ادارة الملك ، ولهذا لم أستطع القيام بالواجب .

بعد فترة من الوقت « قال أيها الشيخ ، اذكرنا بالدعاء فان ملكنا أمرنى بعمل ويجب على الذهاب لانجازه ، وأعلم أنه سيلحق بى الكثير من التعب » فقال له سمك « لا تقلق فان الله يرعاك ويحفظك ، فقل لى ما هو هذا العمل الذى تطلب له العون من الله » ؟ قال اكبار « ان هذا العمل يجب أن يبقى سرا عن الناس ولكننى سأقول لك اذ أن الملك أرسلنى الى صيحانة الســـاحرة لكى أحضرها لتتولى الرد على أعمال خورشيد شاه وجيشه » فقال سمك « أيها البطل ، هذا عمل طيب ولقد أسعدتنى » فقال اكبار « أيها الشيخ المبارك ، لماذا تشعر بالسعادة » ؟ فأجابه سمك « أيها البطل ، لقد أسعدنى هذا الخبر كل السعادة ولو استطاع البطل أن يتكلم بشىء عنى » . فقال له اكبار « وما هذا الشىء الذى استطيعه » .

قال سمك « أيها البطل ، عندما كنت قادما من الصين لأذهب الى منغوليا كنت أحمل معى خمسين حملا من الملابس المختلفة من كل نوع ولون الى جانب المسك والكافور والعنبر وما شابه ذلك وهجم على بعض الجنود وأخذوا تلك الأموال والبضائع وتبقى معى القليل من المال ولولا أننى أعرف صناعة الحلوى لما كان هناك أحد أفقر منى ، وتقدمت الى البطل دبور الذى قبل حمايتى ورعايتى وأوكل أمرى اليك حتى ازدهر عملى بسعدك واقبالك وقد سألت أحد الأشخاص عن أموالى ولمن كان أولئك الجند فقال انهم من جيش خورشيد شاه وكان قائدهم جبل الديلم . ولما كان البطل سيذهب الى جزيرة النار لكى يحضر صيحانة الساحرة فاننى أريد أن تتشفع لى لكى تعيد الى أموالى ويكون لك بهذا فضل وحسن سمعة » .

أجابه اكبار « أيها الشيخ ، سوف أذكر لها حكايتك ، وحينما تجيء سوف تسترد أموالك وتعيدها لك » . فقال سمك « أيها البطل ، اننى أعتقد أنه من الأفضل أن أكون فى خدمتك وصحبتك وأحدثك عن أحوالى وأنت ذاهب وحينما نعود ونرجع الى مكاننا هذا تسترد لى أموالى » . فقال له اكبار « أنا أذكر لها أحوالك بدلا منك ولا أريد أن تتعب نفسك » فرد سمك « أيها البطل ، أخشى حينما تجيء صيحانة ألا تخرج من عند الملك ولا أتمكن من الوصول اليها ، ومن الأفضل أن أصحبك وأحدثها بنفسى وأنت تتشفع لى لعل هذا العمل ينجح بهمتك ورعايتك وسوف أجعل لك هدية من هذا المال » .

حين سمع اكبار هذا الكلام وأنه سيعطيه شيئا من المال سكت فى الحال وسلس قياده . فانظر الى الذهاب الذى يفعل بالناس هذه الأفاعيل وقبل أن يحصل على شيء ولكن لمجرد سماع اسمه وكيف تغير الرجل فبالذهب يصل العدو والصـــديق الى ما يريدان . على أية حال قال اكبار « أيها الشيخ الجليل ، أنت أعلم بما تريد ، فأعد عدتك للسفر لأننا سنخرج الليلة » .

قام سمك ورجع الى دكانه وقال للثعلب وضياء وورد لقد وفقت فى عملى « ثم أمر باعداد أربعة صناديق أجلس الملك فغفور فى أحدها بينما الثعلب والأخريين ينظرون اليه فى حيرة والى ما يريد أن يفعله . وملأ صندوقين بأنواع الحلوى والكعك وغيرها وقال لهما « هذا لخورشيد شاه فلا يجوز ألا يأكل من حلوانا » . وكان كما سبق أن قلنا فى غير هذا الموضوع قد ثقب صندوق الفغفور عدة ثقوب حتى يتنفس منها ، ثم قال للثعلب « ارع أنت المكان لأننى سأعود الليلة أيضا » ثم قال لضياء « البسى ملابس السفر » فجعلت ضياء نفسها على هيئة سياس الخيل ولبست حذاء قرويا ووضعت عمامة على رأسها ولبست جبة من اللباد وربطت وسطها ثم حملوا الصناديق على بغلين وذهب ووقف ينتظر على أول الطريق الى أن وصل اكبار ومعه مائة فارس كلهم من العبيد وكان كل منهم يركب حصانا ويضع أمامه ثوبا من القماش وصرة من الذهب .

تقدم سمك الى ركب اكبار وأدى التحية ودخل فى وسطهم الى أن خرجوا من المدينة وعندئذ قال لضياء « اذهبى الى طليعة خورشيد شاه واحضرى من تجدينه من الأبطال مع ألفين من الفرسان فان لم يتح فلا أقل من ألف فارس وفى أسرع وقت ممكن وعندما تعودين سأكون قد قمت بما يجب حتى يتم هذا العمل دون مشقة أو تعب » وانسحبت ضياء من الركب بحجة قضاء الحاجة حتى مروا فقامت وأسرعت صوب طليعة خورشيد

شاه ، وحين وصلت وجدت جبل الديلم وهرمز على امرة الطليعة مع كثير من الجند فتقدمت اليهما ضياء فى جرأة وأدت التحية وحين رآها هرمز نزل عن حصانه وأدى لها التحية لمكانتها عند خورشيد شاه الذى كان يدعوها أخته ، وترجل جبل الديلم أيضا لهذه المكانة التى لضياء وحياها فذكرت لهما ضياء هذه الأحداث وأنهما في حاجة الى جيش بسرعة فقال هرمز فليذهب أربعة آلاف رجل » فقالت ضياء « مع أن البطل سمك أراد ألف فارسى ولكن الأمر لا يتطلب هذا العدد لأنهم ليسوا أكثر من مائة فارس ويكفينا مائتين من رجالنا » فرد عليها هرمز بقوله « خذى من الفرسان ما طلبه البطل سمك حتى لا يقول غدا طلبت ألف فارس فأرسلوا لى مائتين » قالوا هذا وانطلق ألف فارس مع ضياء ٠

شاءت ارادة الله أنه حينما أرسل سمك ضياء فانه قاد فرسه حتى صار بجوار اكبار وسارا نحو فرسخين أو ثلاثة وهما يتحدثان فى كل أمر وشأن ، وكان سمك يجيبه على كل ما يسأل الى أن قال لاكبار « أيها البطل ، ليس من المستحسن السير فى أول الليل ، فلنسترح ساعة ثم نواصل سيرنا » وكان سمك يريد أن يقوم بمهمته بعد أن خرجوا من المدينة ٠ فلما قال سمك هذا وافقه اكبار وقال هكذا نفعل وحطوا رحالهم فلما جلسوا جميعا سألهم سمك هل تأكلون بعض الحلوى ؟ وكان العبيد حول اكبار فأجابوه « ولماذا لا نأكل » ؟ فقال لهم سمك « ذلك الصندوق لكم ان شئتم أكلتموه مرة واحدة وان أردتم أكلتموه على مرتين والأمر لكم لأن الصندوق الآخر سنحمله لصيحانة الســاحرة » فهجم الغلمان على الصندوق وأخذوا يأكلون ويحملون معهم مما فيه وقام سمك وملأ طبقا وحمله ووضعه أمام اكبار فقال له اكبار « أيها الشيخ ، كل أنت أيضا » فرد عليه سمك قائلا « أيها البطل ، ان بطنى يؤلمنى من كثرة أكل الحلوى فكل أنت بالهناء والشفاء » فأخذ اكبار يأكل من الحلوى بينما سقط غلمانه فاقدى الوعى ٠

ذهب ســمك اليهم وأخذ يتفحصهم جميعــا وفجأة وصلت ضياء فسألها سمك « أين كنت » ؟ قالت ضياء « لقد تأخرت قليلا » ولما جلست قالت « أيها البطل ، لقد أتيت بألف فارس » فقال سمك « يا ضياء ، انظرى كيف سقطوا فاقدى الوعى والادراك ، ويكفيهم فارسان أو ثلاثة ثم قال « اذهبى واحضريهم » فلما جاء الفرســـان قال لهم سمك « قيدوهم جميعا » فتقدم الفرســـان وقيدوهم كلهم ثم قال لهم سمك « خذوا الملك فغفور الى خورشيد شاه مع هذه الأموال لأننى سأحضر الغلمان » ٠ وسار معهم سمك الى أن وصل الى الطليعة فتقدم اليه هرمز

وجبل الديلم واحتضناه وفى نفس الوقت وصل الملك فغفور فأدوا له التحية ثم واصلوا سيرهم الى المعسكر والى باب المجلس ٠

كان خورشيد شاه ما يزال فى المجلس حين دخل سمك فوقف هامان الوزير والأبطال وأدوا التحية كما أن خورشيد شاه حين رأى سمك العيار وقف واحتضنه وقبله وأرادوا الاعراب عن فرحهم فقال سمك « أيها الملك ، احذر من هذا لأننى لا أريد أن يعرف أحد شيئا ، واحترز على هؤلاء الأسرى بحيث لا يعلم أحد عنهم شيئا لأنه اذا عاد واحد منهم انتهى أمرنا الى الخسران والضرر » كما سلم الى خورشيد شـــاه تلك الرسالة التى كانوا قد بعثوا بها الى صيحانة الساحرة وقال له « احتفظ بها الى أن أطلبها منك » ٠ وبعد أن قال هذا توجه سمك وضياء عائدين للمدينة حتى وصلا الى برج عباد الشمس ثم قذف سمك الوهق وصعدا عليه فرآهما عباد الشمس واحتضن سمك وسأله عن أحواله فأجابه سمك « يا أخى ، لقد أخذت الفغفور الى معسكرنا وتأخر الوقت الآن ولا أستطيع أن أحدثك عن كل شىء وستعرفه فى حينه » قال هذا ورجع الى دكانه وأعاد على مسامع الثعلب وورد ما حدث له وما تم انجازه (١) ٠

أثنى عليه الثعلب وقال « أيها البطل ، لقد وفقت فى الذهاب والقيام بهذه الأعمال ثم ذهبت الى معسكرنا وعدت ولم يشعر بك أحد » فقال سمك « أيها الأستاذ ، لست أنا الذى يقوم بهذه الأعمال بل هو الله الذى يسهل الأمور ويدبرها ٠

## المطــربة الفتــانة

انشغل سمك فى ادارة الدكان وفجأة مرت ريحانة المطربة وهى تغنى وحين سمعها سمك وكان قد فكر فى رؤيتها من قبل تقدم نحوها وقال لها « أيتها السيدة ، ألن تأكلى يوما من حلوانا ؟ أم يجب عليك الذهاب الى الملوك والأبطال كل يوم ؟ فاقضى يوما مع الفقراء » فقالت ريحانة « انك لم ترسل لنا الحلوى فكيف نأكلها ؟ وطالما أنك لم تدعنا فاننا لا يمكن أن نأتى لأن المجىء له هدف ولا نستطيع أن نأتى بلا دعوة كما قيل فى هذا المعنى ٠

---

(١) يلاحظ أن مؤلف القصة لم يذكر لنا ما حدث لاكبار ٠

اذا ذهبت الى الحبيبة بلا دعوة     صارت لك عندها مذلة وهفوة

ونحن لا نذهب الى مكان أبدا كالمتطفلين فقال لها سمك « لو استرحت برهة لتناول الحلوى ولا تشغلى بالك بشىء » فقالت ريحانة « أعرف أن الجلوس فى الدكان لا حلاوة له فان أردت ذهبنا الى قصرى » . فرد سمك « سمعا وطاعة ، انتظرى لحظة حتى أدبر أمر الدكان وأذهب معك » ثم التفت سمك الى ضياء وقال لها « يا أختى سأذهب الى قصر ريحانة فتنبهى وكونى يقظة » .

سار سمك تتقدمه ريحانة حتى وصلت الى قصرها وفى الحال أحضرت بعض الطعام فأكلا ثم قال سمك « ان أكل شىء عند المطربين دين ثقيل » ووضع يده فى وسطه وأخرج حفنة من الدنانير وقال لريحانة « انفقى هذا ثمنا للنقل والشراب ، ثم أخرج حفنة أخرى وقال وهذه من أجل الطعام ومع أن الشراب والطعام كان فى بيت ريحانة الا أنها أخذت الذهب ولما انتهيا من الطعام وغسلا أيديهما أخذا فى تناول الشراب بينما كانت ريحانة تغنى ثم مد سمك يده الى وسطه وأخرج حفنة من الدنانير وأعطاها لريحانة وقال لها « أقدم لك هدية الغناء قبل أن يستولى على السكر حتى لا يقال أننى سكرت كالسفلة » فقالت له ريحانة « أيها الرجل الحر ، اننى لا أريد شيئا منك لأننى سأغنى بلا ذهب أو فضة لأنه ليس شرطا أن تشرب فى بيوت المطربين ثم تعطيهم أجر الغناء فطالما دفعوا ثمن كل شىء فهذا يكفى » .

قال سمك « يا ريحانة ، هذا صحيح وهذا هو المتبع ، ولكن اذا لم يكن لدى المطربة دنانير فانها تخرج الضيف من عندها بسرعة أو تدعى السكر أو تغنى غناء يجده الضيوف غير جميل ، ولهذا فليس أفضل من تقديم الذهب حتى تغنى المطربة غناء جميلا ويسعد النديم ويسعد الضيوف ويشربون فى هناء وسرور وكثيرا ما يحدث أن يشرب الضيوف عند مطربة ولا يدفعون شيئا لأنهم يسكرون وهم يسمعون هؤلاء سفلة السكارى ، ولهذا السبب فاننى أقدم الذهب قبل أن أسكر حتى تشرب المطربة وضيفها فى هناء » .

بعد هذا أخذا يشربان الى أن انقضى النهار فوقف سمك وقال « لا أثقل عليك أكثر من هذا » فقالت ريحانة « أيها المؤنس لقد نفذت ما قلته بسرعة ، وأنا المطربة وصاحبة البيت لم أسكر بعد ، كما أننى لم أقصر أو أهمل فى الغناء فلماذا تذهب ؟ وهل وجودك معى لا يؤنسك ؟ فقال لها سمك « أيتها الحرة ، اننى لم أسعد فى حياتى يوما كما سعدت اليوم ، ولا أعرف أحدا سعد بك كما سعدت بك اليوم والحمد لله فالطعام

والشراب والفاكهة شهية لذيذة ولكن طول البقاء فيه اثقال عليك » ٠ فقالت ريحانة « فاجلس ساعة أخرى لأنني سعيدة بوجودك » ٠ فجلس سمك وأخذت ريحانة تغني وهما يتناولان الشراب وبعد ساعة أخرى وقف سمك فقالت له ريحانة « اجلس ، لماذا تتعجل ؟ مازال النهار طويلا ولم يدخل الليل بعد » ٠ فقال سمك لنفسه « ربما كانت هذه المرأة قد لاحظت شيئا ، والا فان المطربات لا يقلن هذا أبدا ويجلسون الضيوف » ثم وضع يده في وسطه وفك صرة الذهب وأخرجها وسكب ما فيها أمامها ، وكانت ريحانة تنظر اليه ٠

يقول مؤلف القصة وراويها انه حينما كانت ريحانة تنظر اليه وهو يسكب الدنانير وقد رفع قميصه فظهر طرف الدرع الذى يلبسه تحت ملابسه ، ففكرت ريحانة وقالت لنفسها « رجل عجوز صاحب دكان ، ما شأنه بالدروع ؟ ان طريقته في الحديث وسخاءه لعجيبة بين أصحاب الدكاكين ولابد أن وراء هذا سرا ، ويجب أن أخبر البطل دبور » ٠ وحين سكب سمك الدنانير كانت ريحانة قد تعجبت كثيرا من تصرفه وفكرت كيف يمكنها أن تعرف من أين هو لتخبر الملك ، وكانت تفكر في هذا عندما خرج سمك وبعد فترة جاءها رجل من عند البطل دبور وقال لها ان البطل دبور يريدك » ٠

قامت ريحانة وارتدت عباءتها وذهبت الى البطل دبور قاهر الشياطين وأدت التحية وكان لونها متغيرا فسألها البطل دبور « يا ريحانة ، أين كنت اليوم ولم تسألي عنا ؟ لعلك مللت منا بحيث يجب علينا أن نطلبك » ٠

أجابته ريحانة « أيها البطل ، انني جاريتك وقلبي وروحي في خدمتك دائما ولكنني اليوم كنت أجلس مع نديم من أهل السوق وقد أظهر من الفتوة والكرم ما لا يمكن وصفه » ثم ذكرت له ما حدث وفي النهاية قالت « رأيت عليه شيئا ليس من المعتاد رؤيته في أصحاب الدكاكين » فسألها دبور « وما هو ؟ فردت عليه ريحانة بقولها « بينما كان يعطيني الدنانير رفع قميصه فوجدته يرتدي درعا وقد فكرت في هذا اذ يبدو أنه رجل عيار وقد جعل نفسه على هذه الصورة » ٠

استغرق دبور في التفكير مدة ثم قال « كيف يمكن أن يكون هذا ؟ ربما كان هذا الرجل يلبس درعه تحت ملابسه خوفا من اضطرابات الجنود ، أو أنه يقضي يومه وليله في الدكان ويخاف على نفسه فاحتاط لها لأن الشيوخ أصحاب تجربة ويعرفون أشياء لا يعرفها الشباب فقالت

ريحانة « أيها البطل ، ما هذا الكلام ، يجب أن تفعل شيئا بدلا من هذا التفكير لأنني رأيت فيه رجلا عجيبا ، ولما كنت قد علمت بأمره فلا تدعه وشأنه » وحين سمع دبور كلام ريحانة الفتانة استغرق مرة أخرى فى التفكير ثم قال « يا ريحانة ، ربما كان هذا الرجل هو سمك الذى قام بكل تلك الاعمال وهو الآن فى هذه المدينة ودبر هذه الحيلة ليقيم بيننا ومعنا ويفعل ما يريد فهو كثير المكر والحيل وفعل هذا كثيرا فى مدينته ، ويجب علينا أن نستدعيه وأخشى ان أرسلت اليه شخصا توجس خيفة وهرب ، وان أرسلت جندا لامساكه فربما اتضح انه ليس سمك العيار فتكون وصمة عار لى • فارسلى أحدا من قبلك ليطلب منه الحضور ويقول له ان ريحانة عند دبور وتريد حضورك لأنها ذكرت له كثيرا عن منادمتك لها ويريد البطل أن يراك وينادمك وحين يأتى نقبض عليه ، فان كان سمك فبها ونال جزاءه، وان لم يكن سمك فيمكن الاعتذار اليه ، وسيحدث هذا فى قصرى دون أن يعلم به أحد » •

كانت ريحانة ـ عليها لعنة الدنيا والآخرة ، وعلى كل السيئين والغمازين واللمازين ـ تصطحب أحد غلمانها فأرسلته الى سمك ليدعوه للحضور ويقول له ان سيدتى عند البطل دبور وتدعوك للمنادمة لأنها تحدثت كثيرا عن طيبتك وسخائك » •

## انكشاف أمر سمك

بهت سمك حين بلغته هذه الرسالة ولكنه قال « سمعا وطاعة » وقال لنفسه « أن استدعائى على هذا النحو عند دبور ليس بشير خير الا أن تكون هذه الرعناء لاحظت شيئا على وقد أوشت لدبور بما رأت » وكان الليل قد أقبل فالتفت سمك الى الثعلب وقال « حينما أذهب فاذهبا أنتما أيضا واتركانى فى أيديهم وليحدث ما يحدث فلا أدرى ما سيصير اليه أمرى لأننى أشعر فى قرارة نفسى أن ريحانة وشت بى وانكشف سرنا ، وكلما أحس قلبى بشىء فانه يتحقق جعل الله العاقبة خيرا » ثم قال لضياء « يا أختى قومى وأعدى بعض أطباق الحلوى لنأخذها الى البطل دبور » •

عندما توجه سمك وضياء الى البطل دبور كان مثقال قد علم بكل هذا التدبير ووقف ينتظرهما، فلما رآهما أشار اليهما بما معناه ألا يدخلا، وفهم سمك هذه الاشارة وأدرك أن فى الأمر شيئا ولكنه لم ير سبيلا

للتراجع وسار الى أنه وقف أمام عرش دبور وأدى التحية ووضع أطباق الحلوى • ونظر اليه دبور وقد ملأ الخوف قلبه وقال لنفسه « لو كان هذا الرجل حقيقة هو سمك فانني لن أتغلب عليه لأنه سوف يقتلني بحيلة من حيله ، ومن الأفضل أن أرسل شخصا يستدعي أرمنشاه وزلزال والأبطال ويجلسونه ليشرب معهم الى أن تتضح حقيقته فان كان سمك أمسكته وان لم يكن هو فلا أخجل وحدى » •

في الحال أرسل دبور رجلا الى أرمنشاه والملك زلزال فلما دخل الرجل مجلسهم حياهم وقال لهم وللابطال ان البطل دبور يقول لكم ان تشرفوه لان لديه مشورة « فتوجهوا جميعا الى قصر دبور الذى عمته الضجة والضوضاء بوصول الملوك ، وكان متقال واقفا فأشار الى سمك بما معناه « لماذا تقف هكذا ؟ ولماذا أنت مبهوت متحير ؟ اهرب » • وما كاد متقال يشير الى سمك لكي يهرب حتى كان الذين أثاروا تلك الضجة والضوضاء قد دخلوا وصار سمك وضياء في وسطهم •

يقول مؤلف القصة وراويها أنه حين حدثت تلك الضجة انتهزها سمك وضياء واستطاعا بكل صعوبة أن يختبئا وراء أحد الابواب ، وكان ذلك الباب يؤدى الى مخزن تبن ، فتساررا فيه • وكان متقال يراقبهما ويحتاط لهما فلما اطمأن الى دخولهما ذلك المخزن واختبائهما أغلق الباب وأحضر قفلا ووضعه عليه وسكره ثم وقف في مكانه المعتاد كأن شيئا لم يحدث •

حين دخل أرمنشاه وزلزال شاه وقزل ملك والوزير شهران والآخرون وجلسوا ، بحث دبور عن سمك العيار فلم يره ، فصاح في رجاله « ابحثوا عن ذلك الحلواني » فبحثوا عنه في كل مكان فلم يجدوه ، فسأل أرمنشاه وزلزال « ماذا هناك ؟ فذكر لهم دبور تلك الأحداث فقال أرمنشاه « ابحثوا عنه في كل الحجرات » • وذهب الخدم يبحثون في كل مكان فلم يجدوا أى أثر لسمك العيار ، وحين وصلوا الى باب تلك الغرفة وجدوا عليها قفلا فلم يظنوا أن أحدا قد اختفى بها •

عاد من بالمجلس الى حديثهم وحيرتهم ، وأمر الملك أن يذهبوا الى دكان الحلواني فلعله يكون قد عاد الى هناك فذهب رجل الى الدكان وكان الدكان منظما ومرتبا ولم يجد به أحدا فعاد الى الملك وأخبره بهذا فتحقق لهم أنه سمك العيار ولاموا دبور كثيرا وقالوا له « هل يفعل أحد هذا ؟ لما كان قد جاء اليك فما عليك الا أن تمسكه وبعد ذلك تخبرنا فقال لهم

دبور « كنت أخشى من هذا » ثم أمر رجاله فذهبوا ونهبوا الدكان بينما أخذوا يتأسفون ويقولون « لعل سمك هذا ساحر ، ولقد وقع فى شراكنا ومع هذا لم نستطع أن نقبض عليه ، لقد تعرفت عليه ريحانة المطربة فماذا نفعل الآن ؟ وبقوا ذلك اليوم يتحدثون عن أفعال سمك وألاعيبه وعن مكره وحيله ويلوم بعضهم بعضا على عدم امساكه ·

ظل سمك العيــار وضياء مدة فى تلك الغرفــة الى أن قال سمك « يا ضياء ، ليس من صالحنا البقاء هنــا فربما علم أحد بوجودنا ولهذا يجب علينا أن ننتزع عتبة الباب » ثم أخرجا خنجريهما ونزعا عتبة الباب واستطاعا أن يخرجا ولاحظا أن هناك ازدحاما عند باب القصر فلم يتمكنا من الخروج فصــعدا الى الســـطح وأخذا يدوران فى كل ركن الى أن جاء أحد الأركان فشـــاهدا بســـتانا فنزلا بالوهق وكان البســـتان مليئا بالاشجار المختلفة سواء أشجار المناطق الدافئة أو أشجار المناطق البـــاردة كالبرتقـــال والخوخ والبـلح والتين وكانت الرياحين والورود مزدهرة ناضرة ، فأخذ سمك وضياء يطوفان وينظران اليها حتى وصلا الى وسط البستان فشاهدا قصرا عاليا مزينا كأنه من قصور الجنة وقد نقشت عليه مناظر جميلة والطيور المغردة كالبلابل والدراج والقمرى والعنادل وغيرها من الطيور تردد ألحانها فى ذلك المكان ·

نظر سمك وضياء الى أعلى البناء فوجدا فتاة حسناء كأنها مائة ألف حورية من السماء فسحر جمالها عينى سمك وقال لنفسه « فى هذا الوقت الذى أواجه فيه هذا المأزق وهربت منهم ويجب على العودة الى معسكر خورشيد شاه وليس عندى أى وقت أواجه بهذه الفتاة التى لا أستطيع أن أعرف قصتها أو أنشغل بأمرها ولكن على أن أغادر هذا المكان الى أن يحين الوقت لنعرف قصتها ونأخذها ·

قال سمك هذا وتوجها الى حائط البســتان وتسلقـــاه ونزلا الى الطريق وسارا الى أن وصلا الى أسفل برج عباد الشمس وناديا ، فسمع عباد الشمس نداءهما وفتح لها الباب فدخلا وذكرا له كل أحوالهما ثم نزلا من البرج خارج سور المدينة وتوجها الى المعسكر فلما اقتربا منه كان جيل الديلم على الطليعة فتقدم نحوهما وحين رى سمك نزل عن ظهــر حصانه واحتضن سمك ثم اتجهوا الى المعســكر ، وكان خورشيد شـــاه يجلس حزينا على سمك وضياء لأن الثعلب وورد حين عادا الى المعســكر حملا اليه خبر استدعاء دبور لهما وشكه فيهما ، واذا برجل من الطليعة يتقدم الى خورشيد شاه ويقول « يا ملك الدنيا ،البشرى ، فقد عاد سمك وضـــياء » ·

خلع خورشيد شاه ما كان يتحلى به من جواهر وأعطاها لهذا البشير ثم خرج من المجلس وكان سمك قد أخذ حصانا من جبل الديلم وركبه متوجها للمجلس ، ولكنه حين رأى الملك ترجل وقبل الأرض فاحتضنه خورشيد شاه وفرح كثيرا وسعد بعودتهما ثم توجهوا الى المجلس وذاع الخبر فى المعسكر « أن قد عاد سمك وضيباء » فتوجه الجمع الى المجلس وأظهروا الفرح والسرور · ولم يكن سمك قد علم بابن خورشيد شاه ، وفى الحال جاءت المربيات ووضعن الوليد بجوار سمك الذى سأل « هل أنجب الملك ولدا ؟ ثم رفع النقاب عن وجهه فرأى بهاء الملك يبدو عليه وسأل « كم مرضعة يرضعن الأمير ؟ قالوا » أيها البطل « انه يرضع من خمس مرضعات » فقال سمك « فليرضعه عشر مرضعات » وفرح سمك وقرأ عليه اسم الله ثم سأل هامان الوزير « ماذا رأيت فى طالع الأمير ؟

قال هامان الوزير « أيها البطل ، ان الله لا يتخلى عنه وحيثما نظرت وجدت لك يدا فى كل شىء وفى كل أمر · واعلم اننى أخذت طالع الأمير عندما ولد وعرفته وكنت على يقين من أنك حين تعود سالما ستسألنى عنه· وقد وقع طالعه فى برج السعادة ولكن مع حساب دوران الفلك وتقلبه فان الأمير ستواجهه متاعب كثيرة ، ويبدو أنه عندما يكون فى الثانية من عمره سينفصل عن أمه وأبيه ولكنه لن يصاب بأذى · ثم عندما يبلغ السابعة يبدو أنه سيبتعد عن أمه وأبيه مرة أخرى ولن يلحق بدنه أذى وسيبقى فى هذه الغربة خمس سنوات ثم يعود بالسلامة الى أبيه وأمه · وبعد ذلك سيغيب أيضا عن أمه وأبيه وسيتحمل كثيرا من المتاعب والأهوال وسيقيد ويسجن ثم ينجو من ذلك الهم بسرعة · ومع كل هذا فأنت فى طالعه باستمرار، كما رأيت فى طالعه أنه سيبقى فى الملك ثمانين عاما وسيحكم كثيرا من الولايات وسيدور حول الدنيا وسيرزق بأولاد موفقين محظوظين » ·

تضايق خورشيد شاه والملك فغفور وسمك والأبطال مما ذكره الوزير عن طالع الأمير ولكنهم أقاموا الفرح والسرور لعودة الجميع سالمين· كما أثنوا على هامان الوزير الى أن قال سمك « أيها الملك ، مر باحضار جميع الأسرى الذين كنت قد أحضرتهم » فأمر خورشيد شاه باحضارهم فأحضروهم مقيدين · والتفت سمك الى أكبار وقال له « هل تعرفنى ؟ أنا شادى الحلوانى فى مدينتكم ، أما هنا فأنا سمك العيار عبد خورشيد شاه بن مرزبان شاه » فنظر أكبار الى سمك وقال « وا أسفاه ، لو عرفت أنك سمك لفعلت بك ما شئت » ·

أجابه سمك « صدقت ، فقد كان مائة ألف عدو من أمثالك فى المدينة يبحثون عنى ليل نهار وأنا جالس أمام أعينهم وكما رأيت فانكم ـ حكام المدينة ـ لم يجرؤ أحدكم على النظر الى ، وكنت أعدكم كالنساء وأتهكم عليكم وأهزأ بكم بدءا من أرمنشاه وزلزال ودبور قاهر الشياطين وقزل ملك والأبطال وانتهاء برجالهم ، فقد كانوا جميعا لدى كالنساء ، هل تعرف اللعبة التى لعبتها معك ؟ على أية حال ان شئت أن تقسم الآن لكى أجعلك بطلا فأنت تعرف أننى أستطيع أن أفعل ما أشاء فى ملك خورشيد شاه برضاه واقباله » .

أجاب إكبار « يا سمك ، نحن سود العلم ليس من طباعنا أن نخون العهد ولو قتلونا ولعل حمر العلم هم الذين يفعلون هذا » . وكان قائم واقفا فقال « يا ابن الحرام ، نحن أصحاب العلم الأحمر متى خنا العهد ؟ لقد كنا فى المدينة وكان مائة ألف مثلك ومثل زلزال يعملون وفق أوامرى، وأنت تعرف أننى صادق فيما أقول ، حينما التحقت بخدمة خورشيد شاه وجدت لديه ألف حارس مثل ملككم . لقد حفظنا العهد لأن معنا علمنا ولن نتركه ما بقيت أرواحنا فى أجسامنا ، ولسنا خونة للعهد مثلكم حين خلا العرين من الأسد رفعتم رءوسكم وقلتم نحن الحكام وسوف نخرج العلم الأسود لنحارب ، فذهب ثلاثة من رجالنا هؤلاء الواقفون فى حضرة خورشيد شاه ومزقوا العلم الأسود وأسقطنا عنكم صفة أصحاب علم » .

أحس سمك أن قائم أثير بهذا الكلام فأمر بوضع إكبار فى القيود وسجنه ثم قال « أيها الملك العظيم ، من كان أمراء الطليعة فى تلك الليلة ؟ فقالت ضياء « كانا هرمز وجبل الديلم » . فقال سمك « أيها الملك، من المقرر أن يكون لأميرى الطليعة نصيب مما أحضروه فى تلك الليلة ، وما ذكرته لكم هل نقلتموه الى أخى قائم ؟ قال خورشيد شاه نعم فقال قائم » أيها البطل سمك « لم يسعدنا ذلك، ولكن الأمر للملك فكل ما عندى ملك له » فرد سمك « هذا ما يجب أن يكون » قال هذا وقسم هؤلاء الغلمان خمسين الى هرمز وخمسين الى جبل الديلم « فأثنى عليه خورشيد شاه وأراد أن يعدوا مجلس شراب عندما دخل لالا صلاح وأدى التحية لخورشيد شاه وقال « ان ملكة الدنيا تقول ان النوبة لنا فأرسل لى أخى سمك » .

قال خورشيد شاه « يا أخى ، أختك تطلبك » فقام سمك وذهب الى غدير وأدى التحية فقامت غدير واحتضنته وأجلسته أمامها وأخذت

تسأله عن أحواله ثم قالت « يا أخى هل نسيتنى ؟ اننى كنت فى شوق الى رؤياك » فقال سمك « أيتها الملكة ، بارك الله لك فى ابنك ، فأنت تعلمين أننى أعمل فى خدمة الملك وأقوم بأعمال كثيرة ولو تأخرت عنك يوما فليس هذا ما أريد » فقالت غدير « أعانك الله » .

قام سك وأدى التحية لها ثم عاد الى المجلس وأدى التحية لخورشيد شاه فوقف له ووقف الجميع فقال سمك « أيها الملك ، ليس هذا ما اتفقنا عليه ولكن الأمر لك » ثم جلسوا وانشغلوا بفرحهم وسرورهم ، وكان الملك على عرشه والملك فغفور عن يمينه وهامان الوزير على يساره والأبطال كل فى مكانه واقفا أو جالسا ، وكان قائم واقفا مع المشاة فى خدمة الملك بينما كان الثعلب الفيلم جالسا على كرسيه وخلفه كل العيارين على يسار خورشيد شاه وأمام هامان الوزير وكان سمك جالسا فى مواجهة خورشيد شاه بينما كانت تقف أمامه ورد وضياء ونظر سمك الى الجميع الى أن وقعت عيناه على قائم فقال « أيها الملك العظيم ، ارفع مكانة قائم وشرفه بالجلوس » . فأمر خورشيد شاه بوضع كرسى بجوار الثعلب وأجلسوا عليه قائم الذى أدى التحية ثم جلس وعندئذ قال سمك « يا محارب ــ بعد استئذان قائم ــ اقترب منا » .

## خورشيد شاه يغير اسم سمك

بعد أن رتبوا المجلس على هذا النحو قال خورشيد شاه « أيها البطل سمك ، ويا أخى العزيز ، ان مجلسى بنورك مضاء وقلوبنا من رؤيتك فى سرور وبهاء ، وبفضل أعمالك عاد لنا الفغفور بلا عناء وبجمال طلعته أنار المجلس وأضاء ، ولما كان الفضل فى كل هذا يرجع لك فاننى أريد ألا يكون اسمك بعد الآن سمك لأنه لا يناسبك ، وهو اسم مجهول لا يليق بك ، ولهذا فقد اخترت لك اسم « نور الملك » ثم خلع ما كان يتحلى به من ذهب وجواهر وأعطاها لسمك وقال له « لو أعطيتك الدنيا كلها فلا تكافئك . ان كل ما أملك هو ملك لك » وكلما ذكر الملك شيئا رد عليه سمك بالتحية والثناء الى أن قال خورشيد شاه « ان أى شخص سيناديك بعد الآن باسم سمك سأقتله حتى ولو كان ابنى » فأدى سمك التحية وقال أطال الله عمر سيدى ، ان اسمى كما اخترته جميل مقبول ولكن الأيام اذاعت اسمى فى الدنيا وعرفت بسمك ، ولكن من الآن فصاعدا اذ سألنى أحد عن اسمى قلت له « نور الملك » حتى يعتاد الناس عليه ولا يقولوا سمك ولن يعرف أحد اسمى الجديد ما لم يسألنى ،

وسينادينى أصدقائى باسم نور الملك الى أن يعرف كل شخص اسمى الجديد ويشيع بين الناس ولكن اذا لم يكن أحد يعرف هذا ونادانى بسمك فان ايذاءه ليس عدلا » فقال خورشيد شاه « كما تشاء وأنت أدرى بالخير يا نور ملكى » فأدى سمك التحية مرة أخرى ثم أخذوا فى تناول الشراب • وسنرى ما تسفر عنه الأحداث •

يقول راوى القصة أن جاسوس أرمنشاه كان موجودا فى ذلك الوقت وعلم بهذه الأحداث فعاد الى أرمنشاه وقال « أنت غافل عما حدث وتظن أن اكبار ذهب الى جزيرة النار ، لقد أسروه ووهبوا ما كان معه من أموال وعبيد لأبطال خورشيد شاه » فحزن أرمنشاه وقال « كيف حدث هذا ؟ قال الجميع « هذا من أعمال سمك » فأدى ولوال التحية وقال « أيها الملك مر بكتابة رسالة لكى أذهب وأحضر صيحانة الساحرة فهى التى تستطيع أن ترد على أعمالهم وتخلص أخى من أسره » • فأمر أرمنشاه أن يكتب شهران الوزير الرسالة ويزيد فيها عن الرسالة السابقة ووصف عجزهم ومذلتهم من خورشيد وسمك ثم ختمها وقال لا يجوز حمل الرسالة وحدها لأنى لو قلت لها أننا كنا أحضرنا أموالا وافرة فأخذها رجال خورشيد شاه فلن تصدق ولهذا يجب أ تعدوا هدايا جديدة ضعف الأولى مع كثير من العبيد بينما ذهب ولوال الى قصره ليستعد للسفر •

عرف مثقال كل هذه الأخبار فكتب رسالة فى الحال شرح فيها كل ما دار وقال أن أربعة آلاف فارس قد خرجوا للترحال ، ثم ذهب بهذه الرسالة الى برج عباد الشمس الذى كان يعرف قصة مثقال فربطوا الرسالة فى سهم شده الى قوس وأطلقه فسقط عند الطليعة التى كانت على مقربة من أسوار المدينة ، وحين رأوا السهم أخذوه وذهبوا به الى المجلس وكان قد مضى قليل من الليل وكان خورشيد شاه والوزير وأحباء الملك يشربون فسلموا الرسالة لهامان الوزير ليقرأها ، وحين سمع سمك هذا قام وأدى التحية وقال « أيها الملك العظيم ابقوا كما أنتم ، ولكن عليكم أن تخرجوا للحرب غدا حتى آخذ ألفين من لفرسان والحق بولوال وأحضره مقيدا » فأثنى الملك عليه • وخرج نور الملك مع ألفين من الفرسان وسار فى طريقه الى أن وصلوا الى طريق جزيرة النار فاختبأوا وصعدت ضياء على شجرة هناك وقالت أراقب الطريق حتى اذا وصلوا أخبرتكم • وكان الألفا جندي قد قسموا واختبأ كل خمسمائة فى مكان •

فى الجانب الآخر وصل ولوال على رأس الأربعة آلاف فارس وكانوا قد خرجوا من المدينة عند السحر ، وبعد أن ساروا نحو خمسة فراسخ

وصلوا الى أطراف روضة ، وكان طريقهم يمر من وسطها . فقال ولوال « ليس من المستحسن أن نعبر هذه الروضة أثناء الليل » فحطوا رحالهم ، بينما نزلت ضياء من فوق الشجرة وذكرت ما شاهدته لنور الملك والجيش. فقال نور الملك ليذهب خمسمائة فارس ويقطعوا الطريق المتجة الى المدينة. فذهب الفرسان وقال للباقين « اهجموا عليهم من ثلاث جهات ولا أريد أن يفلت منهم أحد » فأحاطوا بهم ثم صاحوا فيهم ، وكان بعضهم نائما والبعض الآخر مستيقظا ، فأعمل جنود خورشيد شاه السيف فيهم وكان كل من يهرب ويتجه للمدينة يقتله الكمين ، حتى قتلوا كل الفرسان الا ولوال الذى ألقى بنفسه وسط القتلى حتى اذا عاد جيش خورشيد شاه قام وذهب .

كان نور الملك وضياء كلاهما فوق شجرة فشاهدا ولوال وهو ينهض من بين القتلى فعرفاه لأن النهار كان قد طلع والجند يجمعون الغنائم فذهبا اليه وقالا « أيها الرجل الحر » الطريق من هذه الناحية ، وقد تشتت الجند ونحن ذاهبان للمدينة فتعال معنا » فجاء اليهما ولوال وسألهما « من أنتما ؟ فأجابه سمك «ألا تعرفني ؟ ما أعظم عمى قلبك . أنا شادى الحلوانى ، وهذه استاذة الدكان ، واذا كنت قد صرت بلا عقل الى هذا الحد فأنا نور الملك ، وان كنت تريد اسما أكثر شهرة من هذا فأنا سمك العيار » . فانهار ولوال وخارت قواه فأمسكاه واقتاداه الى معسكرهما وقسما تلك الأموال بين الجند واحتفظا بنصيب الملك ، ثم توجهوا عائدين الى معسكرهم فوصلوه فى وقت تناول طعام الافطار وأدى نور الملك التحية لخورشيد شاه وقال أيها الملك العظيم لقد ظننت أنكم خرجتم للحرب ، ولعلك نسيت حديثى معك بسرعة ، ولكن الله وفقنا فى مهمتنا والا لكان أمرنا قد تبدل وربما لحقتنا الهزيمة .

قال خورشيد شاه « يا أخى ، لقد كنت قد أفرطت فى الشرب فرحا بأعمالك والا لما كنت قد نسيت » . فقال نور الملك « كان يجب أن يرسل فريقا من الجيش طالما أنك لم تستطع الخروج للقتال لأنه ليس فرضا على الملك أن يخرج فى كل معركة » فقال خورشيد شاه « لقد انقضت هذه المرة وبعد ذلك سأفعل ما تقول » ووضع نوز الملك نصيب الملك من الغنائم أمامه وقال له لقد وزعت نصيب الجند عليهم وهذا هو نصيب الملك . وكان ولوال مربوطا أمام عرش خورشيد شاه الذى أمر بوضع القيود فى يديه ورجليه وتسليمه لقائم . ثم أحصوا قتلاهم فكانوا مائة من الألفين الى جانب الكثير من الجرحى لأن قتال الليل لا حيطة فيه . فأمر الملك بتوزيع نصيبه من الغنائم على أسر القتلى . واحتفالا بهذا النصر أخذوا

في تناول الشراب الى ان حل الظلام وذهب الملك الى مخدعه · فلما انقضى الليل وأشرقت شمس النهار التالى ذهب خورشيد شاه الى مجلسه وجلس على عرشه وجاء الفغفور وهامان الوزير الى المجلس ·

## الشيطان يواجه قاهر الشياطين

قال خورشيد شاه « يجب أن نخرج للقتال فنحن قاعدون وهم على أمل وصول صيحانة الساحرة ينتظرون ، وهكذا فان الأمر سيطول ، فاذا عزمنا على الحرب ودقت الطبول فانهم لا شك للقتال سيخرجون » · وقال الأبطـال « السمع والطاعـة لكل ما به تأمرون » فأمر الملك بدق طبول الحرب في التو والساعة ، فزلزلت الأرض زلزالا كأنها يوم الساعة ومن هذا الهول والضجيج صارت مدينة جبل المشرق فى فزع وضيق، وانتفض ارمنشاه وزلزال فى مجلسهما ظنا منهما أن الجند دخلوا المدينة · فسألا « ما هذه المصيبة » فقالوا لهما « خرج جيش خورشيد شاه يريد الحرب » · فتقدم دبور وأدى التحية وقال « أيها الملك نوبة الحرب لنا اليوم » · وأمر الملك فأقاموا المجلس فوق سور المدينة وفتحوا بابها ليخرج دبور مع جيش جرار وأخذ الجانبان يسويان صفوفهما عندما أدى فتاح الزنجى التحية لخورشيد شاه وقال « أيها الملك ، عبدك سيدخل الميدان » · وحين رآه دبور قال « جاء شيطان وأنا قاهر الشياطين ، سأذهب لأسره » قال هذا وانطلق بحصانه فى الميدان ، ذلك الحصان الأسود الذى طلبه له زلزال · ودخل الزنجى الميدان وهو يمتطى الحصان رخش والذى كان خورشيد شاه قد أعطاه له لأنه لم يكن هناك حصان آخر يستطيع حمله ، وأخذ يتجول فى ساحة القتال ويقوم ببعض الألعاب الحربية برمحه ثم اتجه بعد ذلك الى البطل دبور وقال « تنبه يا دبور وتقدم الى ساحة القتال وعدنى كأننى شيطان ، فلماذا تتأخر وتتوانى ؟ وكان الزنجى قد دخل الميدان وهو لا يعرف آداب القتال وقواعده وقال لدبور « ان كنت لا تريد الدخول فقل لنا وليدخل من كان أكثر منك شجاعة وبطولة » ·

حين قال فتاح هذا ، انطلق فارس من جيش دبور تبدو عليه المهارة وتقدم الى الزنجى وصاح فيه ، فضحك فتاح وقال له « هل سـيقاتلنى رجال مثلك ؟ ورماه بحربته فصرعه ثم صاح « أيها البطل ، هل سترسل رجالا مثل هذا ؟ ودخل رجل آخر فقتله فتاح أيضا ثم قال لنفسه « فلألقى فى قلوبهم الرعب والفزع » فلما دخل رجل آخر نزعـه من فوق سرج حصانه ثم مزقه اربا وأخذ يقطعه بأسـنانه ويأكله · فخاف جند دبور

ولم يجرؤ أحد على دخول الميدان بعد هذا . وكان فتاح يصيح « يا أحرار الرجال أين أنتم ؟ ان كنت تتظاهر بشجاعتك وقوتك يا دبور فتعال لأعلمك قهر الشياطين تماما وحتى يعرف الناس أنك أطلقت على نفسك اسما زائفا والا فأى لون من الشجاعة هذه أن تطلق على نفسك صفة ليست فيك ، انهم يسموننى الزنجى آكل لحوم لبشر ، وأنا أظهر هذه الصفة على أكمل وجه » .

ثار دبور من كلام الزنجى وانفعل ولبس سلاحه ورتبه وركب حصانه وأنطلق الى ساحة القتال الى أن وقف أمام الزنجى وقال له « أيها الحقير المغبر ، هل وصل بك الأمر أن تدعو مثلى الى القتال ؟ اننى أتساوى مع خورشيد شاه ، فأى حق لزنجى مثلك أن يقول هذا الهراء ؟

أجابه فتاح « أيها البطل ، اهدأ وتكلم بلين لأننى خفت . ومع كل هذا فلا تذكر اسم خورشيد شاه على لسانك لأن عنده ألف عبد مثلك ، فبأية جرأة تذكر اسمه وتجعل نفسك ندا له ؟ اننى أقل عبيده زنجى مشترى بعشر دراهم ، فواجهنى أنا وبعد ذلك أذكر اسمه . هل نسيت جرح رمح خورشيد شاه ؟ لكنك لا تخجل من أثر جرحه فى جبهتك ثم تدعى الندية له . هات ما عندك » .

قالا هذا وتناوشا بالرماح كثيرا حتى تقصفت فى أيديهما فألقياها واستلا سيفيهما ووضعا الدرق على رأسيهما ثم تجالدا بالسيوف حتى ثلمت فى أيديهما ، فجن جنون فتاح الزنجى وأزبد كالجمل وأمسك بحزام دبور الذى أمسك هو الآخر بحزام الزنجى وبذل كل منهما قوته ، والجند على الجانبين ينظرون اليهما ، وكان محارب القصاب يقف بين المشاه فأدى التحية لخورشيد شاه وقال « أيها الملك العظيم ، أتأذن لى بأن أرمى دبور بنشاب ؟ فقال خورشيد شاه « أخشى أن يصيب الزنجى ، ولكن أختى ضياء من أنبل الناس » (١) . فأدت ضياء التحية وقال قائم « أيها الملك ، إن ذلك العمل الذى قامت به ضياء جعلنى أشرب نخب أخوتى لها مع أننى لم أكن أعلم أنها أخت لملك الدنيا وهذا من توفيق الله ورعاية بطل العالم نور الملك . ومع كل هذا فان محارب من أحذق الرماة وهو يفعل كل ما يقول . وأنا أعترف أمامكم أنها أمهر منى » .

---

(١) انبل الناس اى أمهرهم فى الرمى بالنبل أو النبال وهى السهام .

قال محارب « أيها الملك ، لا تقلق لأنـنى سأطلق السـهم بحيث يصيب جنب دبور ، فان أخطأت قدمى حلال للملك » . فقال خورشيد شاه « أنت أدرى بنفسك ، فأنت الذى تدعى ما أدعيت ، فان أصبت فمرحى ، والا فانك ستوصف بهذا » وعندئذ اخرج محارب نشابا من صندوق ثم شده الى قوسه وركز نظره وأخذ ينتهز اللحظة المناسبة وحين حانت له أطلق السهم من قوسه .

شاء الله تعالى أن الزنجى ودبور كانا يتصارعان بكل ما فيهما من قوة ، وفى اللحظة التى أطلق فيها محارب سهمه كان الزنجى ودبور قد سقطا عن حصانيهما فشخص ( السهم ) وحين سقط البطلان كان الزنجى تحت دبور الذى أخرج خنجـره ليطعن به الزنجى الذى تلقف يـد دبور وبذل قوته وقلب دبور وجعله تحته . وحين رأى الجند هذا هجموا من الجانبين فلما رأى دبور والزنجى هجوم الجيشين فضا اشتباكهما وعاد كل منهما الى جيشه وكان الجنود قد اختلط بعضهم ببعض وجرى الدم سيولا الى أن دقوا طبول التحاجز من فوق سور المدينة ، فتراجع الجيشان وعاد دبور بمن بقى من جنده الى أرمنشاه الذىأثنى عليه كما أثنى عليه الملك زلزال واسترخوا للراحة .

فى ذلك الجانب رجع خورشيد شاه وذهب الى مجلسه وجلس على عرشه وحضر الملوك والأبطال ثم مدوا الموائد وتناولوا بعض الأطعمة فلما فرغوا منها أقـاموا مجلس طرب وخلع خورشيد على فتاح بخلعة فاخرة وأثنى عليه لما أبداه من شجاعة وأظهره من بطولة ثم أخذوا فى تنـاول الشراب . وبعد أن شربوا مدة وكان الجميع يتحدثون عن فتاح الى أن قال خورشيد شاه « يا محارب ، ان سهمك صاف » (٣) فأدى محارب التحية وقال « أيها الملك العظيم ، لقد قمت بالعمل ولكن القضاء لم يشأ » فقال قائم « أيها الملك ، لقد أحسن محارب اطلاق السهم ولكن الأمر صـار الى ما رأيت ، وضـيـاء تعلم هذا جيدا وكيـف كان » وأخـذ كل شخص يدلى برأيه الى أن وقف نور الملك وقال « أيهـا الملك العظيم ، ان الرسالة التى كتبهـا أرمنشـاه الى صيحانة السـاحرة كنت قد أودعتهـا لديكم ، وأريدها لكى أذهب وأحضر صيحانة مقيدة قبل أن يعاودوا ارسـال شخص آخر لاحضارها لديهم، وأعرف أنهم لم يعلموا بعد بأسرنا لولوال» . فطلب الملك الرسالة وسلمها له فقالت ضياء « اننى أرغب فى أن أكون فى

---

(٢) شخص السهم علا عن هدفه وسهم شاخص أى مرتفع .
(٣) صاف السهم صيفا وصيفانا أى لم يصب الهدف .

صحبتك حتى أرى البحرة » فرد عليها سمك « بل ابقى هنا فى خدمة الملك فقد يحتاجون اليك » فقالت ضياء « انني سآتى معك » فأجابها نور الملك « تعالى » ثم ذهب كل منهما الى خيمته وحمل كل ما يحتاجه لرحلته وبعد هذا توجها الى جزيرة النار ·

## وصول مرزبان شاه وحرق معسكر خورشيد شاه

ظل خورشيد شاه يتناول الشراب الى أن حان وقت الراحة فذهب الى مخدعه ، فلما طلع النهار وأضاء ذهب الى مجلسه وجلس على عرشه وجاء الأبطال لخدمته وأمر الملك فمدوا موائد الطعام وأخذوا يتناولون طعامهم ، فلما فرغوا منه غسلوا أيديهم وأقاموا مجلس طرب وأخذ المغنون يرددون ألحانهم والسقاة يدورون عليهم بكئوس الطلا ، وكانوا فى فرح وسرور الى أن دخل حاجب من باب المجلس وأدى التحية وقال أيها الملك العظيم ، وصلت جمازة (١) من الصين وراكبها يطلب الاذن للدخول » فقال الملك « أدخلوه » فلما دخل ذلك الرجل أدى التحية ثم أخرج رسالة وقبلها ووضعها أمام خورشيد شاه ، فتناولها وسلمها لهامان الوزير الذى فتحها ورأى خاتم مرزبان شاه فضحك وعندئذ سأله خورشيد شاه « يا أبتاه ، ما الذى يضحك ؟ فأجابه هامان الوزير « أيها الملك العظيم ، اننى أضحك من السعادة والسرور ، البشرى اذ جاء أبوك العظيم مع مائة ألف فارس » ففرح خورشيد شاه وسأل ذلك الرسول « أين كنت حين تركت أبى ؟ فقال « أيها الأمير ، انه سيصل بعد نحو أسبوع ، ولكن أباك قام بعمل لم يقم به أحد فى الدنيا ، اذ أنه عندما وصل مندوب الملك فغفور الى مدينة الصين وأخذ فى تعميرها فوجئنا بثلاثين ألف فارس من جنود الملك أرمنشاه الذين كانوا قد فروا منهزمين أمام خورشيد شاه وقد أحاطوا بالمدينة ، كما علمنا بنبأ أسرهم للملك فغفور مما أثار حزننا وضيقنا وقام هؤلاء الجنود بالسلب والنهب فذهب مندوب الملك مع جماعة من الشيوخ اليهم للشفاعة وقالوا لهم ليس لنا ملك الآن يرد على أعمالكم ولهذا فاننا سنعطيكم بعض الذهب لتنفقوه وتعودوا ، وان كنتم تريدون المدينة فهى أمامكم · فوافقوا على أخذ الذهب وهو مائة ألف دينار فتعهد مندوب الملك بها وعاد الى المدينة واستطاع تدبيرها فى خلال عشرة أيام وسلمها لهم وقد اتضح أنهم كانوا ينوون نهب المدينة بعد أخذهم للذهب

---

(١) الجمازة الناقة سريعة السير ·

وكان أهل المدينة في حزن وهم • واذا بأبيك مرزبان شاه يصل مع مائة ألف فارس وهجم عليهم وقضى عليهم جميعا • والحق ـ أيها الأمير ـ أنهم لم يؤمنوا أى أحد منهم على حياته ، وفرح أهل المدينة وخرجوا وأخذوا فى جمع الغنائم ، ولم يدع أبوك أحدا من جنده يأخذ ولو كسرة خبز ، وحين دخل المدينة أمر مناديا ينادى بالمدينة أن من اخذ رغيفا من شخص ظلما ،و اغتصب منه حفنة من التبن فانه سيعدم • وقد عمر المدينة بالحق والعدل الى حد أن خادم أمير اشترى كيس تبن وقال لتاجر التبن احضره الى بيتى لأدفع لك ثمنه فلما وصل الى بيته أبدى الخادم مماطلة فى الدفع وعندما خرج أميره من القصر صاح بائع التبن وقال « انه يماطلنى ولا يريد دفع ثمن التبن » • فأمر الأمير أحد غلمانه فعلق كيس التبن فى رقبة الخادم ثم شنقه • فقال الناس انه لم يرتكب ذنبا الا أنه تأخر فى دفع الثمن • فقال الأمير ان لم أشنقه لشنقنى الملك • وبقى أبوك فى المدينة عشرة أيام حتى استقامت أمورها ثم كتب الرسالة وأرسلنى الى مجلسك ، وكان أبوك قد ارتحل من المدينة » •

أنعم خورشيد شاه على الرجل بخلعة وأكرمه ثم التفت الى هامان الوزير وقال إقرأ ما فى الرسالة » فقرأها وكان بها :

« يابنى لقد تركت وطنى ومالى وملكى من أجلك ، ومع أنك لم ترغب فينا وشبعت من رؤيانا الا أننا كنا فى حاجة الى رؤياك ، وكان أملنا أن يعود ابننا مع معرفتنا بما واجهه وما حدث له • ثم أرسلنا هامان الوزير حتى ترجع الينا • وبعد ذلك بعثنا جبل الديلم ، ولهذا لم نر بدا من أن نأتى بأنفسنا لأن ما تعانيه قلوبنا لا تعانيه قلوب أحد غيرنا • ولقد أسلمت أمك روحها للحق محترقة من نار فراقك وهجرك ولم أشأ أن ألحق بها بعد أن احترقت نصف روحى • اننى لا أستطيع أن أصف لهفى على لقائك والسلام » •

استدعى خورشيد شاه الأبطال وقال لهم « حافظوا على المعسكر لأن أبى العظيم سوف يصل وسأخرج لاستقباله وتنبهوا جيدا وتيقظوا » ثم ترك لهم المعسكر • أما المشاة فقد أوكل أمرهم الى الثعلب وقائم ومحارب • ثم انطلق خورشيد شاه يصحبه الملك فغفور وهامان الوزير ومائتا غلام للقاء أبيه •

أراد الحق تعالى أن أحد الجواسيس كان فى المعسكر فعلم بهذه الأمور وعاد الى أرمنشاه وزلزال وقال لهما « ان كنتما تريدان عمل شىء

فهذا وقته لأن أبا خورشيد شاه سيصل ومعه مائة ألف فارس ، وقد خرج خورشيد شاه والملك فغفور وهامان الوزير وبعض الغلمان لاستقباله وخلا المعسكر من قائده » فقال دبور « أيها الملك . يجب علينا القيام ببيتوتة لأنهم من فرحهم بقدوم مرزبان شاه سيكونون في غفلة وتهاون » فقال أرمنشاه « على هذا النحو الذى ذكره الجاسوس فان نحو خمسمائة فارس هم الذين ذهبوا وبقية الجيش فى معسكرهم » فقال شهران الوزير « أيها الملك ، دعهم يذهبون للاغارة عليهم لأنه حينما لا يكون الملك فى المعسكر فانهم يصيرون كالخراف بلا راع يرعاهم لأن بهاء الملك وعظمته تفعل الكثير . فليذهبوا لعلهم يقومون بعمل يفيدنا » .

اعدوا عدتهم ووزعوا سبعين ألف فارس على أبواب المدينة ثم خرجوا دون صوت أو ضوضاء ، وقال دبور « اننى سأتولى أمر طليعة جيش خورشيد شاه فهم عادة يكونون فى يقظة واستعداد وأنتم عليكم أن تحيطوا بالجيش » وكان قد انقضى ثلثا الليل حين أكملوا حصار معسكر خورشيد شاه ثم أشعلوا النيران والنفط ، ووصلت صيحات الرجال الى عنان السماء ، واختلط الجيشان يقتتلان وكأنه يوم القيامة وجرت سيول الدماء ، وذهب الغلمان والجنود يبحثون عن اكبار وهم لا يعلمون شيئا عن ولوال الى أن وصلوا الى خيمة قائم وحين رأوا ولوال تعجبوا وفكوا القيود عنهما فقالا « يجب علينا القيام بعمل اذ أن خيمة الملك قريبة منا فلنذهب ونأخذ الملكة غدير » وتوجها الى خيمتها وكان الخدم قد تفرقوا فى وسط هذه الفوضى التى عمت المعسكر ولم يبق معها الا خادم واحد .

كانت غدير فى الخيمة والى جانبها الأمير فرخ روز وهى فى خوف وفزع واذا ولوال واكبار يدخلان وقد أشهرا سيفيهما وأطارا رأس الخادم ثم أمسكا غدير وفرخ روز ووضعاهما على الخيل وانطلقا من طرق غير مزدحمة الى المدينة حتى دخلا قصرهما بحيث لم يشعر بهما أحد — وكان بعض جنود خورشيد شاه قد تفرقوا خوفا على أرواحهم . أما جيش أرمنشاه فقد عاد الى المدينة بعد هذا النصر العظيم .

وقعت كل هذه الحرب والضجة والضوضاء والنار بينما كان فتاح الزنجى ثملا نائما من كثرة ما شرب من خمر ، وحين أفاق هو وأبطال خورشيد شاه وجدوا المعسكر كله وقد أصبح رمادا وأطلالا منهوبة ، كما أن مجلس الملك قد حمله الأعداء ولما بحثوا عن غدير وفرخ روز لم يروا لهما أثرا فتضايق الجميع وحزنوا .

كان خورشيد شاه قد سار يومين بلياليهما للقاء أبيه وفى صباح اليوم الثالث بدأ ظهور جيش مرزبان شاه بينما وصل بعض الفرسان من معسكر خورشيد شاه صائحين صارخين مما جعل خورشيد شاه يشعر بالرعب وسألهم « ماذا حدث ؟ فأجابه الفرسان عندما ذهبت ـ بالسلامة ـ قام جيش أرمنشاه فى نفس الليلة ببيتوتة على معسكرنا وأضرموا فيه النيران » فسألهم خورشيد شاه « ألم يصب فرخ روز بأذى ؟ وهل هو وأمه غدير فى سلامة وأمان ؟ أجابوه « أيها الملك ، لا نعلم » فحزن خورشيد شاه واذا بجماعة أخرى من الفرسان تصل لتذكر نفس الشىء ، وفجأة ظهرت مظلة ملك المغرب وولاية حلب الملك مرزبان شاه ٠

ومع أن خورشيد شاه كان فى ضيق حزنا على ابنه ولكنه فرح برؤية أبيه فنزل عن حصانه وأدى التحية وسار الى أن التقى بأبيه وادى التحية ثانية ثم سجد أمام أبيه وكان الفرسان من الجانبين قد ترجلوا عن خيلهم فيما عدا مرزبان شاه الذى قال له خورشيد شاه « جعل الله مقدمك مقرونا بالخير والسعادة » فاحتضنه أبوه وقبل وجهه وعينيه وأخذ يشكر الله ويبكى ثم قال « يا روح أبيك ، البقاء لك فى أمك التى أسلمت روحها حزنا على فراقك وحينما كانت تودع الدنيا قالت لى حينما تصل الى ابنى ابلغه سلامى وقل له يا بنى ، يا من لا وفاء له ، وداعا الى يوم القيامة ، فلم أكن أنتظر هذا منك وقد لقيت أمك ربها قبل موت أخيك فرخ روز وحين بلغنى خبر قتله حزنت كثيرا » ٠ فأخذ خورشيد شاه فى البكاء والعويل مما جعل الجميع يبكون ثم احتضن مرزبان شاه الملك فغفور وقبله وقال له أيها الملك ، ما هذه المعاملة التى كنت تريدها لابنى ؟ ان الله لم يدعك تستمر فيما كنت تنويه ، ولكن هذا قد فات وانقضى ولن أتحدث عن الماضى ٠ ثم احتضن هامان الوزير الملك مرزبان شاه وبعد هذا أمر مرزبان شاه أن يركب الجميع خيولهم فركبوا ٠

سار الجميع متجهين الى معسكر خورشيد شاه حتى اذا بلغوا روضة جميلة حطوا رحالهم عندها ، فقال هامان الوزير لمرزبان شاه أيها الملك الجليل ، البشرى لأن الأمير رزق بابن مبارك » فسر مرزبان شاه وقال لخورشيد شاه « يا روح أبيك ، ماذا أسميته ؟ أجابه « سميته فرخ روز » فقال مرزبان شاه « يا روح أبيك ، لماذا لم تسمه باسمى ؟ فأدى خورشيد شاه التحية وقال « أيها الملك الجليل ، أطال الله عمرك ، لاكان اليوم الذى لا تكون فيه بيننا ، ولتعش حتى ينجب ابنى ابنا ولتسمه أنت مرزبان شاه ، ولقد أسميته فرخ روز لأن أخى فرخ روز كان نعم الأخ وأنا أعرف أنك على علم بكل ما قام به من أجلى ، وقد أردت أن أبقى على

اسمه » فقال مرزبان شاه « واحسرتاه على هذا الفتى لقد سمعت عن كل ما قام به وكنت أثنى عليه » وكان مرزبان شاه يعلم كل أحوال خورشيد شاه وأخباره لأن هامان الوزير كان يرسل اليه كل أسبوع رسولا يحمل رسالة يذكر بها كل ما يقع من أحداث ·

أخذوا يتحدثون فى كل أمر وفجأة وصلت جماعة من الفرسان كلهم جرحى منهكون فسألهم مرزبان شاه « من أين أنتم قادمون ؟ فذكر خورشيد شاه لأبيه أنباء البيتوتة التى قام بها جيش الأعداء · فقال مرزبان شاه « يا روح أبيك ، انك لم تكتمل فى الملك بعد » · ثم التفت الى هامان الوزير وقال « أعرف أنه صبى ، ولكنك رجل عاقل عالم · ألم تعلم أننى قطعت ألفين أو ثلاثة آلاف فرسخ وأننى قادر على قطع ما تبقى من الطريق ، ولا مفر اذا بقيت الأغنام بلا راع أن تهاجمها الذئاب · لقد حققوا الآن بغيتهم وضاع كفاح بضع سنين من القتال والجهاد · وماذا يقولون عن فرخ روز وأمه غدير ؟

أجاب خورشيد شاه « لا أحد يعرف شيئا عنهما » · فقال مرزبان شاه « علينا أن نسرع بالرحيل قبل أن يقوم الأعداء بعمل آخر » ·

سار الجيش وكان خورشيد شاه يسأل أباه عن أحوال ولاية حلب وعن أخته قمر الملك ، فقال مرزبان شاه « لقد زوجتها لابن أخى وسلمته المدينة فهو ولى عهدى ، بل هو الملك ولكننى أعلم أن أختك لن تترك زوجها فى الملك وما أسرع ما سيلحقان بنا ·

## ولا يفلح الساحر حيث أتى

يقول مؤلف القصة انه حينما توجه نور الملك وضياء الى جزيرة النار ووصلا اليها وجدا أن أهلها من كل صنف ولون ، فهم ثقلاء الظل ، معتلو الصحة ، تفوح منهم رائحة كريهة فتملأ الجو · وتقدم نحوهما بعض الأفراد وسألوهما من أنتم ومن أين ؟ قال نور الملك « اننا نحمل رسالة من الملك أرمنشاه الى صيحانة ملكة الدنيا » فأمسك هؤلاء الناس أيديهما وساروا حتى أوصلوهما الى قصرها فرأياه قصرا منيفا يرتفع ايوانه الى عنان السماء وكأنه قصر أحد الملوك ، ويقف الخدم على باب القصر وكلهم قبيحة وجوههم ، منفرة أشكالهم ، فلما أخبراهم دخل أحدهم وقال لصيحانة « يقف بالباب شخصان يقولان أنهما يحملان رسالة من أرمنشاه » فقالت صيحانة « أدخلوهما » فعاد الرجل وصحبهما الى

صيحانة فلما دخلا نظرا الى القصر من الداخل فوجداه على هيئة قصور الملوك فتعجبا ووجدا امرأة تجلس على عرش قبيحة الوجه عفريتة الشكل وأمامها وقفت امرأتان أكثر قبحا وأشد بغضا منها ٠

أدى نور الملك التحية وقدم الثناء ووضع الرساله فتناولتها صيحانة وأخذت في قراءتها وكانت تحرك رأسها الى ان وصلت الى اسم سمك ، وقرأت كل افعاله كما جاءت في الرسالة ، ثم التفتت الى نور الملك ( سمك ) وقالت « أيها الرجل الحر ، ما اسمك ؟ فأجابها « زياد » ، فقالت له « يا زياد ، هل رأيت سمك الذى يستتغيثون من كل أعماله على هذا النحو ؟ فأجابها « أيتها الملكة ، لقد رأيته ، بل رأيته مرارا لأنه ساحر يتشكل كل ساعة بشكل ، فحينا يذهب الى الملك ويتكلم معه ويخرج ، وحينا آخر يأتى بهيئة أخرى فلا يعرفه أحد ٠ واذا أتاك ألف مرة فى اليوم فانك لن تعرفيه » ٠ فتعجبت صيحانة ثم التفتت الى المرأتين وكانت احداهما تدعى شيطانة والأخرى بروانة (١) وقالت لهما « أتعرفان على يد من من الأساتذة تعلم السحر ؟ وهل سمعتما باسمه قبل هذا ؟ فأجابتاها « لم نسمع من قبل على الاطلاق اسم سمك ، ولم نره أمام أى من أساتذة السحر » ٠ فقالت صيحانة « يا شيطانة ، يجب عليك الذهاب بسرعة ودعوة سمك لمعرفة كيف يعمل ، فان كان ساحرا ، فانظرى فى أمره وعودى فى أقرب وقت واذكرى لنا اسمه لاقوم بما يلزم نحوه لأن قلبى يحدثنى أنه ليس ساحرا ولكنه أستاذ فى صنعته » فأجابت شيطانة « السمع والطاعة » ٠

الى أن تحدثوا فى هذا ، كان الليل قد اقترب فقال نور الملك « أيتها الملكة ، أين مكان استراحتنا ؟ فقالت صيحانة « يا شيطانة ، خذيهما الى بيتك » ٠ فأمسكت شيطانة يديهما واصطحبتهما الى بيتها وأجلستهما ٠ فقال نور الملك « نحتاج الى شئ نأكله » ٠ فمدت شيطانة يدها وأحضرت لهما خبزا وطعاما دون أن يرياها ووضعته أمامهما كما أخرجت طبق الحلوى من الحائط وقالت لهما « كلا وناما هنا أيضا » ٠ وبعد أن قالت لهما هذا صعدت الى السطح ونامت ٠

كان نور الملك وضياء قد بهتا من سحرها وبقيا حتى انقضى ثلث الليل فقال نور الملك « يا ضياء ، قومى واصعدى الى السطح وافصلى

---

(١) بروانه فى اللغة الفارسية تعنى فراشة ٠

رأس شيطانة عن جسدها حتى نتخلص من شرهم » · فأجابته ضياء « أيها البطل ، ليس هذا عملي » · فقام نور الملك وصعد الى السطح فرأى شيطانة نائمة فاجتز رأسها وحمله الى ضياء ثم قال لها « قومي الآن والقي بجسدها في بئر ، وخذى الرأس معك الى خورشيد شاه وقومي بما يجب حتى أعود » فقامت ضياء وحملت جثة شيطانة وألقتها فى بئر ثم حملت رأسها وتوجهت عائدة الى معسكر خورشيد شاه ·

فى الناحية الاخرى فان الحق تعالى شاء ان يتوجه مرزبان شاه وخورشيد شاه والملك فغفور وهامان الوزير الى المعسكر ، فلما وصلوا اليه وجدوه خرابا محترقا ، وتقدم الابطال وأدوا التحية وذكروا ما حدث فى تلك الليلة ، فسألهم خورشيد شاه « هل من اثر لإبنى فرخ روز وغدير ؟ فقالوا « ليس لهما أثر ؟ فصاح خورشيد شاه وأخذ فى النواح وحزن الجميع وقال أحدهم « لقد أخذوا المجلس الذهبى الذى كنا قد أخذناه من البطل دبور » فقال خورشيد شاه « أى أهمية لهذا ؟ وكان مرزبان شاه قد أحضر لابنه مجلسا من الاطلس ذى سبعة ألوان فأمر باقامته · وكان خورشيد شاه يبكي وينوح على ابنه فقال مرزبان شاه « يا روح أبيك ، لا تقلق فانهم ان كانوا قد أخذوهما فانهما لن يصيبهما مكروه » · ثم التفت الى هامان الوزير وقال « يا هامان ، اكتب رسالة الى أرمنشاه وزلزال وقل لهما ليعلما ويتأكدا ··· ولم يكد يتم كلامه هذا حتى دخلت ضياء من باب المجلس ونظرت فرأت مرزبان شاه جالسا على العرش وهامان بجانب العرش يكتب الرسالة بينما ابنه خورشيد شاه قائم على رأسه (١) ومجموعة من الأبطال الغرباء يجلسون فى كل مكان ، ورأوا ضياء وقد خافت واستغربت المكان ولكنها تقدمت نحو العرش فأرادوا الاستهزاء بها واذا بخورشيد شاه يصيح « دعوها تتقدم » · وأدركت ضياء أن الجالس على العرش هو أبوه وقالت لنفسها يجب أن أظهر أدبي حتى لا ينظر الى الملك بعين التحقير وتقدمت وأدت التحية وقبلت الأرض ثم دعت وأثنت وبعد ذلك وضعت الرأس أمام العرش ·

قال مرزبان شاه « يا روح أبيك ، من هذه ؟ وما هذا الرأس ؟ فأدى خورشيد شاه التحية وقال « أيها الملك الجليل ، انها أختي ضياء » فقال مرزبان شاه « لقد نسيت أمر سمك » ثم مد يده الى أن تقدمت ضياء وقبلتها فاحتضن مرزبان شاه رأسها فقال له خورشيد شاه « ياأبى

---

(١) قائم على رأسه أى يقف خلفه ·

الجليل ، لقد غيرت اسم سمك الى نور الملك ، فلا تنساده بسمك ، وقد نسيتهما بسبب سرورك وفرحك برؤيتي وحزنك على ابني ، ولكنني لم انسه ، ولو كان هنا لتولى أمر فرخ روز وغدير لأننا جميعا نعجز عن هذا ، ان نور ملكي ذهب الى جزيرة النار عند السحرة ليكفينا شرهم » .

قال مرزبا شاه « يا ضياء ، تقدمي فانك منا وأنا أعرف كل أحوالك وقد دعوت لك من قلبي كثيرا في غيبتك وفي مواجهتك ، فلك الشكر وعليك الثناء » فأدت ضياء التحية وهي واقفة في مكانها الى أن سألها خورشيد شاه « يا أختي ، رأس من هذا ؟ فذكرت ضياء كل شيء عنها . فتعجب مرزبان شاه وقال « انه رجل عظيم » فقال خورشيد شاه « يا أبي ، انك لم تعرف بعد ، فملكي منه . بل ما هو الملك ؟ ان روحي منه فما أكثر الأعمال التي قام ويقوم بها من أجلي ، وهذا أقل أعماله وهو ارسال رأس الساحرة ، وبقي هو وسط السحرة . ومع هذا ففرق كبير بين القول والرؤية » . فقال مرزبان شاه « انه مرشدكم وليس من المستحسن القيام بعمل دون مشورته . ثم انه ذهب الى عمل قد يكون فيه هلاكه فكتابة رسالة لطلب الصلح كيف تتفق مع ارسال شخص للقتال ؟ انه بهذا الدليل الذى تذكرونه ومما يبدو من أعماله فان الحظ يلازمه وأن السعد يرافقه ، وأرى أن عملنا ينتظم بوجوده معنا وما لم يحضر فانني لن أقوم بعمل . يا هامان اترك الرسالة » .

بعد هذا الحديث أخذوا في تناول الشراب ، وكان الأبطال حاضرين وأخذ مرزبان شاه يسأل كلا منهم عن مركزه ودرجته وزادهم عما كان يعطيه لهم خورشيد شاه وأكرم الجميع وأجلس الثعلب على جانب العرش كما كان خورشيد شاه قد أجلسه وزاد في درجة قائم وأجلس محارب القصاب على جانب العرش أمام ضياء وورد بينما كان خورشيد شاه حزينا على ابنه .

كان جاسوس أرمنشاه حاضرا فعلم بكل هذا وذهب في الحال الى أرمنشاه وذكر له خبر وصول مرزبان شاه واقامة مجلس جديد وأمره لهامان الوزير بكتابة رسالة ووصول ضياء واحضارها رأس شيطانة الساحرة والحديث عن ذهاب سمك الى جزيرة النار ثم قال أيها الملك ان اسم سمك قد جعلوه نور الملك ، ولا يجرؤ أحد على ذكر اسمه القديم سمك » . فقال أرمنشاه وزلزال « يجب علينا أن نكتب رسالة الى صيحابة نخبرها أن سمك يريد قتلها حتى تمسكه وتقتله ونتخلص من جوره

وظلمه . أنظروا الى جرأته لقد ذهب يطاول السحرة السحر ويقارعهم فى عقر دارهـم » .

فى الحال كتب شهران الوزير الرسالة وذكر بها كل شيء ، فلما أتمها ختمها وقال نحتاج الى بطل ليذهب بها . فأدى غرامد التحية وقال « أنا أذهب بها ولكن مع هدية » . فقال زلزال « لقد أخذ سمك منى مرتين كل ما كان معي من مال » . ثم أعدوا بعض صرر من الدنانير وبضعة أثواب من القماش وبعض الغلمان الحسان كأنهم أقمار ، وخيول وسروج من ذهب ثم توجه غرامد الى قصره لكى يعد العدة للسفر على أن يخرج عند السحر وبرفقته آلف فارس .

شاء الحق تعالى أن يستمع مثقال لهذه الأحوال فكثيرا ما كان يقف ليستمع الى مثل هذه الأمور ، مع أنه لم يعلم بخبر البيتوتة لأنهم دبروا هذه الحملة سرا فى قصر زلزال بينما قال دبور لمن فى قصره أنه خارج للذهاب للطليعة . وقام مثقال بكتابة رسالة فى الحال ثم ذهب الى عباد الشمس وربطها فى سـهم ورماه فأخذت طليعة خورشيد شـاه السهم وأرسلوه مع فارس الى المجلس ليسلمه لمرزبان شاه الذى أعطى الرسالة لهامان الوزير فقرأها وتضايق الجميع وقال الفغفور « عفا الله عن مثقال » وقال الجميع « ماذا نحن فاعلون ؟ فقال مرزبان شاه « لقد ذهب جيشهم والا لكنت أرسلت جيشا لمنعهم » فصاحت ضياء وقالت « وا حسرتاه على أخى نور الملك ان علمت صيحانة بحقيقته من غرامد فانها لن ترحمه » وتحير خورشيد شاه وتضايق الجميع وكان محارب القصاب واقفا فأدى التحية وقال « أيها الملك الجليل ، يمكننى أن أذهب وأخبر نور الملك بهذا لأننى رأيت تلك الجزيرة كثيرا وأعرف كل الطرق اليها وباقبـال الملك أستطيع أن أذهب ماشيا بحيث أسبق راكب الخيل وأعرف طريقا يوصلنى قبـل غرامد بيومين » . فأثنى الملك عليـه وقال له « وما الذى يمنعك ؟ فخرج محارب من المجلس متوجها الى جزيرة النار وسار بحيث سـبق غرامد .

فى الجانب الآخر ، كان نور الملك فى جزيرة النار ، فلما طلع النهار ذهب الى صيحانة وأدى التحيـة فسألته صيحانـة « ماذا فعلت ، وأين شيطانة ؟ فأجابها نور الملك « أرسلتها مع رفيقى الى أرمنشاه » . فقالت صيحانة « ابق فى بيت شيطانة » . فبقى نور الملك فى ذلك المكان وهو يحاول أن يقوم بأى عمل ، وكان يخرج كل ليلة من بيت شيطانة ويذهب

الى قصر صيحانــة ، وكان يرى نيرانا كثيرة حول قصرهــا مما يمنعه من الاقتراب منه فقال لنفسه « انها ساحرة عظيمة ، فما العمل ؟

كان سمك يخرج للصحراء للتنزه وذات يوم خرج في الصباح الباكر واذا به يرى محارب القصاب متوجها الى جزيرة النار فذهب وأدى التحية وسأله « أيها البطل ، لماذا جئت ؟ فأجابه محارب » يا بطل الزمان ، اعلم أن ولوال واكبار قد أنقذا من السجن ، كما علم أرمنشاه أنك عند صيحانة الساحرة وقد أخبرنا مثقال الخادم أن البطل غرامد قادم الى هنا على رأس ألفين من الفرسان لكي يكشفوا عن وجودك » فقال نور الملك « عافاك الله يا مثقال ، الآن وبعد أن علمت بتدبيرهم فلا تهتم ، ولكن كيف خرج ولوال واكبار من السجن ؟ فذكر له محارب قصة وصول مرزبان شاه كما حدثت فبهت نور الملك وقال » ان خورشيد شاه لم يكتمل بعد في ادارة شئون الملك وان الرد على أعمالهم واجب علي ٠ أين تركت جيش غرامد ؟ فأجابه محارب « انهم يصلون غدا » فقال له « يا محـــارب يجب عليك أن تعود لتأتي بخمسة آلاف فارس بحيث يصلون ويلتقون بي عنـــد الروضـــة الفلانية » فقال محارب « سمعا وطاعة » ٠

في الحال مزق نور الملك ملابسه وحثى التراب على رأسه فقال له محارب « أيها البطل ، لماذا فعلت هذا ؟ فأجابه نور الملك » أنت لا تعرف فاذهب وافعل ما قلته لك لكي تصل بسرعة « فذهب محارب ثم بحث نور الملك عن حصان قوي الاحتمال فلما وجده امتطاه وانطلق في طريقه حتى قطع نحو عشرة فراسخ فالتقى بجيش غرامد وأخذ في الصياح فسأله غرامد » ماذا أصابك أيها الرجال ؟

أجابه نور الملك « ماذا تريد أسـوأ من هذا ؟ لقد ماتت صيحانة الساحرة وثار السحرة بعضهم على بعضهم الآخـر وأضرموا النيران في الجزيرة وقتلوا كثيرا من الناس واختطفوا النساء والأطفال ، وقد هربت خوفا على حياتي تاركا بيتي وأموالي وأبنائي وزوجتي وأنا ذاهب الآن الى أرمنشاه في جبل المشرق لأنه كان قد أرسل رجلين لاستدعاء صيحانة الساحرة وقد قتلا ضمن من قتل ، فأخبره بهذا ٠ أين أنتم ذاهبــون ؟ أجابه غرامد « واأسفاه لم نوفق في مهمتنا اذ كنت ذاهبـــا الى صيحانة والآن لا يجب أن أذهب بلا فائدة ، ولو كان الأمر كما تقول فان ما أردناه قد حدث وهو قتل سمك » ٠ قال هذا وعاد من حيث أتي وكان نور الملك يسير على مقربة منهم وليس معهم ٠

في الجانب الآخر فان محارب القصاب عاد كالريح الى معسكر خورشيد شاه وأخبر الملك بما طلب سمك ففرحوا وفي الحال أرسلوا خمسة آلاف فارس تحت قيادة جبل الديلم وهرمز والجبالى وجهاد وأبناء الغورى يرافقهم محارب ، وبينما كان غرامد عائدا مر على روضة فنزل عندها للراحة ، ورصد نور الملك مكانهم وانتظر على الطريق وصول محارب والجيش فلما رآهم تقدم اليهم وكان محارب يتقدمهم فقال له نور الملك « عد الى الجيش واجعل أربعة آلاف من الفرسان يحيطون بجيش غرامد بينما تتولى الألف الأخرى قطع الطرق عليهم حتى لا يفلت منهم أحد » فعاد محارب وأخبر القادة بما خطط له سمك وكان غرامد وجنده غافلين حين تصاعدت دقات الحرب من حولهم فقفزوا من أماكنهم واذا بهم محاطون من كل جانب ، وأعمل جيش خورشيد شاه السيف فيهم ولم يترك منهم حيا ٠

في وسط هذه المعركة فر غرامد الى داخل الغابة ولكن سمك رآه وجاءه من طريق آخر وأخذ في البكاء وقال له « أيها البطل ، أى مكان هذا ؟ لقد هربت من الجحيم فوقعت بين صليل السيوف ، أين أنت ذاهب ؟ فأجابه غرامد « سأعود للمدينة » فقال له نور الملك « الطريق من هذه الناحية ، ألم تر هذا الطريق من قبل ؟ تعال معي لآخذك من طريق غير معروف » ٠ فقال غرامد « اركب خلفي لأنك على قدميك وستؤخر هروبنا » ثم ارتدفه ، فأخذ نور الملك عنان الحصان من يده واستدار به الى أن جاء الى الطريق الذى عليه الجند ، فصاح غرامد « انهم جنود الأعداء سيمسكوننا فأسرع لنذهب من هنا » ٠ فرد عليه نور الملك « ان كانوا أعداء فهم أعداء لك والا فانهم أصدقاء لى ، وان أمسكوا أحدا فسيمسكوك أنت وأما أنا فما شأنى بهم ؟ فسأله غرامد « من أنت ؟ فقال له نور الملك « أيها الجاهل ألا تعرفنى ؟ أنا الذى أرسلك أرمنشاه وزلزال الى صيحانة لتأسره ، أنا نور الملك ، وان كنت لم تسمع بعد باسمى الجديد فأنا سمك العيار » ٠

قال غرامد « أيها الخائن ، لماذا تحقد على ؟ ثم سكت اذ أن الجنود كانوا قد وصلوا اليه فقال له نور الملك « أنت الحاقد ، فلو لم أكن أنا الذى أمسكت بك بل أنت الذى أمسكتنى لما أمنتنى على حياتى » ثم أمر نور الملك بتقييده ، ثم التفت الى جبل الديلم وهرمز والجبالى وجهاد والآخرين وقال « نصف هذه الأموال التى غنمناها نصيب لخورشيد شاه اعطوه لى والنصف الآخر لكم قسموه فيما بينكم وأنا سآخذ النصف الذى للملك وأتولى مسئوليته ذلك أن مرزبان شاه قد وصل ولم أره بعد

ولا أستطيع أن أذهب اليه دون نثار لأنني يجب أن أذهب مباشرة من الطريق الى مجلسه والا لكنت قد ذهبت الى الخزانة وأخذت منها ما أريد ، بهذا المال للنثار وغرامد هدية أقدمها له » ٠

قالوا « أيها البطل ، أتطلب شيئا منا ، بل خذ الغنائم كلها ؟ ان كل ما نملك فهو لك فهل تطلبه منا ؟ فليسعد خورشيد شاه الذى ـ باقباله وسعده ، وبهمتك وفضلك ـ صارت أموال الدنيا ملك لنا » ٠

آثنى نور الملك عليهم ثم ساروا عائدين الى معسكرهم الى أن وصلوا أمام المجلس وكان مرزبان شاه قد جلس على عرشه حينما دخل نور الملك وقبل الأرض أمام العرش ثم أخذ فى الثناء والمدح ، وكان ملء حجره ذهبا نثره أمام مرزبان شاه ثم أدى التحية مرة أخرى وقبل الأرض وأخذ فى الدعاء ثم أدى التحية للمرة الثالثة ثم دعا دعاء جميلا فلما انتهى منه قال « جعل الله قدوم ملك الدنيا مباركا وقطع دابر أعدائه وجعل كل الناس عبيدا له ، ومع أننى أقل عبيدك ـ لم أشأ أن آتى لخدمتكم هكذا ، ولكن الملك الجليل بكرمه وصواب رأيه سوف يقبل عذرى اذ ماذا يمكن أن يقدم عبد عاجز مثلى شيئا يليق بمجلس الملك ، ولكننى أحضرت هدية لايتاح مثلها الا لى ، ثم أدخل غرامد البطل أمام الملك وقدم تلك الأموال التى أخذها من الغنائم ٠

تعجب مرزبان شاه من قده وجسمه ومهارته وجرأته وفصاحته وطلاقة لسانه وسر به وقام له ، نخر سمك يقبل الأرض أمامه ولكن الملك قربه اليه ولاطفه وكان جميع الأبطال قد وقفوا حينما احتضنه مرزبان شاه وأجلسه أمامه وقال له « أنت شمس ملكى » فأدى نور الملك التحية وقال أيها الملك الجليل ، أى داع لوقوف ملك مثلك من أجل عبد مثلى ؟ لقد أظهرت عظمتك وجلالك هذه المرة ولا أريد بعد هذا أن يتكرر الأمر فقال مرزبان شاه « يا بنى ، لقد وقفت أمام قلبى » ثم استقر الجميع فى أماكنهم ٠

لقد وجد مرزبان شاه فى نور الملك أكثر مما كان يتخيل أو يتصور ٠ ثم قال خورشيد شاه « يا أخى ، لقد اختطفوا ابنى فرخ روز وزوجتى غدير » ثم روى له حادثة ذلك الهجوم الليلى ومقتل الكثير من الجند ٠ فقال له نور الملك « أيها الأمير ، منذ وقت طويل وهم يأملون فى القيام بمثل هذا العمل لكى يتفوقوا علينا ، وقد حققوا أملهم ، وكل هذا بسبب تقصيرك لأنك تركت المعسكر ولم يكن واجبا عليك الخروج للاستقبال

اذ أن أباك كان قد قطع آلاف الفراسخ وكان ــ لا شك ــ سيقطع هذه المسافة المتبقية ، ومع أن الأبطال كانوا فى المعسكر الا أن الأغنام بلا راع تكون مشتتة ومبعثرة ، وأنت لم تكتمل فى الملك بعد وهذا ذنب هامان الوزير حتى وقعت هذه الحادثة ومع كل هذا فالحمد لله أنك لم تصب بأذى • أما من ناحية فرخ روز وغدير فاطمئن فاننى ــ باقبالك واقبال أبيك ــ سوف أستعيدهما » •

قال مرزبان شاه « يا نور الملك ، لقد أطلق عليك خورشيد شاه اسما جميلا ومنذ قدمت فاننى لم أسعد كما سعدت اليوم برؤياك • والآن وقبل أن نأخذ فى تناول الشراب فلتعلم أننى تعهدت حينما أصل الى ابنى أن أبذل ما فى طاقتى للوصول الى السلام ، وقد جئت الى هنا فقوبلت بكل تلك الأحداث وقتل الكثير من الناس واختطاف ابنى فرخ روز وأمه وكنت قد أمرت بكتابة رسالة لأطلب الصلح وأسترجع فرخ روز وغدير ، وقد تركنا الرسالة بعد كتابة نصفها لأنك لم تكن معنا ، فدون وجودك لا يصلح عمل شىء » فأدى نور الملك التحية واستطرد مرزبان شاه « لقد بقيت الرسالة انتظارا لحضورك لأنك دليلنا ومخطط أعمال ابنى بل كأنك هو فانظر ما يجب القيام به » •

أدى نور الملك التحية وقال « أيها الملك الجليل ، انك تنظر الى بأكثر مما استحق ولكن بهمتك العالية الملكية سوف تتحقق هذه النظرة • ومع كل هذا فليفعل ملك الدنيا ما يرى أن فيه الفائدة » فقال مرزبان شاه « يا نور الملك ، اننى لم أرسل الرسالة حتى نستفيد من معرفتك وخبرتك ، ولما كنت قد أخذت هذا العمل على عاتقك فقل لنا ما فيه صلاح أمرنا وكيف نعمل » •

قال نور الملك « أيها الملك الجليل ، أوف بعهدك لأنهم لن يجنحوا للسلم ، انهم قوم يملأ الحقد قلوبهم ، متكبرون مغرورون أنانيون ، ومن الغرور الذى يسيطر على رءوسهم وصل أمرهم الى ما هم فيه الآن » •

كان فى يد مرزبان شاه سوار ثمنه يعادل خراج حلب مرتين أو ثلاث أخرجه من يده وألبسه لنور الملك وقال له « احتفظ بهذا التذكار منى فكل ما هو موجود لنا هنا ملك لك تنفق منه ما تشاء ، ولكن هذا السوار احتفظ به لأنه تذكار من أبى ، وأنت اليوم منى مثل خورشيد شاه تماما » فأدى نور الملك التحية وجرت الدموع من عينى خورشيد شاه رغما عنه • فقال له مرزبان شاه « يا روح أبيك ، كيف ترى نفسك ؟ جربت ألم الفراق ، أمن أجل طفل رضيع لم تره منذ أسبوع لاتستقر ولا تنام

ليلا أو نهارا . ولا تأكل ؟ كان الله في عون أبيك الذى رباك ورعاك حتى كبرت ونشأت وترعرت بدم قلبه وفى النهاية تبقى أكثر من ست سنوات لايراك مع بعد المسافة ومشقة السفر وهو لا يعلم أين أنت .. فحمدا لله أنك عرفت ألام قلوب الآباء على أبنائهم وتجرعت مرارة الفراق » .

حين رأى نور الملك دموع خورشيد شــاه وسمع كلام أبيه ثارت كوامن نفسه وتحركت آلامه فقال « أيها الملك الجليل ، لقد كان وضعك مختلفا عن وضع الأمير ، فأنت رجل ناضج كامل العقل قد حلبت الزمن وتجرعت ألم الفراق وذقت سعادة اللقاء ، أما الأمير فلم ينضج بعد كما أنك لو وضعت الناضج على النار احترق واذا وضعت غير الناضـج على النار نضج واشتم كل الناس رائحته ، فارع الأمير وقل له قولا لينـا » ثم التفت الى خورشيد شاه وقال « أيها الأمير ، فليطمئن قلبك فلو كان فرخ روز وغذير فوق السـحاب أو فى قاع البحـار فانني ـ باقبالك وسعدك ـ سآتي بهما واجعلهما بين يديك وكان ما حدث من تقدير الله حتى تحس بآلام قلب أبيك . ثم أنك سمعت طـالع ابنك الذى رآه له هامان الوزير » .

بعد هذا قال نور الملك لمرزبان شاه « أيها الملك الجليل ، مر باكمال الرسالة حتى أرافق الرسول الذى سيحملها الى المدينة وأنظر فيما يجب عمله » فقال الملك لهامان الوزير أن يكمل الرسالة وكان من بين الأبطال المرافقين لمرزبان شاه بطل اسمه أرغند قال له الملك « يا أرغند ، يجب حمل هذه الرسالة الى المدينة » فقال نور الملك « بل انتظر حتى استعد » فقال له خورشيد شاه « أيها البطل ، أنت معروف فى المدينة والجميع يعرفونك فقد رأوك فى دكان الحلوى ، فانتظر أنت حتى يرجع الرسول وننظر فيما يجب عمله » فقال نور الملك « أيها الأمير ، لا تقلق فانني سأذهب الى المدينة عند أرمنشاه وزلزال ودبور وشهران الوزير وأتحدث اليهم وأستمع منهم ـ وباقبالك ـ لن يعرفني أحد قط لأنه لايمر على يوم لا أتعلم فيه حيلة أو وسيلة وأجعل من كل واحدة مائة حيلة ، ومن كثرة التفكير فيما أراه من شخص أو أسمعه منه مما يشــبه الحيلة فاختزنه كرصيد ينفعني عند الحاجة » ـ فقال له خورشيد شاه « أنت أدري بنفسك » .

## خـلاف الأخــوة

وقفت ضياء وقالت « أيها البطل ، سأصاحبك » . فصــاح فيها نور الملك وقال « اجلسي مع النساء . لماذا حين أنوى القيام بعمل تقولين

ساصحبك ؟ أليس كل هؤلاء من العيارين ؟ انهم جميعا مثلك يريدون مصاحبتي ولكنهم لايتكلمون احتراما لك لأنهم يعرفون أنه لايجوز القيام بكل عمل مع أى شخص ، هل يجب أن تعرفي كل شيء ؟ وكان نور الملك يقول هذا الكلام ليعظم نفسه أمام مرزبانشاه وحتى لايقول أنه لايقوم بعمل دون رفيق أو شريك • ومع آن ضياء كان لديها أكثر من رد عليه ولكنها لم تفه بكلمة احتراما له ومراعاة لمكانته مع احساسها بالخجل أمام مرزبان شاه واكتفت بأن نكست رأسها •

قام نور الملك وذهب الى خيمته ودلك لحيته بدواء فتساقط كل شعرها ، وغير ملابسه وجعل نفسه على شاكلة التجار ثم توجه الى المجلس وقال لنفسه « انظر ان كانوا سيعرفوننى أم لا ؟ ثم تقدم نحو العرش ووقف فنظر اليه مرزبان شاه وقال « من هذا ؟ » فأجابه الجميع « نحن لا نعرفه » • فقال مرزبان شاه « مجلس مثل هذا يدخله ويخرج منه كل من شاء ، فلو كان عدوا لما أراد أكثر من هذا » • ومن غضبه التفت الى نور الملك وقال « يا رجل ، ماذا تريد ولماذا دخلت هنا على هذا النحو من الاستهتار » ؟

أدى نور الملك التحية وقال « أيها الملك الجليل ، أنا عبد وخادم لايسمحون لى بالدخول الى أى مجلس » • ثم قال بلغة أهل حلب « أنا ذاهب الى حلب فلو كان لدى الملك أى عمل فليأمرنى به » • فقال له مرزبان شاه « اننى لم أرك أبدا هناك فمن أنت ؟ فأجابه نور الملك » أحقا تقول أننى لم أر حلب أبدا ؟ قال نور الملك هذا وغلبه الضحك فعرفه خورشيد شاه وقال « أبى الجليل ، انه البطل نور الملك » فتعجب منه مرزبان شاه وقال « يا روح أبيك ، أين ذهبت لحيتك ومن أين تعلمت لغة حلب ؟ فأجابه نور الملك « أيها الملك ، تعلمت لغة أهل حلب من الأمير • أما لحيتى فقد أزلتها لكى أحضر فرخ روز وغدير وقد وهبت لحيتى لفرخ روز ، وسأذهب للمدينة لأننى رأيت بها شيئا آخر أثار رغبتى وأريد أن أعرف سره » فسأله الملك « وما ذاك ؟ فحدثه نور الملك عن تلك الفتاة التى كان قد رآها فى تلك الحديقة •

**وسنتابع ما حدث فى الجزء الثالث**

**ان شاء الله**

# أسماء أهم الشخصيات التى وردت فى هذا الجزء

| الاسم المعرب | الاسم الأصلى | دوره فى القصة |
|---|---|---|
| سحاب | سياه ابر | بطل من أبطال ارمنشاه ملك منغوليا |
| دبور قاهر الشياطين | دبور ديوكير | بطل جبـل الذهب ومسهر سحاب |
| لجين | سيماب | قائد جيش دبور |
| غاطوش | غاطوش | بطل من ابطال ارمنشاه |
| عوش بن غاطوش | غوش بسرغاطوش | بطل وابن غاطوش |
| سهمك | سهكك | احد رجال ارمنشاه |
| غدير | آبان دخت | بنت الغورى وزوجة خورشيد شاه |
| فتاح | فتاح | الزنجى آكل لحوم البشر بعد التحاقه بخدمة خورشيد شاه |
| سرادق | سرادق | بطل لدبور |
| غ إلف | غراف | من ابطال أرمنشاه |
| قيماز | قيماز | اخت بدرية بنت ارمنشاه |
| شمامة | شمامة | دلالة |
| طلامة | طلامة | حاكم مدينة منغوليا |
| عادان | عادان | والى مدينة منغوليا |
| شمشام | شعشام | شحنة منغوليا بعد مقتل عادان |
| غريب | غريبك | اخ لشمامة بالتآخى وقصاب |
| عبهر | عبهر | احد ابطال خورشيد شاه |
| خشعاف | عخشعاف | ابن البطل دبور |
| غراب الغرابى | عراب غرابى | أحد ابطال خورشيد شاه |
| غفاف | غفاف | شـقيق دبور وبطـل وادى |

| الاسم المعرب | الاسم الأصلي | دوره في القصة |
|---|---|---|
| غرامد | غرامد | ابن غفاف |
| عيلان | عيلان | بطل وادي غضبان |
| سراق | سراق | بطل من وادي نيشان |
| جبل الديلم | ديلم كوه | بطل لمرزبان شاه من جبل الديلم |
| زلزال | زلزال | ملك ولاية جبل المشرق ( خاور كوه ) |
| قائم | قايم | سجان زلزال والتحق بخدمة خورشيد شاه |
| صاعد | برامد | وزير زلزال |
| حمر العلم | سرخ علمان | طائفة من جبل المشرق |
| عباد الشمس | آفتاب پرست | من رجال زلزال |
| ولوال | ولوال | احد حكام مدينة جبل المشرق |
| اكبار | اكبار | شقيق ولوال وحاكم من معه للمدينة |
| العوام | درياگذار | أحد رجال قائم |
| محارب القصاب | جنكجوى قصاب | عيار من حمر العلم |
| سود العلم | سياه علمان | الفئة الاخرى من جبل المشرق |
| صيحانة الساحرة | صبحانة جادوكر | كبيرة السحرة في جزيرة النار |
| ريحانة المطربة | ريحانة مطرب | مغنية في مدينة منغوليا |
| بروانه | بروانه | ساحرة من تابعات صيحانة |
| شيطانة | شيطانة | ساحرة من تابعات صيحانة |
| ارغند | ارغند | بطل من ابطل مرزبان شاه . |

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٧/١٤١٦٧

ISBN — 977 — 01 — 5523 — 3

أقدم لقراء اللغة العربية الجزء الثانى من القصة المعروفة فى الأدب الفارسى بقصة سمك العيار والتى تنشر ترجمتها العربية باسم اسطورة ماه برى.

والقصة من التراث الشعبى الفارسى وقد كتبت فى أواخر القرن السادس الهجرى (الثانى عشر الميلادى) ويقوم بالدور الرئيسى فيها سمك العيار ويستعرض المؤلف من خلاله حيل العياريين ومكرهم ومهاراتهم وأساليبهم ثم لجوءهم للعنف أحيانا فى سبيل تحقيق أهدافهم، كما يتعرض المؤلف أيضا للحياة الإجتماعية فى ذلك الوقت.

وسنرى أن المؤلف سيلجأ أحيانا للاستعانة بقصص ألف ليلة وليلة العربية وقد أشرت إلى بعض هذه الاقتباسات فى الهامش.

وأرجو أن تنشر الأجزاء الثلاثة الباقية من القصة تباعاً حتى يتسنى للقراء الأعزاء قراءتها كاملة.

دكتور محمد فتحى يوسف الريس
أستاذ اللغة والحضارة الفارسية
بجامعة القاهرة.

٦٢٥ قرشاً
مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب